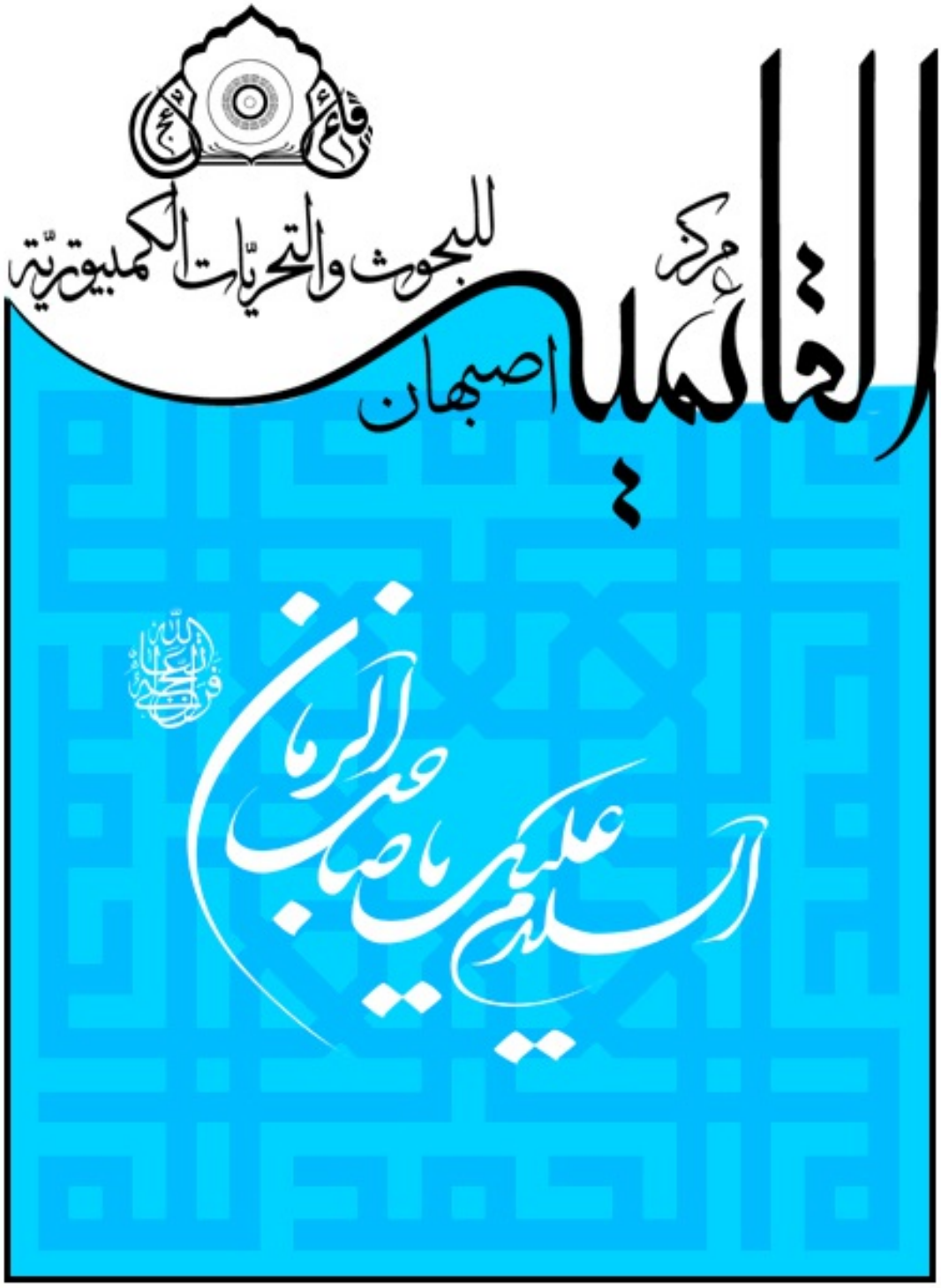

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

باقر شريف القرشي

حياة
الإمام موسى بن جعفر

الجزء الأول

دار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام

كاتب:

باقر شريف قرشى

نشرت فى الطباعة:

دارالبلاغه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حیاة الإمام موسی بن جعفر علیهما السلام المجلد ۱ ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
[مقدمة الطبعة الثانية] ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
۱- المقاومة الايجابية ----- ۲۵
۲- المقاومة السلبية ----- ۲۵
مقدّمة الطبعة الأولی ----- ۲۹
ولادته و نشأته ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الولید المبارک ----- ۳۶
اطعام عام ----- ۳۷
الطفولة الزاکیة ----- ۳۷
حب و تکریم ----- ۳۷
صفته: ----- ۳۸
هیبته و وقاره ----- ۳۸
نقش خاتمه ----- ۳۸
کنیته ----- ۳۹
ألقابه: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
الصابر ----- ۳۹
العبد الصالح ----- ۳۹
السید ----- ۳۹

الوفی ----- ۳۹
الأمین ----- ۳۹
قائد العسکر ----- ۴۰
الکاظم ----- ۴۰
ذو النفس الزکیة ----- ۴۰
باب الحوائج ----- ۴۰
عبقریّة و نبوغ ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
[العوامل التربویة] ----- ۴۲
۱- الوراثة ----- ۴۲
۲- الأسرة ----- ۴۳
۳- البیئة ----- ۴۴
ذکاء و نبوغ ----- ۴۵
مع أبی حنیفة ----- ۴۵
حکمه علی أبی الخطاب ----- ۴۶
فی جامعة الإمام الصّادق ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
المؤسس الأول ----- ۴۸
فی عهد الامام الصادق ----- ۵۱
عوامل النمو و الازدهار ----- ۵۱
المرکز العام ----- ۵۲
البعثات العلمیة ----- ۵۲
عدد طلابها ----- ۵۳
فروعها: ----- ۵۳

الأخصائيون من طلابه ----- ۵۴
تدوين العلوم ----- ۵۵
اعتزاز و افتخار ----- ۵۶
طابعها الخاص ----- ۵۷
فزع السلطة: ----- ۵۸
المناهج التعليمية: ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
مكارم الاخلاق ----- ۵۹
العدل: ----- ۶۰
إيثار الحق: ----- ۶۰
الاصلاح: ----- ۶۱
الظلم: ----- ۶۱
التعاون: ----- ۶۱
معرفة اللّه: ----- ۶۲
صفات المؤمنين: ----- ۶۲
الورع: ----- ۶۳
فی عهد الامام موسی: ----- ۶۳
مثله العليا ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
امامته: ----- ۶۴
معنی الامامة: ----- ۶۵
الحاجة الی الامامة: ----- ۶۵
الاتفاق علی وجوبها: ----- ۶۵
واجبات الامام: ----- ۶۶

صفات الامام: ----- ۶۷
۱- العصمة: ----- ۶۷
تعیین الامام ----- ۶۹
کلمة الامام الرضا ----- ۷۰
نصوص الامامة: ----- ۷۴
النص علی امامته: ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
۱- المفضل بن عمر: ----- ۷۶
۲- یزید بن سلیط: ----- ۷۶
۳- داود بن کثیر: ----- ۷۶
۴- الفیض بن المختار: ----- ۷۷
۵- ابراهیم الکرخی: ----- ۷۷
۶- عیسی العلوی: ----- ۷۸
۷- معاذ بن کثیر: ----- ۷۸
۸- منصور بن حازم: ----- ۷۸
۹- سلیمان بن خالد: ----- ۷۹
۱۰- صفوان الجمال: ----- ۷۹
۱۱- اسحاق بن جعفر: ----- ۷۹
۱۲- علی بن جعفر: ----- ۷۹
۱۳- یزید بن اسباط: ----- ۸۰
۱۴- سلمة بن محرز: ----- ۸۰
۱۵- زرارة بن أعین: ----- ۸۰
۱۶- بعض الشیعة: ----- ۸۲
۱۷- بعض أصحابه: ----- ۸۲

مواهبه العلمیة: ۸۲
عبادته و تقواه: ۸۳
اشارة ۸۳
[انموذجا من مظاهر طاعته و عبادته:] ۸۳
أ- صلاته: ۸۳
ب- صومه: ۸۵
ج- حجه: ۸۶
د- تلاوته للقرآن: ۸۸
ه- بکاؤه من خشیة اللّه: ۸۸
و- عتقه للعبید: ۸۸
زهده: ۸۹
جوده و سخاؤه: ۸۹
حلمه: ۹۲
ارشاده و توجیهه: ۹۴
احسانه الی الناس: ۹۵
أقوال و آراء ۹۶
من تراثه الفکری ۱۰۴
اشارة ۱۰۴
رسالته فی العقل: ۱۰۴
اشارة ۱۰۴
۱- خلق السماوات: ۱۰۶
۲- الارض: ۱۰۷
۳- اختلاف اللیل و النهار: ۱۰۸
۴- جریان الفک: ۱۰۹

۵- نزول الماء من السماء: ۱۰۹
۶- بث الدواب فی الأرض: ۱۰۹
۷- تصریف الریاح: ۱۱۰
۸- تسخیر السحاب: ۱۱۱
رسالته فی التوحید: ۱۲۶
البداء: ۱۲۸
اشارة ۱۲۸
المعنی اللغوی: ۱۲۹
حقیقته عند الشیعة: ۱۲۹
الانکار علی الشیعة: ۱۳۰
رأی الامام موسی: ۱۳۱
الایمان باللّه ۱۳۲
العلم: ۱۳۳
التفقه فی الدین: ۱۳۴
اشارة ۱۳۴
العمل: ۱۳۵
التحذیر من الکسل: ۱۳۶
الاقتصاد: ۱۳۶
مکارم الاخلاق: ۱۳۶
اشارة ۱۳۶
للسخاء و حسن الخلق: ۱۳۷
الورع: ۱۳۷
الصبر: ۱۳۷
الصمت: ۱۳۷

العفو و الاصلاح: ۱۳۷
قول الخير: ۱۳۷
قول الحق: ۱۳۸
حسن الجوار: ۱۳۸
اغاثة المستجير: ۱۳۸
زيارة الاخوان: ۱۳۸
الرضاء بقضاء اللّه: ۱۳۹
شكر النعمة: ۱۳۹
محاسبة النفس: ۱۳۹
الاستشارة: ۱۳۹
مساوئ الافعال: ۱۳۹
أدعيته: ۱۴۰
اشارة ۱۴۰
وعظ و ارشاد: ۱۴۲
ارشاد و توجيه: ۱۴۳
وصية عامة: ۱۴۳
مناظراته و احتجاجاته: ۱۴۳
اشارة ۱۴۳
۱- مع نفيع الانصارى: ۱۴۴
۲- مع الفضل بن الربيع: ۱۴۴
۳- مع أبى يوسف: ۱۴۵
۴- مع أبى حنيفة: ۱۴۵
۵- مع هارون الرشيد: ۱۴۶
۶- مع علماء اليهود: ۱۵۱

۷- مع بریهة: ۱۵۱
۸- مع راهب: ۱۵۲
نظمه الشعر: ۱۵۳
جوامع الکلم: ۱۵۴
انهیار الحکم الأموی ۱۵۷
اشارة ۱۵۷
[اسباب الانهیار] ۱۵۸
التنکیل بأهل البیت: ۱۵۸
اضطهاد الشیعة: ۱۶۰
واقعة الحرة: ۱۶۱
سیاسة الکفر و الظلم: ۱۶۱
السیاسة المالیة: ۱۶۴
الضرائب الاضافیة: ۱۶۵
اصطفاء الاموال: ۱۶۶
رفض الناس لاملاکهم: ۱۶۶
الولاة و الجباة: ۱۶۷
احتقار الشعوب: ۱۶۹
اضطهاد الذمیین: ۱۷۰
ظلمهم للموالی: ۱۷۰
خلاعة الخلفاء: ۱۷۱
العصبیة بین الیمنیة و النزاریة: ۱۷۳
نتائج الأحداث: ۱۷۴
اشارة ۱۷۴
۱- الثورات المحلیة: ۱۷۴

۲- الدعوة الی العلویین: ۱۷۴
۳- الاضطراب العام: ۱۷۵
الثورة الکبری: ۱۷۶
مؤسسو الثورة: ۱۷۶
مرکز الثورة: ۱۷۷
مؤتمر الأبواء: ۱۷۷
انتخاب أبی مسلم: ۱۷۸
وصیة ابراهیم لأبی مسلم: ۱۷۸
فی خراسان: ۱۷۹
مع نصر بن سیار: ۱۷۹
فی عهد السّفاح ۱۸۱
اشارة ۱۸۱
[البیعة لأبی العباس السفاح] ۱۸۱
اشارة ۱۸۱
وقعة الزاب: ۱۸۲
هرب الأمویین: ۱۸۴
الإبادة الشاملة: ۱۸۴
اشارة ۱۸۴
۱- فی البصرة: ۱۸۴
۲- فی مکة و المدینة: ۱۸۵
۳- فی الحیرة: ۱۸۵
نبش قبور الأمویین: ۱۸۶
السفاح و العلویون: ۱۸۷
موقف الامام الصادق: ۱۸۸

اشارة ----- ۱۸۸
۱- مع العلويين: ----- ۱۸۸
۲- مع أبی سلمة: ----- ۱۸۹
۳- مع ابی مسلم: ----- ۱۹۰
ندم أبی مسلم: ----- ۱۹۱
وفاة السفاح: ----- ۱۹۲
فی عهد المنصور ----- ۱۹۲
اشارة ----- ۱۹۲
مظاهر شخصية المنصور: ----- ۱۹۴
اشارة ----- ۱۹۴
۱- البخل: ----- ۱۹۴
اشارة ----- ۱۹۴
أ- حرمانه لنفسه: ----- ۱۹۴
ب- الشح علی الأصدقاء: ----- ۱۹۵
ج- حرمان الادباء: ----- ۱۹۵
د- مع المهدی: ----- ۱۹۷
ه- مع الفقيه ابن السمان: ----- ۱۹۸
و- مع عماله: ----- ۱۹۹
أسباب حرصه: ----- ۱۹۹
استبداده: ----- ۲۰۰
فتكه: ----- ۲۰۱
اشارة ----- ۲۰۱
۱- ابو مسلم: ----- ۲۰۱
۲- عبد اللّه بن علی: ----- ۲۰۱

۳- محمد بن أبی العباس: ۲۰۲
موبقاته: ۲۰۳
اشارة ۲۰۳
۱- ترویع المدنیین: ۲۰۳
۲- الاستهانة بالکعبة: ۲۰۴
۳- اختلاس الأموال: ۲۰۴
۴- التنکیل بالعلویین: ۲۰۵
بواعث الثورة: ۲۰۵
اشارة ۲۰۵
[الاسباب التی حفزتهم الی الثورات] ۲۰۵
۱- الشعور بالمسؤولیة: ۲۰۵
۲- الشمم و الإباء: ۲۰۶
۳- حرمانهم من حقوقهم: ۲۰۷
کلمة الامام ابن الساعی: ۲۰۷
التجسس علی العلویین: ۲۰۸
القبض علی العلویین: ۲۰۹
حملهم الی العراق: ۲۱۰
لوعة الامام الصادق: ۲۱۰
رسالته الی عبد اللّه: ۲۱۱
فی الربذة: ۲۱۳
فی الهاشمیة: ۲۱۴
مصادرة أموال العلویین: ۲۱۵
ثورة الزکی محمد: ۲۱۵
ثورة الزکی ابراهیم: ۲۱۸

وضعهم فی الاسطوانات: ۲۲۰
خزانة رءوس العلویین: ۲۲۱
استرحام العلویین: ۲۲۱
الإمام الصادق فی ذمة الخلود: ۲۲۲
رجوع الشیعة للامام موسی: ۲۲۴
الانکار علی سیاسة المنصور: ۲۲۶
اشارة ۲۲۶
۱- عبد اللّه بن طاوس: ۲۲۶
۲- سفیان الثوری: ۲۲۷
۳- ابن أبی ذئب: ۲۲۷
۴- عبد الرحمن بن زیاد: ۲۲۸
۵- مصلح کبیر: ۲۲۹
۶- عمرو بن عبید ۲۳۰
الامام موسی مع المنصور: ۲۳۰
هلاک المنصور: ۲۳۱
فی عهد المهدی ۲۳۲
اشارة ۲۳۲
[بعض نزعاته و اعماله] ۲۳۳
خلاعته و مجونه ۲۳۳
بذخه و اسرافه: ۲۳۴
نفوذ المرأة: ۲۳۵
الرشوة و الظلم: ۲۳۶
العنایة بالوضاعین: ۲۳۶
عداؤه للعلویین: ۲۳۷

اغداق الاموال علی انتقاص العلویین: ----- ۲۳۸
نکبته لوزیره یعقوب: ----- ۲۳۸
مع الامام موسی: ----- ۲۴۰
اشارة ----- ۲۴۰
استدلاله علی حرمة الخمر: ----- ۲۴۰
تحدید فدک: ----- ۲۴۰
توسعة المسجد الحرام: ----- ۲۴۱
اعتقال الامام: ----- ۲۴۱
وفاة المهدی: ----- ۲۴۲
فی عهد الهادی ----- ۲۴۳
اشارة ----- ۲۴۳
نزعاته: ----- ۲۴۳
اشارة ----- ۲۴۳
أ- غروره و طیشه: ----- ۲۴۳
ب- لهوه و مجونه: ----- ۲۴۳
ج- شراسته: ----- ۲۴۴
د- عداؤه للعلویین: ----- ۲۴۴
کارثة فخ: ----- ۲۴۴
الحسین الثائر العظیم: ----- ۲۴۵
اشارة ----- ۲۴۵
أ- نسبه الوضاء: ----- ۲۴۵
ب- نشأته: ----- ۲۴۵
ج- نزعاته الفذة: ----- ۲۴۵
السبب فی ثورته: ----- ۲۴۷

شهادته: ---- ۲۴۸

وصول الأسری الی الهادی: ---- ۲۵۰

تهدیده للامام موسی: ---- ۲۵۱

استهزاء الامام به: ---- ۲۵۱

دعاؤه علیه: ---- ۲۵۲

هلاک موسی الهادی: ---- ۲۵۶

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۵۷

حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام المجلد ۱

اشارة

نام كتاب: حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام

نويسنده: باقر شريف قرشى

تعداد جلد واقعى: ۲

نوبت چاپ: اوّل

سرشناسه : قرشى، باقر شريف، ۱۹۲۶ - م.

عنوان و نام پديدآور : حياة الامام موسى بن جعفر عليهما السلام دراسة و تحليل/ باقر شريف القرشى.

مشخصات نشر : بيروت: دارالبلاغة، ۱۴۱۳ق.= ۱۹۹۳م. = ۱۳۷۲.

مشخصات ظاهرى : ۵۰۰ص.

يادداشت : كتابنامه به‌صورت زيرنويس.

موضوع : موسى بن جعفر عليهما السلام ، امام هفتم، ۱۲۸ - ۱۸۳ق.

رده بندى كنگره : BP۴۶ /ق۴ح۹۱۳۷۳

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۵۶

شماره كتابشناسى ملى : م۸۱-۷۶۹۸

[مقدمة الطبعة الثانية]

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

و اذا استعرض الباحث أى جانب من حياة الامام موسى (ع) فانه يجد تراثا نديا مشرقا يفيض بالخير و الجمال، و يحمل العطاء السمح، و التوجيه المشرق للأمة.

ان حياة الامام موسى بجميع ابعادها تتميز بالصلابة فى الحق، و الصمود أمام الأحداث، و بالسلوك النير الذى لم يؤثر فيه أى انحراف أو التواء، و انما كان متسما بالتوازن، و منسجما مع سيرة الرسول الاعظم (ص) و هديه و اتجاهه، و التزامه بحرفية الاسلام.

و كان من بين تلك المظاهر الفذة التى تميزت بها شخصيته هو الصبر على الأحداث الجسام، و المحن الشاقة التى لاقاها من طغاة عصره، فقد امعنوا فى اضطهاده، و التنكيل به، و قد أصر هارون الرشيد على ظلمه فعمد الى اعتقاله و زجه فى ظلمات السجون، و بقى فيها حقبة من السنين يعانى الآلام و الخطوب و لم يؤثر عنه أنه ابدى أى تذمر أو شكوى أو جزع مما ألمّ به، و انما كان على العكس من ذلك يبدى الشكر للّه، و يكثر من الحمد له على تفرغه لعبادته، و انقطاعه لطاعته.

و اجمع المترجمون له أنه كان من اعظم الناس طاعة، و اكثرهم عبادة للّه فكانت له ثفنات كثفنات البعير من كثرة السجود كما كانت لجده الامام زين العابدين من قبل حتى لقب بذى الثفنات، و قد بهر العقول بكثرة عبادته حينما كان فى السجن، فكان يصوم نهاره، و ينفق ليله ساهرا فى

عبادة اللّه، و قد أدلى الفضل بن الربيع بحديث له عن عبادته عليه السلام حينما كان سجينا فى داره، و قد دلّ على مدى تجرده عن الدنيا و اقباله على اللّه، و سنذكره عند الحديث عن سجنه.

و قد بهر هارون بما رأه من تقوى الامام و كثرة عبادته فراح يبدى اعجابه قائلا: «إنه من رهبان بنى هاشم!!».

و لما سجن (ع) فى بيت السندى بن شاهك اقبل على عبادة اللّه فكان فى جميع أوقاته مشغولا بذكره تعالى، و كانت عائلة السندى تطل عليه فترى هذه السيرة التى تحاكى سيرة الأنبياء، فاعتنقت شقيقة السندى فكرة الامامة، و كان من آثار ذلك أن أصبح كشاجم حفيد السندى من اعلام الشيعة فى عصره.

انها سيرة تملك القلوب و المشاعر فهى مترعة بجميع معانى السمو و النبل و الزهد فى الدنيا و الاقبال على اللّه.

و هناك ظاهرة أخرى من ظواهر شخصيته الكريمة، و هى السخاء، فقد اتفق المؤرخون أنه كان من أندى الناس كفا، و اكثرهم عطاء للمعوزين، و كانت تضرب بصراره المثل، فكان الناس يقولون: «عجبا لمن جاءته صرار موسى و هو يشتكى الفقر» و كان يصل الفقراء و المحرومين فى غلس الليل البهيم لئلا يعرفه أحد، و قد انفق جميع ما يملكه بسخاء على الضعفاء و المنكوبين، و اغدق عليهم العطاء الجزيل، و انقذ الكثيرين منهم من مرارة الفقر و الحرمان.

و اجمع الرواة انه (ع) كان يملك طاقات هائلة من العلم، فكان اعلم المسلمين فى عصره، و قد احتف به العلماء و الرواة فكان لا يفتى بنازلة أو حادثة الا بادروا إلى تسجيلها و تدوينها، و قد رووا عنه مختلف العلوم و الفنون خصوصا فيما يتعلق بالتشريع الاسلامى، فقد زودهم بطاقات ندية منه،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹

و يعتبر فى هذا المجال هو أول من فتق باب الحلال و الحرام من أئمة أهل البيت (ع) «۱».

لقد قام الامام موسى (ع) بعد أبيه الامام الصادق (ع) بادارة شئون جامعته العلمية التى تعتبر اول مؤسسة ثقافية فى الاسلام، و أول معهد تخرجت منه كوكبة من كبار العلماء فى طليعتهم أئمة المذاهب الاسلامية و قد قامت بدور مهم فى تطوير الحياة الفكرية، و نمو الحركة العلمية فى ذلك العصر، و امتدت موجاتها الى سائر العصور و هى تحمل روح الاسلام و هديه، و تبث رسالته الهادفة الى الوعى المتحرر و اليقظة الفكرية، و سنتحدث عن مدى معطياتها فى غضون هذا الكتاب.

لقد كان الامام موسى (ع) من المع أئمة المسلمين فى علمه، و سهره على نشر الثقافة الاسلامية و ابراز الواقع الاسلامى و حقيقته.

و يضاف الى نزعاته الفذة التى لا تحصى حلمه و كظمه للغيظ، فكان الحلم من خصائصه و مقوماته، و قد اجمع المؤرخون أنه كان يقابل الاساءة بالاحسان، و الذنب بالعفو، شأنه فى ذلك شأن جده الرسول الاعظم (ص) و قد قابل جميع ما لاقاه من سوء و أذى، و مكروه من الحاقدين عليه بالصبر و الصفح الجميل حتى لقب بالكاظم و كان ذلك من أشهر القابه.

و هكذا إذا استعرضنا نزعات الامام، و قابلياته الفذة، و ما أثر عنه فى ميادين السلوك و الاخلاق، فانا نجده حافلا بكل مقومات الانسانية، و ما لها من مفاهيم بناءة خيرة، و عسى أن يلمّ هذا الكتاب ببعض جوانبها المشرقة، أو يعطى أضواء عنها.

(۲) و لم تكن الشيعة تقدس أئمة أهل البيت (ع) تقديسا دينيا مجردا

---

(۱) الفقه الاسلامى مدخل لدراسة نظام المعاملات ص ۱۶۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰

عن الوعى و العمق، و انما يستند فى حقيقته و جوهره بل فى جميع ابعاده إلى الدقة و التأمل و الإدراك حسب ما دللوا عليه، و أقاموه من الأدلة الوثيقة التى هى بعيدة كل البعد عن عنصر الجدل و النقاش ... إن إيمان الشيعة بل ايمان جميع المسلمين بلزوم مودة أهل البيت انما هو مستمد من واقع الاسلام و روحه، و من صميم رسالته، فقد أوجب على كل مسلم أن يكنّ لهم فى أعماق ذاته و دخائل

نفسه أعمق الود و خالص الحب، و قد نطقت بذلك آية المودة قال تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى «۱» فقد أجمع المفسرون أنها نزلت فى أهل البيت (ع) «۲» و إلى مضمون الآية يشير الامام الشافعى بقوله:

يا أهل بيت رسول اللّه حبكمفرض من اللّه فى القرآن أنزله و تواترت النصوص الصحيحة فى لزوم مودة أهل البيت، و ان النبى حرب لمن حاربهم، و سلم لمن سالمهم، و قد قرنهم بمحكم التنزيل قال (ص):

«إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» «۳».

---

(۱) سورة الشورى: آية ۲۳.

(۲) تفسير الرازى ۷/ ۴۰۶، الدر المنثور ۷/ ۷، تفسير النيسابورى، و روى أبو نعيم بسنده عن جابر قال: جاء أعرابى إلى النبى (ص) فقال يا محمد اعرض على الاسلام، فقال تشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و ان محمدا عبده و رسوله قال: تسألنى عليه أجرا؟ قال:- لا- الا المودة فى القربى، قال: قربای أو قرباك؟ قال: قربای، قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك، و لا يحب قرباك لعنة اللّه، قال رسول اللّه (ص): آمين.

(۳) صحيح الترمذى ۲/ ۳۰۸، أسد الغابة ۲/ ۱۲.

ان حديث الثقلين قد أجمع المسلمون على روايته، و هو من أوثق الاحاديث النبوية و أكثرها ذيوعا، و هو يحمل جانبا مهما من جوانب العقيدة الاسلامية، كما أنه من اجلى الأدلة التى تستند إليها الشيعة فى حصر الامامة فى أهل البيت، و فى عصمتهم من الاخطاء و الاهواء لأن النبى (ص) قرنهم بالكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، و من الطبيعى ان صدور أية مخالفة لاحكام الدين تعتبر افتراقا عن الكتاب العزيز، و قد نفى الرسول (ص) افتراقهما حتى يردا عليه الحوض، فدلالته على العصمة و لزوم مودتهم ظاهرة جلية.

و قد كرر النبى (ص) هذا الحديث فى غير موطن لأنه يهدف الى صيانة الامة و الحفاظ على استقامتها و عدم انحرافها فى المجالات العقائدية و غيرها إن تمسكت بأهل البيت و لم تتقدم عليهم، و لم تتأخر عنهم «۱».

و قال (ص): «انما مثل أهل بيتى كسفينة نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق، و انما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى اسرائيل من دخله غفر له» «۲» يقول الامام شرف الدين فى مراجعاته القيمة فى بيان الحديث ما نصه.

«و أنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح أن من لجأ إليهم فى الدين فأخذ أصوله و فروعه عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار، و من تخلف عنهم كان كمن آوى «يوم الطوفان» الى جبل ليعصمه من أمر اللّه، غير أن ذاك غرق فى الماء و هذا فى الحميم و العياذ باللّه.

و الوجه فى تشبيههم عليهم السلام بباب حطة هو أن اللّه جعل ذلك الباب

---

(۱) حياة الامام الحسن ۱/ ۹۰.

(۲) مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۸.

مظهرا من مظاهر التواضع لجلاله و البخوع لحكمه، و بهذا كان سببا للمغفرة.

هذا وجه الشبه، و قد حاوله ابن حجر إذ قال:- بعد أن أورد هذه الاحاديث و غيرها من أمثالها-.

«و وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم و عظمهم شكرا لنعمة مشرفهم، و أخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، و من تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم، و هلك فى مفاوز الطغيان» الى ان قال:

«و بباب حطة- يعنى وجه تشبيههم بباب حطة- أن اللّه جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع و الاستغفار سببا للمغفرة، و جعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها» «۱».

هذه بعض النصوص الواردة فى اهل البيت، و هى صريحة فى دلالتها على لزوم مودتهم، و هو أمر مجمع عليه بين المسلمين، الا ان الذى يهمنا هو أن نلمع بإيجاز الى مظاهر ذلك الولاء الخالص عند الشيعة، و هو يحمل فى واقعه طابع الغلو و الافراط فى الحب كما يتهمهم بذلك بعض خصومهم أو انه بعيد عن ذلك، و فيما أحسب ان الحديث عن أمثال هذه البحوث من موجبات الالفة و التقريب بين المسلمين فانها تزيل من طريقنا ما خلفته الاجيال من عوادى السوء و مغبات التفرق و الانقسام.

ان مظاهر الولاء للعترة الطاهرة عند الشيعة هى ما يلى:

أولا- إن الشيعة تأخذ معالم الدين أصولا و فروعا من أئمة أهل البيت (ع) و تجمع على أن التعبد باقوالهم و افعالهم و تقريرهم انما هو من السنة التى يجب العمل بها عينا، و بذلك فقد بنت أطارها العقائدى على ما أثر عن أهل البيت، و لا تتعدى فى المجالات التشريعية الى غيرهم من بقية المذاهب الاسلامية، و لم يكن ذلك عن تحزب أو تعصب لأهل البيت،

---

(۱) المراجعات: ص ۵۴.

و انما النصوص القطعية التى أثرت عن الرسول الاعظم (ص) هى التى نصت على ذلك كحديث الثقلين و غيره من الاحاديث المتواترة التى اجمع المسلمون على صحتها، و هى تدل بوضوح على لزوم التمسك بالعترة الطاهرة و التعبد بما روى عنها بعد القطع أو الظن المعتبر بصحة صدوره عنهم، و قد أوضح هذه الجهة و أولادها بمزيد من البيان و الاستدلال سماحة الامام المغفور له شرف الدين فى مراجعاته القيمة قال رحمه اللّه: «إن تعبدنا فى الاصول بغير المذهب الاشعرى، و فى الفروع بغير المذاهب الأربعة لم يكن لتحزب أو تعصب، و لا لريب فى اجتهاد أئمة تلك المذاهب، و لا لعدم عدالتهم و امانتهم و نزاهتهم، و جلالتهم علما و عملا.

لكن الأدلة الشرعية أخذت باعناقنا الى الأخذ بمذاهب الأئمة من أهل بيت النبوة، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و مهبط الوحى و التنزيل فانقطعنا إليهم فى فروع الدين و عقائده، و أصول الفقه و قواعده و معارف السنة و الكتاب و علوم الأخلاق و السلوك و الآداب نزولا على حكم الأدلة و البراهين، و تعبدا بسنة سيد النبيين و المرسلين صلى اللّه عليه و آله و عليهم أجمعين.

و لو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد، أو تمكنا من تحصيل نية القربة للّه سبحانه فى مقام العمل على مذهب غيرهم لقصصنا أثر الجمهور وقفونا إثرهم تأكيدا لعقد الولاء، و توثيقا لعرى الإخاء، لكنها الأدلة تقطع على المؤمن وجهته، و تحول بينه و بين ما يروم».

و أضاف لهذا قوله:

«و ما أظن أحدا يجرأ على القول بتفضيلهم- اى أئمة المذاهب- فى علم أو عمل على أئمتنا، و هم أئمة العترة الطاهرة، و سفن نجاة الأمة و باب حطتها، و أمانها من الاختلاف فى الدين، و اعلام هدايتها، و ثقل

رسول اللّه، و بقيته فى أمته، و قد قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم، فلا تقدموهم فتهلكوا، و لا تقصروا عنهم فتهلكوا، فانهم أعلم منكم، لكنها السياسة، و ما أدراك ما اقتضت فى صدر الاسلام» «۱».

و قد أيّد شيخ الازهر الشيخ سليم هذا الجانب المشرق من حديث الامام شرف الدين قال:

«بل قد يقال إن أئمتكم الاثنى عشرة أولى بالاتباع من الأئمة الأربعة و غيرهم، لأن الاثنى عشرة كلهم على مذهب واحد قد محصوه و قرروه باجماعهم بخلاف الأربعة فان الاختلاف بينهم شائع فى أبواب الفقه كلها، فلا تحاط موارده و لا تضبط، و من المعلوم ان ما يمحصه الشخص الواحد لا يكافئ فى الضبط ما يمحصه اثنا عشر إماما، هذا كله مما لم تبق فيه وقفة لمنصف، و لا وجهة لمتعسف» «۲».

و أكّد هذه الظاهرة الشيخ شلتوت شيخ الجامع الازهر، فاعلن أن الفقه الامامى من أوثق ما كتب فى الفقه الاسلامى اصالة فى الفكر، و عمقا فى الاستدلال و قربا للواقع.

و من الطبيعى ان هذه الظاهرة التى تمسكت بها الشيعة و اعلنتها فى جميع المحالات ليس فيها أى جانب من الغلو، و انما هى متسمة بالاعتدال و عدم الانحراف فى جميع أبعادها.

ثانيا- ان الشيعة تجمع على أن أئمة أهل البيت (ع) من عباد اللّه المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول، و هم بأمره يعملون، و انهم أهل الذكر و أولى الأمر و بقية اللّه، و خيرته، و حزبه، و عيبة علمه، و انهم ساسة العباد، و اركان البلاد، و أبواب الإيمان، قد عصمهم اللّه من الفتن،

---

(۱) المراجعات: ص ۴۰- ۴۱.

(۲) المراجعات: ص ۱۴۴.

و طهرهم من الدنس، و اذهب عنهم الرجس، و طهرهم تطهيرا، و وصفهم الامام امير المؤمنين (ع) بقوله:

«هم عيش العلم و موت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم، و ظاهرهم عن باطنهم، و صمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق و لا- يختلفون فيه، هم دعائم الاسلام، و ولائج الاعتصام، بهم عاد الحق فى نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية و رعاية لا عقل سماع و رواية فان رواة العلم كثير و رعاته قليل» «۱».

و وصفهم شاعر الاسلام الأكبر الكميت فى احدى روائعه بقوله:

القريبين من ندى و البعيدين‌من الجور فى عرى الأحكام

و المصيبين باب ما أخطأ الناس و مرسى قواعد الاسلام

و الحماة الكفاة فى الحرب إن لفّ‌ضرام وقوده بضرام

و الغيوث الذين إن أمحل الناس فمأوى حواضن الأيتام

راجحى الوزن كاملى العدل فى السيرة طبين بالأمور الجسام

ساسة لا كمن يرى رعية الناس سواء و رعية الاغنام «۲» هذه بعض نزعات أهل البيت كما وصفها شاعر العقيدة الكميت و هو معاصر لهم قد اختلط بهم، و اختبر أخلاقهم، فآمن بأنهم سلام اللّه عليهم نسخة لا ثانى لها فى تاريخ الانسانية علما و سخاء و تحرجا فى الدين، و قد اندفع منا ظلا فى سبيلهم فنظم هاشمياته فيهم، و هى تصور الجانب الكثير من الفكرة الشيعية مع الاستدلال عليها بالآيات تارة و بالسنة أخرى.

و على أى حال فان الشيعة الامامية تبرأ من الغلو فى أئمتهم، و تجمع على ضلالة المغالين و خروجهم من الدين.

---

(۱) نهج البلاغة محمد عبده ۲/ ۲۵۹.

(۲) الهاشميات.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۶

ان حقيقة الغلو رفع الامام الى منزلة الإله المعبود، فقد قال الغلاة للامام امير المؤمنين (ع): أنت أنت، قال: و من أنا؟ قالوا: الخالق البارى فاستتابهم فلم يرجعوا عن غيهم، فعمد إلى احراق بعضهم، فكانوا يقولون: و هم يساقون الى النار، إنه اللّه، و انه هو الذى يعذب بالنار «۱».

هذا هو منطق الغلاة الحاد فى الدين و خروج عن عبودية اللّه و ارتداد عن الاسلام، و كان موقف أئمة أهل البيت (ع) معهم موقفا صارما و عنيفا فقد حكموا بوجوب قتلهم، و حرمة الاختلاط بهم، و عزلهم عن جماهير المسلمين و قد لعن الامام موسى (ع) محمد بن بشير لما غالى فيه، و دعا عليه، و تبرأ منه «۲».

ان عقيدة الشيعة فى أئمة اهل البيت مستمدة من روح الاسلام و صميمه و ليس فيها- و الحمد للّه- أى غلو أو خروج عن منطق العقل، و انما هى ناصعة نقية تتسم بالاصالة و المنطق و الدليل.

ثالثا- ان الشىء البارز من مظاهر الولاء الذى تكنه الشيعة لأئمتها انها تقوم بدورها باحياء ذكرهم و الاشادة بفضلهم فتقيم الحفلات التأبينية على ما أصابهم من عظيم الخطب و فادح الرزء، و يعرض فيها الى سيرتهم و مثلهم الحافلة بتقوى اللّه، و حب الصالح العام و التفانى فى سبيل الحق و خدمة الأمة، كما تقوم الشيعة بزيارة تلك المراقد الطاهرة للتبرك و التقرب بها الى اللّه، فانها من أعظم مظاهر الود الذى فرضه اللّه للعترة على جميع المسلمين.

هذه بعض مظاهر الولاء الذى تكنه الشيعة للأئمة عليهم السلام و ليس فيه أى شائبة للغلو أو افراط فى الحب، و على هذا الاساس المعتدل

---

(۱) التنبيه و الرد على أهل البدع ص ۱۴.

(۲) رجال الكشى: ص ۲۹۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۷

المعتدل من الحب نتحدث عن الامام موسى (ع) بأمانة و اخلاص شأننا فى ذلك شأن الباحث الذى يخلص للحق مهما استطاع إليه سبيلا.

(۳) و الشىء الذى يدعو الى التساؤل هو أنا لم نجد إماما من أئمة أهل البيت (ع) قد عاش آمنا مطمئنا فى حياته بعيدا عن الخوف و الفزع و الإرهاق فقد عانوا جميعا أشد ألوان الظلم و الجور و الاضطهاد، و كانت نهاية المطاف المحزن لكل واحد منهم القتل أو السم و لعل اهم أسباب ذلك- فيما نحسب- يعود الى ما يلى:

انهم سلام اللّه عليهم بحسب مركزهم الاجتماعى، و ولايتهم العامة على الأمة كانوا مسئولين عن رعايتها، و صيانة حقوقها، و تأمين مصالحها و كانوا لا يقرون على كظة ظالم و لا سغب مظلوم، و كانوا ينعون على حكام عصورهم سياستهم التى لم تحفل بالنظر للصالح العام، و انما كانت تستهدف الاثرة و الاستغلال، و ارغام الناس على ما يكرهون فلم يؤثر عن الكثيرين منهم- امثال معاوية بن أبى سفيان و يزيد بن معاوية و مروان بن الحكم و نظرائهم من ملوك الاموبين و العباسيين- أى جد فى امور الرعية او اخلاص لقضاياها أو سهر على مصالحها و انما كانوا جادين فى اشاعة الظلم الاجتماعى و الجور على العامة، و انصرفوا الى اللذة و المجون، قد حفلت قصورهم بقطاع من المغنين و المغنيات و تعاطى الخمور، و لم يعد عندهم ذكر للّه و اليوم الآخر بالرغم من ان منطق الحكم الذى كانوا يمثلونه كان حكما اسلاميا قد عهد إليه القيام بشئون الدين، و هم لا يمثلونه بقليل و لا بكثير فقد جافت سيرتهم جميع سنن الاسلام و احكامه حسب ما أجمع عليه المؤرخون.

و تميز موقف الأئمة المعصومين (ع) مع جبابرة عصورهم الحاكمين

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۸

بالشدة و الصرامة فلم يخلدوا معهم الى الدعة و السكون، و انما اعلنوا المقاومة و المعارضة لهم، و كانت ذات طابعين:

۱- المقاومة الايجابية

و قد اختار هذا النهج الثورى الامام الحسين (ع) حينما أعلن طاغية عصره يزيد بن معاوية الكفر و الالحاد، و الخروج على ارادة الأمة، و تصميمه على اذلالها و استعبادها، و ارغامها على ما تكره، فاضطر (ع) الى اعلان الثورة مع علمه (ع) بقلة الناصر و خذلان الصديق، و انه لا بد أن تتناهب السيوف و الرماح جسمه الشريف، و قد أدلى (ع) بذلك و هو فى مكة المكرمة بقوله:

«و ما أولهنى الى أسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف، و خير لى مصرع أنا لاقيه كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا فيملأن منى أكراشا جوفا و اجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم» «۱».

لقد أخبر أبى الضيم عما يلاقيه فى كربلا من تقطيع اعضائه و أوصاله على صعيدها و ما اولهه الى هذا المصير المشرق الذى تنتصر به مبادئه الهادفة الى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس.

لقد قدم سيد الشهداء على تلك التضحية الجبارة ليزيل عن جسم الأمة ذلك التخدير الذى طعمه بها الحكم الأموى، و كان لمقتله الشريف أثره الفعال فى ايقاظ الجماهير و وعيها، فقد تصعدت العمليات الثورية حتى اطاحت بالحكم الأموى و أزالت جميع آثاره من العالم العربى و الاسلامى.

---

(۱) اللهوف: ص ۳۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹

۲- المقاومة السلبية

و أختار هذا المنهج السليم بعض الأئمة الطاهرين لعلمهم بأن المقاومة الايجابية لا تجدى فى التغلب على الاحداث نظرا للظروف السياسية القائمة التى تؤدى الى حتمية فشل الثورة، و عدم انتفاع القضية الاسلامية بها و من ثمّ اعلنوا المقاومة السلبية، و كان من مظاهرها حرمة الاتصال بالجهاز الحاكم، و حرمة الترافع الى مجالس القضاء حسب ما دونه فقهاء الامامية فى كتاب القضاء، و هى طريقة مجدية ذات أثر بالغ فى تحقيق الأهداف السليمة التى تنشدها أئمة أهل البيت (ع) و قد أكد هذه السياسة السلبية الامام موسى (ع) فى حديثه مع صفوان الجمال، و سنذكره بالتفصيل فى غضون هذا الكتاب.

و سلك المستر غاندى هذه السياسة النيرة فى تحريره للهند فانه حرم على الهنود التعاون و التجاوب مع الاستعمار البريطانى، و قد نجحت هذه السياسة نجاحا باهرا فقد اضطر المستعمرون الى الجلاء عن الهند، و منحها الاستقلال السياسى.

و من المؤسف ان العلويين الثوار من الحسنيين و غيرهم لم يسيروا على وفق هذه السياسة البناءة المعتدلة التى رفع شعارها الأئمة (ع) فقد رفعوا علم الثورة على الحكم الأموى و العباسى، و لم يكتب لثوراتهم النجاح لعدم وضعها على خطط سليمة، فلذا منيت بالفشل، و قد جرت لهم كثيرا من المشاكل و المصاعب، و اخلدت لهم الآلام و الخطوب.

و لم يكد يخفى على السلطات الحاكمة أمر هذه السياسة السلبية التى اعتمد عليها أئمة اهل البيت (ع) فقد كانت الاستخبارات منتشرة فى جميع الاوساط و هى تنقل إليها كل بادرة أو جزئية تحدث فى البلاد، فقد نقلت الى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۰

هارون قصة صفوان الجمال حينما عمد الى بيع جماله التى كان يكريها له فى موسم الحج استجابة لنصيحة الامام موسى (ع) فأرسل

هارون خلفه و رام قتله إلا انه عدل عن ذلك، و على أى حال فان الحكومات القائمة آنذاك قد وجهت جميع اجهزتها للعمل ضد أهل البيت و قد استخدمت معهم الوسائل التالية:

۱- مقابلتهم بمزيد من العنف و الاضطهاد، و المبالغة فى قهرهم و ظلمهم الى حد لا يوصف لفضاعته و مرارته، و قد أفرد أبو الفرج الاصفهانى كتابا خاصا، و هو «مقاتل الطالبيين» عرض فيه ما جرى عليهم و على سائر العلويين من المحن الشاقة و التنكيل الهائل.

۲- فرض الحصار الاقتصادى عليهم اضعافا لشوكتهم، و قد عمد هارون الى تطبيق هذه السياسة على الامام موسى، فانه حينما سافر الى يثرب اجزل العطاء لجميع أبناء الصحابة سوى الامام فانه لم يصله بما يتفق مع مكانته، فسأله المأمون عن ذلك فقال له: إن فقره أحب إلى من غناه، و لو أوصلته بما يستحق لخرج على، و قد وضع الرصد و العيون على من يصله بالاموال فأوجب ذلك شدة الضيق و الجهد عليه و هكذا كانت سياسة اولئك الحكام مع الائمة المعصومين متسمة بفرض الفقر و الحرمان عليهم، و قد بلغ الضيق بعموم العلويين اقصاه فى أيام المتوكل، فكان من يصلهم يتعرض للسخط و الانتقام، و قد بلغت الفاقة بهم انهم كانوا لا يملكون فى بيوتهم سوى عباءة واحدة فاذا رام أحد منهم أن يخرج ارتدى بها «۱» و قد عمد المتوكل الى قطع جميع مواردهم الاقتصادية.

۳- حجبهم عن العالم الاسلامى، و فرض الرقابة الشديدة و المطاردة المفزعة على جميع من يتصل بهم، و قد أدى ذلك بطبيعة الحال الى ظهور

---

(۱) مقاتل الطالبين.

النزعات المختلفة بين الشيعة، و لم يكن هناك أى مجال لأئمة الهدى للعمل على توحيد صفوف الشيعة و ازالة النزعات المذهبية الحادثة فيما بينهم «۱» ۴- انها أسرفت الى حد بعيد فى القسوة على الشيعة فقد صبت عليهم ألوانا قاسية من العذاب الأليم، و قد تحدث الامام الباقر (ع) عن المحن الشاقة التى واجهتها الشيعة أيام الحكم الأموى قال (ع):

«و قتلت شيعتنا بكل بلدة، و قطعت الايدى و الارجل على الظنة و التهمة و كان من يذكر بحبنا أو الانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله و هدمت داره» «۲».

و قد صعدت الحكومات الاموية و العباسية جميع أجهزتها الدعائية ضد الشيعة حتى أصبح حب أهل البيت عارا و منقصة، و يشار الى الشيعى بالخيبة و الخسران كما حكم بعضهم ان حب أهل البيت مروق من الدين، و خروج عن الاسلام و الى ذلك كله يشير شاعر العقيدة و الجهاد الكميت بقوله:

يشيرون بالأيدى إلىّ و قولهمالا خاب هذا و المشيرون أخيب

فطائفة قد كفرتنى بحبكمو طائفة قالوا مسىء و مذنب

يعيبوننى «۳» من خبهم و ضلالهمعلى حبكم بل يسخرون و اعجب

و قالوا ترابى هواه و رأيهبذلك أدعى فيهم و ألقب «۴» و على أى حال فان تلك الاجراءات القاسية التى اتخذتها السلطات ضد أئمة أهل البيت (ع) قد خولف بها عما أثر عن النبى (ص) فى لزوم المودة لعترته، و وجوب رعايتها و تكريمها فى كل شىء.

---

(۱) عقائد الزيدية.

(۲) شرح النهج ۳/ ۱۵.

(۳) الخب الخديعة.

(۴) الهاشميات.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۲

على أن السلطات الحاكمة في عصورهم كانت تؤمن بأن الأئمة لم يكن لهم أي أرب في الحكم، و انما كانوا يستهدفون اشاعة العدل و المساواة، و تطبيق احكام القرآن على واقع الحياة العامة بين المسلمين، و لكن ذلك لم يكن يتفق مع سياستهم الهادفة الى الاثرة و الاستغلال و صرف بيت المال على الماجنين و العابثين فلذا كانوا يحقدون على كل من يطالب بالاصلاح الاجتماعي و العدالة الاجتماعية.

و مضافا لذلك كله فقد كان الكثيرون من اولئك الحكام يحقدون على أئمة الهدى نظرا لاجماع المسلمين على تكريمهم و تعظيمهم، و الاشادة بفضلهم فقد كان المنصور يعلم أن الامام الصادق كان بمعزل عن الحركات السياسة في عصره، و لم يكن يبغي الحكم و السلطان، و انه نهى العلويين عن اعلان الثورة عليه، و كان قبل ذلك قد بشره بمصير الخلافة إليه، و مع ذلك فلم يتركه و شأنه وادعا آمنا ينشر علوم جده بين المسلمين، فقد جلبه غير مرة الى عاصمته محاولا اغتياله، و لم يكن هناك أي دافع سوى الحقد عليه لعظم شخصيته و مكانته عند المسلمين، و كذلك هارون الرشيد فانه كان يعلم ان الامام موسى لم يكن يستهدف منازعته على سلطانه، أو البغي عليه إذ لم تكن عند الإمام قوى يعتمد عليها في منازعته و الخروج عليه، و مع ذلك فقد نكل به اعظم التنكيل فزجه في ظلمات السجون، و دس إليه السم حتى قضى على حياته و سبب ذلك هو الحسد و الحقد لما يتمتع به الامام من سمو المكانة عند جميع المسلمين.

(۴) و حفل عصر الامام موسى بكثير من الازمات و الاحداث الجسام، و من بينها الثورات المتسمة بالعنف و سفك الدماء، و كان من أهمها الثورة الكبرى التي اطاحت بالحكم الأموي، فقد اندفعت الشعوب الاسلامية بحماس بالغ الى الثورة العارمة على ذلك الحكم الذي جهد على اذلالها و حرمانها من

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۳

جميع مقومات الحياة.

و كان شعار الثورة الدعوة الى الرضا من آل محمد، و قد استجابت له الشعوب، و تعطشت له القلوب، فان آل محمد هم الركيزة الأولى للاهداف الضخام التي ينشدها المجتمع الاسلامي من العدل و الحرية و المساواة.

و التفت الجماهير حول هذه الثورة تحميها و تصونها، و تقدم في سبيلها المزيد من التضحيات، فقد آمنت أن لا سبيل لكرامتها و حمايتها من الاستغلال و الاضطهاد الا اذا آل الحكم الى العلويين قادة العدل، و حماة الحق. و الملجأ للمظلومين و المضطهدين.

و لم يظن أحد أن الثورة تحمل في اعماقها الدعوة لنبي العباس فان هذه الأسرة لم يكن لها أي عمل ايجابي في خدمة الجماهير، و لم ينالوا أي ضيم أو ارهاق من السلطة الاموية، فقد كانوا و ادعين آمنين تجزل لهم السلطات بالعطاء، و توفر لهم العيش و الثراء، مضافا الى ذلك انها لم يكن لها ماض زاهر، فقد حفل تأريخ بعضهم بالغدر و الخيانة للأمة.

و على أي حال فقد انحرفت الثورة عن مخططاتها الاصلية، و اتجهت الى حمل الحكم لبني العباس، و قد عين العباسيون أبا مسلم الخراساني قائدا عاما للثورة، و منحوه ثقتهم، و قد امعن في سفك الدماء و اراقتها بغير حق فقد أجمع الرواة أنه كان سفاكا آثما لم يحفل بأي جريمة يقترفها، قد هانت عنده النفوس و الأرواح، فكان يأخذ البريء بالسقيم، و المقبل بالمدبر، و يقتل على الظنة و التهمة، و كان عدد من قتله- فيما يقول المؤرخون- ستمائة ألف، الأمر الذي يدل على أنه لا عهد له باللّه و لا باليوم الآخر.

و قد أقر العباسيون جميع خططه الارهابية، و تعزو بعض المصادر الى بني العباسيين انهم هم الذين عهدوا إليه بذلك.

و على أي حال فان الحكم لم ينته لبني العباس الا على بحور من الدماء

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۴

و جبال من جثث الضحايا و الابرياء، و حينما قبضوا على زمام السلطة اتجهوا الى الابادة الشاملة للأمويين و من يمت إليهم فأشاعوا

فيهم القتل و التنكيل، و لم يقر الامام الصادق (ع) ذلك، فقد طالب السلطة بالعفو و الصفح عنهم و بهذا نقف على مدى الانسانية الفذة الماثلة فى أهل البيت فانهم لم يخلدوا الى منطق التشفى و الانتقام من العدو مهما كانت إساءته إليهم، فقد كان شأنهم العفو و الرفق و الاحسان مع المعتدين و الظالمين لهم.

و حاول أبو سلمة أحد نقباء الدولة العباسية، و العضو الفعال فى قيادة ثورتهم أن ينقل الخلافة الى العلويين، و سواء كان ذلك عن خديعة و مكر أم عن جد و اخلاص منه فى الامر، فقد أوفد رسائله الى يثرب فقام رسوله فناول الامام الصادق احدى رسائله فأمر (ع) باحراقها بالنار أمامه، فطالبه الرسول بالجواب، فقال له: هو ما رأيت، و عدل الرسول الى ذى النفس الزكية و أخيه فناولهما رسائل أبى سلمة، فوجد عندهما استجابة ملحة الى طلبه، و أشار عليهما الامام الصادق بأن لا ينخدعا بذلك، فان الامر لا يتم لهما، فلم يذعنا له، و اتخذا ذلك منه حسدا لهما- فيما يقول الرواة- و لم يمض كثير من الوقت حتى أعلن العلويون ثورتهم على المنصور، و قد التفت حولها الجماهير الهائلة.

و انبرى الفقهاء، و أعلام الفكر الاسلامى الى تأييدها، الا انه لم يكتب لها النجاح، فقد تمكنت جيوش العباسيين من اخمادها و القضاء عليها، و قد عرض هذا الكتاب لبيان ذلك بصورة مفصلة.

و ما انتهت ثورة العلويين الا- و رءوسهم قد حملت على أطراف الرماح يطاف بها فى الاقطار و الامصار، كما كان الحال أيام الحكم الاموى، و لم يرع المنصور آواصر الرحم التى بينه و بين العلويين، فقد جهد بعد ذلك الى قتلهم و مطاردتهم لم يستثن فى ذلك الشيخ و الطفل، و انما عمهم جميعا بتعذيبه الذى لا يوصف لقسوته، حتى تمنى العلويون رجوع الحكم الاموى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵

على ما فيه من قسوة و عذاب.

و قد تركت الاجراءات القاسية التى اتخذها المنصور تجاه العلويين أعمق الحزن و أمضه فى نفس الامام الصادق، و ولده الامام موسى، فقد رأوا ابناء عمومتهم ينكل بهم المنصور افظع التنكيل، و هم لا يجدون سبيلا الى نصرتهم و انقاذهم مما هم فيه.

و من بين تلك المشاكل التى حفل بها عصر الامام موسى الحركات الفكرية الهدامة كالزندقة و غيرها، فقد كانت تستهدف القضاء على الاسلام و تقويض دعائمه، و قد امتدت الى كثير من الاقطار الاسلامية، و هى تسعى جاهدة الى العبث بفلسفة الاخلاق الاسلامية، و انكار الاديان جميعا و حمل الناس على ارتكاب المحرمات، و العبث بالآداب العامة، و إفساد سائر النظم الاجتماعية.

و قد تصدى الامام الصادق (ع) و ولده الامام موسى الى مقاومة تلك المبادئ، و تزييفها بالادلة العلمية.

و يضاف لتلك المذاهب الهدامة مبادئ أخرى دهمت العالم الاسلامى فى تلك العصور و هى تدعو الى تفكيك الروابط الاجتماعية، و تفريق كلمة المسلمين، و تضليل الرأى العام فى كثير من جوانب حياته العقائدية، و قد تصدى الامام موسى و أبوه الامام الصادق من قبل الى ايقاظ المسلمين و تحذيرهم منها، و قد عرض الكتاب بصورة موضوعية الى بسط الكلام فى ذلك كله.

(۵) و ليس فى ميادين الخدمة الاجتماعية ما هو أعم نفعا و أكثر عائدة على الامة من نشر فضائل أهل البيت (ع) و عرض سيرتهم و شئونهم، فانها تمد المجتمع بما يحتاجه من مقومات النهوض و الارتقاء ... ما أحوج المسلمين

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶

الى التوجيه المشرق المنبعث من رسالة أهل البيت الهادفة الى نكران الذات و التضحية فى سبيل اللّه، و الانطلاق نحو العمل المثمر البناء.

إن الواقع المرير الذى يعيشه المسلمون زاخر بأمواج من الفتن و الاضطراب فقد عبثت القوى الاستعمارية بمقوماتهم، و سلبتهم جميع مقدراتهم، و غذت فيهم جميع عوامل الضعف و الانحلال، حتى غدوا بأقصى مكان من الذل و الهوان، و نحن نؤمن ايمانا لا يخامره ادنى شك أنه لا- يمكن أن تكون للمسلمين نهضة يصلون بها الى اهدافهم السليمة ما لم يقتدوا بأئمة أهل البيت فى سلوكهم و

تعاليمهم فان فى كل جانب منها ملتقى اصيل للوعى المتحرر و المثل العليا و الايمان الكامل بحق الأمة، و عسى أن نكون فى بحثنا عن سيرة الامام موسى (ع) قد ساهمنا فى مجال الخدمة الاجتماعية.

لقد نشر هذا الكتاب سنة (۱۳۷۸ ه-) و نفذت نسخة، و قد كثر على الطلب و الالحاح من المعنيين بأمثال هذه البحوث، فعرضت ذلك على المحسن الكبير الحاج محمد رشاد عجينة نجل الوجيه الحاج محمد جواد عجينة، فاستجاب حفظه اللّه مشكورا و موفقا الى القيام بطبعه، سائلا من اللّه أن يوفقه الى احياء مآثر أهل البيت (ع) و أن يمنحه المزيد من الأجر انه تعالى ولى ذلك و القادر عليه.

و تفضل على أخى سماحة العلامة الكبير الشيخ هادى القرشى باعادة النظر فى فصول الكتاب، كما تفضل سماحته بمراجعة كثير من المصادر فأفادنى بما عثر عليه من البوادر التى تتعلق بحياة الامام (ع)، و قد وجدت بعد البحث الجاد أن كثيرا من الفصول التى كتبتها تحتاج الى التهذيب و التحليل كما تبدل رأيى فى كثير من بحوثه، و سيجد القارئ أن هذه الطبعة بما أضيف لها غير الطبعة الأولى مضافا الى جودة الطبع و اناقته التى اشتهرت بها مطبعة الآداب.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷

و فى ختام هذا التقديم أرجو من المعنيين بهذه البحوث أن يتفضلوا علينا بالنقد و التصحيح عسى أن نصل جميعا الى خدمة هذه الأمة انه تعالى ولى السداد و التوفيق.

باقر شريف القرشى النجف الأشرف ۱/ ذى الحجة/ ۱۳۸۹ ه-

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸

مقدّمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الامام موسى بن جعفر عليه السلام فذ من أفذاذ العقل الانسانى، و من كبار أئمة المسلمين، و أحد شموع ذلك الثقل الأكبر الذى اضاء الحياة الفكرية فى الاسلام.

الامام موسى من أئمة العترة الطاهرة الذين قرنهم الرسول الاعظم (ص) بمحكم التنزيل، و جعلهم قدوة لأولى الالباب، و سفنا للنجاة و أمنا للعباد، و جعلهم باب حطة يغفر لمن دخلها، فهم شجرة النبوة و محط الرسالة، و مختلف الملائكة، و معادن العلم، و ينابيع الحكم- كما يقول الامام امير المؤمنين- «۱» و لهم فى مدح اللّه غنى عن مدح المادحين و وصف الواصفين، قال تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «۲» لقد طهرهم اللّه من الزيغ و الرجس و برأهم من الآفات كما أوضح بهم معالم الدين، و أتم بهم الحجة على الخلق أجمعين.

لقد حاكت سيرتهم بجميع أبعادها سيرة جدهم (ص)، إيمانا باللّه، و حبا للخير و نكرانا للذات ... و لو استعرضنا حياة أى إمام منهم لوجدناها مجدبة من المغريات، لم تتلوث باقذار المادة، و لم تكدر جوهرها مآثم هذه

---

(۱) شرح النهج ۱/ ۲۱۴

(۲) سورة الأحزاب، نصت المصادر التالية على اختصاص الآية بآل البيت تفسير الرازى ۶/ ۷۸۳، تفسير ابن جرير ۲۲/ ۵، مسند الامام احمد بن حنبل ۴/ ۱۰۷، سنن البيهقى ۲/ ۱۵۰، صحيح مسلم ۲/ ۳۳۱، الخصائص الكبرى ۲/ ۲۶۴، مشكل الآثار ۱/ ۳۳۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹

الحياة، و انما كانت طافحة بالمآثر و الفضائل، فهم جميعا فى بداية حياتهم و نهايتها قدوة فذة لكل انسان نبيل يتطلع الى المثالية الكاملة، و يهفو الى الانسانية الرفيعة.

(۲) إن للامام موسى (ع) سيرة ندية عطرة امتازت بأنها سلسلة جهاد متواصل و ثورة صاخبة على أئمة الظلم و الطغيان الذين اغتصبوا

الخلافة الاسلامية من أهلها بالغلبة و القوة، و أكرهوا العالم الاسلامى على الخضوع لسياستهم الملتوية التى روعت المجتمع، و سلبته حرياته، و أفقدته الأمن و الدعة و الاستقرار.

فى تلك الفترات العصيبة أعلن الامام موسى مقاومته السلبية لحكومة هارون و تولى بنفسه قيادة الحزب المعارض فاصدر فتواه و حكمه بحرمة التعاون مع الاجهزة الحاكمة لأن التعاون معهم فيه دعم للظالمين، و قد حرمه الاسلام قال تعالى: وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ «۱» و استثنى من ذلك من يقوم بخدمة اجتماعية أو يسدى يدا على الفقراء فيقضى مهامهم و شئونهم فانه لا حرج عليه فى الانضمام الى السلك الحاكم، و قد سمح لعلى بن يقطين أن يتولى منصب الوزارة لهارون حينما ضمن له القيام بذلك.

إن الامام لو صانع هارون الرشيد أو تقرب إليه و جاراه- كالكثيرين من باعة الضمير- لاغدق عليه بالاموال الكثيرة و الثراء العريض، و لم يتعرض إليه بأى سوء أو مكروه، الا انه لم يخضع له، و لم يخف من جوره و بطشه فانطلق يعلن الحق، و يندد بالظلم، و يشجب الجور، و يدعو الى تطبيق احكام القرآن على واقع الحياة، و قد لاقى فى سبيل ذلك العناء المرهق

---

(۱) سورة هود: آية ۱۱۳

و الجهد الشاق، و قد تلقى تلك الآلام الجسام بالصبر الجميل و كظم الغيظ حتى عرف بهذا اللقب و اشتهر به.

(۲) و لم يقتصر الامام موسى وحده على ما لاقاه من المحن و الخطوب فقد شاركه فيها جمهور شيعته و القائلين بامامته فقد واجهوا من العناء و الجهد ما لا سبيل الى تصويره، و يعود السبب فى ذلك الى ايمانهم الوثيق بالامامة و هى عنصر أساسى فى كيانهم العقائدى، و تقضى هذه الفكرة بعدم شرعية الحكومات التى توالت على المسلمين سواء أ كانت من بنى أمية أم من بنى العباس أم من غيرهم، فان الذين تصدوا الى الحكم لم تتوفر فيهم الصفات التى ينشدونها فى الامام من العدالة، و التحرج فى الدين، و العلم بما تحتاجه الامة فى جميع مجالاتها القضائية و الادارية و السياسية، فلذا كانوا يعملون جاهدين على اسقاط تلك الحكومات، و سلب ثقة الجماهير عنها، و قد واجهوا فى سبيل ذلك من المعضلات السياسية القاسية ما لم تلاقه أى طائفة اسلامية.

و مما زاد الشيعة على الإيمان بالنضال الشاق فى سبيل فكرتهم أنهم رأوا أولئك الملوك الذين اختلسوا السلطة الاسلامية قد امعنوا فى الظلم و الجور، و جهدوا على ارغام الناس على الذل و العبودية، و على قطع كل لسان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر.

و رأوا أولئك الملوك الذين يزعمون أنهم يمثلون ظل اللّه و عدله فى الأرض ينفقون لياليهم فى الطرب و المجون و السكر، و ينفقون أيامهم فى البحث عن الفتيات الحسان اللاتى يجدن العزف و يثرن الغرام.

و رأوا خزينة الدولة تنفق بسخاء على العابثين و الماجنين، و على ما يفسد الاخلاق، و يثير الشهوات، و لم يعد ما يصرف منها على الشؤون العامة الا النزر اليسير، و اصبحت الحياة الاقتصادية بصورة عامة يسودها

الفقر و الحرمان.

و رأوا أن مصالح الأمة لم توضع على مائدة البحث قد أهملت جميع شئونها و أمورها، فقد اقبل أولئك الملوك على اللذات و الشهوات، و تركوا امور الرعية بأيدى غلمانهم و جواريهم و نسائهم يتصرفون فيها حسب أهوائهم و ميولهم.

و رأوا شئون الدين قد أهملت، و لم يعد اى ظل للخطوط العريضة التى ينشدها الاسلام فى ظل حكمه من بسط العدل، و نشر الرفاهية، و اشاعة الدعة و الاستقرار بين الناس.

و دفعتهم هذه العوامل الى الثورات الملتهبة، و هم يطالبون بتحقيق العدالة و رفع الغبن و الاسى عن الناس، و أمعنت السلطات بعد

اخماد ثوراتهم فى قتلهم و تنكيلهم و ارهاقهم الى حد لا يوصف لفضاعته و مرارته.

(۴) و أروع ثورة اجتماعية عرفها التاريخ الاسلامى ثورة الامام امير المؤمنين رائد العدالة الكبرى فى الأرض، فقد كانت ثورته الصاخبة على الظلم و الغبن تستهدف إقامة مجتمع تتهيأ فيه الفرص المتكافئة لجميع الناس على اختلاف ميولهم و أديانهم بحيث لا يوجد فيهم محروم او عاطل.

لقد حاول الامام أن يغير مجرى التأريخ، و يدفع الانسان الى التطور الاجتماعى و يحقق له المزيد من المكاسب الاجتماعية، فيوفر له الحرية و العدالة و المساواة فى ضمن اطارها الاسلامى الاصيل.

لقد حاول الامام باخلاص بالغ أن يقيم على الكرة الارضية نهضة فكرية جبارة تعنى باشاعة العلم، و تطوير العمل، و اقامة مناهج تربوية تغير السلوك العام للانسان فتبث فى اعماقه روح الإيمان و المحبة و التعاون فى المجالات الاجتماعية، و تزيل عنه روح الانانية و الكراهة و الشر، الى غير ذلك من

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲

الاهداف العريضة التى كان ينشدها الامام فى ظل حكومته.

و لم تع القوى المنحرفة عن الاسلام هذه الاهداف الاجتماعية التى اعلنها الامام، فانها لم تكن بأى حال تهتم بمصلحة الأمة، و انما كانت تتطلب اقامة نفوذها و استغلالها على حساب الضعيف و المحروم فأعلنت سخطها على الامام، و اعلنت الحرب عليه، و قد تذرعت بدم عثمان و اتخذته وسيلة لعصيانها المسلح، فقاومها الامام و قضى على فاولها فى البصرة الا انه لم يمض قليل من الوقت حتى ناجزه معاوية و بعد صراع رهيب استطاعت جيوش الامام ان تدحر القوى الاموية الا انه من المؤسف أن الجيش الذى خف مع الامام لم يقرر حق مصيره و مصير الاجيال الصاعدة فقد خدعهم ابن العاص برفع المصاحف بأسلوب ساخر هزيل، و قد أدى ذلك الى انقلاب الجيش على اعقابه و تفلل جميع قواعده، كما أدى الى خذلان الامام (ع) و انتصار القوى المعادية للاسلام عليه، و قد نجم من ذلك أن منى العالم الاسلامى بكثير من النكبات و الخطوب التى لا تزال آثارها باقية حتى يوم الناس هذا، و قد ألمع الى ذلك الاستاذ مالك بن نبى الجزائرى فى ايضاحه للمقررات التى اتخذها مؤتمر (باندونج) اذ يقول: «و لقد عرف التأريخ الاسلامى لحظة كهذه- أى فى تقرير المصير- فى معركة صفين تلك الحادثة المؤسفة المؤثرة التى نتج عنها التذبذب فى الاختيار، الاختيار الحتم بين على و معاوية، بين المدينة و دمشق، بين الحكم الديمقراطى الخليفى، و الحكم الأسرى و لقد اختار المجتمع الاسلامى فى هذه النقطة الفاصلة فى تأريخه الطريق الذى قاده اخيرا الى القابلية للاستعمار و الى الاستعمار» «۱».

لقد كانت حادثة صفين بداية الشر و بداية الانقلاب فى تأريخ الأمة الاسلامية، فقد اخلدت لها الفتن، و جرت لها الويلات و الكوارث، و كان

---

(۱) الفكرة الافريقية الآسيوية فى ضوء مؤتمر باندونج/ ۱۱۱

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳

من أظهر مخلفاتها إماتة الوعى الاسلامى فى النفوس و الخنوع أمام الظلم و الجور، و قد مثل ذلك بصورة مؤلمة حقا فى مأساة الإمام موسى (ع) فان هارون قد زجه فى ظلمات السجون فى بغداد و هى زاخرة بالمسلمين و القائلين بامامته فى حين لم تنبر منهم طائفة الى المطالبة باطلاق سراحه، حتى توفى غريبا فى سجن السندى بن شاهك فعمد الى وضع جثمانه على جسر الرصافة ببغداد محاولا بذلك الحط من شأنه، و لم يهبوا الى انقاذه من أيدى الشرطة، ان سبب ذلك يرجع الى الخنوع و الذل الذى خيم على النفوس.

(۵) و كان من أهم ما عنى به الامام موسى (ع) نشر الثقافة الاسلامية و اشاعة المعارف العامة بين الناس، و قد عملت تعاليمه الرفيعة على تنمية العقول، و تثقيف الافكار، و تقديم المسلمين فى الميادين العلمية.

لقد احتف بالامام اثناء اقامته فى يثرب جمع غفير من كبار العلماء و رواة الحديث ممن تتلمذوا فى جامعة أبيه الكبرى التى انارت العقل الانسانى و اطلقته من عقال الجهل، و قد أفاض عليهم الامام الشيء الكثير من عاومه و معارفه التى هى مستمدة من علم جده الرسول (ص) كما زود الفقه الاسلامى بطاقات كبيرة من آرائه الحصيفة، و رواياته عن آبائه، و له تنسب مجموعة كثيرة من الاحكام الاسلامية بجميع أنواعها من العبادات و المعاملات، و قد دونت فى موسوعات الحديث و الفقه، و نظرا لمركزه العلمى الخطير فقد شاع ذكره فى البلاد الاسلامية، و تحدث الركبان بوفرة مواهبه و مقدراته العلمية و قد دان شطر كبير من المسلمين بامامته و جعلوا مودته و الأخذ بقوله فرضا من فروض الدين.

و كان اجماع المسلمين على تكريمه و تعظيمه و تقديمه بالفضل على سائر الهاشميين و غيرهم من اعلام العصر بل حتى على الخلفاء، فان ذلك موجب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴

لاثارة الاحقاد عليه، و الحسد له فى نفوس خصومه، فاجمعوا على التنكيل به و حجبه عن العلماء و حرمانهم من الانتهال من نمير علومه، و بذلك فقد جنوا على العلم جناية لا تعدلها أى جناية.

لقد اضطر العلماء اثناء حبس الامام فى البصرة و فى بغداد ان يتصلوا به و يأخذوا من علومه و لكن ذلك كان مع تستر و خوف بالغين من السلطة التى لم تكن تهتم بالتقدم العلمى لشعوبها.

(۶) و نقدم الى المكتبة الإسلامية هذا المجهود المتواضع الذى هو صفحة من حياة الامام موسى، و مثل موجز لشخصيته العظيمة، و لا نزعم أنه قد استوعب حياته، أو ألمّ بجميع شئونه، فذاك أمر لا تسعه عشرات من أمثال هذا الكتاب، فان الباحث المتتبع يجد صورا مشرقة كثيرة من حياته، و ما أثر عنه من حكم الآراء سواء أ كانت فى ميادين السلوك و الاخلاق أم فى غيرها و انما أعطى صورة موجزة لبعض مثله و معارفه و تراثه، كما ذكر كوكبة من اصحابه و رواة حديثه و ابنائه مع الالماع الى شيء من تراجمهم، و اعطى دراسة عن العصر العباسى الأول و ما مر فيه من الازمات الفكرية و الاحداث الخطيرة كما عرض الى الاسباب التى أدت الى انهيار الامبراطورية الاموية، و بحث عن اعمال ملوك بنى العباس المعاصرين له، و ما نشروه من الظلم و الاضطهاد تجاه العلوين، و نختلف كثيرا فى هذه البحوث عن بقية المؤرخين فانا لا نقف على نقل الاحداث، و انما ننظر إليها بدقة و شمول فنحللها، و نكشف عن ابعادها، و قد بحثنا عن ذلك كله ببحث موضوعى بعيد عن التحيز و رائدنا الاخلاص للحق راجين ان يكون ذلك خدمة للاسلام و خدمة لعلم من اعلامه النابهين و هو تعالى ولى التوفيق.

المؤلف

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۵

ولادته و نشأته

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷

و الظاهرة الفذة التى امتاز بها الاسلام على بقية الاديان و المذاهب الاجتماعية الاخرى هو أنه رفع شعار المساواة، و هدم الحواجز بين الناس، و قد تبنى ذلك بصورة ايجابية فعالة، فجهز جميع طاقاته و امكانياته فى تطبيقها على مسرح الحياة، و اعتبرها عنصرا أساسيا من عناصر حضارته، و عاملا مهما فى بناء تكوينه الاجتماعى.

الناس فى شريعة اللّه سواسية كأسنان المشط، لا امتياز لاحد على احد و لا تقديم لقوم على آخرين، فهم على صعيد واحد من ناحية

حقوقهم و كرامتهم، لا- تفاوت بينهم الا- بالتقوى و العمل الصالح الذى يقرب الانسان من ربه، و يبعده عن عوامل الشر، و نزعات الطيش و الغرور.

بهذه المبادئ العليا التى تجمع القلوب، و توحد ما بين المشاعر و العواطف جاء الاسلام، و عليها ارتكزت دعوته، و دعا لمن يتصدى لتصديعها أن يعلو وجهه بالسيوف لئلا تكون بين المسلمين ثغرة يتصدع بها شملهم، و تتمزق بها وحدتهم.

و قد تنكر الامويون لهذه القاعدة الاساسية فى الاسلام فحملوا معول الهدم على انقاضها، لانها تتنافى مع ميولهم الجاهلية، و تتنافى مع مصالحهم الطبقية، فراحوا يعملون بقوى مسعورة الى محوها عن الحياة الاسلامية، و قد تجلى ذلك فيما عمدوا إليه من المبالغة فى الذم و التقريع لمن يتزوج بأمة من العرب، و لم يقتصروا على ذلك و انما تعدوه الى القسوة و التعذيب لمن يشذ عن ذلك، فقد علم طاغية من ولاتهم ان شخصا من بنى سليم قد تزوج بأمة فأمر باحضاره، و ضربه مائة سوط، و فرق بينه و بين زوجه، و حلق رأسه و لحيته و حاجبيه» «۱» و فى عرفهم أنه قد اقترف بذلك جناية و سعى فى الارض فسادا يستحق عليه التنكيل.

---

(۱) الاغانى ۴/ ۱۵۰.

و حرموا على ابن الامة أن يتولى أى منصب من مناصب الدولة، أو يتقلد وظيفة من الوظائف العامة، و زعموا عدم صلاحيته لها «۱» و بهذا المنطق الجاهلى احتج طاغية الامويين هشام بن عبد الملك على زيد بن على شهيد الشرف و الإباء فقد قال له هشام يحاجه:

«بلغنى أنك تذكر الخلافة، و تتمناها، و لست أهلا لها، و أنت ابن أمة».

فانبرى إليه زيد فسدد له سهما من منطقه الفياض قائلا له:

«إن الامهات لا- يقعدن بالرجال عن الغايات، و قد كانت أم اسماعيل أمة لام إسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه اللّه نبيا، و جعله أبا للعرب، و أخرج من صلبه خير الأنبياء محمد (ص) ..» «۲».

و لما تبنى الامويون هذه السياسة النكراء التى تتصادم مع واقع الاسلام انبرى إليها أهل البيت بالانكار و التشهير فهتفوا بما جاء به جدهم المنقذ الاعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلم من المساواة العادلة بين المسلمين، و ضربوا للناس أمثلة عملية واضحة لتأكيدها، فقد اعتق الامام زين العابدين جارية له و بعد العتق تزوج بها، و قد انتهز هذه البادرة خصمه عبد الملك فراح يندد به و يعيب عليه، فبعث له رسالة يلومه فيها، و هذا نصها:

«أما بعد، فقد بلغنى تزويجك مولاتك، و قد علمت أنه كان فى اكفائك من قريش من تمجد به فى الصهر، و تستنجبه من الولد، فلا لنفسك نظرت، و لا على ولدك أبقيت و السلام؟ ..».

و لما مثل الكتاب بين يدى الامام نظر فيه فرأى روح الجاهلية ماثلة فى سطوره و حروفه، فرده (ع) بهذا الجواب الذى تمثلت فيه مبادئ

---

(۱) العقد الفريد ۴/ ۱۶۰.

(۲) الكامل لابن الاثير ۵/ ۸۴.

الاسلام و أهدافه و هذا نصه:

«أما بعد، فقد بلغنى كتابك تعنفنى بتزويجى مولاتى، و تزعم أنه كان فى نساء قريش من أمجد به فى الصهر، و استنجبه فى الولد، و إنه ليس فوق رسول اللّه (ص) مرتقى فى مجد، و لا- مستزاد فى كرم، و إنما كانت ملك يمينى خرجت منى بأمر أراده اللّه عز و جل

التمست فيه ثوابه ثم ارتجعتها على سنته، و من كان زكيا فى دينه فليس يخل به شيء من أمره، و قد رفع اللّه بالاسلام الخسيسة، و أتم به النقيصة، و أذهب اللوم فلا لوم على امرئ مسلم، انما اللوم لوم الجاهلية ..» «۱».

هذا هو منطق الاسلام فى عدله و مساواته، فالشرف الواقعى فى حسابه يحوم حول طاعة اللّه، و التمسك بأهداب دينه، فمن هذب نفسه، و صانها عن الاثم و المنكر، و تحرج فى دين اللّه، فهو الفذ الذى له الامتياز فى الاسلام، و أما التفوق بالعنصريات و سائر الاعتبارات المادية الاخرى، فانها لا تدخل فى منطق الفضل و الشرف عند اللّه.

أى حزازة على الامام حينما تزوج بأمة مسلمة بعد ما أعتقها فانه لم يجاف بذلك كتاب اللّه و سنة نبيه.

إن الاسلام بكل اعتزاز و فخر قد ساوى بين جميع المسلمين، و جعل المسلم كفؤ المسلمة و الغى جميع التفوقات التى ينظر إليها العرف الجاهلى، و قد زوج الرسول الاعظم زينب بنت جحش من مولاه زيد بن حارثة، و هو لا يدانيها فى مكانتها الاجتماعية، و قصة جويبر البائس المسكين مشهورة مستفيضة، و بذلك فقد أقام الاسلام قاعدة اساسية للرابطة الزوجية تبتنى على الوحدة فى الدين، و المحبة فى اللّه.

و لما اتسع الاسلام فى عصوره الاولى، و غزت جنوده الباسلة اكثر

---

(۱) اعيان الشيعة ۴/ ۴۸۰.

المعمورة فى الدعوة الى اللّه اتسعت حركة الرقيق و جلبه اتساعا هائلا، لا يخلو فى كثير من صوره- فيما نحسب- عن عدم المشروعية، و ذلك لعدم التزام السلطات الحاكمة فى تلك العصور بما أثر عن الاسلام فى كيفية الرق.

و على أى حال فقد كانت أسواق يثرب تعج بالنخاسين الذين يجلبون الرقيق لبيعه، و كان شارع فى بغداد يسمى شارع الرقيق «۱» يعرض فيه الرقيق لبيعه.

و كان موقف أهل البيت أمام هذا الرقيق المنكوب هو الرحمة به و العطف عليه فكانوا يشترون منه حسب المستطاع، و يعتقونه لوجه اللّه، فكان احمد ابن الامام موسى (ع) يستنسخ المصحف ثم يبيعه و يشترى بثمنه الرقيق و يعتقهم لوجه اللّه، و قد اعتق الف نسمة من كد يده، و لم يكتفوا بهذا البر و انما كانوا يسدون يدا على من اعتقوه فيمنحونه نصيبا وافرا من المال ليستغنى به عما فى أيدى الناس، فيتخلص بذلك فى وقت واحد من رق العبودية و كابوس الفقر.

و كان الامام موسى يحفز أصحابه، و يحثهم على اتخاذ القيان، و الزواج بهن فقد قال لهم:

«اتخذوا القيان، فان لهن فطنا و عقولا ليست لكثير من النساء ..» «۲»

و لم يقتصر أهل البيت (ع) على هذا الاحسان المستفيض للرقيق، و انما تعدوه الى المصاهرة، و ذلك للتدليل على الغاء الاسلام للتفاوت، و تحطيما للاجراءات الاموية الفاسية التى اتخذت ضدهم.

و كانت أم الامام موسى من تلكم النسوة اللاتى جلبن لاسواق يثرب و قد خصها اللّه بالفضل، و عناها بالشرف، فصارت وعاء للامامة،

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۳۱۶.

(۲) الاتحاف بحب الاشراف: ص ۵۵.

و إناء للفضيلة و الكرامة.

أما كيفية زواج أبى عبد اللّه الصادق بها فقد حدث عنها ابن عكاشة الاسدى، و نعرض حديثه بايجاز يقول: دخلت على الامام أبى

جعفر الباقر عليه السلام، و كان ولده أبو عبد اللّه ماثلا بين يديه، فقدم له عنب، فالتفت إلينا يرشدنا الى آداب الأكل قائلا:

«حبة، حبة يأكله الشيخ، و الصبى الصغير، و ثلاثة و اربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع، و كله حبتين فانه يستحب ..».

يقول ابن عكاشة: نظرت الى أبى عبد اللّه الصادق فرأيته قد بلغ مبالغ الرجال، فعرضت على أبيه زواجه فقلت له:

«سيدى: لأى شىء لا تزوج أبا عبد اللّه، فقد أدرك التزويج؟!.»

فأخبرنى الامام عن عزمه على ذلك، و كانت بين يديه صرة فقال لى:

«أما انه سيجىء نخاس من أهل بربر، فينزل دار ميمون فنشترى له بهذه الصرة جارية ..».

و خرج القوم من ثوى الامام و مضت على ذلك حفنة من الزمن فدخل عليه ابن عكاشة مع زمرة من إخوانه فلما استقر بهم الجلوس أخبرهم الامام بمجىء النخاس و وصول الجارية معه. و أمرهم أن يبادروا لشرائها بتلك الصرة التى رأوها من قبل، فقاموا جميعا و قلوبهم مليئة بالغبطة و السرور و لما انتهوا الى النخاس طلبوا منه عرض ما عنده من الجوارى عليهم فأخبرهم أنه لم يبق عنده سوى جاريتين مريضتين احداهما أمثل من الاخرى فطلبوا منه احضارهما فقام و أخرجهما إليهم فوقع نظرهم على الماثلة للشفاء، و سامها عليهم بسبعين دينارا، فراموا منه تخفيض ثمنها فأبى، ففتحوا الصرة فإذا بها سبعون دينارا. فدفعوها له و أخذوا الجارية و جاءوا بها الى الامام، فحمد اللّه و أثنى عليه و قد شمله الفرح فقال لها:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲

«ما اسمك؟» فأجابته بصوت خافت يقطر حياء:

«حميدة» «۱».

و انبرى الامام فمنحها وساما من الشرف و التكريم قائلا:

«حميدة فى الدنيا محمودة فى الآخرة».

و التفت الى ولده و السرور باد عليه، فوهبه اياها «۲» و تزوج بها أبو عبد اللّه فكانت من أعز نسائه، و أحبهن إليه، و آثرهن عنده.

و اختلف المؤرخون اختلافا كثيرا فى نسبها فقيل انها اندلسية، و تكنى لؤلؤة «۳» و قيل انها بربرية «۴» و هى بنت صالح البربرى «۵» و قيل انها شقيقة صالح «۶» و ذهب بعضهم الى انها رومية «۷» و قيل انها من أجل بيوت العجم «۸» و أهمل الكثيرون من المؤرخين نسبها و لم يتعرضوا له.

---

(۱) حميدة: يضم الحاء، و فتح الميم، و سكون الياء المثناة، و فتح الدال جاء ذلك فى النفحة العنبرية (ص ۱۵) مخطوط بمكتبة الامام كاشف الغطاء العامة، و جاء فيه أنه قيل إن اسمها نباتة.

(۲) أصول الكافى ۱/ ۴۷۶ بحار الأنوار ۱۱/ ۲۳۲.

(۳) مرآة العقول ۱/ ۴۵۱، معالم العترة.

(۴) كشف الغمة ۳/ ۲.

(۵) اعلام الورى، بحار الأنوار، و فى المناقب ۴/ ۳۲۳، حميدة المصفاة ابنة صاعد البربرى.

(۶) مختصر اخبار الخلفاء: ص ۳۹.

(۷) تحفة الازهار و زلال الانهار للسيد ضامن بن شدقم مخطوط يوجد فى قسم المخطوطات من مكتبة الامام كاشف الغطاء.

(۸) الانوار البهية: ص ۸۷.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳

و كانت السيدة حميدة تعامل فى بيتها معاملة كريمة، فكانت موضع عناية و تقدير عند جميع العلويات، كما ان الامام الصادق كان

يغدق عليها بمعروفه، و قد رأى فيها وفور العقل و الكمال، و حسن الايمان، و أثنى عليها ثناء عاطرا فقال فيها:

«حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت إلى كرامة من اللّه و للحجة من بعدى ..» «۱».

لقد كانت هذه السيدة طاهرة الذيل، نقية الثوب، بريئة من النقص قد أترعت نفسها بالايمان و الصلاح، و قد غذاها الامام الصادق بعلومه، حتى اصبحت فى طليعة نساء عصرها علما و ورعا و ايمانا، و قد عهد إليها الامام الصادق بتفقيه نساء المسلمين و تعليمهن الاحكام الشرعية «۲» و اجدر بها أن تحتل هذه المكانة، و ان تكون من المع نساء عصرها فى العفة و الفقه و الكمال.

الوليد المبارك

و يمتد الزمن بعد زواج الامام بها، و العيش هادئ و الحياة البيتية حافلة بالمسرات، قد غمرتها المودة، و ترك الكلفة، و اجتناب هجر الكلام و مره.

و فى فترات تلك المدة السعيدة عرض لها حمل، و سافر الامام أبو عبد اللّه الى بيت اللّه الحرام لاداء فريضة الحج، فحملها معه و بعد الانتهاء من

---

(۱) بحار الأنوار ۱۱/ ۲۳۲، أصول الكافى ۱/ ۴۷۷، اعيان الشيعة القسم الثانى من ۴/ ۵.

(۲) الأنوار البهية: ص ۷۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴

مراسيمه قفلوا راجعين الى يثرب، فلما انتهوا الى «الأبواء» «۱» أحست حميدة بالطلق فأرسلت خلف الامام تخبره بالأمر لأنه قد عهد إليها أن لا تسبقه بشأن وليده، و كان أبو عبد اللّه يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه، فلما وافاه النبأ المسر قام مبادرا إليها فلم يلبث قليلا حتى وضعت حميدة سيدا من سادات المسلمين، و إماما من أئمة أهل البيت.

لقد أشرقت الدنيا بهذا المولود المبارك الذى ما ولد- فى عصره- أيمن، و لا أكثر عائدة و لطفا على الاسلام منه.

لقد ولد أبر الناس، و أعطفهم على الفقراء، و أكثرهم عناء و محنة فى سبيل اللّه و أعظمهم عبادة و خوفا من اللّه.

و بادر الامام أبو عبد اللّه فتناول وليده فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن فى أذنه اليمنى، و أقام فى اليسرى.

لقد كانت أول صورة فتح الامام موسى عليها عينيه صورة أبيه الذى ما أظلت سماء الدنيا أسمى و لا أعظم شأنا منه بعد آبائه، و كانت أول كلمة قرعت سمعه كلمة التوحيد التى تنطوى على الايمان بما له من معنى.

و انطلق الامام أبو عبد اللّه عائدا الى اصحابه، و قد علت على ثغره ابتسامة فبادره أصحابه قائلين:

«أسرك اللّه، و جعلنا فداك، يا سيدنا ما فعلت حميدة؟».

---

(۱) الأبواء: بالفتح ثم السكون، و واو و الف ممدودة، قرية من أعمال الفرع بالمدينة، و به قبر الزاكية آمنة بنت وهب أم النبى العظيم (ص) و وجه تسمية المكان بهذا الاسم- كما قيل- انه كان يكثر به الوباء، و قال ثابت اللغوى: سميت الأبواء لتبوء السيول بها، و هو حسن. معجم البلدان ۱/ ۹۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵

فبشرهم بمولوده المبارك، و عرفهم عظيم أمره قائلا:

«قد وهب اللّه لى غلاما، و هو خير من برأ اللّه».

أجل انه خير من برأ اللّه علما و تقوى و صلاحا، و تحرجا فى الدين و أحاط الامام أصحابه علما بأن وليده من أئمة أهل البيت (ع)

الذين فرض اللّه طاعتهم على عباده قائلا لهم:

«فدونكم، فو اللّه هو صاحبكم» «۱».

و كانت ولادته فى «الأبواء» و قيل فى يثرب «۲» و هو مخالف لما عليه عامة المؤرخين، و كانت سنة ولادته (۱۲۸ ه-) «۳» و قيل سنة (۱۲۹ ه-) «۴» و ذلك فى أيام حكم عبد الملك بن مروان.

اطعام عام

و لم يطل الامام أبو عبد اللّه (ع) المكث فى الأبواء فقد ارتحل عنها و اتجه الى يثرب وفور وصوله أقام تكريما لوليده فأطعم الناس من أجله اطعاما عاما ثلاثة أيام «۵» و توافدت عليه جماهير شيعته تهنيه بمولوده المبارك

---

(۱) بحار الانوار ۱۱/ ۲۳۰، دلائل الامامة،

(۲) وفيات الاعيان ۴/ ۳۹۵.

(۳) تهذيب التهذيب ۱۰/ ۳۴، الطبقات الكبرى ۱/ ۳۳، نور الأبصار ص ۱۳۵، المناقب ۴/ ۳۲۳، كشف الغمة ۳/ ۲.

(۴) اعيان الشيعة ۴/ ۳، و جاء فى تحفة الأزهار أنه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة (۱۲۷ ه-) و جاء فى بحر الانساب أنه ولد يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر، و عين هذا جاء فى الدروس.

(۵) اعيان الشيعة ۴/ ۳.

و تشاركه فى مسراته و أفراحه.

الطفولة الزاكية

و أخذ الامام موسى يتدرج فى طفولته، و هو يرضع من ثدى الايمان و يتربى فى حجر الاسلام، يغذيه الامام أبو عبد اللّه الصادق (ع) بعطفه و حنانه، و يفرغ عليه أشعة من روحه العظيمة، و يرشده الى العادات الشريفة، و يهديه الى السلوك النير و قد التقت به فى سنه المبكر جميع عناصر التربية الاسلامية حتى بلغ فى صغره من الكمال و التهذيب ما لم يبلغه أى انسان.

حب و تكريم

و قطع الامام موسى شوطا من طفولته و هو ناعم البال يستقبل الحياة كل يوم بحفاوة و تكريم، فأبوه يغدق عليه بعطفه المستفيض، و جماهير المسلمين تقابله بالعناية و التكريم، و قد قدمه الامام الصادق (ع) على بقية ولده، و حمل له من الحب ما لا يحمله لغيره، فمن مظاهر وده أنه وهب له قطعة من أرض تسمى البسرية، كان قد اشتراها بست و عشرين الف دينار «۱» و سئل عن مدى حبه له فقال:

«وددت أن ليس لى ولد غيره لئلا يشركه فى حبى أحد» «۲».

و تكلم الامام موسى و هو طفل بكلام أثار اعجاب أبيه فاندفع

---

(۱) دلائل الامامة: ص ۴۹- ۵۰.

(۲) الاتحاف بحب الأشراف: ص ۵۴.

أبوه قائلا:

«الحمد للّه الذى جعلك خلفا من الآباء، و سرورا من الأبناء، و عوضا عن الاصدقاء» «۱».

و تعتقد الشيعة ان مقام الامامة كمقام النبوة بعيد عن المحاباة و الاندفاع بعاطفة الحب، سوى ما يتصل بتأييد الفضيلة و الاشادة بالايمان، و على ضوء ذلك فالامام أبو عبد اللّه (ع) انما أعلن حبه العارم و مودته الوثيقة لولده لأنه رآه صورة صادقة عنه فى مواهبه و عبقرياته، و رأى أنه الامام من بعده على أمة جده.

صفته:

و وصف رواة الأثر ملامح صورته فقالوا: كان أسمر شديد السمرة «۲» و قيل كان اسود اللون «۳» و قيل أزهر اللون، ربع القامة، كث اللحية «۴» و وصفه شقيق البلخى فقال: كان حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف الجسم.

هيبته و وقاره

و حاكى الامام موسى فى هيبته هيبة الأنبياء، و بدت فى ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه، فما رآه أحد إلا هابه، و أكبره، و قد صور مدى هيبته و وقاره أبو نؤاس شاعر البلاط العباسى حينما التقى به فى الطريق، فاندفع أبو نؤاس يقول:

---

(۱) بحار الانوار: ۱۱/ ۲۳۷.

(۲) الفصول المهمة لابن الصباغ، أخبار الدول: ص ۱۱۲.

(۳) عمدة الطالب: ص ۱۸۵ النفحة العنبرية: ص ۱۵، و زاد فيه أنه كان رابط الجأش واسع العطاء.

(۴) أعيان الشيعة ۴/ ۹.

إذا أبصرتك العين من غير ريبةو عارض فيك الشك أثبتك القلب

و لو أن ركبا أمموك لقادهمنسيمك حتى يستدل بك الركب

جعلتك حسبى فى أمورى كلهاو ما خاب من أضحى و أنت له حسب «۱» لقد كانت هذه الابيات دفعة من دفعات الروح، و يقظة من يقظات الضمير الحى، فان أبا نؤاس الذى قضى أيام حياته فى اللهو و المجون، و كان يعيش على موائد بنى العباس، قد انبرى الى هذا المديح العاطر فى الوقت الذى كان من يمدح فيه أهل البيت ينال العقوبة و السخط، فقد دفعته الى ذلك واقعية الامام و مثاليته التى لا ند لها فى عصره.

و بهرت أنوار الامام شاعر المعرة أبا العلاء فانطلق فى قصيدته التى رثى بها أبا أحمد حفيد الامام، يقول:

و يخال موسى جدكم لجلالهفى النفس صاحب سورة الاعراف «۲» و لم يكن أبو العلاء يظن بأحد خيرا أو يمدح انسانا الا ان يختبره و يقف على واقع أمره و قد انتهت إليه انباء الامام موسى و عرف أنه نسخة لا ثانى لها فلذا انطلق مع المادحين و الواصفين.

نقش خاتمه

أما نقش خاتمه فيدل على مدى تعلقه باللّه و انقطاعه إليه فقد كانت صورته «الملك للّه وحده» «۳».

---

(۱) المناقب ۴/ ۳۱۸.

(۲) سقط الزند.

(۳) أخبار الدول: (ص ۱۱۲).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۹

كنيته

أبو الحسن الاول، أبو الحسن الماضى، أبو ابراهيم، أبو على، أبو اسماعيل.

ألقابه:

اشارة

أما القابه فتدل على مظاهر شخصيته و نواحى عظمته، و هى كما يلى:

الصابر

لأنه صبر على الآلام و الخطوب التى تلقاها من حكام الجور، و الفراعنة الطغاة فقد جرعوه نغب التهمام، و قابلوه بجميع الوان الإساءة و المكروه.

الزاهر لأنه زهر بأخلاقه الشريفة و كرمه المضىء الذى مثل به خلق جده الرسول (ص).

العبد الصالح

و لقب بالعبد الصالح لعبادته، و اجتهاده فى الطاعة، حتى صار مضرب المثل فى عبادته على ممر العصور و الاجيال و قد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوى عنه يقول حدثنى العبد الصالح.

السيد

لانه من سادات المسلمين، و إمام من أئمتهم، و قد مدحه بهذا اللقب الشاعر الشهير أبو الفتح بقوله:

أنا للسيد الشريف غلام‌حيثما كنت فليبلغ سلامى

و اذا كنت للشريف غلامافأنا الحر و الزمان غلامى «۱»

---

(۱) أخبار الدول: ص ۱۱۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۰

الوفى

لأنه أوفى إنسان خلق فى عصره، فقد كان وفيا بارا باخوانه و شيعته و بارا حتى باعدائه و الحاقدين عليه.

الأمين

و كل ما للفظ الامانة من معنى قد مثل فى شخصيته العظيمة فقد كان أمينا على شئون الدين و احكامه، و أمينا على أمور المسلمين و

قد حاز هذا اللقب كما حازه جده الرسول الاعظم من قبل، و نال به ثقة الناس جميعا.

قائد العسكر

و من ألقابه (ع) قائد الجيش و العسكر «۱»، و استقرب ثقة الاسلام المحقق الشهير الشيخ عباس القمى نضّر اللّه مثواه، أن السبب فى ذلك أنه عليه السلام مثّل المنصور فى يوم النيروز فدخل عليه الجيش و الامراء يهنونه و يحملون له الهدايا و الألطاف الامر الذى لم يتفق لاحد من آبائه و أبنائه و بهذه المناسبة لقب بذلك «۲».

الكاظم

و انما لقب بذلك لما كظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل و الارهاق حتى قضى شهيدا مسموما فى ظلمات السجون لم يبد لاحد آلامه و أشجانه بل قابل ذلك بالشكر للّه و الثناء عليه، و يقول ابن الاثير: «إنه عرف بهذا اللقب لصبره، و دماثة خلقه، و مقابلته الشر بالاحسان» «۳».

---

(۱) تحفة الازهار، و زلال الانهار.

(۲) الكنى و القاب (ج ۱ ص ۱۷۶).

(۳) مختصر تأريخ العرب: ص ۲۰۹.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۱

ذو النفس الزكية

و ذلك لصفاء ذاته التى لم تتلوث بمآثم الحياة و لا بأقذار المادة حتى سمت، و انبتلت عن النظير.

باب الحوائج

و هذا أكثر ألقابه ذكرا، و أشهرها ذيوعا و انتشارا، فقد اشتهر بين العام و الخاص أنه ما قصده مكروب أو حزين إلا فرج اللّه آلامه و أحزانه و ما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه، و رجع إلى أهله مثلوج القلب مستريح الفكر مما ألم به من طوارق الزمن و فجائع الايام، و قد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم و نزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة و عميدهم الروحى أبو على الخلال يقول:

«ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الا سهل اللّه تعالى لى ما أحب ..» «۱».

و قال الامام الشافعى:

«قبر موسى الكاظم الترياق المجرب» «۲».

و قد أثقلت كوارث الدهر و مصائب الايام كوكبة من الشعراء و الأدباء ففزعوا إليه و لاذوا بضريحه متوسلين به الى اللّه فى رفع محنهم و كشف ما ألمّ بهم من البلاء و المكروه ففرج اللّه عنهم ذلك، و قد قرأنا لهم الشىء الكثير من بليغ النظم، و لو اردنا أن نذكر ما أثر عنهم فى ذلك لبلغ مجلدا ضخما، و لكنا نذكر بعضهم، فمنهم الحاج محمد جواد البغدادى فقد سعى الى مثوى الامام فى حاجة يطلب قضاءها و هو يقول:

يا سمى الكليم جئتك أسعى‌نحو مغناك قاصدا من بلادى

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۱ ص ۱۲۰) الشيعة و التأريخ.

(۲) تحفة العالم: (ج ۲ ص ۲۰).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۲ ليس تقضى لنا الحوائج إلاعند باب الرجاء جد الجواد و قد شطرهما آية اللّه العظمى السيد مهدى آل بحر العلوم نوّر اللّه مثواه بقوله:

يا سمى الكليم جئتك أسعىو الهوى مركبى و حبك زادى

مسنى الضر و انتحى بى فقرىنحو مغناك قاصدا من بلادى

ليس تقضى لنا الحوائج إلاعند باب الحوائج المعتاد

عند بحر الندى ابن جعفر موسىعند باب الرجاء جد الجواد «۱» و خمسها الخطيب عباس البغدادى بقوله:

لم تزل للانام تحسن صنعاو تجير الذى أتاك و ترعى

و إذا ضاقت الفضا بى ذرعايا سمى الكليم جئتك أسعى

و الهوى مركبى و حبك زادىأنت غيث للمجدبين و لو لا

فيض جدواكم الوجود اضمحلا

قسما بالذى تعالى وجلاليس تقضى لنا الحوائج إلا

عند باب الرجاء جد الجواد

و ممن نظم فى ذلك شاعر النبوغ و العبقرية المرحوم السيد عبد الباقى العمرى بقوله:

لذ و استجر متوسلاإن ضاق أمرك أو تعسر

بأبى الرضا جد الجواد محمد موسى بن جعفر «۲» لقد كان الامام موسى فى حياته مفزعا و ملجأ لعموم المسلمين و كذلك كان بعد وفاته حصنا منيعا لمن استجار به لأن اللّه عز اسمه قد منحه بقضاء

(۱) ديوان السيد مهدى آل بحر العلوم مخطوط بمكتبة العلامة السيد صادق آل بحر العلوم

(۲) ديوان عبد الباقى: ص ۱۳۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۳

حوائج المستجيرين بضريحه و الى ذلك أشار ثابت الواعظ فى قصيدته التى مدح بها يحيى بن جعفر أبا الفضل بقوله:

و فى الجانب الشرقى يحيى بن جعفرو فى الجانب الغربى موسى بن جعفر

فذاك الى اللّه الكريم شفيعناو هذا الى المولى الامام المطهر «۱» لقد اعتقد أغلب المسلمين أن اللّه يكشف البلاء، و يدفع الضر بالالتجاء الى ضريح الامام (ع) و روى الخطيب البغدادى قصة كان فيها شاهد عيان فقد رأى امرأة مذهولة قد فقدت رشدها، و هامت فى تيار من الهواجس و الهموم لأنها أخبرت أن ولدها قد ارتكب جريمة، و ألقت عليه السلطة المحلية القبض و أودعته فى السجن، فأخذت تهرول نحو ضريح الامام مستجيرة به فرآها بعض الأوغاد ممن لا يؤمن بالامام فقال لها:

- الى أين؟

- الى موسى بن جعفر، فانه قد حبس ابنى.

فقال لها بسخرية و استهزاء:

«إنه قد مات فى الحبس».

فاندفعت تقول بحرارة و قد لذعها قوله:

«اللهم بحق المقتول فى الحبس ان ترينى القدرة».

فاستجاب اللّه دعاءها، فأطلق سراح ولدها، و أودع ابن المستهزئ فى ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص «۲» و هكذا أراد اللّه أن يريها القدرة و يرى ذلك الشخص كرامة الامام عنده، و أنا شخصيا قد ألمت بى محنة من محن الدنيا كادت أن تطوى حياتى ففزعت إليه، و هرعت الى ضريحه بنية صادقة ففرج اللّه عنى، و كشف عنى ما ألمّ بى، و لا شك فى هذه

---

(۱) النجوم الزاهرة.

(۲) تأريخ بغداد.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۴

الظاهرة التى اختص بها الامام الا من هو مرتاب فى دينه و اسلامه.

لقد آمن المسلمون بذلك منذ فجر تأريخهم، و اعتقدوا اعتقادا لا يخامره أدنى شك فى أن أهل البيت (ع) لهم المقام الكريم عند اللّه، و انه يستدفع بهم البلاء، و تستمطر السماء- كما قال جابر بن عبد اللّه فى حديثه مع الامام على بن الحسين (ع)- و قال الفرزدق فى قصيدته العصماء التى مدح بها الامام زين العابدين:

من معشر حبهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبهمو يسترب به الاحسان و النعم ان قبورهم ملاذ و ملجأ للسائلين يقول الجواهرى:

و الناصبين بيوتهم و قبورهمللسائلين عن الكرام دليلا

و الطامسين من الجهالة غيهباو المطلعين من النهى قنديلا «۱» لقد منحهم اللّه بألطافه، و خصهم بالمزيد من كرماته أحياء و أمواتا.

---

(۱) ديوان الجواهرى ۳/ ۱۷۷- ۱۷۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۵

عبقريّة و نبوغ

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۷

و قبل أن نتحدث عن الذكاء المفرط الذى اتصف به الامام موسى (ع) فى سنه المبكر، نعرض الى أن العوامل التربوية التى تتكون منها الشخصية الفذة قد ظفر الامام بأروع وسائلها، و معطياتها.

لقد نص علماء التربية و غيرهم على العوامل المؤدية الى بناء الكيان التربوى، و الى النتائج السلوكية للشخص و هى:

[العوامل التربوية]

۱- الوراثة

و ذهب علماء الوراثة و النفس الى أن الوراثة من الاسباب الفعالة فى التكوين النفسى و النمو الفكرى، و ان الذكاء، و سائر الوان النضوج العقلى للشخص يستند الى الوراثة استنادا مباشرا، فالفرع لا يقتصر فى مشابهته لأصله على مظاهره الشكلية، و انما يشابهه فى

خواصه الذاتية، و فى أدق صفاته، يقول «هكسلى»:

«إنه ما من أثر أو خاصة لكائن عضوى الا و يرجع الى الوراثة أو الى البيئة، فالتكوين الوراثى يضع الحدود لما هو محتمل، و البيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيتحقق، فالتكوين الوراثى إذن ليس الا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص ..».

و معنى هذا أن جميع الآثار و الخواص التى تكون فى الأجهزة الحية من الانسان ترجع الى الوراثة او الى البيئة و المحيط الذى يعيش فيه الانسان، و أكد «مندل» هذه الظاهرة الوراثية التى تسمى بالوراثة الاقترانية فقال:

«ان كثيرا من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغيير من أحد الاصلين او منهما الى الفرع».

و قرر «جنجز» ذلك بقوله: «إن كل انسان لديه قوى موروثة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۸

كامنة، و لكن اظهار أية واحدة يقف على الظروف التى تحيط بهذه القوى عند نموها ..».

و قد اكتشف الاسلام هذه الظاهرة، قبل أن يكتشفها علماء الوراثة و النفس، فقد أثر عن النبى (ص) أن رجلا من الانصار أقبل إليه، فقال له:

يا رسول اللّه، هذه بنت عمى، و أنا فلان ابن فلان .. حتى عد عشرة آباء له، و هى بنت فلان حتى عد عشرة آباء لها، و ليس فى حسبى و لا حسبها حبشى، و انها وضعت هذا الحبشى، فأطرق رسول اللّه (ص) ثم رفع رأسه و قال له:

«إن لك تسعة و تسعين عرقا، و لها تسعة و تسعون عرقا، فاذا اشتملت اضطربت العروق، و سأل اللّه عز و جل كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه قم فانه ولدك، و لم يأتك إلا من عرق منك، أو عرق منها ..»

فانصرف الرجل آخذا بيد امرأته، و ولده، و فى حديث آخر «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس».

و أشار القرآن الكريم الى ما تنقله الوراثة من أدق الصفات، قال تعالى حكاية عن نبيه نوح: «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجرا كفارا» «۱» لقد دلت الآية بوضوح على انتقال عقائد الكفر و الالحاد بالوراثة من الآباء الى أبنائهم ... و قد حفلت موسوعات الحديث بالاخبار الكثيرة التى وردت عن أئمة أهل البيت (ع) و هى تدل على واقع الوراثة و قوانينها و آثارها و مالها من الأهمية البالغة فى حياة الانسان «۲».

و على ضوء قاعدة الوراثة نجزم بأن الامام موسى (ع) قد ورث من

---

(۱) سورة نوح: آية ۲۶.

(۲) النظام التربوى فى الاسلام.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۵۹

آبائه (ع) جميع صفاتهم التى امتازوا بها على سائر الناس من الكرم و السخاء و الحلم و الرحمة و حب الخير، و البر بالناس، و التفانى فى سبيل الصالح العام.

۲- الأسرة

إن الأسرة احدى العوامل الاساسية فى بناء الكيان التربوى، و ايجاد عملية التطبع الاجتماعى، فلها الأثر التام فى تكوين شخصية الطفل، و اكسابه العادات التى تبقى ملازمة له طوال حياته، فان الطفل مقلد للغير فى عاداته و سلوكه، يقول ما ندر:

«إن الطفل فى أصغر ما يلزمه من العادات، و فى أهم الخصائص العقلية، و فى الموقف العام الذى يقفه من الناس، و فى وجهة النظر العامة التى ينظر بها الى الحياة أو العمل فى كل هذه الاشياء مقلد الى حد كبير، و قد يكون التقليد أحيانا شعوريا مقصودا، و لكنه فى

أغلب الحالات يكون لا شعوريا، فاذا منح الطفل بتقليده الاشخاص المهذبين ظل متأثرا باخلاقهم و عواطفهم، و ان هذا التأثير فى اول الامر يعتبر تقليدا، و لكنه سرعان ما يصبح عادة و العادة طبيعة ثانية، و التقليد هو أحد الطريقين اللذين تكتسب بهما الخصائص الفردية، و تتكون بهما الاخلاق الشخصية» «۱».

و على هذا الرأى فالامام كان وحيدا فى خصائصه و مقوماته لأنه نشأ فى أسرة هى معدن التقوى، و خزنة الحكمة و العلم، و مختلف الملائكة، و مهبط الوحى و التنزيل، و إليها تنتهى كل مكرمة و فضيلة فى الاسلام.

لقد نشأ الامام موسى فى احضان أبيه الامام الصادق الذى ما عرف التأريخ الانسانى نظيرا له فى إيمانه و تقواه و سائر نزعاته عدا آبائه الأئمة

---

(۱) علم النفس فى الحياة.

الطاهرين، و قد قال فيه تلميذه مالك بن أنس: «ما رأت عين، و لا سمعت أذن، و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق، علما و عبادة و ورعا» و قال عمرو بن المقدام: «كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين» «۱» و قال الشهيد زيد بن على (ع):

«فى كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج اللّه به على خلقه، و حجة زماننا ابن أخى جعفر لا يضل من تبعه و لا يهتدى من خالفه» «۲» و قد سكب هذا الامام العظيم فى نفس ولده موسى جميع مثله و نزعاته حتى صار بحكم نشأته و تربيته من أفذاذ الفكر الاسلامى و من ابرز أئمة المسلمين.

۳- البيئة

و أجمع المعنيون فى البحوث التربوية على أن البيئة من أهم العوامل التى تعتمد عليها التربية فهى التى تكون فى نفس الطفل الغرائز و العادات، فاذا كانت سليمة حسنت آثارها، و اذا كانت ملوثة بالجرائم و الانحراف فان النشىء حتما يصاب بعاهاتها و آفاتها.

إن الانسان لا يخضع فى سلوكه لتكوينه الداخلى فحسب، و انما يخضع للعوامل الخارجية التى تتفاعل معه، و تؤثر فيه، و بذلك تطبع البيئة آثارها فى دخائل الذات، و اعماق النفس، و بها تحقق درجة عالية من التكامل الاجتماعى فيما اذا حسنت.

ان استقرار البيئة الاجتماعية، و عدم اضطراب الأسرة لها دخل كبير فى استقامة سلوك النشىء و وداعته و سلامته من الانحراف، و قد بحثت مؤسسة

---

(۱) تهذيب التهذيب ۲/ ۱۰۴.

(۲) المناقب ۲/ ۱۴۷.

اليونسكو فى هيئة الامم المتحدة عن المؤثرات غير الطبيعية فى نفسية الطفل و بعد دراسة مستفيضة قام بها الاخصائيون ادلوا بما يلى:

«مما لا شك فيه ان البيئة المستقرة سيكولوجيا، و الاسرة الموحدة التى يعيش اعضاؤها فى جو من العطف المتبادل هى أول أساس يرتكز عليه تكيف الطفل من الناحية العاطفية، و على هذا الاساس يستند الطفل فيما بعد فى تركيز علاقاته الاجتماعية بصورة فرضية، أما إذا شوهت شخصية الطفل بسوء معاملة الوالدين فقد يعجز عن الاندماج فى المجتمع» «۱».

و كانت البيئة التى عاش فيها الامام بيئة دينية تسودها القيم الانسانية و المثل العليا، و اما البيت الذى عاش فيه فقد كان معهدا من

معاهد الفضيلة و مدرسة من مدارس الايمان و التقوى، قد غمرته المودة، و عدم الكلفة و اجتناب هجر الكلام و مره و بذلك فقد توفرت للامام جميع عناصر التربية الرفيعة.

ذكاء و نبوغ

و قسم علماء النفس الذكاء الى نوعين، الذكاء الاجتماعى، و الذكاء المجرد، و قالوا: فى التفرقة بينهما، إن الذكاء الاجتماعى يتمثل فى فهم الناس فهما صحيحا، و السلوك معهم بحكمة و روية، و الذكاء المجرد قوامه فهم المدركات الكلية و الرمزية التى منها فهم المذاهب العلمية و التمييز بين الصحيح منها و السقيم «۲».

---

(۱) أثر الأسرة و المجتمع فى الاحداث الذين هم دون الثالثة عشر، مؤسسة اليونسكو ص ۳۵.

(۲) مجلة حياتك العدد ۶/ ۱۵۷ مقال للبروفسور «ثورندك».

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۲

و قد جمع الامام موسى فى سنه المبكر بين هذين النوعين و ذلك فى فهمه للناس و سلوكه معهم بالحكمة و الروية، و ادراكه لحقائق الامور، و معرفته بخفايا الأشياء التى لم يدركها كبار العلماء.

و هناك ظاهرة تملك القلوب اعجابا و دهشة و هى احاطة الامام موسى (ع) فى سنه المبكر بأنواع من العلوم و المعارف مع ان المرحلة الاولى من سنى حياة الانسان لا تساعده على ذلك، و لا يمكن تعليل هذا الامر إلا بما تلتزم به الشيعة، و تجمع عليه من ان الامام فى جميع مراحل حياته لا- بد ان يكون أعلم أهل عصره، و اكثرهم دراية، و احاطة بجميع ما تحتاج إليه الامة فى جميع مجالاتها، و ان علمه إلهامى لا كسبى كما هو الحال فى الأنبياء.

و لم يختص الامام موسى بهذه الظاهرة فقد شاركه فيها جميع أئمة أهل البيت (ع) فقد كان حفيده الجواد اصغر الأئمة سنا، و قد رجعت إليه الشيعة، و قالت: بامامته بعد وفاة أبيه الرضا (ع) و كان عمره الشريف لا يتجاوز السبع سنين، و قد عقد له المأمون مؤتمرا علميا، و عهد الى كبار الفقهاء و العلماء ان يمتحنوه بأهم المسائل و اكثرها غموضا و تعقيدا فتقدموا إليه و سألوه فأسرع الى الجواب عنها و خاضوا معه مختلف العلوم و الفنون و قد أجاب عن كل ما سأل عنه، و خرج منهم ظافرا منتصرا قد ملك قلوبهم اعجابا به، و قد دان شطر منهم بامامته، و قد أجمع المترجمون للامام الجواد على تدوين ذلك عنه.

و للتدليل على مدى المقدرات العلمية الهائلة التى كان يتمتع بها الامام موسى فى حال صباه نذكر بعض البوادر التى أثرت عنه فى سنه المبكر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۳

مع أبى حنيفة

كان أبو حنيفة من الذاهبين الى (الجبر) و الداعين إليه، و بنص هذا الرأى على أن الفعل الصادر من الانسان ليس مخلوقا له، و ليس صادرا منه باختياره، و انما هو مخلوق للّه، و صادر عن ارادة اللّه، و ان ارادة الانسان و قدرته لا مدخل لها فى ايجاد أى فعل سواء أ كان صادرا منه باختياره أم مكرها عليه، و قد اجمعت الشيعة على بطلان ذلك، و بعده عن الصواب و قد أثبت علماء الاصول زيفه، و قرروا بصورة وجدانية ان أى فعل اختيارى لا بد أن يسبق بمقدمات ارادية و هى:

۱- تصور الشيء فى الذهن ۲- ميل النفس له ۳- الجزم بفائدته فاذا تمت هذه الجهات فى أفق النفس تعلقت الارادة بالفعل، و سعى الانسان لايجاده أو الى الامر به، حسنا كان ذلك العمل او قبيحا «۱» و ليس هناك أى قسر أو اجبار للانسان على فعله.

و على أى حال فان أبا حنيفة فى طليعة الذاهبين الى «الجبر» و قد سافر

---

(۱) أوضح هذه الامور و أولاها بمزيد من البيان و الاستدلال الاستاذ آية اللّه العظمى السيد أبو القاسم الخوئى، فى بحوثه فى علم الاصول، و قد استدل بالادلة الحاسمة على بطلان الجبر و التفويض و أثبت «الامر بين الامرين» و هو ما ذهب إليه أئمة أهل البيت و قد دونا ما أفاده فى كتابنا «تقريرات آية اللّه الخوئى) فى علم الاصول.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۴

الى يثرب ليحاجج الامام الصادق (ع) الذى عرف بانه من خصوم هذه الفكرة، و لما انتهى إليها قصد دار الامام، و جلس فى دهليز الدار ينتظر الأذن و بينما هو جالس اذ خرج صبى يدرج فبادره أبو حنيفة قائلا:

«أين يضع الغريب؟» فالتفت إليه الصبى، و قال له: على رسلك، ثم جلس متأدبا، و استند الى الحائط، و اتبرى إليه يجيبه عن سؤاله قائلا:

«توق شطوط الانهار، و مساقط الثمار، و أفنية المساجد، و قارعة الطريق و توار خلف الجدار، و لا تستقبل القبلة، و لا تستدبرها، وضع أين شئت» و قد بين له الاماكن التى يكره و يحرم فيها التغوط، فبهر أبو حنيفة و ذهل فانه لم يحسب أن هناك صبيا يملك هذه المقدرة العلمية، و اندفع قائلا:

- ما اسمك؟

- موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب و لما عرف أبو حنيفة أن الصبى فرع من دوحة النبوة و الامامة اطمأنت نفسه، و تقدم إليه بالسؤال الذى أعده للامام الصادق قائلا:

«يا غلام ممن المعصية؟ هل هى من اللّه أو من العبد؟» و انطلق الامام فأجابه:

«لا تخلو أما أن تكون من اللّه، و ليس من العبد شىء، فليس للّه أن يأخذ العبد بما لم يفعل، و أما أن تكون من العبد و من اللّه، و اللّه أقوى الشريكين، فليس للشريك القوى أن يأخذ الضعيف بذنب هما فيه سواء، و إما أن تكون من العبد، و ليست من اللّه فان شاء عفا، و ان شاء عاقب و هو المستعين ..».

و حفل هذا الاستدلال بمقتضى الحصر العقلى بجميع مقومات الأدلة العلمية الوثيقة التى لا تقبل الحل أو النقض.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۵

و وقف أبو حنيفة مبهورا قد ملئت الدهشة اهابه فانطلق يرفع عقيرته قائلا:

«قد استغنيت، بما سمعت!!» و خرج منهزما قد بان عليه العجز، و لم يجتمع بالامام الصادق، و قد شاع رد الامام عليه و عجزه عن جوابه فى الاوساط العلمية، و قد انبرى بعض الشعراء الى نظم جوابه (ع) بقوله:

لم تخل أفعالنا اللاتى نذم بهاإحدى ثلاث معان حين نأتيها

اما تفرد بارينا بصنعتهافيسقط اللوم عنا حين ننشيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقهما سوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لالهى فى جنايتهاذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها «۱» لقد دلت هذه البادرة على مدى ما وصل إليه الامام موسى من العلوم و المعارف فى سنه المبكر، فقد ادرك ما لا تدركه أفكار كبار العلماء، حتى لم يستطع أبو حنيفة الوقوف أمام منطقه الفياض، و لم يجد طريقا أسلم له و لا احفظ لمكانته سوى الانهزام، و عدم الخوض معه بأى مسألة من المسائل و بهذا فقد ثبت أنه كان يملك رصيدا كبيرا من العلم و الذكاء ما لا يملكه أى انسان فى هذا السن عدا من خص بالامامة من آبائه و ابنائه.

حكمه على أبى الخطاب

كان محمد بن مقلاص الأسدى الكوفى الشهير بأبى الخطاب من أئمة الملحدين فى العالم العربى و الاسلامى، و قد أفسد على الناشئة الاسلامية دينها فقد ابتدع مبدءا حارب فيه جميع النظم الاسلامية، و قد ذكر اصول دعوته

---

(۱) أمالى المرتضى ۱/ ۱۰۵- ۱۰۶، بحار الانوار ۴/ ۱۰۴۹

القاضى أبو حنيفة المغربى فقال:

«و زعم أن جعفر بن محمد إله- تعالى اللّه عن قوله- و استحل المحارم كلها و رخص فيها، و كان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه و قالوا يا أبا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض و استحلوا جميع المحارم، و ارتكبوا المحظورات و أباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور، و قال من عرف الامام فقد حل له كل شىء كان حرم عليه» «۱».

و قد ظهرت مبادئه الهدامة على مسرح الكوفة، كما ظهر فى وقت كان الاضطراب السياسى فى أوجه و الدعوة العباسية تشق طريقها فى ثبات و نجاح فساعدته الظروف أن يجمع حوله من أبناء الكوفة تلاميذ يلقنهم تعاليمه، و يرسم لهم خطط الدعوة و التجمع و الظهور «۲» و لما بلغت بدعه و الحاده الامام الصادق (ع) تبرأ منه، و لعنه على رءوس الاشهاد لانه كان من أصحابه و أتباعه ثم ارتد بعد ذلك، و قد هرع عيسى الشلقانى الى الامام الصادق عليه السّلام يسأله عن رأيه فى هذا الملحد الخطير، فقال (ع):

«يا عيسى، ما منعك أن تلقى ابنى- يعنى الامام موسى- فتسأله عن جميع ما تريد؟».

فانعطف عيسى نحو الامام و كان آنذاك صبيا فى المكتب فلما رآه عليه السلام انبرى إليه مجيبا قبل أن يسأله قائلا له:

«يا عيسى، ان اللّه تبارك و تعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبدا، و أخذ ميثاق الوصيين على الوصية فلم يتحولوا عنها أبدا، و أعار قوما الايمان زمانا ثم سلبهم إياه، و إن أبا الخطاب ممن أعير الايمان

---

(۱) دعائم الاسلام: ص ۶۴.

(۲) حركات الشيعة: ص ۷۳.

تم سلبه إياه ..».

و أكبر عيسى جواب الامام فقام إليه و ضمه و قبل ما بين عينيه و انطلق يقول:

«بأبى أنت و أمى، ذرية بعضها من بعض، و اللّه سميع عليم!!».

ثم قفل راجعا الى الامام أبى عبد اللّه فاخبره بالعجب الذى رآه، من مواهب الامام موسى (ع) فقال له أبو عبد اللّه:

«يا عيسى: إن ابنى هذا لو سألته عما بين دفتى المصحف لأجابك فيه بعلم ..».

ثم إنه أمر باخراج ولده من المكتب، و فى ذلك الوقت أيقن عيسى بامامة موسى (ع) و انه ولى عهد أبيه و خليفته على الناس أجمعين «۱»، و من بوادر ذكائه المفرط أنه جاء الى أبيه فأجلسه فى حجره و كان معه لوح فقال له: يا بنى اكتب «تنح عن القبيح و لا ترده» فلما رسم ذلك قال له يا بنى اجزه، فاندفع فورا يقول: «و من أوليته حسنا فزده» ثم القى له الامام شطرا آخر يطلب منه اجازته و هو «ستلقى من عدوك كل كيد» فأجازه «إذا كاد العدو فلا تكده» و فرح الامام بمواهب ولده و عبقريته فضمه إليه و هو يبدى اعجابه به قائلا: (ذرية بعضها من بعض) «۲» و من آيات نبوغه فى طفولته ما حدث به صفوان الجمال، قال: سألت أبا عبد اللّه (ع) عن صاحب هذا الامر؟- أى عن الحجة من بعده- فقال لى:

(صاحب هذا الامر لا يلهو و لا يلعب) يقول صفوان: بينما يحدثنى عن ذلك، إذ أقبل أبو الحسن موسى

---

(۱) البحار: ۱۱/ ۲۳۷.

(۲) المناقب: ۲/ ۳۸۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۸

و هو صبى يافع و معه بهمة عناق «۱» و هو يخاطبها قائلا: اسجدى لربك فأخذه أبو عبد اللّه (ع) و ضمه إليه و هو يقول له:

(بأبى أنت و أمى من لا يلهو و لا يلعب!!) «۲».

نسوق هذه البوادر و هى تكشف جانبا كبيرا من نبوغه و ذكائه و كأنه بهذا الذكاء العجيب لم يمر فى مرحلة من مراحل الطفولة.

---

(۱) البهمة: الواحدة من أولاد الضان.

(۲) البحار: ۱۱/ ۲۳۶.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۶۹

فى جامعة الإمام الصّادق

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۱

و كان من أهم ما عنى به الاسلام فى رسالته المشرقة نشر الوعى الثقافى و اشاعة العلم بين الناس، و من أجل ذلك جعل طلب العلم فريضة دينية يتحتم على المسلمين القيام بها لتطوير حياتهم فى المجالات الاقتصادية و السياسية و جعلهم أمة صالحة تتوفر فيهم القيادة الرشيدة لشعوب العالم و أممه.

ان الاسلام يؤمن بالعلم، و يؤمن بمقدرته الخلاقة فى صنع الحضارة الانسانية، و انه لا يمكن للانسان أن يصل الى أهدافه السليمة فى بناء مجتمعه إلا على أساس من الوعى العلمى القائم على الفهم، و التعقل لحقائق الأمور و من ثمّ فقد جعل الاسلام التسلح بالعلم ضرورة فردية و اجتماعية.

و قد قام أئمة أهل البيت (ع) بدور إيجابى فى بعث الحركة العلمية و تطويرها فى دنيا العرب و الاسلام، بالرغم من المضايقات الشديدة التى كانوا يلاقونها من حكام عصورهم، و من أبرز الفعاليات التى بذلوها فى هذا السبيل تشكيل جامعة علمية تهدف الى بسط العلم بجميع أنواعه و تهدف الى تحرير افكار المسلمين من رواسب الجهل و الجمود، و نعرض فيما يلى الى بعض شئونها.

المؤسس الأول

و المؤسس الأول لهذه الجامعة العلمية الكبرى الامام امير المؤمنين الرائد الأول للعلم و التطور فى الاسلام، و قد جهد على نشر العلوم و تثقيف المسلمين و قد اتخذ جامع الكوفة مدرسة له، فكان يلقى من على منبره خطبه الذهبية الحافلة بعلم الاقتصاد و السياسة و الادارة و الفلسفة و الحكمة، و اصول التربية الواعية الهادفة الى اقامة حسن السلوك و الاخلاق، و قد خص اصحابه و حواريه بعلومه النيرة المستمدة من علوم النبى العظيم (ص) فقد أخذوا منه علم

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۲

الكلام و التوحيد و علم الفقه و الشريعة و التفسير، و علوم البلاغة و غيرها، و قد أمدوا العالم الاسلامى بمؤلفاتهم و تراثهم، فكان منهم عبد اللّه بن عباس حبر الامة، و المرجع الكبير لعلوم القرآن، و منهم أبو الأسود الدؤلى الاستاذ الاول فى علم النحو، و منهم أبو رافع الذى هو أول من صنف علم المغازى و السير فى الاسلام «۱» و هو صاحب كتاب السنن و الاحكام و القضاء «۲» و كانت الصحابة تكبر هذا الكتاب، و تعظمه «۳» الى كثير من أمثال هؤلاء العلماء الذين أضاءوا الحياة الفكرية فى الاسلام و قام الامام الحسن (ع) ريحانة الرسول و سبطه الاول بعد أبيه بتنمية تلك المؤسسة العلمية و رعايتها، و لكنها انتقلت من الكوفة الى يثرب بعد غدر أهل العراق به و قد اتخذ (ع) الجامع النبوى معهدا له فكان يلقى به محاضراته العلمية، و قد ذكر رواة الأثر بعض اعلام تلامذته و رواة حديثه و هم:

الحسن المثنى، و المسيب بن نجبة، و سويد بن غفلة، و العلا بن عبد الرحمن، و الشعبى، و هبيرة بن بركم، و الاصبغ بن نباتة، و جابر بن خلد، و أبو الجواز، و عيسى بن مأمون بن زرارة، و نفالة بن المأموم، و أبو يحيى عمير بن سعيد النخعى، و أبو مريم بن قيس الثقفى، و طحرب العجلى، و اسحاق بن يسار والد محمد بن اسحاق، و عبد الرحمن بن عوف و سفين بن الليل، و عمر بن قيس الكوفيون «۴».

و قد ازدهرت يثرب فى ذلك العصر فكانت من أخصب البلاد الاسلامية علما و أدبا و ثقافة.

و انبرى الامام الحسين (ع) بعد وفاة أخيه الى رعاية ذلك المعهد،

---

(۱) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (ص ۲۳۲).

(۲) اعيان الشيعة ۱/ القسم الثانى (ص ۳۴- ۳۵).

(۳) رجال النجاشى (ص ۵).

(۴) حياة الامام الحسن ۲/ ۲۸۰ نقلا عن تأريخ ابن عساكر.

و تغذية طلابه بأنواع العلوم إلا أنه لم يطل معهم العهد فقد ابتلى بطاغية زمانه يزيد بن معاوية، و امتحن به امتحانا عسيرا، فقد اعلن يزيد الكفر و الالحاد فرأى (ع) أن الواجب الدينى يحتم عليه أن يفدى دين جده بدمه الغالى، و أن يقدم الكواكب من ابنائه و أهل بيته ضحايا فى سبيل كلمة التوحيد و انقاذ المسلمين من جور الامويين و بطشهم، و قد سجل (ع) بذلك أروع تضحية فى سبيل الحق و المبدأ لم يشاهد التأريخ الانسانى أسمى و لا أنبل منها.

و بعد شهادة أبى الضيم انصرف الامام ولده على بن الحسين «۱» الى العبادة فكان يصوم نهاره، و ينفق ليله متعبدا حتى صار كالشن البالى من كثرة عبادته، بالاضافة الى الاحزان الموجعة التى تنتابه فى كل فترة من حياته على ما حل بأبيه من الرزايا و الخطوب، فكانت فاجعة كربلا ماثلة امامه، و هو غارق فى تيار من الآلام و الأحزان، و قد عد احد البكائين الخمس اللذين مثلوا الأسى و اللوعة فى دنيا الوجود، و مع هذه الآلام المبرحة التى لم تفارقه، فقد قام (ع) بدور مهم فى تزويد العلماء و الرواة بأحاديثه فى مختلف العلوم و الفنون فقد روى عنه اولاده محمد و زيد و عبد اللّه و أبو سلمة بن عبد الرحمن و طاوس بن كيسان، و أبو الزناد، و عاصم بن عمر بن قتادة، و عاصم بن عبيد اللّه، و القعقاع بن حكيم، و زيد بن اسلم و الحكم بن عتيبة، و حبيب بن أبى ثابت، و أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل، و مسلم البطين، و يحيى بن سعيد الانصارى، و هشام بن عروة

---

(۱) قال الزهرى: ما رأيت قرشيا افضل من على بن الحسين، و قال أيضا ما رأيت أحدا كان افقه منه، و قال ابن وهب عن مالك لم يكن فى أهل بيت رسول اللّه (ص) مثل على بن الحسين.

تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۵.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۴

و على بن زيد بن جدعان و آخرون «۱».

لقد روى عنه هؤلاء الرواة مختلف العلوم. و رووا عنه «الصحيفة السجادية» التى هى انجيل آل محمد (ص) و ذلك لما حوته من الثروات الفكرية المتميزة بوضع قواعد الاخلاق، و أصول الفضائل، و علوم التوحيد و غيرها.

و رووا عنه «رسالة الحقوق» التى هى أروع رسالة ألفت فى الاسلام فقد وضعت الاسس الخلاقة لحقوق الدولة على الشعب، و حقوق الشعب على الدولة، و حقوق المسلمين بعضهم على بعض، كما صاغت البرامج العامة لاصول التربية و انواع السلوك و آداب التعليم، و حقوق المعلم على المتعلمين الى غير ذلك من الحقوق التى لا غنى للناس عنها فى حياتهم الفردية و الاجتماعية.

و رووا عنه الحكم الصائبة و الآراء القيمة و الامثال السائرة، و بذلك فقد ساهم الامام فى بناء الحياة العلمية، و تطوير الحياة الفكرية فى الارض.

و قام الامام محمد الباقر (ع) «۲» بعد وفاة أبيه برعاية تلك المؤسسة الدينية و تزويد علمائها و طلابها بعلوم الاسلام و آدابه، و قد ازدهرت فى عصره معاهد العلم، و التف حوله العلماء ينتهلون من نمير علومه، و كان

---

(۱) تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۵.

(۲) لقب بالباقر لتبحره فى العلم، و قد لقبه بذلك النبى (ص) قبل أن يولد عليه السلام كما فى حديث جابر بن عبد اللّه الانصارى ان الرسول (ص) قال له: (يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدا لى من الحسين يقال له محمد يبقر العلم بقرا فاذا لقيته فاقرأه منى السلام) جاء ذلك فى الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ۱۹۳) و قريب منه جاء فى عيون الاخبار لابن قتيبة ۱/ ۲۱۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۵

المرجع الوحيد للعالم الاسلامى فى عصره لعلوم الشريعة، و فيه يقول مالك الجهنى:

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالا

و ان فاه فيه ابن بنت النبى تلقت يداه فروعا طوالا

نجوم تهلل للمدلجين فتهدى بأنوارهن الرجالا «۱» و كان علماء عصره يتصاغرون أمامه «۲» اعترافا منهم بسمو منزلته العلمية التى لا يدانيها أحد.

و روى عنه ثقاة الرواة طاقات كبيرة من فقه اهل البيت (ع) أمثال زرارة بن أعين الذى قال فيه الامام الصادق (ع): «لو لا زرارة لظننت أن أحاديث أبى ستذهب» «۳» و محمد بن مسلم، و قد سمع منه ثلاثين الف حديث «۴» و أبو بصير، و قد قال الامام الصادق فيه و فى اخوانه: «لو لا هؤلاء انقطعت آثار النبوة و اندرست» «۵» و عبد الملك بن أعين، و قد دعا له الامام الصادق، فقال اللهم ان أبا الضريس كنا عنده خيرتك من خلقك، فصيره فى ثقل محمد صلواتك عليه يوم القيامة» «۶» و روى عنه عمر بن دينار و هو من رجال الصحاح الستة، و الاعرج و الزهرى و ابو جهضم موسى بن سالم، و القاسم بن الفضل، و الاوزاعى، و ابن جريح، و الاعمش و شيبة بن نصاح، و عبد اللّه بن أبى بكر، و عمر بن حزم، و عبد اللّه

---

(۱) الاتحاف بحب الاشراف ص ۵۲.

(۲) مرآة الجنان ۱/ ۲۴۸.

(۳) رجال الكشى ص ۸۸.

(۴) رجال الكشى ص ۱۱۲.

(۵) رجال الكشى ص ۱۱۳.

(۶) رجال الكشى ص ۱۱۷.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۶

ابن عطاء، و بسام الصيرفى، و حرب بن سريج، و حجاج بن أرطاة، و محمد بن سوقة، و مكحول بن راشد، و معمر بن بسام «۱» و غيرهم، و قد ازدهرت الحياة العلمية، و نمت فى دوره جامعة أهل البيت (ع) التى أمدت العالم الاسلامى بجميع مقومات النهضة الفكرية.

فى عهد الامام الصادق

و فجّر الامام الصادق (ع) ينابيع العلم و الحكمة فى الارض، و فتح للناس أبوابا من العلوم لم يعهدوها من قبل، و قد ملأ الدنيا بعلمه- كما قال الجاحظ- «۲» و نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر صيته فى جميع البلدان- كما أدلى بذلك ابن حجر- «۳».

و من أبرز الفعاليات التى بذلها الامام فى نشر العلم و اشاعته بين الناس تنميته لجامعة أهل البيت، و مدها بعناصر الحياة و البقاء، و نظرا لدوره الايجابى فى اتساعها و انطلاقها من مستوى خاص الى مستوى عال بلغت به القمة من بين المعاهد و الجامعات العلمية فى جميع العصور، و لهذا فقد نسبت إليه، و أضيفت له.

لقد عملت جامعة الامام الصادق على ايقاظ الفكر البشرى، و بلورة العقلية الاسلامية، و تطوير المجتمع الانسانى، و قد انتجت صفوة العلماء، و قادة المفكرين و الملهمين، و قد جهدوا على نشر العلم بجميع أنواعه، و ببركة جهودهم نضجت الحياة الفكرية فى ذلك العصر، و استحق أن يمنح و سام

---

(۱) تهذيب التهذيب ۹/ ۳۵۰.

(۲) رسائل الجاحظ للسندوبى ص ۱۰۶.

(۳) الصواعق المحرقة ص ۱۲۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۷

العصر الذهبى فى الاسلام.

و أدلى بعض الباحثين عن مدرسة الامام بما نصه:

«و الحقيقة ان مدرسة الامام جعفر الصادق الفكرية قد انجبت خيرة المفكرين، و صفوة الفلاسفة، و جهابذة العلماء، و اذا كانت هناك حقيقة يجب أن تقال فهى: أن الحضارة الاسلامية و الفكر العربى مدينان لهذه المدرسة الفكرية بالتطور و الرقى و الخلود، و لعميدها الصادق بالمجد العلمى و التراث الثمين».

لقد عملت مدرسة الامام على الانطلاق الفكرى، و نشر الوعى العلمى و قد جندت جمهرة كبيرة من العلماء للقيام بتثقيف المسلمين، و تهذيبهم، و تقديمهم فى الميادين العلمية، و فيما يلى عرض موجز لشؤون هذا المعهد الكبير فى عهد الامام الصادق (ع).

عوامل النمو و الازدهار

أما العوامل التى أدت الى نمو مدرسة الامام الصادق و انطلاقها- ففيما نحسب- هى ما يلى:

۱- إن العالم الاسلامى فى عهد الامام الصادق (ع) كان يرزح بالفتن و الاضطراب، و يموج بالأهواء الفاسدة و النزعات الخاصة، قد سادت فيه الأحزاب التى أدت الى تفكك المجتمع، و تفلل قطعاته، قد اشتعلت نار الحرب فى جميع حواظره و أقاليمه، و ذلك بسبب انهيار الامبراطورية الأموية و قيام الدولة العباسية و قد انصرف المسلمون بسبب تلك الأحداث الجسام عن العلوم و المعارف و اتجهوا الى تلك الأحداث الرهيبة فهم ما بين مؤيد للعهد المباد و بين مؤيد للحكم الجديد، و قد انشغلوا بالدفاع عن افكارهم

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۸

السياسية عن طلب العلم و التوجيه الدينى.

و اغتنم الامام هذه الفرصة السانحة فانبرى يعمل مجدا فى نشر الثقافة الاسلامية التى هى جزء من رسالة الاسلام، و قد وجد المسلمون من جديد الفرصة للرجوع الى ظلال الاسلام الذى جعل طلب العلم فريضة من فرائض الدين، و وجدوا فى حفيد الرسول الأعظم القائد الموجه لبناء كيانهم الحضارى و العلمى، فاقبلوا على مدرسته ينتهلون من نميرها.

۲- ان الامام الصادق (ع) كان بمعزل عن التدخل فى أى شأن من شئون الدولة الأموية و العباسية، فلم يباشر عملا ايجابيا يصطدم بأهداف احدى الدولتين، أو يمس الوتر الحساس من اهدافهم السياسية، فقد كان بمعزل عن الجميع، و قد أحبوه و تطلبوا رضاءه، و لم تراقبه السلطة المحلية أو تضيق عليه، و تمنعه من نشر علومه، و قد وجد المجال أمامه فسيحا لفتح أبواب مدرسته و تغذية طلابه بسائر الوان العلوم و المعارف، و قد سارع كبار العلماء و المحدثين و الرواة الى الانتماء لمعهده، و قد وجد (ع) بهم خير عون لأداء رسالته الاصلاحية الخالدة التى بلورة عقلية المجتمع الاسلامى، و أنقذته من رواسب الجهل و الجمود.

۳- و كان من عوامل النمو لهذا المعهد الكبير أن الامام الصادق (ع)، هو الذى كان يتولى ادارة شئون هذا المعهد، و يقوم برعايته، و قد أجمع المسلمون على اختلاف طوائفهم و نزعاتهم أنه من ألمع أئمة المسلمين فى علمه و فقهه و مواهبه، و من الطبيعى ان لشخصية العميد الأثر التام فى نجاح المدرسة و ازدهارها، و بذلك فقد توفرت جميع العوامل الحساسة لنجاح مدرسة الامام و نموها.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۷۹

المركز العام

و اختار الامام يثرب دار الهجرة، و مهبط الوحى فجعل فيها معهده الكبير و مدرسته العظمى، و بفضل جهوده و مساعيه كانت يثرب حاظرة من حواظر العلم فى الاسلام، و معهدا من معاهد العلوم.

أما محل التدريس فكان- بالطبع- الجامع النبوى فيه كان الامام يلقى محاضراته و دروسه التى خاض بها جميع الفنون، و فى بعض الاحيان كان يلقى دروسه فى بهو بيته، و قد ازدهرت يثرب بطلابه و استعادت نشاطها و مكانتها فى توجيه المجتمع الاسلامى.

البعثات العلمية

و لما فتح الامام أبواب مدرسته أسرع الى الانتهاء إليها جميع رواد الفضيلة و العلم من شتى الاقطار الاسلامية، و ذلك للانتهال من علوم الامام و تهذيب نفوسهم بأحكام الدين، و تعاليمه، و مضافا لذلك فان الانتماء لمدرسة أهل البيت من موجبات الشرف و الفخر عند المسلمين، و تحدث الاستاذ السيد عبد العزيز الأهل عن البعثات العلمية التى التحقت بمدرسة الامام (ع) فقال:

«و أرسلت الكوفة. و البصرة، و واسط، و الحجاز، الى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها من كل قبيلة، من بنى أسد، و من غنى، و مخارق، وطى، و سليم، و غطفان، و غفار، و الأزد، و خزاعة، و خثعم و مخزوم، و بنى ضبة، و من قريش، و لا سيما بنى الحارث بن عبد المطلب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۰

و بنى الحسن بن على .. و رحل جمهور من الأحرار، و ابناء الموالى من أعيان هذه الأمة من العرب، و فارس، و لا سيما مدينة قم ..» «۱».

لقد اشتركت البلاد الاسلامية فى ارسال ابنائها و أفلاذ اكبادها الى مدرسة الامام للانتهال من نمير علومه، و اخذ احكام الدين من حفيد النبى العظيم (ص)، و قد حقق المجتمع الاسلامى بذلك نصرا رائعا فى تأييد الحركة العلمية، و المساهمة فى بناء كيانها.

عدد طلابها

و لما فتحت مدرسة الامام أبوابها لجميع ابناء المسلمين بادر جمهور غفير من رواد العلم الى الالتحاق بها فكان عددهم فيما ذكر الرواة اربعة اربعة آلاف طالب «۲» و هو عدد ضخم لم يعهد له نظير فى أى معهد علمى فى ذلك العصر، و كان فيهم من كبار العلماء و المحدثين الذين اصبح بعضهم أئمة و رؤساء لبعض المذاهب الاسلامية، و قد نقلوا عن الامام من العلوم و المعارف ما سارت به الركبان، و انتشر ذكره فى جميع البلدان» «۳».

و قد صنف الحافظ ابو العباس بن عقدة الهمدانى الكوفى كتابا فى اسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام الصادق فذكر ترجمة اربعة آلاف راو منهم «۴» و قال المحقق فى (المعتبر): و فى زمانه انتشر عنه- اى عن الامام الصادق- من العلوم الجمة ما بهر به العقول، و روى عنه جماعة

---

(۱) جعفر بن محمد ص ۵۹.

(۲) الارشاد، اعلام الورى، المعتبر، الأنوار، الذكرى.

(۳) الصواعق المحرقة ص ۱۲۰.

(۴) تاريخ الكوفة ص ۴۰.

من الرجال ما يقارب اربعة آلاف رجل، و قال السيد محمد صادق نشأة:

«كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء، الكبار فى الحديث و التفسير و الحكمة و الكلام فكان يحضر مجلس درسه فى اغلب الأوقات الفان و بعض الاحيان اربعة آلاف من العلماء المشهورين، و قد الف تلاميذه من جميع الأحاديث و الدروس التى كانوا يتلقونها فى مجلسه مجموعة من الكتب تعد بمثابة دائرة علمية للمذهب الشيعى أو الجعفرى ..» «۱»

و قد اتسعت بذلك الحركة العلمية فى ذلك العصر، و امتدت موجاتها الى العصور الصاعدة و هى تبث النور و الهدى و الصلاح لجميع المسلمين.

فروعها:

و قفل راجعا الى وطنه اغلب من تخرج من مدرسة الامام و ظفر بثروة علمية، و حينما استقروا فى أوطانهم قاموا بدور مهم فى بسط الثقافة الاسلامية و تأسيس المعاهد العلمية و الاندية الدينية التى عملت على تهذيب النفوس و رفع مستوى الاخلاق، و اعظم تلك المعاهد التى أسست هو المعهد الدينى الكبير الذى أقيم فى جامع الكوفة فقد التحق به من كبار المتخرجين من مدرسة الامام تسعمائة عالم كما حدثنا بذلك الحسن بن على الوشاء «۲» قال: أدركت فى

---

(۱) الإمام الصادق و المذاهب الأربعة ۱/ ۶۲.

(۲) الحسن بن على بن زياد الوشاء بجلى كوفى، كان من وجوه هذه الطائفة و من عيونها اختص بالامام الرضا عليه السلام، وعد من خلص أصحابه، ألف عدة كتب منها كتاب (ثواب الحج) و (المناسك) و (النوادر) و (مسائل الرضا) و غيرها جاء ذلك فى التعليقات (ص ۱۰۳)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۲

هذا المسجد- يعنى مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كل يقول حدثنى جعفر ابن محمد» «۱» و بذلك فقد اتسعت الحركة العلمية اتساعا هائلا حتى شملت جميع المناطق الاسلامية، و قد أدلى بذلك الاستاذ السيد مير على الهندى بقوله:

(و لا مشاحة ان انتشار العلم فى ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة فى كل حاضرة من حواضر العالم الاسلامى و لا- يفوتنا أن نشير الى أن الذى تزعم تلك الحركة هو حفيد (على بن أبى طالب) المسمى بالامام (جعفر) و الملقب (بالصادق) و هو رجل رحب أفق التفكير، بعيد أغوار العقل، ملمّ كل الإلمام بعلوم عصره، و يعتبر فى الواقع أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة فى الاسلام، و لم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسى المذاهب فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة و المتفلسفون من الانحاء القاصية ..» «۲».

و قد انتهلت من نمير علومه كثير من الاسر العلمية فى الكوفة و عرفت بعد ذلك بالفقه و الحديث كبيت آل حيان التغلبى، و آل أعين، و بنى عطية و بيت بنى دراج و غيرهم من الأسر العلمية «۳» و قد احتفت به هذه الأسر اثناء اقامته بالكوفة أيام السفاح و قد استقر بقاؤه فيها سنتين، و كان منزله فى بنى عبد القيس، و قد ازدحمت عليه الشيعة تستفتيه، و تسأله عن احكام دينها، و يحدثنا محمد بن معروف الهلالى عن كثرة زحام الناس و اقبالهم عليه قال:

«مضيت الى الحيرة الى (جعفر بن محمد) فما كان لى فيه حيلة من

---

(۱) المجالس السنية (ج ۵ ص ۲۸).

(۲) جعفر بن محمد ص ۵۹.

(۳) تأريخ الكوفة ص ۴۰۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۳

كثرة الناس فلما كان اليوم الرابع رآنى فأدنانى، و تفرق الناس عنه، و مضى يريد قبر امير المؤمنين (ع) فتبعته، و كنت اسمع كلامه و أنا معه أمشى ..»

و على أى حال فان مدرسة الامام و سائر المنظمات العلمية التى تفرعت منها قد أقامت صروح العلم و الفضيلة فى العالم الاسلامى.

الأخصائيون من طلابه

و تخصص الكثيرون من طلاب الامام فى جملة من العلوم و الفنون فقد تخصص فى الفلسفة و علم الكلام و مباحث الامامة هشام بن الحكم، و هشام ابن سالم، و مؤمن الطاق، و محمد بن عبد اللّه الطيار، و قيس الماصر، و غيرهم و تخصص فى علم الفقه و اصوله و التفسير و سائر العلوم الدينية زرارة بن أعين و محمد بن مسلم، و جميل بن دراج، و بريد بن معاوية، و إسحاق بن عمار، و عبيد اللّه الحلبى و ابو بصير، و أبان بن تغلب، و الفضيل بن يسار.

و ابو حنيفة، و مالك بن أنس، و محمد بن الحسن الشيبانى، و سفيان بن عيينة و يحيى بن سعيد، و سفيان الثورى، و أمثالهم، و تخصص فى علم الكيمياء جابر بن حيان الكوفى و هو أشهر كيمياوى فى العالم العربى- كما قال فانديك- و تخصص فى حكمة الوجود و أسرار الخليقة المفضل بن عمر، كما تناول فى كتابه الذى أملاه عليه الامام الصادق اغلب أبواب علم الطب فقد خاض فيه

وظائف الاعضاء، و دوران الدورة الدموية، و الجراثيم المسببة للامراض و تشريح الانسان، و غيرها.

ان جامعة الامام الصادق (ع) بكل اعتزاز و فخر قد سبقت المعاهد العلمية فى تأسيس الاختصاص بالدراسات العلمية.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۴

تدوين العلوم

و حث الامام الصادق طلابه على تدوين دروسه و محاضراته التى تناولت اغلب العلوم و الفنون، و ذلك خوفا عليها من الاضطراب و الضياع، و قد أكد الدعوة على هذه الجهة فى غير موطن. حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۸۴ تدوين العلوم ..... ص : ۸۴ ى أبو بصير قال: دخلت على أبى عبد اللّه فقال: «ما يمنعكم من الكتابة؟! إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا، إنه خرج من عندى رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها».

و روى أبو بصير قال: سمعت أبا عبد اللّه يقول: «اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا».

قال عاصم: «سمعت أبا بصير يقول: قال أبو عبد اللّه الصادق (ع) «اكتبوا فانكم لا تحفظون الا بالكتابة» «۱».

و قد استجاب طلابه الى هذه الدعوة النيرة التى تحمل فى اعماقها انارة الفكر الانسانى، و اشاعة العلم و بسطه بين الناس، و قد اقبل اصحابه على تدوين العلوم، فقد الف أبان بن تغلب.

۱- كتاب معانى القرآن ۲- كتاب القراءات «۲» ۳- كتاب الفضائل ۴- الاصول فى الرواية ۵- غريب القرآن

---

(۱) وسائل الشيعة، كتاب الشهادات: الباب الثامن.

(۲) فهرست ابن النديم: ص ۳۰۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۵

و ألف محمد بن على البجلى الكوفى الشهير بمؤمن الطاق ما يلى:

۱- كتاب الامامة ۲- كتاب المعرفة ۳- كتاب اثبات الوصية ۴- كتاب الرد على المعتزلة فى امامة المفضول ۵- كتاب فى أمر طلحة و الزبير و عائشة ۶- كتاب افعل، لا تفعل ۷- المناظرة مع أبى حنيفة «۱» و ألف هشام بن الحكم أبو محمد البغدادى فى مختلف العلوم و الفنون و ذكر ابن النديم له سبعة عشر مؤلفا نذكرها فى ترجمته عند عرض اصحاب الامام موسى (ع).

و ألف المفضل بن عمر كتاب (التوحيد) و هو من أجل الكتب الاسلامية فقد عرض فيه الى خلق الانسان و تكوينه و ما فى اعضائه من الاسرار و الغرائب كما عرض فيه الى كثير من البحوث الطبية «۲».

و ألف جابر بن حيان كتابا فى علم الكيمياء يقع فى الف ورقة تضمنت رسائل الامام التى بلغت خمسمائة رسالة «۳» و كانت هذه الرسائل مصدرا خصبا لعلم الكيمياء، و استفاد منها علماء هذا الفن فائدة كبرى، و قد أثنى على جابر و اكبر مجهوده جميع رجال العلم من المسلمين و المستشرقين و فيما يلى

---

(۱) فهرست ابن النديم: ۲۵۰، فهرست الشيخ الطوسى: ۱۲۱

(۲) علق عليه و شرحه شرحا وافيا صديقنا المغفور له الشيخ محمد الخليلى، و قد كشف ما فيه من العلوم و الاسرار و البحوث الطبية التى تتفق مع العلم الحديث و قد اسماه «أمالى الامام الصادق» يقع فى جزءين.

(۳) الاعلام ۱/ ۱۸۶ الطبعة الأولى، مرآة الجنان ۱/ ۳۰۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۶

كلمة رائعة للاستاذ عبد الرحمن بدوى أبدى اعجابه و اكباره بشخصية جابر التى هى إحدى شموع تلك المدرسة، و هذا نصها:

«لن يستطيع الباحث فى تأريخ الفكر الاسلامى أن يجد شخصية أعرب و أخصب من شخصية جابر بن حيان، فهى شخصية أمعنت فى الغموض، و اكتنفها السر حتى كادت ان تكون اسطورة، و تسامت فى التفكير حتى ليقف المرء اليوم ذاهلا- أمام ما تقدمه لنا من نظرات علمية فلسفية كلها عمق و كلها حياة، و أمام هذه الروح العامة التى تسودها روح التنوير و النزعة الانسانية التى تصبو الى اكتناه كل الأسرار، و تشعر بما يشيع فيها من قوى إلهية مبدعة فترتفع بالانسان الى مقام الألوهية، و يحدوها الأمل فى التقدم المستمر الوثاب للانسانية فى تطورها، و شخصية هذا حظها الروحى ستظل حية باستمرار لأنها من النماذج الحية أبدا للانسان السالك سبيله قدما نحو تحقيق (الصورة) العليا على الأرض، و لن يستطيع البحث العلمى و الفيلولوچى و الحضارى أن يفرغ منها فراغا تاما مهما أنفق من جهد فى هذا السبيل بل ستمضى فى البعد كلما توغل فى الطريق إليها، و سيزداد مقدارها كلما تلمس المرء نواحيها، و نحن اليوم أبعد ما نكون عن إدراكها إجمالا فضلا عن الاحاطة بخطوطها الرئيسية، و تياراتها التوجيهية ..» «۱».

و جابر بن حيان من أقطاب جامعة الامام، و من أعلامها النابهين الذين يعدون بحق من المؤسسين للحركة الثقافية فى العالم الاسلامى و غيره.

و هناك جمع غفير من نوابغ تلاميذ الامام ألفوا فى مختلف العلوم كزرارة و أبى بصير و اسماعيل بن أبى خالد و غيرهم، و قد ترجم فقيد الاسلام الشيخ آغا بزرگ نضّر اللّه مثواه فى «الذريعة» «۲» مأتى رجل

---

(۱) الالحاد فى الاسلام ص ۱۸۹.

(۲) الذريعة ۶/ ۳۰۱- ۳۷۴.

من مصنفى تلامذة الامام الصادق، و كانت تلك المؤلفات الضخمة دائرة معارف واسعة، و أصبحت مصدرا للمذهب الشيعى، و دليلا على مدى ثروته العلمية و الفكرية.

اعتزاز و افتخار

و اعتز تلاميذ الامام بالحضور فى مجلس درسه، و فخروا بذلك كثيرا و جعلوا الانتماء لمدرسته من المآثر التى تؤهلهم الى المراكز العليا فى المجتمع الاسلامى، و ممن فخر بذلك أبو حنيفة فقد قال:

«لو لا السنتان لهلك النعمان» «۱».

لقد اعتز أبو حنيفة بالأيام التى حضر فيها درس الامام، و جعلها من أفضل أدوار حياته العلمية، و تحدث مالك بن أنس عن استاذه الامام فقد قال فيه:

«ما رأت عين، و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق (ع) علما و عبادة و ورعا ..» «۲».

و تحدث عنه مرة أخرى فقال:

«لقد كنت أرى جعفر بن محمد، و كان كثير التبسم، فاذا ذكر عنده النبى (ص) اصفر لونه، و ما رأيته يحدث عن رسول اللّه (ص) الا على طهارة، و لقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال: إما مصليا، و إما صامتا، و إما يقرأ القرآن، و لا يتكلم بما لا

---

(۱) الأعلام ۱/ ۱۸۶، التحفة الاثنى عشرية ص ۸.

(۲) التوسل و الوسيلة ص ۵۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۸

يعينه. و كان من العلماء و العباد الذين يخشون اللّه ..» «۱».

ان من الحق أن يعتز أبو حنيفة و مالك و أمثالهما بالانتماء لمدرسة الامام و بالحضور فى مجلس أبحاثه، فانه (ع) المنبع الاصيل للعلوم التى ورثها من آبائه و من جده الرسول العظيم الذى فجر ينابيع العلم و الحكمة فى الارض.

طابعها الخاص

إن جامعة الامام الصادق (ع) كان لها طابع خاص انفردت به عن بقية المؤسسات و هو الاستقلال الذاتى المتميز بعدم الارتباط بأى جهاز رسمى، فلم يكتب للسلطة أن تستخدمها فى أى غرض من أغراضها السياسية إذ لم يكن لها أى سلطان عليها، فقد كانت تتمتع بالحرية الواسعة سواء فى مناهجها التعليمية أو فى مجالاتها الفكرية، و لم تتلق من السلطة الحاكمة أى دعم اقتصادى أو مادى، و انما كانت منفصلة عنها، و مبتعدة فى سلوكها عن جميع المؤثرات الخارجية، فهى تسير بوحى من الروح الاسلامية المشرقة، و تسلك فى طريق واضح بعيد عن الالتواء و الانحراف هدفها خدمة الأمة، و رائدها الحق.

و حاول المنصور أن يجلب الامام الصادق، و يكتسب وده و ثقة تلامذته و شيعته فكتب إليه:

«لم لا تخشانا كما يخشانا سائر الناس؟!».

فأجابه الامام عن خطته و سلوكه قائلا:

«ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، و ليس عندك من الآخرة ما نرجوك له ..».

---

(۱) التوسل و الوسيلة ص ۵۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۸۹

لم يكن عند الامام أى شىء من حطام الدنيا حتى يخاف عليه من سلطان المنصور، و ليس عند المنصور من متع الآخرة حتى يرجوه و يتصل به، و سلك المنصور طريقا آخر فكتب الى الامام:

«إنك تصحبنا لتنصحنا».

فأجابه الامام:

«من أراد الآخرة فلا يصحبك، و من أراد الدنيا فلا ينصحك ..»

و بهذا المنطق الحافل بجميع مقومات الحق اعرب الامام عن سلوكه فى الابتعاد عن السلطة و عدم التعاون معها، و تحدث الاستاذ أسد حيدر عن هذا الطابع النير الذى امتازت به مدرسة الامام بقوله:

«كان طابع مدرسة الامام الصادق الذى طبعت عليه، و منهجها الذى اختصت به- من بين المدارس الاسلامية- هو استقلالها الروحى، و عدم خضوعها لنظام السلطة، و لم تفسح المجال لولاة الأمر أن يتدخلوا فى شئونها، أو تكون لهم يد فى توجيهها و تطبيق نظامها، لذلك لم يتسنّ لذوى السلطة استخدامها فى مصالحهم الخاصة، أو تتعاون فى شئون الدولة و من المستحيل ذلك- و ان بذلوا جهدهم فى تحقيقه- فهى لا تزال منذ نشأتها الأولى تحارب الظالمين، و لا تركن إليهم، كما لا تربطها و إياهم روابط الالفة، و لم يحصل بينها و بينهم انسجام، و بهذا النهج الذى سارت عليه، و الطابع الذى اختصت به، أصبحت عرضة للخطر فكان النزاع بينها و بين الدولة يشتد، و العداء يتضخم، فلا الدولة تستطيع التنازل لمنهج المدرسة فتكسب ودها، و تسعد بمعاونتها، و لا المدرسة فى امكانها أن تتنازل لارادة الدولة، فتؤازرها، و تسير بخدمتها، و تتعاون معها، و كيف يكون ذلك؟ و هى منذ نشأتها الأولى ترتبط بالثقلين كتاب اللّه، و عترة رسوله، و هما متلازمان متكاتفان لن يفترقا فى أداء واجبهما لارشاد الأمة و هدايتها،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۰

فالقرآن ينهى عن معاونة الظالمين، و الركون إليهم «و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون اللّه من أولياء ثم لا تنصرون» «۱» و سارت على هذا المنهج المشرق جميع المؤسسات العلمية التى تخضع فى مناهجها و سلوكها لمدرسة الامام (ع) كجامعة النجف الاشرف، و جامعة قم فان كلا منهما يسيران على وفق الأهداف الاصلية التى اعلنها الامام الصادق و اتخذها شعارا و منهجا لمدرسته من عدم الارتباط و التعاون مع السلطات الحاكمة.

فزع السلطة:

و فزعت السلطات الحاكمة من مدرسة الامام، و هالها اتساع نطاقها، و كثرة المنتمين إليها و هم يحملون علوم الامام، و يحدثون الناس عنها، و ينشرون فضائله، و مناقب أهل البيت (ع) و قد أقض ذلك مضاجع المنصور و خشى على مصالحه السياسية، و خاف أن يفتتن الناس به- على حد قوله- فعهد الى أبى حنيفة أن يسأل الامام بأعقد المسائل و اكثرها غموضا، و لنترك أبا حنيفة يحدثنا عن ذلك قال أبو حنيفة:

(ما رأيت افقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث الى فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد، فيهأت له أربعين مسألة، ثم بعث الى جعفر و هو بالحيرة فأحضره فدخلت عليه، و جعفر بن محمد عن يمينه، فلما بصرت به دخلتنى من الهيبة لجعفر

---

(۱) الامام الصادق و المذاهب الأربعة ۳/ ۱۵.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۱

ما لم يدخلنى لأبى جعفر المنصور فسلمت عليه، و أومأ فجلست ثم التفت إليه قائلا:

«يا أبا عبد اللّه هذا أبو حنيفة؟» قال (ع): نعم أعرفه ثم التفت إلى المنصور، و قال يا أبا حنيفة: القى على أبى عبد اللّه مسائلك فجعلت القى عليه، فيجيبنى، فيقول: أنتم تقولون: كذا، و أهل المدينة يقولون: كذا، و نحن نقول: كذا، فربما تابعنا، و ربما خالفنا، حتى أتيت على الاربعين مسألة ما أخل منها بمسألة واحدة ..» «۱».

و دلت هذه البادرة على مدى حنق السلطة و حقدها، و حذرها من الامام كما دلت على مدى المقدرة العلمية الهائلة التى كان يتمتع بها الامام.

و قد عمد المنصور الى مكافحة مدرسة الامام، و التقليل من أهميتها، و عزل الإمام عن الأمة، فوجه نظره إلى مالك بن أنس، و أحاطه بكثير من التبجيل و التكريم ليجعله قبال الامام، و مرجعا للامة، و عهد إليه بوضع كتاب يحمل الناس بالقسر على العمل به، و امتنع مالك من اجابته الا انه اجبره على ذلك، و قال له: ضعه فما احد اليوم أعلم منك «۲» فوضع مالك الموطأ، و أمر الرشيد عامله على المدينة أن لا يقطع أمرا دون مالك، و كان الرشيد يجلس على الأرض لاستماع حديثه «۳».

و التزمت الدولة مالك، و سخرت جميع أجهزتها الدعائية لنشر مذهبه و حمل الناس عليه، كل ذلك لصرف الناس عن مذهب أهل البيت الذى علا أمره بسبب الامام جعفر الصادق (ع).

---

(۱) تذكرة الحفاظ للذهبى.

(۲) شرح الموطأ للزرقانى ۱/ ۸.

(۳) مناقب مالك للزاوى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۲

كما بالغ الرشيد فى تعظيم ابى يوسف و اكرامه لأنه تلميذ أبى حنيفة و ناشر مذهبه، و قد بلغ من مكانته عند الرشيد أنه ولاه منصب رئاسة القضاء، و لم يقلد ببلاد العراق و خراسان و الشام و مصر قاضيا الا باشارة أبى يوسف و أمره «۱» و قال له الرشيد:

«يا أبا يعقوب لو جاز لى ادخالك فى نسبى و مشاركتك فى الخلافة المفضية إلى لكنت حقيقا به» «۲».

و هكذا اخذت السلطة العباسية تسعى جاهدة الى تأسيس بعض المذاهب الاسلامية و اضفاء التكريم، و العناية البالغة على أصحابها، و ارغام الأمة على الأخذ بآرائها، و العمل بما تفتى به كل ذلك لصرف المسلمين عن مدرسة أهل البيت و مذهبهم، و قد فتح المنصور أبواب هذا الاضطهاد الفكرى، و سار من بعده ملوك بنى العباس يقتفون أثره فى اخماد الوعى الدينى المستمد من رسالة أهل البيت.

المناهج التعليمية:

اشارة

و تناولت محاضرات الامام و بحوثه القيمة جميع الفنون العلمية من النقلية و العقلية، و مذاهب الكلام، و الوان الآداب، و ضروب الثقافة العالية كعلم الفقه و الحديث، و علوم القرآن الكريم، و الطب، و الكيمياء، و النبات، و غيرها من العلوم التى لها الاثر التام فى التقدم الاجتماعى، و من أبرز العلوم التى تناولها الامام بالبسط و التحليل الفقه الاسلامى بجميع ابوابه من العبادات و المعاملات و العقود و الايقاعات.

---

(۱) خطط المقريزى ۴/ ۱۴۴.

(۲) المكافأة لابن الداية ص ۶۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۳

و لم يقتصر الامام فى بحوثه على الناحية العلمية فقد توسع فى محاضراته الى نشر الآداب الاجتماعية، و مكارم الأخلاق، و آداب السلوك و غيرها، و فيما يلى عرض موجز لبعضها:

مكارم الاخلاق

كان عليه السلام يحث أصحابه و شيعته على التحلى بمكارم الاخلاق و محاسن الافعال ليكونوا قدوة صالحة الى المجتمع، و قد صدرت منه بهذا الصدد وصايا منها وصيته الى ولده الامام موسى، و قد جاء فيها:

«يا بنى؟ إنه من رضى بما قسم له استغنى، و من مد يمينه الى ما فى يد غيره مات فقيرا، و من لم يرض بما قسمه اللّه له اتهم اللّه فى قضائه، و من استصغر زلة نفسه استكبر زلة غيره.

يا بنى: من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، و من سل سيف البغى قتل به، و من احتفر لأخيه بئرا سقط فيها، و من داخل السفهاء حقر، و من خالط العلماء وقر، و من دخل مداخل السوء أتهم.

يا بنى، إياك أن تزدرى بالرجال فيزدرى بك، و إياك و الدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك.

يا بنى: قل الحق لك أو عليك.

يا بنى: كن لكتاب اللّه تاليا، و للسلام فاشيا، و بالمعروف آمرا و عن المنكر ناهيا، و لمن قطعك واصلا، و لمن سكت عنك مبتدئا، و لمن سألك معطيا، و إياك و النميمة فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال، و إياك و التعرض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب

الناس بمنزلة الهدف.

يا بنى: إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فان للجود معادنا و للمعادن

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۴

أصلا، و للاصول فروعا، و للفرع ثمرا، و لا يطيب ثمر الا بفرع، و لا فرع الا بأصل و لا أصل ثابت الا بمعدن طيب.

يا بنى: إذا زرت فزر الاخيار، و لا تزر الفجار فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها و شجرة لا يخضر ورقها، و أرض لا يطيب عشبها ..» «۱»

و قد حفلت هذه الوصية بأعمال الخير، و ألمت بمكارم الاخلاق، و احتوت على اسس الفضائل و الآداب، و كان عليه السلام- متصلا- يزود ابناءه و أصحابه بمثل هذه النصائح القيمة و الدروس النافعة ليكونوا دعاة للاصلاح و الرشاد، و وجه (ع) رسالة الى بعض أصحابه أمرهم فيها بمكارم الأخلاق و محاسن الاعمال و قد جاء فيها:

«عليكم بحب المساكين المسلمين، فان من حقرهم و تكبر عليهم فقد زل عن دين اللّه، و اعلموا أن من حقر أحدا من المسلمين القى اللّه عليه المقت فاتقوا اللّه فى اخوانكم فان لهم عليكم حقا أن تحبوهم، فان اللّه أمر نبيه بحبهم فمن لم يحب من أمر اللّه بحبه فقد عصى اللّه و رسوله، و من عصى اللّه و رسوله و مات على ذلك مات من الغاوين.

إياكم ان يبغى بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين، فانه من بغى صير اللّه بغيه على نفسه، و صارت نصرة اللّه لمن بغى عليه و من نصره اللّه غلب، و أصاب الظفر من اللّه.

إياكم أن يحسد بعضكم بعضا فان الكفر أصله الحسد.

إياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم، يدعو اللّه عليكم، و يستجاب له فيكم، فان أبانا رسول اللّه (ص) قال: ان دعوة المظلوم مستجابة.

إياكم أن تشره نفوسكم إلى شىء مما حرم اللّه عليكم فان من انتهك ما حرم اللّه عليه حال اللّه

---

(۱) الامام جعفر الصادق: ص ۷۹- ۸۰، و قريب منه جاء فى حلية الأولياء (ج ۳ ص ۱۳۵).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۵

بينه و بين الجنة ..» «۱».

لقد دعى (ع) أصحابه بهذه الوصية الى عمل الخير و الأخذ بالقيم الرفيعة التى تبعد الانسان عن الشر، و توجهه نحو الكمال، و قد ورد منه بمثل هذا الشىء الكثير و هو يحفز فيه أصحابه الى التحلى بمكارم الاخلاق و محاسن الأعمال.

العدل:

لا شك أن العدل هو العرق النابض فى جسم المجتمع، و عليه تبتنى الحياة و تقام دعائم الأمن و الاستقرار فى الأرض، و قد حاضر فيه الامام فوصفه بأروع معنى، و أوجز لفظ فقال:

«العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن».

و قال: «ما أوسع العدل و إن قل ..».

و قال: «اتقوا اللّه و اعدلوا فانكم تعيبون على قوم لا يعدلون ..»

إن العدل هو الهدف الأسمى لجميع الشعوب الحرة التى ناضلت كثيرا و جاهدت طويلا فى سبيل تحقيقه، و هو من الأهداف الرئيسية التى عملت على تدعيمها و نشرها مدرسة الامام فى المجتمع الاسلامى.

إيثار الحق:

كان الامام- دوما- يشيد بالحق إذ هو ظل اللّه فى الأرض، و قد وصفه الامام لأصحابه فجعله لب الايمان و حقيقته فقال فيه:

«إن من حقيقة الايمان أن تؤثر الحق و إن ضرك على الباطل و إن نفعك».

إن متابعة الحق و اتباعه، و تقديمه على المصالح الخاصة من أهم الحقائق

---

(۱) تحف العقول: ص ۷۶.

التى هتف بها الاسلام و عززته مدرسة الامام.

الاصلاح:

و أفضل الأعمال و أحبها عند اللّه هو الاصلاح بين الناس حتى أباح المشرع الأعظم الكذب- الذى هو من أعظم الموبقات- فى سبيل الاصلاح و رفع التخاصم و اشاعة الحب و الوئام بين الناس، و قد ندب الامام أصحابه إلى ذلك و حثهم على هذه المكرمة فقال:

«صدقة يحبها اللّه، إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، و تقارب بينهم إذا تباعدوا ..».

إن الاصلاح بمعناه الشامل هو الهدف الأقصى لأهل البيت (ع) و قد كرسوا حياتهم فى سبيله و لاقوا المزيد من الاضطهاد و الجور من أجله.

الظلم:

و تسالمت عقول البشر فى جميع الاجيال و الأزمان على قبح الظلم و استهجانه لأنه منبع الفساد و مصدر الجرائم، و قد حرم الامام جميع صوره و ألوانه فقال (ع):

«العامل بالظلم، و المعين له، و الراضى به كلهم شركاء ثلاثتهم» «۱» و حرم (ع) التعاون مع الظالمين و الاشتراك معهم بأى عمل ايجابى يرجع الى بسط نفوذهم و تقوية سلطانهم فقد سأله بعض أصحابه عن جواز البناء لهم و كراية النهر، فقال له:

«ما أحب أن أعقد لهم عقدة، أو وكيت لهم وكاءا، و لا مدة بقلم إن أعوان الظلمة يوم القيامة فى سرادق من النار».

و حدث (ع) أصحابه عن عظم جريمة الظلم عند اللّه فقال لهم:

---

(۱) الكافى: فى باب الظلم.

«اتقوا الظلم، فان دعوة المظلوم تصعد الى السماء» و حدثهم عن أقبح أنواع الظلم فقال لهم: «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا إلا اللّه» إلى غير ذلك من الأخبار التى وردت عنه فى التحذير عن الظلم و تحريم جميع أنواعه، كما بسط (ع) لأصحابه الأضرار البالغة التى تترتب عليه فى كثير من محاضراته القيمة الأمر الذى دل على مدى اهتمامه بتحقيق الأمن و السلام بين الناس.

التعاون:

و حث الامام أصحابه على التعاون الوثيق فيما بينهم لأن ذلك يوجب اشاعة المحبة و الالفة فيما بينهم، و قد روى صفوان الجمال قال:

«كنت عند أبى عبد اللّه (ع) إذ دخل عليه رجل من أهل مكة- يقال له «ميمون» فشكا إليه تعذر الكراء فالتفت إلى قائلا:

«قم فأعن أخاك».

فقمت معه فيسر اللّه كراه فرجعت الى مجلسى، فقال لى أبو عبد اللّه:

- ما صنعت فى حاجة أخيك؟

- قضاها اللّه، بأبى أنت و أمى.

- اما انك إن تعن أخاك المسلم أحب إلى من طواف اسبوع فى البيت».

و قال (ع) لجميل بن دراج:

«من صالح الأعمال البر بالاخوان، و السعى فى حوائجهم، و ذلك مرغمة للشيطان و تزحزح عن النيران، و دخول فى الجنان، يا جميل، اخبر بهذا الحديث غرر أصحابك.

- جعلت فداك و من غرر أصحابى؟

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۸

- هم للبارون بالاخوان فى العسر و اليسر» «۱».

معرفة اللّه:

إن معرفة اللّه من أهم الواجبات الاسلامية، و قد حث الامام أصحابه عليها و كشف لهم جليل آثارها فقال:

«لو يعلم الناس ما فى فضل معرفة اللّه عز و جل ما مدّوا أعينهم الى ما متع اللّه به الأعداء من زهرة هذه الحياة الدنيا و نعيمها، و كانت دنياهم أقل عندهم مما يطئونه بأرجلهم، و لنعموا بمعرفة اللّه عز و جل و تلذذوا بها تلذذ من لم يزل فى روضات الجنات مع أولياء اللّه، إن معرفة اللّه عز و جل أنس من كل وحشة، و صاحب من كل وحدة، و نور من كل ظلمة، و قوة من كل ضعف، و شفاء من كل سقم».

ثم إنه (ع) أخذ يبين لأصحابه ما لقيه أولياء اللّه من العناء و رهيب العذاب من أعدائه تعالى فقال:

«قد كان قبلكم قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليهم الارض برحبها، فما يردهم عما هم عليه شىء مما هم فيه، من غير ترة و تروا من فعل ذلك بهم و لا- أذى، بل ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللّه العزيز الحميد، فاسألوا درجاتهم، و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم ..» «۲».

و هذا الوصف الرائع قد أحاط بحقيقة المتقين و الم بواقعهم و جهادهم و ايمانهم الوثيق باللّه.

---

(۱) خصال الصدوق.

(۲) روضة الكافى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۹۹

صفات المؤمنين:

كان عليه السلام- دوما- يلقى على أصحابه و طلاب مدرسته أوصاف المؤمنين و المتقين ليهتدوا بهم و يتخذوهم قدوة صالحة، قال (ع):

«المؤمن له قوة فى دين، و حزم فى لين، و ايمان فى يقين، و حرص فى فقه، و نشاط فى هدى، و بر فى استقامة، و علم فى حلم، و كيس فى رفق، و سخاء فى حق، و قصد فى غنى، و تجمل فى فاقة، و عفو فى مقدرة و طاعة اللّه فى نصيحة، و انتهاء فى شهوة، و ورع

فى رغبة، و حرص فى جهاد، و صلاة فى شغل، و صبر فى شدة، فى الهزاهز وقور، و فى الرخاء شكور، لا يغتاب، و لا يتكبر، و لا يقطع الرحم، و ليس بواهن، و لافظ و لا غليظ، و لا يسبقه بصره، و لا يفضحه بطنه، و لا يغلبه فرجه، و لا يحسد الناس، و لا يعير «۱» و لا يعير «۲»، و لا يسرق، ينصر المظلوم و يرحم المسكين، نفسه منه فى عناء، و الناس منه فى راحة، و لا يرغب فى عز الدنيا، و لا يجزع من ذلها، للناس هم قد أقبلوا عليه، و له هم قد شغله، لا- يرى فى حكمه نقص، و لا- فى رأيه وهن، و لا- فى دينه ضياع يرشد من استشاره، و يساعد من ساعده، و يكيع «۳» عن الخناء و الجهل ..» «۴».

و وصف عليه السلام المؤمن فقال:

---

(۱) بتضعيف الياء و كسرها.

(۲) بتضعيف الياء و فتحها.

(۳) يكيع: أى يجبن.

(۴) أصول الكافى: (ج ۲ ص ۲۰۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۰

«لا- يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون كامل العقل، و لا يكون كامل العقل حتى تكون فيه عشر خصال، الخير منه مأمول، و الشر منه مأمون يستقل كثير الخير من نفسه، و يستكثر قليل الخير من غيره، و يستكثر قليل الشر من نفسه، و يستقل كثير الشر من غيره، و لا يتبرم بطلب الحوائج قبله، و لا- يسأم من طلب العلم عمره، الذل أحب إليه من العز «۱» و الفقر أحب إليه من الغنى، حسبه من الدنيا القوت، و العاشرة، و ما العاشرة لا يلقى أحدا إلا قال هو خير منى و أتقى، فاذا لقى الذى هو خير منه تواضع له ليلحق به، و إذا لقى الذى هو شر منه و أدنى، قال لعل شر هذا ظاهر و خيره باطن، فاذا فعل ذلك علا و ساد أهل زمانه» «۲».

الورع:

كان (ع) يوصى أصحابه بالورع عن محارم اللّه: و من أقواله لهم:

«عليكم بالورع فانه لا ينال ما عند اللّه إلا بالورع» «۳».

و قال عليه السلام:

«عليكم بتقوى اللّه و الورع، و الاجتهاد، و صدق الحديث، و أداء الامانة، و حسن الخلق، و حسن الجوار، و كونوا دعاة الى انفسكم بغير ألسنتكم، و كونوا زينا و لا تكونوا شينا ..» «۴».

و نكتفى بهذا النزر اليسير من تعاليمه الرفيعة التى زود بها المجتمع الاسلامى، و وضع بها قواعد الاخلاق و آداب السلوك.

---

(۱) لعله يريد أن الذل فى طاعة اللّه أحب إليه من العز فى معصية اللّه

(۲) مجالس الشيخ الطوسى.

(۳) أصول الكافى: (ج ۲ ص ۷۶).

(۴) نفس المصدر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۱

فى عهد الامام موسى:

و قطع الامام موسى (ع) شوطا من حياته فى جامعة أبيه الكبرى، و كان من أبرز العلماء النابهين، كما شارك أباه فى القاء محاضراته العلمية، و ساند فى تعزيزها، و تقديمها فى الميادين الثقافية، و بعد انتقال أبيه الى حظيرة القدس تولى إدارة شئون هذه المدرسة الكبرى، و قام بنشر العلوم و بث روح الفضيلة، و قد احتف به العلماء و الرواة لا يفارقونه و لا يفترقون عنه، يسجلون أحاديثه و أبحاثه و فتاواه، فقد روى السيد ابن طاوس «۱» أن أصحاب الامام و خواصه كانوا يحضرون مجلسه و معهم فى اكمامهم الواح آبنوس لطاف و أميال فاذا نطق بكلمة أو أفتى فى نازلة بادروا الى تسجيل

---

(۱) السيد ابن طاوس: هو السيد الجليل العالم العابد رضى الدين أبو القاسم على بن سعد الدين بن ابراهيم الحسينى، كان يسكن الحلة الفيحاء و لقب بالطاوس من جهة حسن وجهه. و خشونة رجليه، و هو من أجلاء السادة و من عيونهم و كان نقيبا لهم، له مؤلفات كثيرة دلت على سعة معارفه و علومه. و قد ذكر مناقبه و علومه بالتفصيل الحجة الثبت السيد محمد باقر الخوانسارى فى مؤلفه روضات الجنات (ج ۳ ص ۴۳- ۴۷) و جاء فى الكنى و الألقاب (ج ۱ ص ۳۳۸) أن السيد تولى نقابة الطالبيين و كان يجلس فى قبة خضراء و الناس تقصده و قد لبسوا لباس الخضرة بدل السواد و ذلك عقيب وقعة بغداد، و فى ذلك يقول على بن حمزة:

فهذا على نجل موسى بن جعفرشبيه على نجل موسى بن جعفر

فذاك بدست للامامة أخضرو هذا بدست للنقابة أخضر توفى السيد يوم الاثنين خامس ذى القعدة سنة ۶۶۴ ه-.

ذلك «۱» و قد روى عنه هؤلاء العلماء جميع أنواع العلوم على اختلافها و تباعد أطرافها، و ببركة جهوده و جهود أبيه فقد عمت الحركة العلمية جميع الحواضر الاسلامية و العربية و أصبح تراثهما العلمى يتناقله العلماء جيلا بعد جيل.

---

(۱) الأنوار البهية: ص ۹۱.

مثله العليا

اشارة

و بلغ الامام موسى (ع) فى مواهبه و عبقرياته أعلى مستويات الانسانية و قيمها، فهو بحكم قابلياته و مقدراته فذ من أفذاذ العقل الانسانى، و مثل رائع من أمثلة الخير و الكمال فى الارض.

لقد كان الامام موضع اعتزاز و فخر للعالم الاسلامى، و ذلك لما أثر عنه من الفضائل و المآثر كسعة العلم و الحلم، و دماثة الاخلاق، و السخاء و الاحسان الى الناس، و الصمود أمام الأحداث، الى غير ذلك من نزعاته الكريمة التى يقدسها كل انسان يؤمن بالمثل العليا، و الانسانية الكريمة و نعرض فيما يلى بعض نزعاته و صفاته:

امامته:

و منحه اللّه بالإمامة، و خصه بالنيابة العامة عن جده الرسول (ص) فهو أحد أوصيائه، و خلفائه على أمته، و الإمامة- حسب ما تراه الشيعة- كالنبوة لا يمنحها اللّه إلا للذوات الخيرة التى طهرت من الأرجاس و الآثام و انمحت عنها أفانين الظلم و الأباطيل، و هى من

أسمى المناصب الالهية لا يتوج بها إلا أفضل الخلق و أكرمهم عند اللّه، و لا بد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن «الإمامة» لأنها ترتبط ارتباطا ذاتيا و موضوعيا بما نحن فيه.

معنى الامامة:

و حددها علماء الكلام فقالوا: «الامامة رئاسة عامة فى أمور الدين و الدنيا لشخص انسانى ..» فالامام- حسب هذا التحديد- هو الزعيم العام و الرئيس المتبع الذى له السلطة الشاملة على جميع شئون الناس الدينية و الدنيوية،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۶

فالنبى (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك الامام حسب ما نص عليه النبى (ص) فى خطابه بغدير خم حينما نصب الامام أمير المؤمنين (ع) خليفة و اماما على المسلمين من بعده.

الحاجة الى الامامة:

إن الامامة قاعدة من قواعد الاسلام و أصل من أصوله، و قد اتفق المسلمون على ضرورتها، و حتميتها لأن الشريعة الاسلامية مجموعة من الاحكام و القواعد ففيها الحدود و العقوبات، و فيها الحكم بما أنزل اللّه، و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و فيها الجهاد فى سبيل اللّه، و الذب عن حياض الدين، و غير ذلك من الاحكام التى لا يمكن للفرد أن يقيمها من دون امام يتولى تنفيذها، يقول ابن تيمية:

«ان ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، و لأن اللّه أوجب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر، و نصرة المظلوم و كذلك سائر ما أوجبه اللّه من الجهاد و العدل، و اقامة الحدود، و لا تتم إلا بالقوة و الامارة ..» «۱».

ان المسلمين لا بد لوجودهم السياسى و الدينى من امام يسوس أمرهم و يعالج قضاياهم على ضوء كتاب اللّه، و سنة نبيه، و يسير فيهم بسيرة قوامها العدل الخالص و الحق المحض.

ان الامامة ضرورة من ضروريات الحياة الاسلامية لا يمكن الاستغناء عنها، فيها تتحقق العدالة الكبرى التى ينشدها اللّه فى الارض.

و من أهم الأمور الداعية إليها ايصال الناس الى معرفة اللّه و طاعته،

---

(۱) السياسة الشرعية ص ۱۷۲- ۱۷۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۷

و تغذية المجتمع بروح الايمان و التقوى و ابعاده عن نوازع الشر و الغرور.

الاتفاق على وجوبها:

إن الامامة بمعناها القيادى للامة قد اتفق المسلمون على وجوبها و ضرورتها سوى (الخوارج) فانهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الامامة، و انما عليهم ان يتعاطوا الحق فيما بينهم «۱» و قد أجمع المسلمون على زيف ذلك و بطلانه، و قد تضافرت الأخبار على ضرورتها فقد أثر عن النبى (ص) أنه قال: «من مات و ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» و قال (ص):

«من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، و من قاتل تحت راية عصبية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية» «۲».

و قال ابن خلدون: «إن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه فى الشرع باجماع الصحابة و التابعين، لأن أصحاب رسول اللّه (ص) عند

وفاته بادروا الى بيعة أبى بكر، و تسليم النظر إليه فى امورهم، و كذا فى كل عصر من بعد ذلك، و لم تترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار. و استقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام ..» «۳».

لقد أجمع المسلمون منذ فجر تأريخهم على ضرورة الامام، و انها من الواجبات التى لا تستقيم الحياة الاسلامية بدونها.

---

(۱) الملل و الأهواء ۴/ ۸۷.

(۲) الحديث رواه مسلم و النسائى.

(۳) المقدمة ص ۱۵۱.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۸

واجبات الامام:

و أناط الاسلام بالامام جميع المسئوليات الضخمة، فأوجب عليه السهر على مصالح المسلمين، و رعاية شئونهم، و العمل على تطوير حياتهم، و ابعادهم عن جميع عوامل الانحطاط و التأخر، و قد ذكر المعنيون بهذه البحوث بعض الواجبات المهمة التى يجب عليه القيام بها، و هى:

۱- حفظ الدين، و حراسة الاسلام، و صيانته من المستهترين بالقيم و الأخلاق.

۲- حماية بيضة الإسلام، و الذب عن الحرم ليتصرف الناس فى معايشهم و ينتشروا فى اسفارهم، آمنين على انفسهم و أموالهم.

۳- تحصين الثغور بالعدد و وفور العدد حتى لا يظفر العدو بغرة فينتهك فيها محرم، أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهد.

۴- جهاد الكفرة المعاندين للاسلام حتى يسلموا أو يدخلوا فى ذمة المسلمين قياما بحق اللّه بظهور دينه على الدين كله.

۵- تنفيذ الاحكام، و قطع الخصومات حتى لا يتعدى ظالم، و لا يضعف مظلوم.

۶- اقامة الحدود لتتوقى المحارم، و تصان الأنفس و الأموال.

۷- اختيار الامناء و الأكفاء، و تقليد الولايات للثقات النصحاء لتضبط الاعمال بالكفاءة، و تحفظ الأموال بالامناء.

۸- جباية أموال الفىء، و الصدقات و الخراج على ما أوجبه الشرع نصا أو اجتهادا من غير حيف و لا عسف ۹- تقدير العطاء و ما يستحقه كل واحد فى بيت المال من غير سرف

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۰۹

و لا تقتير، و دفعه إليهم فى وقت معلوم لا تأخير فيه و لا تقديم.

۱۰- مشارفة الامور العامة بنفسه غير معتمد على ولاته و عماله، فقد يخون الأمين، و يغش الناصح، و قد قال تعالى: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «۱».

و فى الصحيحين «۲» من رواية ابن عمر قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: «كلكم راع، و كلكم مسئول عن رعيته، و المرأة فى بيت زوجها راعية و مسئولة عن رعيتها، و الخادم فى مال سيده، و هو مسئول عن رعيته، قال: فسمعت هذا من رسول اللّه (ص) و أحسبه قال:

و الرجل فى مال أبيه راع و مسئول عن رعيته، فكلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته».

و أخرج الترمذى «۳» من حديث عمرو بن مرة الجهنى قال لمعاوية:

سمعت النبى (ص) يقول: «ما من إمام يغلق بابه دون ذوى الحاجات و المسكنة إلا أغلق اللّه أبواب السماء دون خلته «۴» و حاجته و مسكنته» و يقول محمد بن يزداد وزير المأمون مخاطبا له:

من كان حارس دنيا إنه قمن أن لا ينام و كل الناس نوام

و كيف ترقد عينا من تضيقه همان من أمره نقض و ابرام «۵» و وصفت هذه الامور بانها دستور شامل لو نقلناه الى لغة العصر،

---

(۱) سورة ص: آية ۲۶.

(۲) البخارى ۹/ ۶۲ و مسلم ۱۲/ ۲۱۳

(۳) صحيح الترمذى ۶/ ۷۳

(۴) الخلة: الحاجة و الفقر

(۵) مآثر الانافة فى معالم الخلافة ۱/ ۵۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۰

و مصطلحاته لسامق بل لتفوق فى احاطته و شموله على ما احتوته الدساتير العالمية من واجبات الحاكمين و التزاماتهم «۱».

و من يمعن النظر فيما أثر عن الامام امير المؤمنين (ع) يرى أن واجبات الامام (ع) أشمل من ذلك فانها تمتد الى اقامة صروح الأخلاق و الفضيلة و بناء مجتمع يعيش فى ظلال العدل و الحق و تستأصل- فيه صور الانتهازية و الوصولية، و بذور البغى و الفساد و قد تحدثنا عن ذلك بصورة مفصلة فى كتابنا «نظام الحكم و الادارة فى الاسلام».

صفات الامام:

و لا بد أن تتوفر فى الامام جميع النزعات الخيرة، و الصفات الرفيعة، و المثل الكريمة، من العلم و التقوى، و سجاحة الرأى، و اصالة التفكير، و الدراية التامة بما تحتاج إليه الأمة فى جميع مجالاتها، و ذكر المعنيون بالفقه السياسى فى الاسلام الشروط التى يجب أن تتوفر فيه و هى:

۱- العدالة على شروطها الجامعة، و هى الامتناع من ارتكاب كبائر الذنوب و عدم الاصرار على صغائرها.

۲- العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل و الاحكام.

۳- سلامة الحواس من السمع و البصر و اللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.

۴- سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة، و سرعة النهوض.

۵- الرأى المفضى الى سياسة الرعية، و تدبير المصالح.

---

(۱) دولة القرآن ص ۸۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۱

۶- الشجاعة و النجدة المؤدية الى حماية بيضة الاسلام، و جهاد العدو ۷- النسب و هو أن يكون الامام من قريش.

و قد ذكر هذه الاوصاف كل من الماوردى و ابن خلدون «۱» و ذكر الجوينى و الايجى، و الجرجانى و الفارابى أوصافا أخر ذكرناها مفصلة فى كتابنا «نظام الحكم و الادارة فى الإسلام».

و تعتقد الشيعة ان الامام يجب أن يكون أفضل الناس فى ملكاته و عبقرياته و انه لا بد فيه من:

۱- العصمة:

إن عصمة الامام- عند الشيعة- قاعدة أساسية فى الامامة، و هى من المبادئ الأولية فى كيانهم العقائدى، و قد عرفها المتكلمون،

فقالوا:

إنها لطف من اللّه يفيضها على أكمل عباده، و أفضلهم عنده، و بها يمتنع من ارتكاب الآثام و الجرائم عمدا و سهوا ... و قد أثارت عليهم هذه العقيدة الكثير من التهم و الطعون، و اتهمهم قوم بالغلو و الافراط فى الحب.

و لكنا إذا رجعنا إلى الأدلة نجدها مؤيدة لما تذهب إليه الشيعة، و يكفينا فى الاستدلال على ذلك آية التطهير قال تعالى: «إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» «۲» و هى تدل بوضوح على عصمة أئمة أهل البيت (ع) من الذنوب و طهارتهم من الزيغ و الرجس، و ذلك بما جاء فيها من حصر إرادة اذهاب الرجس- أى المعاصى- بكلمة انما التى هى من أقوى أدوات الحصر، و بدخول الكلام فى الكلام الخبرى، و تكرار لفظ

---

(۱) الأحكام السلطانية ص ۴، المقدمة ص ۱۳۵.

(۲) سورة الأحزاب: آية ۳۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۲

الطهارة، و كل ذلك يدل بحسب الصناعة على الحصر و الاختصاص، كما ان ارادة اللّه باذهاب الرجس عنهم يستحيل فيها أن يتخلف المراد عن الارادة قال تعالى: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و بهذا يتم الاستدلال على عصمتهم من كل ذنب و معصية «۱» كما أن حديث الثقلين يدل على العصمة بوضوح، فقد قرن فيه الرسول (ص) بين الكتاب و عترته، و كما ان الكتاب العزيز معصوم من الخطأ و الزلل فكذلك العترة، و الا لما صحت المقارنة و المساواة بينهما. و بعد توفر الأدلة الحاسمة على اعتبارها فى الامام فلا مساغ للانكار على الشيعة بذلك، قال العلامة الشيخ محمد أمين زين الدين:

«و ما يصنع الشيعة إذا اضطرتهم طبيعة الاسلام ذاتها الى هذه العقيدة؟

و ما يعملون إذا قادتهم نصوص القرآن و صحاح السنة و دلائل العقل؟

ما يعملون اذا قادتهم هذه الحجج كلها قودا الى هذه النتيجة؟

و العصمة التى يشترطونها فى امام المسلمين، هل تخرج به عن مصاف البشر، و تلحقه بعداد الآلهة كما يشتهى أن يقول المتقولون؟

هل العصمة فى ذاتها جزء إلهى حتى اذا اشترطناها فقد قلنا فى الخليفة بالحلول؟ و هل للالوهية أجزاء لتعد العصمة من هذه الأجزاء، و لتستطيع هذه الفرية أن تقف على قدم، أ لم تشترطها جمهرة المسلمين فى رسالة الرسول؟

فهلا كانت لها هذه اللازمة هناك؟ و هل نقدها أحد هناك بمثل هذا النقد؟ العصمة شرط فى رسالة الرسول لدى جمهور المسلمين و إن اختلفت فرقهم فى تحديد هذا الشرط: أ هو العصمة فى عهد النبوة فقط أم العصمة حتى فيما قبل هذا العهد؟

---

(۱) بسطنا البحث فى دلالة الآية فى الجزء الأول من حياة الامام الحسن ص ۶۹- ۷۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۳

و يقول: و شيعة أهل البيت وحدهم يقولون: الشرط فى رسالة الرسول و فى امامة الامام العصمة فى كل أدوار الحياة من جميع أصناف الذنوب، و من جميع أنواع النقائص حتى من الخطأ و الغفلة و السهو.

و العصمة رصيد نفسانى كبير يتكون من تعادل جميع القوى النفسانية، و بلوغ كل واحدة منها أقصى درجة يمكن أن يبلغها الانسان، ثم سيطرت القوة العقلية على جميع هذه القوى و الغرائز و الركائز سيطرة كاملة حتى لا تشذ فى أمر و لا تستغل دونها فى عمل.

هذه الحصانة الذاتية التى يرتفع بها الانسان الأعلى عن الاتضاع فى طبيعته، و يمتنع بها عن الانزلاق فى ارادته، ثم عن الانحرافات و الالتواءات التى تترسب فى منطقة اللاشعورى و تتحول- كما يقول العلماء النفسانيون- عقدا نفسية تتحكم فى دوافع المرء و فى

سلوكه، و فى اتجاهاته و ملكاته و تسوقه من حيث لا يريد الى النشوز عن الحق و الشرود عن العدل، هذه الحصانة الذاتية التى توقظ مشاعر الانسان الكامل فلا يغفل، و يعتلى بملكاته و اشراقه فلا ينزلق، و لا يكبو، و التى تكفل له صحته النفسية من كل وجه، هذه هى العصمة التى يشترطها مذهب أهل البيت فى الرئيس الأعلى لحكومة الاسلام، و فى ظنى انه شرط بمنتهى الجلاء كما انه بمنتهى الحكمة ..» «۱»

ان المنطق العلمى بجميع أبعاده يقضى بصحة ما تذهب إليه الشيعة من اعتبار العصمة فى أئمة أهل البيت (ع) اما القول المعاكس له فهو بعيد عن منطق الدليل و البرهان.

و بقى هنا شىء و هو اعتقاد الشيعة بأن الامام لا بد أن يكون أعلم الناس و أفضلهم فى مقدراته العلمية، و قد أوضح هذه الجهة و أولاها بمزيد من البيان و الاستدلال سماحة المغفور له الشيخ محمد رضا المظفر قال:

---

(۱) الاسلام ص ۲۸۳- ۲۸۵.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۴

«أما علمه- أى علم الإمام- فهو يتلقى المعارف و الاحكام الالهية، و جميع المعلومات من طريق النبى أو الامام من قبله، و إذا استجد شىء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التى أودعها اللّه تعالى فيه فان توجه الى شىء و شاء أن يعلمه من طريق على وجهه الحقيقى لا يخطأ فيه كل ذلك مستند الى البراهين العقلية، و لا يستند الى تلقينات المعلمين، و إن كان علمه قابلا للزيادة و الاشتداد، و لذا قال (ص): «رب زدنى علما» و أضاف يقول بعد الاستدلال على ذلك:

و يبدو واضحا هذا الأمر فى تأريخ الأئمة عليهم السلام كالنبى محمد (ص) فانهم لم يتربوا على أحد، و لم يتعلموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم الى سن الرشد حتى القراءة و الكتابة، و لم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على تبدل استاذ فى شىء من الأشياء مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى. و ما سئلوا عن شىء إلا أجابوا عليه فى وقته، و لم تمر على ألسنتهم كلمة «لا أدرى» و لا تأجيل الجواب الى المراجعة أو التأمل أو نحو ذلك فى حين أنك لا تجد شخصا مترجما له من فقهاء الإسلام و رواته و علمائه إلا ذكرت فى ترجمته و تربيته و تلمذته على غيره و أخذ الرواية أو العلم على المعروفين و توقفه فى بعض المسائل أو شكه فى كثير من المعلومات كعادة البشر فى كل عصر و مصر» «۱».

و عرض سماحة الامام كاشف الغطاء الى صفات الإمام (ع) و قال فيما يختص فى مواهبه العلمية:

«و أن يكون- أى الإمام- أفضل أهل زمانه فى كل فضيلة و أعلمهم بكل علم لأن الغرض منه تكميل البشر و تزكية النفوس، و تهذيبها بالعلم و العمل الصالح «هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته

---

(۱) عقائد الإمامية ص ۵۱- ۵۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۱۵

و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة» و الناقص لا يكون مكملا، و الفاقد لا يكون معطيا، فالامام فى الكمالات دون النبى و فوق البشر» «۱».

هذا هو الرأى الصريح للشيعة فى علم الامام، و ليس فيه أى غلو كما يتهمهم بذلك خصومهم.

تعيين الامام

و تجمع الشيعة على أن تعيين الامام ليس بيد الأمة، و لا بيد أهل الحل و العقد منها، و الانتخاب فى الإمامة باطل و الاختيار فيها

مستحيل فحالها كحال النبوة فكما أنها لا- تكون بايجاد الانسان و رغبته كذلك الامامة لأن العصمة التى هى شرط فى الإمامة- عندهم- لا- يعلمها إلا- اللّه المطلع على خفايا النفوس، و دخائل القلوب، فهو الذى يمنحها لمن يشاء من عباده، و يختاره لمنصب الإمامة و الخلافة.

و ما النبوة و الامامة بما هما- منصب إلهى- يجوز فيهما الترشيح و الانتخاب، فان تعيينهما من مختصاته تعالى، و قد اعلن ذلك الكتاب العزيز قال تعالى: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» «۲» و قال تعالى: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ «۳» و شأن الإمامة كشأن النبوة لا رجوع فيها الى اختيار الشعب و ارادته.

و دلتهم على ذلك النصوص المتضافرة عن أئمة أهل البيت (ع) و من

---

(۱) أصل الشيعة و أصولها ص ۱۰۳ ط العرفان.

(۲) سورة ص: آية ۲۶

(۳) سورة القصص: آية ۶۸.

تلك النصوص ما استدل به حجة اللّه على أرضه، و خليفته على عباده الذى يقيم اعوجاج الحق، و يصلح ما فسد من نظام الدين مهدى هذه الأمة عجل اللّه فرجه، و ذلك عند ما سأله سعد بن عبد اللّه عن العلة التى تمنع من اختيار الناس اماما لأنفسهم فأجابه (ع) قائلا:

- يختارون مصلحا أو مفسدا؟

- بل مصلحا- فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد بما يخطر ببال غيره من إصلاح أو فساد- بلى- فهى العلة أوردها لك ببرهان يثق به عقلك، اخبرنى عن الرسل الذين اصطفاهم اللّه و أنزل الكتب عليهم، و أيدهم بالوحى و العصمة، إذ هم أعلام الأمم، و أهدى إلى الاختيار، منهم مثل موسى و عيسى هل يجوز مع وفور عقلهما، و كمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق و هما يظنان أنه مؤمن.

- لا- هذا موسى كليم اللّه مع وفور عقله و كمال علمه، و نزول الوحى عليه اختار من أعيان قومه، و وجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا ممن لا يشك فى ايمانهم و اخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين قال اللّه عز و جل:

«و اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا» الى قوله: «لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم» فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه اللّه للنبوة واقعا على الأفسد دون الأصلح، و هو يظن أنه الأصلح علمنا أن الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور، و تكن الضمائر» «۱».

---

(۱) بحار الانوار ۱۳/ ۱۲۷

إن الطاقات البشرية قاصرة عن إدراك الأصلح الذى تسعد به الأمة و انما أمر ذلك بيد اللّه تعالى العالم بخفايا الأمور.

كلمة الامام الرضا

و من أعمق الأدلة على الإمامة، و اكثرها استيعابا و شمولا، و بيانا لمنصبها، و استحالة الانتخاب فيها حديث الامام الرضا عليه السلام مع عبد العزيز بن مسلم فقد أوضح الامام الكثير من جوانب الامامة، و فيما يلى بعض نصوص الحديث.

قال عبد العزيز بن مسلم: كنا فى أيام على بن موسى الرضا (بمرو) فاجتمعنا فى مسجد جامعها فدار بين الناس أمر الإمامة، و ذكروا كثرة الاختلاف فيها. و بعد انتهاء الحديث، قمت فدخلت على الامام الرضا عليه السلام فأخبرته بما خاض فيه الناس فتبسم (ع) ثم قال: «يا عبد العزيز. جهل القوم، و خدعوا عن أديانهم. إن اللّه تبارك و تعالى لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين، و أنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شىء، بين فيه الحلال و الحرام. و الحدود و الاحكام و جميع ما يحتاج إليه كملا، فقال عز و جل: «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» «۱» و أنزل فى حجة الوداع و هى آخر عمره «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۲».

و أمر الامامة من تمام الدين، و لم يمض (ص) حتى بين لأمته معالم دينهم، و أوضح لهم سبيلهم، و تركهم على قصد الحق، و أقام لهم عليا

---

(۱) سورة الأنعام: آية ۳۸

(۲) سورة المائدة: آية ۳

علما و اماما، و ما ترك شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن اللّه عز و جل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب اللّه عز و جل، و من رد كتاب اللّه تعالى فهو كافر.

هل يعرفون قدر الامامة و محلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟

ان الإمامة أجل قدرا، و أعظم شأنا، و أعلى مكانا، و أمنع جانبا، و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم.

إن الإمامة خص اللّه بها ابراهيم الخليل (ع) بعد النبوة، و الخلة مرتبة ثالثة، و فضيلة شرفه بها، و أشاد بها ذكره، فقال عز و جل: «إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً فقال الخليل سرورا بها: «و من ذريتى» قال اللّه عز و جل: «لا ينال عهدى الظالمين» فابطلت هذه الآية امامة كل ظالم الى يوم القيامة، و صارت فى الصفوة، ثم اكرمه اللّه عز و جل بأن جعل ذريته أهل الصفوة و الطهارة فقال عز و جل: وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ «۱» فلم تزل فى ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها النبى (ص) قال عز و جل: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ «۲» فكانت له خاصة فقلدها عليا بأمر اللّه عز و جل على رسم ما فرضه اللّه عز و جل فصارت له فى ذريته الأصفياء الذين آتاهم اللّه العلم و الايمان بقوله عز و جل وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ

---

(۱) سورة الأنبياء: آية ۷۲- ۷۳

(۲) سورة آل عمران: آية ۶۸

فِى كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ «۱».

فهى: فى ولد على خاصة الى يوم القيامة إذ لا نبى بعد محمد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟ إن الإمامة هى منزلة الأنبياء، و إرث الأوصياء ان الامامة خلافة اللّه عز و جل، و خلافة الرسول و مقام أمير المؤمنين، و ميراث الحسن و الحسين عليهما السلام.

إن الإمامة زمام الدين، و نظام المسلمين و صلاح الدنيا، و عز المؤمنين إن الامامة أسس الاسلام النامى، و فرعه السامى بالامام تمام

الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد و توفير الفيء و الصدقات، و امضاء الحدود و الأحكام و منع الثغور، و الأطراف.

الامام يحل حلال اللّه، و يحرم حرام اللّه، و يقيم حدود اللّه، و يذب عن دين اللّه، و يدعو الى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة و الحجة البالغة».

و يسترسل الامام (ع) فى حديثه فى بيان أوصاف الامام، و ما وهبه اللّه من الكمال و العبقريات، و أدلى بعد ذلك بأن الناس عاجزون عن معرفة حقيقته، و إدراك فضائله فقال:

«فمن ذا الذى يبلغ معرفة الامام و يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات!! ضلت العقول، و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و حسرت العيون، و تصاغرت العظماء، و تحيرت الحكماء، و تقاصرت الحلماء و حصرت الخطباء و جهلت الألباء، و كلت الشعراء، و عجزت الأدباء، و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز و التقصير، و كيف يوصف له؟ أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، و يغنى غناه، لا. و انى ...

أين الاختيار من هذا؟

---

(۱) سورة الروم: آية ۵۶

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۰

أين العقول عن هذا؟

أين يوجد مثل هذا؟

ظنوا أن يوجد ذلك فى غير آل الرسول (ص)، كذبتهم و اللّه أنفسهم و منتهم الباطل، فارتقوا مرتقى صعبا دحضا، تزل الى الحضيض أقدامهم.

راموا إقامة الامام بعقول جائرة. بائرة ناقصة، و آراء مضلة، فلم يزدادوا إلا بعدا «قاتلهم اللّه أنى يؤفكون» لقد راموا صعبا، و قالوا إفكا «و ضلوا ضلالا بعيدا» و وقعوا فى الحيرة، إذ تركوا الامام عن بصيرة «و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل و ما كانوا مستبصرين» و رغبوا عن اختيار اللّه، و اختيار رسوله الى اختيارهم، و القرآن يناديهم وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ «۱» و قال اللّه عز و جل وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ «۲» و قال عز و جل: ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ «۳» و قال عز و جل: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها «۴» أم طبع اللّه على قلوبهم فهم لا يفقهون أم قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ، وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ

---

(۱) سورة القصص- آية ۶۸

(۲) سورة الأحزاب: آية ۳۶

(۳) سورة القلم: آية ۳۶- ۴۱.

(۴) سورة محمد: آية ۲۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۱

لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ «۱» و قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا «۲» بل هو فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ* «۳».

فكيف لهم باختيار الامام؟!! و الامام عالم لا يجهل، راع لا ينكل معدن القدس و الطهارة، و النسك و الزهادة، و العلم و العبادة،

مخصوص بدعوة الرسول، و هو من نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه فى نسب، و لا يدانيه ذو حسب، فالنسب من قريش، و الذروة من هاشم، و العترة من آل الرسول (ص) و الرضا من اللّه، شرف الأشراف، و الفرع من عبد مناف، نامى العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر اللّه عز و جل، ناصح لعباد اللّه، حافظ لدين اللّه.

و تعرض (ع) بعد هذا الى علم الأنبياء و الأئمة فقال:

«إن الأنبياء و الأئمة صلوات اللّه عليهم يوفقهم اللّه، و يؤتيهم من مخزون علمه. و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم، ثم انظروا فى قوله تعالى: أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ «۴» و قوله عز و جل:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً «۵» و قوله عز و جل فى طالوت إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ

---

(۱) سورة الأنفال: آية ۲۱- ۲۳

(۲) سورة البقرة: آية ۹۳

(۳) سورة الحديد: آية ۲۱

(۴) سورة يونس: آية ۳۵

(۵) سورة البقرة: آية ۲۶۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۲

وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ «۱» و قال عز و جل لنبيه: وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً و قال عز و جل فى الأئمة من أهل بيت نبيه (ص) و عترته و ذريته أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً «۲» و ان العبد إذا اختاره اللّه عز و جل لأمور عباده شرح صدره لذلك، و أودع قلبه ينابيع الحكمة، و ألهمه العلم إلهاما فلم يع بعده بجواب، و لا يحيد فيه عنه الصواب، و هو معصوم، مؤيد، موفق مسدد، قد أمن الخطايا و الزلل، و العثار، يخصه اللّه بذلك ليكون حجته على عباده و شاهده على خلقه، ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ*.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه؟! أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه، تعدوا و بيت اللّه الحق، و نبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، و فى كتاب اللّه الهدى و الشفاء فنبذوه، و اتبعوا أهواءهم فذمهم اللّه و مقتهم و أتعسهم، فقال عز و جل: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ «۳» و قال عز و جل:

فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ «۴» و قال عز و جل: كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ «۵».

---

(۱) سورة البقرة: آية ۲۴۷

(۲) سورة النساء: آية ۵۴- ۵۵

(۳) سورة القصص: آية ۵۰

(۴) سورة محمد: آية ۸

(۵) سورة المؤمن: آية ۳۵

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۳

و انتهى بذلك حديث الامام (ع) «۱» و هو حافل بأروع صور الاستدلال و الحجة على ضرورة الإمامة، و استحالة الاختيار و الانتخاب فيها، و وجوب رجوع التعيين فى ذلك الى اللّه تعالى وحده فهو الذى يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه صفات الخير و الكمال، و طهارة النفس، و صفاء الذات، و عدم الانقياد و الخضوع لدواع الهوى، و نوازع الشرور و الغرور حتى يصلح لهداية الناس، و اصلاحهم، و غرس روح الثقة و الفضيلة فى نفوسهم.

نصوص الامامة:

إن تعيين الامام عند الشيعة ينحصر فى النص، و لا سبيل لغيره فى ذلك، و عليه فيجب على النبى (ص) أن يعين من يخلفه من بعده، و كذلك يجب على الامام من بعده أن ينص على الخلف الذى يجب أن يرجع إليه الناس، و قد حفلت جميع كتب الحديث التى تعرض لهذه المواضيع بتدوين صور النصوص فى ذلك فقد قال (ص) فى أمير المؤمنين (يوم الدار):

«هذا أخى و وصى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و أطيعوا» «۲» و أخرج الطبرانى بالاسناد الى سلمان الفارسى، قال: قال رسول اللّه (ص): إن وصى و موضع سرى، و خير من أترك بعدى، و ينجز عدتى، و يقضى دينى على بن أبى طالب «۳» و أخرج أبو نعيم الحافظ فى «حلية الأولياء» عن أنس قال: قال رسول اللّه (ص): يا أنس أول من يدخل عليك من

---

(۱) عيون أخبار الرضا ۱/ ۲۱۶- ۲۲۲ أصول الكافى.

(۲) كنز العمال ۶/ ۳۹۲ و غيره.

(۳) كنز العمال ۶/ ۱۵۴.

هذا الباب إمام المتقين، و سيد المسلمين، و قائد الغر المحجلين، و خاتم الوصيين، قال أنس: فجاء على، فقام رسول اللّه (ص) مستبشرا فاعتنقه و قال له: أنت تؤدى عنى، و تسمعهم صوتى، و تبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى «۱».

و أخرج الطبرانى فى الكبير بالاسناد الى أبى أيوب الانصارى عن رسول اللّه (ص) قال: يا فاطمة. أ ما علمت أن اللّه عز و جل اطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إلى فأنكحته، و اتخذته وصيا «۲».

و روى المحب الطبرى بسنده عن أنس قال: قلنا لسلمان سل النبى (ص) من وصيه؟ فقال سلمان: يا رسول اللّه من وصيك؟ قال: يا سلمان من كان وصى موسى؟ قال: يوشع بن نون قال: فان وصى و وارثى يقضى دينى و ينجز موعدى على بن أبى طالب «۳».

و روى المحب الطبرى عن بريدة قال: قال رسول اللّه (ص): لكل نبى وصى و وارث، و ان عليا وصى و وارثى «۴».

و وردت نصوص نبوية متواترة رواها الفريقان فى امامة السبطين و الريحانتين عليهما السلام فقد قال (ص) فيهما: «أنتما الامامان و لأمكما الشفاعة» «۵» و قال (ص) و هو يشير الى الحسين: هذا إمام ابن امام أخو إمام

---

(۱) حلية الأولياء ۱/ ۶۳

(۲) كنز العمال ۶/ ۱۵۳ مجمع الزوائد ۸/ ۳۵۳

(۳) الرياض النضرة ۲/ ۱۷۸

(۴) الرياض النضرة ۲/ ۱۷۸ و فى كنوز الحقائق للمناوى ص ۱۲۱ انه (ص) قال: «لكل نبى وصى و وارث، و على وصى و وارثى».

(۵) الاتحاف بحب الاشراف ص ۱۲۹، نزهة المجالس ۲/ ۱۸۴.

أبو أئمة تسعة «۱» و أخرج الصدوق فى الاكمال بالاسناد الى سلمان قال:

دخلت على النبى (ص) فاذا الحسين بن على على فخذه و هو يلثم فاه، و يقول: أنت سيد ابن سيد، أنت إمام بن إمام أخو إمام أبو الأئمة، و أنت حجة اللّه و ابن حجته، و أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم «۲».

و استفاضت كتب الحديث بنصوص نبوية أخرى تحصر الامامة فى اثنى عشر اماما كلهم من قريش فقد روى جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللّه (ص)- يوم جمعة عشية رجم الأسلمى- يقول: لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، و يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش «۳» و أخرج الصدوق فى الاكمال بسنده الى الامام الصادق (ع) عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللّه (ص): الأئمة اثنا عشر أولهم على و آخرهم القائم هم خلفائى و أوصيائى «۴».

و روى الحافظ أبو نعيم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (ص) من سره أن يحيى حياتى و يموت مماتى و يسكن جنة عدن غرسها ربى فليوال عليا من بعدى، و ليوال وليه، و ليقتد بالأئمة من بعدى فانهم عترتى خلقوا من طينتى، و رزقوا فهما و علما، و ويل للمكذبين بفضلهم من أمتى القاطعين فيهم صلتى، لا أنا لهم اللّه شفاعتى» «۵».

---

(۱) منهاج السنة ۴/ ۲۱۰.

(۲) المراجعات ص ۲۲۸

(۳) صحيح مسلم كتاب الامارة، مسند الامام أحمد بن حنبل ۵/ ۸۹ صحيح البخارى ۴/ ۱۶۴

(۴) المراجعات ص ۲۲۷

(۵) حلية الأولياء ۱/ ۸۶

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۶

و يضاف الى تلك النصوص النبوية، النصوص التى رواها الثقات و المتحرجون فى دينهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فى نص كل إمام منهم على الامام الذى يخلفه من بعده، فقد أوصى أمير المؤمنين (ع) حينما حضرته الوفاة الى ولده الامام الحسن (ع) و قال له: «يا بنى أمرنى رسول اللّه أن أوصى إليك، و أن أدفع إليك كتبى و سلاحى، كما أوصى إلى رسول اللّه (ص)، و دفع إلى كتبه و سلاحه، و أمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين» ثم أقبل على الحسين فقال: «و أمرك رسول اللّه أن تدفعها إلى ابنك هذا- و أشار الى زين العابدين- ثم أخذ بيد على بن الحسين و قال: «و أمرك رسول اللّه أن تدفعها الى ابنك محمد. فأقرئه من رسول اللّه و منى السلام» «۱».

و هناك مئات أمثال هذه النصوص حفلت بها كتب الحديث و هى تدل على لزوم النص فى الامامة، و بطلان غيره و قد أخذت بها الشيعة فى بناء عقيدتها فى الامامة.

النص على امامته:

اشارة

و عرف الامام الصادق (ع) شيعته بامامة ولده موسى (ع) منذ أن أشرقت الدنيا بولادته، و كان فى كل مناسبة يحيطهم علما بذلك و يوصيهم بضرورة الكتمان خوفا عليهم و على ولده من السلطة الحاكمة، و لما أخذ (ع) بعنق السبعين من سنى حياته هرعت إليه طائفة من الشيعة تسأله عن الامام من بعده لتعقد له الولاء و الطاعة، و ترجع إليه فى أمور دينها فأجابهم (ع) بأن الحجة من بعده ولده موسى (ع)، و فيما يلى عرض لتلك النصوص:

(۱) كشف الغمة ۱۵۱، أصول الكافى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۷

۱- المفضل بن عمر:

و المفضل بن عمر الجعفى «۱» من عيون الشيعة و أعلامها البابهين، و قد سأل الامام جعفر بن محمد عليه السلام عن الحجة من بعده ليتولاه و يدين بامامته فقال (ع):

«يا مفضل، الامام من بعدى ابنى موسى، الخلف المأمول المنتظر» «۲»

۲- يزيد بن سليط:

و يزيد بن سليط ثقة أمين من أهل الورع و العلم «۳» قصد بيت اللّه الحرام و معه زمرة من أصحابه فالتقى فى أثناء الطريق بالامام أبى عبد اللّه و كان معه ولده و حاشيته فبادر إلى الامام يسأله عن الحجة من بعده قائلا:

«بأبى أنتم و أمى، أنتم الأئمة المطهرون، و الموت لا يعرى منه أحد فمن القائم من بعدك؟ فأشار (ع) الى ولده موسى و أخذ يبين له ما تحلى به ولده من المثل العليا قائلا:

«فعنده علم الحكمة، و الفهم، و السخاء، و المعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و حسن الجوار، و هو باب من أبواب اللّه، و فيه أخرى هى خير من هذا كله ..».

- بأبى أنت و أمى، و ما هى!!؟

- يخرج اللّه تعالى منه غوث هذه الأمة، و غياثها، و علمها، و نورها و فهمها، و حكيمها، خير مولود و خير ناشئ، يحقن اللّه به الدماء، و يصلح به ذات البين، و يلم به الشعث، و يشعب به الصدع، و يكسو به العارى، و يشبع به الجائع، و يؤمن به الخائف، و ينزل به القطر، و يأتمر

(۱) تأتى ترجمته فى كوكبة الرواة و الأصحاب.

(۲) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۴) الارشاد.

(۳) تأتى ترجمته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۲۸

له العباد، خير كهل، و خير ناشئ. قوله حكم، و صمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه ..» «۱».

و قد أخبر (ع) بما منح اللّه به ولده بأن جعل من ذريته مهدى آل محمد (ع) الذى بشر به النبى و الأئمة من بعده، و هو الذى يقيم الاعوجاج و يصلح ما فسد من نظام الدنيا و الدين، و لا يخرج حتى يسود الفساد و يعم الظلم و تنتشر الفوضى، و يشيع التفسخ، و تموج الأرض بالفتن و الاضطراب عجل اللّه فرجه، و جعلنا من دعاته و أنصاره.

۳- داود بن كثير:

و هرع داود بن كثير، الى الامام أبى عبد اللّه يسأله عن الامام من بعده قائلا:

جعلنى اللّه فداك، و قد منى للموت قبلك، إن كان كون فالى من أرجع؟

- إلى ابنى موسى.

و اطمأن داود بذلك، و استراح ضميره فلم يداخله الشك و لم يتحير فى معرفة الامام كما حدث بذلك بقوله: «ما شككت فى موسى طرفه عين «۲».

۴- الفيض بن المختار:

و تشرف الفيض بزيارة الامام أبى عبد اللّه عليه السّلام فجرى بينهما حديث فى شأن أبى الحسن موسى، و بينما هما يتحدثان فى أمره إذ دخل الامام موسى فالتفت أبو عبد اللّه الى الفيض قائلا:

«يا فيض هو صاحبك الذى سألت عنه، فقم فقر له بحقه».

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۴).

(۲) نفس المصدر.

فاندفع الفيض يلثم يد الامام و رأسه، و يدعو اللّه له بالبقاء و الحياة، و التفت الى أبى عبد اللّه قائلا:

- جعلت فداك أ فأخبر به أحدا ..؟

- نعم أهلك، و ولدك، و رفقاءك.

و بهذا نقف على مدى التكتم الشديد من الامام و شيعته، خوفا من السلطة الجائرة، و انبرى الفيض إلى خلص أصحابه فأتحفهم بهذا النبأ المسر و كان من جملتهم يونس بن ظبيان، فأراد أن يزداد يقينا فبادر الى ثوى الامام فلما انتهى إليه بادر إليه الامام أبو عبد اللّه قائلا:

«يا يونس، الأمر كما قال لك الفيض».

فانصرف يونس و هو مثلوج القلب قد غمره الفرح و السرور بهذه النعمة التى ظفر بها «۱».

۵- ابراهيم الكرخى:

و زار ابراهيم الكرخى الامام جعفر بن محمد (ع) و بينما هو جالس بخدمة الامام إذ أقبل أبو الحسن موسى فقام إليه ابراهيم اجلالا، فالتفت إليه أبو عبد اللّه.

«يا ابراهيم: اما إنه صاحبك من بعدى، اما ليهلكن فيه قوم، و يسعد فيه آخرون، فلعن اللّه قاتله، و ضاعف العذاب على روحه، اما ليخرجن اللّه من صلبه خير أهل الأرض فى زمانه سمى جده- يعنى محمد المهدى عجل اللّه فرجه سمى النبى و شبيهه فى تحطيمه للظلم و القضاء على الظالمين- و وارث علمه، يقتله جبار بنى فلان بعد عجائب طريفة حسدا له و لكن اللّه بالغ أمره و لو كره المشركون».

و أخذ يتحدث عن ولده، و ما منحه اللّه من اللطف و الكرامة قائلا:

---

(۱) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۳۰۹) البحار) ج ۱۱ ص ۲۳۴).

«يخرج اللّه من صلبه تمام اثنى عشر مهديا، اختصهم اللّه بكرامته، و أحلهم دار قدسه، المقر بالثانى عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدى

رسول اللّه (ص) يذب عنه».

و لما انتهى (ع) الى هذه الفقرات من حديثه دخل عليه بعض عملاء الأمويين فقطع (ع) الحديث، و أراد ابراهيم إتمامه فلم يظفر به فرحل عن يثرب الى وطنه و لما كان العام المقبل تشرف بالمثول بين يدى الامام و هو يتحرق شوقا الى سماع بقية كلامه فأدرك عليه السلام ذلك فقال:

«يا ابراهيم: المفرج الكرب عن شيعته بعد ضنك شديد، و بلاء طويل، و جزع و خوف، فطوبى لمن أدركه، ثم قال له: حسبك يا ابراهيم».

و فرح ابراهيم بهذا الكلام من حديث الامام و انطلق يقول:

«ما رجعت بشيء أسر من هذا لقلبى، و لا أقر لعينى» «۱».

۶- عيسى العلوى:

و دخل عيسى بن عبد اللّه العلوى على الامام جعفر بن محمد يسأله عن الحجة من بعده قائلا:

«إن كان كون- و لا أرانى اللّه ذلك- فبمن آتم؟».

فأومأ عليه السلام الى ولده موسى فانبرى عيسى قائلا:

- فان حدث بموسى حدث فبمن آتم؟.

- بولده.

- فان حدث بولده حدث، و ترك أخا كبيرا و ابنا صغيرا فبمن آتم؟.

- بولده، ثم هكذا أبدا.

- فان لم أعرفه، و لا أعرف موضعه؟.

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۵).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۱

- تقول: اللهم، إنى أتولى من بقى من حججك من ولد الامام الماضى فان ذلك يجزيك ..» «۱».

۷- معاذ بن كثير:

و قصد معاذ بن كثير «۲» الامام الصادق يسأله عن الامام الذى يتولاه من بعده قائلا:

«أسأل اللّه الذى رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها ..».

- قد فعل اللّه ذلك.

- من هو جعلت فداك؟.

فأشار الى ولده موسى و هو راقد قائلا: هذا الراقد، و كان آنذاك غلاما «۳».

۸- منصور بن حازم:

و دخل منصور بن حازم على الامام أبى عبد اللّه يطلب منه تعيين الامام من بعده قائلا:

- بأبى أنت و أمى إن الأنفس يغدا عليها و يراح فاذا كان ذلك فمن؟

فقال أبو عبد اللّه: فهذا هو صاحبكم، و أشار الى أبى الحسن موسى ثم وضع يده على منكب ولده مدلا عليه، و كان عمره آنذاك خمس سنين «۴».

---

(۱) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۳۰۹) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۵)

(۲) معاذ بن كثير الكسائى الكوفى من خواص الامام أبى عبد اللّه، و من فقهاء هذه الطائفة و أحد أعلامها، جاء ذلك فى التعليقات: (ص ۳۳۵).

(۳) كشف الغمة: (ص ۲۴۴) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۳۰۸) البحار:

(ج ۱۱ ص ۲۳۵) الارشاد: (ص ۲۶۴).

(۴) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۳۰۹).

۹- سليمان بن خالد:

و حدث سليمان بن خالد قال: كنت جالسا أنا و جماعة من أصحابى عند الامام أبى عبد اللّه عليه السلام فدعا (ع) ولده موسى فلما مثل بين يديه التفت الى أصحابه قائلا:

«عليكم بهذا بعدى، فهو و اللّه صاحبكم» «۱».

۱۰- صفوان الجمال:

تقدم نص حديثه الذى استدللنا به على ذكاء الامام و عبقريته فى دور طفولته.

۱۱- اسحاق بن جعفر:

و حدث اسحاق بن الامام الصادق قال: كنت عند أبى فسأله عمران ابن على عن الامام من بعده قائلا:

- جعلت فداك الى من نفزع و يفزع الناس بعدك؟.

- الى صاحب الثوبين الأصفرين الطالع عليكم من الباب.

فجعل على يتشوف و يترقب الداخل من الباب فلم يلبث أن خرج إليهم الامام موسى، و هو صبى يافع و عليه ثوبان اصفران، و عنده غديرتان «۲».

۱۲- على بن جعفر:

و روى على نجل الامام الصادق عليه السلام، قال: «سمعت أبى جعفر ابن محمد (ع) يقول لجماعة من خاصته و أصحابه، استوصوا بابنى موسى خيرا فانه أفضل ولدى، و من اخلف بعدى، و هو القائم مقامى و الحجة للّه تعالى على كافة خلقه» «۳».

---

(۱) الارشاد: (ص ۲۶۵) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۳۱۰).

(۲) كشف الغمة: (ص ۲۴۴) الارشاد: (ص ۲۶۵) البحار.

(۳) كشف الغمة: (ص ۲۴۴) الارشاد: (ص ۲۶۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۳۳

۱۳- يزيد بن اسباط:

و دخل يزيد بن اسباط على الامام أبى عبد اللّه (ع) عائدا له فى مرضه الذى توفى فيه. فالتفت له الامام قائلا:

«يا يزيد أ ترى هذا- و أشار لولده موسى- إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه، فاشهد علىّ بأنى اخبرتك أن يوسف انما كان ذنبه عند اخوته حتى طرحوه فى الجب، الحسد له حين اخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر له ساجدين و كذلك لا بد لهذا الغلام من أن يحسد ...».

ثم استدعى بأولاده عبد اللّه و اسحاق و محمد و العباس، و موسى فقال لهم:

«هذا- و أشار لولده موسى- وصى الأوصياء، و عالم العلماء، و شهيد على الأموات و الأحياء ..» «۱».

۱۴- سلمة بن محرز:

و ندد بعض المنافقين من العجلية فى عقيدة الشيعة التى تنص على أن الامام لا بد أن يخلفه إمام، و الامام الصادق ليس له خلف ليقوم مقامه، و قد ذكر ذلك أمام سلمة بن محرز فلما سمع كلامه فزع الى الامام (ع)- و هو متألم- لينقل له حديثه و يطلب منه تعيين الامام من بعده قائلا:

«سيدى: إن رجلا من العجلية، قال لى: كم عسى أن يبقى لكم هذا الشيخ- يعنى أبا عبد اللّه- إنما سنة أو سنتان حتى يموت، ثم تصيرون ليس لكم أحد تنظرون إليه ..».

- فقال له أبو عبد اللّه: أ لا قلت له: هذا موسى بن جعفر قد أدرك ما يدرك الرجال ... الخ «۲».

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۶).

(۲) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۳۴

۱۵- زرارة بن أعين:

و روى زرارة بن اعين «۱» قال: دخلت على أبى عبد اللّه (ع) و كان عنده سيد ولده أبو الحسن موسى، و فى مجلسه جثمان قد غطى بثوب فأمرنى أبو عبد اللّه (ع) أن أحضر له داود الرقى، و حمران و أبا بصير، فخرجت لدعوتهم فصادفنى المفضل بن عمر قاصدا نحو الامام، و رأيت الناس تتوافد على بيت الامام: فمضيت مسرعا فدعوت القوم إليه فلما تشرفوا بمقابلته التفت (ع) الى داود الرقى فقال له: اكشف عن وجه اسماعيل، فكشف عن وجهه و إذا به جثة هامدة لا حراك فيها فقال عليه السلام لداود:

- يا داود: أ هو حى أم ميت؟

- يا سيدى: بل هو ميت.

و جعل يعرض ذلك على جميع حضار مجلسه يشهدهم على وفاته، و يطلب منهم الاقرار و الاعتراف بموته، و انما فعل ذلك ليفند مزاعم بعض الشيعة الذين ذهبوا الى أن اسماعيل هو الامام بعد أبيه نظرا لصلاحه و وفور علمه

---

(۱) زرارة بن أعين الشيبانى من أقطاب الشيعة و فى طليعة علمائها فى الفقه و الحديث و الكلام- كما قال ابن النديم- و قد اعتز به

الامام أبو عبد اللّه عليه السلام فنصبه علما للفتيا بين شيعته، و قال للفيض بن المختار: «إذا أردت حديثا فعليك بهذا الجالس و أومأ بيده الى زرارة» و قال عليه السلام:

«لو لا زرارة و نظراؤه لاندرست أحاديث أبى» و روى زرارة الكثير من فقه أهل البيت و أحاديثهم و كل ما رواه فهو صحيح مقبول، و نظرا لاتصاله الوثيق و قربه بأهل البيت فقد طعن فيه أعدائهم و مخالفوهم فاتهموه بشتى التهم و الطعون، و لم يحط ذلك من كرامته و منزلته، فقد عرف الجميع ما لزرارة من أياد بيضاء على العلم و الدين، توفى رحمه اللّه سنة ۱۵۰ ه- راجع ترجمته فى النجاشى و الكشى و الفهرست و التعليقات و لسان الميزان و غيرها.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۵

فأراد (ع) أن يثيبهم الى الرشاد، و يرجعهم الى الصواب، و يدلهم على أن الامام من بعده ولده موسى، ثم أنه أمر بتجهيزه فغسل و أدرج فى اكفانه ثم أمر المفضل بن عمر أن يحسر عن وجهه ثانيا ليراه الناس و يقطعوا بموته حتى لا يبقى مجال للشك فى ذلك، و بعد هذا أراد الزيادة فى التأكيد و نفى الريب فالتفت الى جميع أصحابه قائلا:

- أ هو حى أم ميت؟.

فهتفوا جميعا معترفين بموته فرفع (ع) يديه الى السماء و انطلق يقول:

«اللهم: اشهد فانه سيرتاب فيه المبطلون، يريدون إطفاء نور اللّه- و أشار لولده موسى- بأفواههم، و اللّه متم نوره و لو كره المشركون» ثم إنه أمر أن يوارى الجثمان فى مقره الأخير، و بعد أن وسد فى ملحود قبره و أهيل عليه التراب التفت الى أصحابه ليرفع عنهم الشبه و الظنون قائلا:

«الميت، المكفن، المحنط، المدفون فى هذا اللحد من هو؟.

فانبروا جميعا قائلين: إنه اسماعيل، فقال (ع): اللهم، اشهد، ثم أخذ بيد ولده موسى و هو يقول:

«هو الحق، و الحق معه و منه الى أن يرث اللّه الأرض و من عليها ...» «۱».

و قد فند (ع) بهذه التصريحات المتكررة الشبه التى حامت عند بعض أصحابه حول إمامة ولده إسماعيل، و قد بين لهم غير مرة أن الامامة ليست بيده و انما هى بيد اللّه تعالى فهو الذى يمنحها لمن يشاء من عباده، و قد روى أبو بصير قال: كنت عند أبى عبد اللّه (ع) فذكر أصحابه الأوصياء و ذكروا اسماعيل، فالتفت إلى الامام قائلا:

- لا و اللّه، يا أبا محمد، ما ذاك إلينا، و ما هو إلا اللّه عز و جل ينزل

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۳۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۶

واحدا بعد واحد ..» «۱».

و قد صرح (ع) بأن تعيين الامام لا يرجع إليه و انما هو بيد اللّه تعالى فهو الذى يختاره من بين عباده ممن تتوفر فيه النزعات الخيرة و المواهب الكريمة و ليس لأحد- بعد ذلك- أن يختار، و قد عرف ذلك و آمن به الخواص من الشيعة كما حدث بذلك ظريف بن ناصح «۲» قال: كنت مع الحسين بن زيد و معه ابنه على إذ مر بنا أبو الحسن موسى عليه السلام فسلم و انصرف، فقلت للحسين:

«جعلت فداك يعرف موسى بقائم آل محمد (ع)؟».

- إن يكن أحد يعرفه فهو، ثم قال: و كيف لا يعرفه؟! و عنده خط على بن أبى طالب و إملاء رسول اللّه (ص)».

فانبرى إليه ولده قائلا:

- كيف لم يكن ذلك عند أبى زيد بن على؟!.

- يا بنى: إن على بن الحسين، و محمد بن على سيدا الناس و إماماهم فلزم- يا بنى- أبوك زيد أخاه، و تأدب بأدبه، و تفقه بفقهه.

- يا أبة: ان حدث بموسى (ع) حدث يوصى الى أحد من اخوته.

- لا- و اللّه لا يوصى إلا الى ابنه ..» «۳».

۱۶- بعض الشيعة:

و دخل على الامام بعض شيعته يطلب منه أن يعين له الامام من

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۲۷).

(۲) ظريف بن ناصح: كوفى نشأ ببغداد ثقة فى حديثه، ألف عدة كتب منها كتاب (الديات)، و كتاب (الحدود)، و كتاب (النوادر) جاء ذلك فى التعليقات ص ۱۸۶.

(۳) زيد بن على ص ۱۹۳ نقلا عن قرب الاسناد مخطوط.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۷

بعده فقال (ع):

«سابعكم قائمكم ألا و هو سمى صاحب التوراة- يعنى موسى بن عمران عليه السلام- «۱».

۱۷- بعض أصحابه:

و تشرف بعض أصحاب الامام بمقابلته فطلب منه أن يعين له الحجة من بعده فقال (ع) له: عد الأيام فعدها من الأحد حتى بلغ السبت فقال له الامام:

- كم عددت؟.

- سبعة.

فانبرى قائلا: سبت السبوت، و شمس الدهور، و نور الشهور، من لا يلهو، و لا يلعب، و هو سابعكم قائمكم، ثم أشار لولده موسى «۲».

الى هنا ينتهى بنا الحديث عن بعض النصوص الواردة من الامام جعفر بن محمد (ع) فى إمامة ولده أبى الحسن موسى (ع)، و هى تفيد القطع بامامته، و الامامة- كما ذكرنا- من أهم الطاف اللّه تعالى التى خص بها أئمة أهل البيت، فبها تلتقى جميع عناصر الصلاح و الكمال، و نعرض فيما يلى الى بعض مثله الأخرى التى تكشف عن سر إمامته.

مواهبه العلمية:

كان الامام موسى (ع) أعلم أهل عصره بجميع أنواع العلوم العقلية و النقلية، و كان علمه إلهاميا كعلم الأنبياء و الأوصياء لا كسبيا كبقية الناس

---

(۱) دائرة المعارف لفريد و جدى: (ج ۹ ص ۵۹۴) الملل و النحل

(۲) نفس المصدر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۳۸

و قد أقام المتكلمون من الشيعة على ذلك سيلا من الأدلة لا تقبل الجدل و الشك و شهد للامام موسى (ع) بوفور علمه أبوه الامام

جعفر بن محمد فقال فى حقه لعيسى:

«إن ابنى هذا لو سألته عما بين دفتى المصحف لأجابك فيه بعلم» و قال فيه:

«و عنده علم الحكمة، و الفهم، و السخاء، و المعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم».

و يكفى للتدليل على سعة علومه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين و غيرها مما ملأوا به الكتب، و ألفوا المؤلفات الكثيرة، حتى عرف بين الرواة بالعالم، و قال الشيخ المفيد:

و قد روى الناس عن أبى الحسن موسى فأكثروا، و كان أفقه أهل زمانه «۱».

عبادته و تقواه:

اشارة

نشأ الامام موسى فى بيت القداسة و التقوى، و ترعرع فى معهد العبادة و الطاعة، بالاضافة الى أنه ورث من آبائه حب اللّه و الايمان به و الاخلاص له فقد قدموا نفوسهم قرابين فى سبيله، و بذلوا جميع إمكانياتهم فى نشر دينه و القضاء على كلمة الشرك و الضلال؟ فأهل البيت أساس التقوى و معدن الايمان و العقيدة، فلولاهم ما عبد اللّه عابد و لا وحده موحد. و ما حقت فريضة، و لا أقيمت سنة، و لا ساغت فى الاسلام شريعة.

لقد رأى الامام (ع) جميع صور التقوى ماثلة فى بيته، فكان أبوه

---

(۱) الارشاد: ص ۲۷۲.

الامام الصادق (ع) لا- يخلو- كما يقول مالك- من خصال ثلاث: إ ما صائما و اما قائما، و اما ذاكرا، و كان يطعم الفقراء و يكسوهم حتى لم يبق لعياله شىء من طعام و كسوة «۱» بذل كل ذلك بسخاء فى سبيل اللّه و التقرب إليه.

رأى الامام موسى ذلك من أبيه فتطبع عليه و صار من مقومات ذاته و من عناصر شخصيته، و حدث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه «۲» حتى لقب بالعبد الصالح، و بزين المجتهدين إذ لم تر عين انسان نظيرا له قط فى الطاعة و العبادة، و نعرض انموذجا من مظاهر طاعته و عبادته:

[انموذجا من مظاهر طاعته و عبادته:]

أ- صلاته:

إن أجمل الساعات و أثمنها عند الامام (ع) هى الساعات التى يخلو بها مع اللّه عز اسمه فكان يقبل عليه بجميع مشاعره و عواطفه و قد حدث الرواة أنه إذا وقف بين يدى اللّه تعالى مصليا أو مناجيا أو داعيا ارسل ما فى عينيه من دموع، و خفق قلبه، و اضطرب موجدة و خوفا منه، و قد شغل أغلب أوقاته فى الصلاة فكان يصلى نوافل الليل و يصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، و يخر للّه ساجدا فلا يرفع رأسه من الدعاء و التمجيد حتى يقرب زوال الشمس «۳»، من مظاهر طاعته انه دخل مسجد النبى (ص) فى أول الليل فسجد سجدة واحدة و هو يقول بنبرات تقطر إخلاصا و خوفا منه:

«عظم الذنب عندى، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، و يا أهل المغفرة».

---

(۱) صفوة الصفوة: (ج ۲ ص ۹۸).

(۲) جوهرة الكلام: ص ۱۳۹.

(۳) كشف الغمة: ص ۲۷۶.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۰

و جعل يردد هذه الكلمات بانابة و خشوع و بكاء حتى أصبح الصبح «۱» و لما أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة و العبادة حتى بهر بذلك العقول و حير الألباب، فقد شكر اللّه على تفرغه لطاعته قائلا:

«اللهم، إني طالما كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، و قد استجبت مني فلك الحمد على ذلك ..» «۲».

لقد ضرب الامام الرقم القياسي للعبادة فلم يضارعه أحد في طاعته و اقباله على اللّه، فقد هامت نفسه بحبه تعالى، و انطبع في قلبه الايمان العميق.

و حدث الشيباني «۳» عن مدى عبادته، فقال:

كانت لأبي الحسن موسى (ع) في بضع عشر سنه سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس الى وقت الزوال «۴»، و قد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنه المثل الأعلى للانابة و الايمان، و ذلك حينما أودعه في سجن

---

(۱) وفيات الأعيان: (ج ۴ ص ۲۹۳) و كنز اللغة: ص ۷۶۶،

(۲) وفيات الأعيان (ج ۴ ص ۲۹۳) المناقب (ج ۲ ص ۳۷۹)

(۳) الشيباني: هو أبو عبد اللّه محمد بن الحسن مولى لبني شيبان حضر مجلس أبي حنيفة سنين، و تفقه على أبي يوسف، و صنف الكتب الكثيرة و نشر علم أبي حنيفة و قال الشافعي: حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير و قال أيضا: ما رأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت في وجهه الكراهة إلا محمد بن الحسن. توفي بالري سنة ۱۸۷ ه- و هو ابن ثمان و خمسين سنة جاء ذلك في طبقات الفقهاء: ص ۱۱۴.

(۴) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۹۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۴۱

الربيع «۱» فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوبا مطروحا في مكان خاص

---

(۱) الربيع بن يونس كان حاجبا للمنصور ثم صار وزيرا له بعد أبي أيوب، و كان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه قال له يوما:

ويحك، يا ربيع ما أطيب الدنيا لو لا الموت، فقال له الربيع: ما طابت الدنيا إلا بالموت، قال له: و كيف ذلك؟ فأجابه لو لا الموت لم تقعد هذا المقعد، فقال له: صدقت، و قال له المنصور: لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة، و يقال إن الربيع لم يكن له أب يعرف، و ان بعض الهاشميين وفد على المنصور فجعل يحدثه و يقول له: كان أبي رحمه اللّه، و كان، و كان، و أكثر من الترحم عليه، فقال له الربيع: كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي: أنت معذور لأنك لا تعرف مقدار الآباء فخجل، أشد الخجل، و من أبدع الصدف التي اتفقت للربيع مع المنصور انه لما دخل المدينة قال له: ابغني رجلا عاقلا عالما ليوقفني على دورها فقد بعد عهدي بديار قومي، فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس و أعقلهم، فكان لا يبتدئ بالاخبار عن شيء حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة و أجود بيان و أوفى معنى، فأعجب المنصور به فأمر له بمال فتأخر عنه، و دعته الضرورة الى استنجازه، فاجتاز المنصور و معه الفتى ببيت عاتكة الأموية، فقال له: يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص بن محمد الانصاري:

يا بيت عاتكة الذى أتغزل‌حذر العدى و به الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود و اننى‌قسما إليك مع الصدود لأميل ففكر المنصور فى قوله، و قال إنه لم يخالف عادته بابتداء الاخبار دون الاستخبار إلا لأمر و أقبل يردد القصيدة و يتصفحها بيتا فبيتا حتى انتهى الى قوله فيها:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۲

من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب من ذلك و يقول للربيع:

- ما ذاك الثوب الذى أراه كل يوم فى ذلك الموضع؟!.

- يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب، و إنما هو موسى بن جعفر، له فى كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال. حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۱۴۲ أ - صلاته: ..... ص : ۱۳۹

هر هارون و انطلق يبدى إعجابه.

- اما إن هذا من رهبان بنى هاشم!! و التفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهد الامام و عزوفه عن الدنيا طالبا أن يطلق سراحه و لا يضيق عليه قائلا:

- يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيقت عليه فى الحبس!!؟

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة و الرأفة قائلا:

«هيهات: لا بد من ذلك!.» «۱».

إن هارون يعلم مآثر الامام و زهده، و لكن حرصه على الدنيا و حبه للملك هو الذى أعماه لأن يضيق على الامام، و سنوضح ذلك بمزيد من البيان عند التعرض لما لاقاه الامام منه من الخطوب الهائلة و المحن السود.

و روت شقيقة السندى بن شاهك- حينما سجن الامام فى بيت أخيها- عن عبادة الامام فقالت:

«إنه إذا صلى العتمة حمد اللّه و مجده و دعاه الى أن يزول الليل، ثم

و أراك تفعل ما تقول و بعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل فقال المنصور للربيع: هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به، فقال له: تأخر عنه لعلة فقال: عجله له مضاعفا، و هذا الطف تعريض من الفتى و أحسن فهم من المنصور، توفى الربيع سنة ۱۷۰ ه- جاء ذلك فى وفيات الأعيان: (ج ۱ ص ۲۳۱- ۲۳۳) ط بولاق.

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۹۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۳

يقوم، و يصلى حتى يطلع الصبح، فيصلى الصبح، ثم يذكر اللّه حتى تطلع الشمس، ثم يقعد الى ارتفاع الضحى، ثم يرقد و يستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ و يصلى حتى يصلى العصر، ثم يذكر اللّه حتى يصلى المغرب، ثم يصلى ما بين المغرب و العتمة، فكان هذا دأبه الى أن مات» «۱»، و هذه البوادر التى نقلت دلت على شغف الامام بالعبادة و إقباله على اللّه و قد شغل أغلب أوقاته فى الصلاة، و لكثرة سجوده فقد كانت له ثفنات كثفنات البعير، و كان له غلام يقص اللحم من جبينه و عرنين أنفه، و قد ألمع الى ذلك بعض الشعراء بقوله:

طالت لطول سجود منه ثفنتهفقرحت جبهة منه و عرنينا

رأى فراغته فى السجن منيتهو نعمة شكر البارى بها حينا «۲»

ب- صومه:

أنفق الامام أغلب أيام حياته فى طاعة اللّه فكان يصوم فى النهار و يقوم مصليا فى الليل، خصوصا لما سجنه هارون فانه لم يبارح العبادة الاستحبابية بجميع أنواعها من صوم و غيره، و هو يشكر اللّه و يحمده على هذا الفراغ الذى قضاه فى عبادته.

ج- حجه:

و ما من شىء يحبه اللّه و ندب إليه إلا فعله الامام عن رغبة و اخلاص فمن ذلك أنه حج بيت اللّه ماشيا على قدميه، و النجائب تقاد بين يديه، و قد حج معه أخوه على بن جعفر و جميع عياله أربع مرات، و حدث على ابن جعفر عن الوقت الذى قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة (الاولى) ستا و عشرين يوما، و (الثانية) كانت خمسا و عشرين يوما، و (الثالثة)

---

(۱) تأريخ أبى الفداء: (ج ۲ ص ۱۲).

(۲) الأنوار البهية: ص ۹۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۴

كانت أربعا و عشرين يوما، و (و الرابعة) كانت إحدى و عشرين يوما «۱» و كان فى أغلب أسفاره الى بيت اللّه يتنكب الطريق، و ينفرد عن الناس، قد تعلق قلبه و فكره باللّه تعالى، و قد حج عليه السلام مرة فلم يصبح معه أحدا، و جرت له قصة مع شقيق البلخى «۲» أجمع على ذكرها أغلب

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۶۱).

(۲) شقيق البلخى من كبار العباد و الزهاد فى العالم الاسلامى كان فى بداية أمره من المرابين فتاب الى اللّه توبة نصوحة فتصدق بأمواله البالغة ثلاثمائة الف درهم. و كانت له ثلاثمائة قرية فتصدق بها حتى أنه لما استشهد فى غزوة (كولان) لم يكن يملك كفنا يلف به، و قد لبس ثياب الصوف الخشنة عشرين سنة، و قال: عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فى حرفين، و هو قوله تعالى: وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها، وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى و كان يقول: ثلاث خصال هى تاج للزهد: (الأولى) أن يميل على الهوى و لا يميل مع الهوى، و (الثانية) ينقطع الزهد الى الزهد بقلبه، و (الثالثة) أن يذكر كلما خلى بنفسه كيف مدخله فى قبره و كيف مخرجه، و يذكر الجوع و العطش و العرى و طول القيامة، و الحساب، و الصراط، و طول الحساب، و الفضيحة البادية، فاذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور، فاذا كان ذلك كان من محبى الزهاد، و من أحبهم كان معهم، و قال: من أراد أن يعرف معرفة باللّه فلينظر الى ما وعده اللّه، و وعده الناس بأيهما قلبه أوثق، و قال لبعض أصحابه اتق الأغنياء فانك متى ما عقدت قلبك معهم، و طمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون اللّه عز و جل، جاء ذلك فى حلية الأولياء: «ج ۸ ص ۵۹- ۷۱»، و قد ذكر له صاحب الحلية الشىء الكثير من الكلمات الحكمية و الوصايا الرفيعة، و جاء فى لسان الميزان (ج ۳ ص ۱۵۱- ۱۵۲)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۵

من ترجم للامام، و هذا نصها:

خرج شقيق حاجا بيت اللّه الحرام سنة ۱۴۹ ه- أو سنة ۱۴۶، فنزل القادسية، و لما استقر به المكان أخذ يشرف على الحجاج، و ينظر الى استعدادهم و بينما هو مشغول بالنظر الى الحجيج إذ وقع بصره- كما يقول- على شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف الجسم، فوق ثيابه ثوب من صوف، قد جلس وحده، منفردا عن الناس، بعيدا عن شئونهم، لم يختلط معهم، فدار فى خلده، أن هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون عبئا ثقيلا على الحاج حيث لا متاع عنده، و لم يصحب معه ما يحتاج إليه المسافر من المتاع اللازم، فصمم شقيق على أن يمضى إليه، و يوبخه ليرتدع عما هو فيه، و يثيب الى الصواب فلما دنا منه انبرى إليه الفتى قبل أن يفتح معه الحديث

قائلا له بنبرات تقطر لطفا:

«يا شقيق: اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم!!».

و لم يتكلم بأكثر من هذا. ثم إنه تركه و انصرف عنه، فبهر شقيق و بقى حائر الفكر مذهول اللب، من أمر الفتى الذى نطق باسمه، و عرف دخائل نفسه، و قد داخله الشيء الكثير من الاكبار له، و اطمأن بأنه من عباد اللّه الصالحين، و قد ندم على ما فرط فى أمره، فصمم على الالتحاق به ليعفو عنه، و يحله من خطيئته، فجد فى طلبه فلم يدركه، فلما نزلت القوافل بوادى (فضة) نظر شقيق و اذا بصاحبه واقف يصلى و أعضاؤه تضطرب خوفا من اللّه، و دموعه تتبلور على خديه، فصبر حتى فرغ من صلاته، فالتفت إليه الفتى قبل أن يسأله قائلا له:

«يا شقيق: اتل، و إنى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى»

إن مناقب شقيق كثيرة جدا لا يسعها هذا المختصر، و انه استشهد فى غزوة (كولان) سنة ۱۹۴ ه-.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۶

ثم إنه تركه و انصرف عنه، و هام شقيق فى تيار من الهواجس و الأفكار، و أخذ يقول: يا للّه! يا للعجب!! إنه تكلم بما انطوت عليه نفسى مرتين.

إنه من الابدال.

إنه من المنيبين المهتدين، و أخذ يطيل التفكير فى شأنه، و سارت القافلة تطوى البيداء، فلما انتهت الى (الأبواء) خرج شقيق يتجول فيها فوقع نظره على الفتى فبادر إليه، و اذا به واقف على بئر يستقى منها، و بيده ركوة قد سقطت فى البئر فرمق السماء بطرفه، و جعل يخاطب اللّه بمنتهى الخضوع و الايمان قائلا:

أنت شربى إذا ظمئت من الماء و قوتى إذا أردت الطعاما «إلهى: و سيدى، مالى سواك فلا تعدمنيها ..».

و لم يزد على ذلك حتى ارتفع الماء فورا، الى رأس البئر و الركوة طافية عليه، فمد يده فتناولها ثم توضأ منها، و صلى أربع ركعات، ثم مال الى كثيب من الرمل فتناول منه قبضة و جعلها فى الركوة فحركها و شرب منه، فسلم عليه شقيق و قال له:

- اطعمنى، مما رزقك اللّه.

- يا شقيق: لم تزل نعم اللّه على ظاهرة و باطنة، فاحسن ظنك بربك ثم ناوله الركوة فشرب منها، فاذا فيها سويق و سكر، فما شرب شقيق- كما يقول- شرابا قط ألذ و لا أطيب منه، و بقى أياما و هو لا يشتهى الطعام و الشراب، ثم إنه مضى عنه، فلم يجتمع به إلا بمكة، فرآه الى جانب (قبة الشراب) فى غلس الليل البهيم و هو قائم يصلى بخشوع و أنين و بكاء، فلم يزل كذلك حتى انبثق نور الفجر، ثم انه قام الى (حاشية المطاف) فركع ركعتى الفجر، و صلى صلاة الصبح مع الناس، ثم انعطف

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۷

نحو البيت، فطاف فيه بعد شروق الشمس، و بعد الفراغ من الطواف صلى صلاة الطواف، ثم خرج من البيت فتبعه شقيق يريد السلام عليه و التشرف بمقابلته، و إذا بالخدم و الموالى قد طافوا حوله و أحاطوا به يمينا و شمالا، و انكبت عليه جماهير الناس تلثم يديه و أطرافه فتعجب شقيق من ذلك و بادر الى من حوله يسأله عن اسم صاحبه فقيل له: «هذا موسى الكاظم».

فعند ذلك آمن شقيق و تيقن بأن تلك الكرامة جديرة بالامام «۱» و نظم بعض الشعراء هذه البادرة بقوله:

سل شقيق البلخى عنه بما عاين منهو ما الذى كان أبصر

قال: لما حججت عاينت شخصاشاحب اللون ناحل الجسم أسمر

سائرا وحده و ليس له زادفما زلت دائما أتفكر

و توهمت أنه يسأل الناسو لم أدر انه الحج الأكبر

ثم عاينته و نحن نزولدون قيد على الكثيب الأحمر

يضع الرمل فى الاناء و يشربهفناديته و عقلى محير

اسقنى شربة فلما سقانىمنه عاينته سويقا و سكر

فسألت الحجيج من يك هذاقيل هذا الامام موسى بن جعفر «۲» لقد دلت قصة شقيق على بعض كرامات الامام و ما اتصف به من الايمان و العلم بما انطوت عليه النفوس.

---

(۱) اخبار الدول: ص ۱۱۲، جوهرة الكلام: (ص ۱۴۰- ۱۴۱) مختار صفوة الصفوة: ص ۱۵۳، جامع كرامات الأولياء: (ج ۲ ص ۲۲۹) نور الأبصار: ص ۱۳۵، مثير الغرام، معالم العترة، المناقب، البحار، كشف الغمة، و غيرها.

(۲) مطالب السئول: ص ۸۴، البحار: (ج ۱۱ ص ۵۵) المناقب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۸

د- تلاوته للقرآن:

كان الذكر الحكيم رفيق الامام فى خلواته، و صاحبه فى وحشته و كان يتلوه بامعان و تدبر، و كان من أحسن الناس صوتا به، فاذا قرأ يحزن، و يبكى السامعون لتلاوته «۱».

و حدث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: و كانت قراءته حزنا فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنسانا «۲» بهذه الكيفية كان يتلو آيات الذكر الحكيم فكان يمعن فى تعاليمه و يمعن فى آدابه، و يتبصر فى أوامره و نواهيه و أحكامه

ه- بكاؤه من خشية اللّه:

و كان الامام موسى عليه السلام أكثر الناس خشية و أعظمهم خوفا من اللّه فكان كجده امير المؤمنين (ع) فى مظاهر خوفه و خشيته من اللّه و قد حدث الرواة عن مدى خوفه من اللّه فقالوا: إنه كان يبكى من خشية اللّه حتى تخضل كريمته الشريفة، من دموع عينيه «۳».

و- عتقه للعبيد:

و من مظاهر طاعة الامام (ع) عطفه و احسانه على الرقيق فقد أعتق منه الف مملوك «۴» كل ذلك لوجه اللّه، و ابتغاء مرضاته، و التقرب إليه.

---

(۱) المناقب: (ج ۲ ص ۳۷۹).

(۲) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۶۵).

(۳) كشف الغمة: (ص ۲۴۷).

(۴) الدر النظيم فى مناقب الأئمة ليوسف بن حاتم الشامى مخطوط نفيس فى مكتبة الامام الحكيم العامة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۴۹

زهده:

كان الامام فى طليعة الزاهدين فى الدنيا و المعرضين عن نعيمها و زخارفها فقد اتجه الى اللّه و رغب فيما أعده له فى دار الخلود من النعيم و الكرامة، و قد حدثنا عن مدى زهده ابراهيم بن عبد الحميد فقال: دخلت عليه فى بيته الذى كان يصلى فيه، فاذا ليس فى البيت شىء سوى خصفة، و سيف معلق، و مصحف «۱»، لقد كان عيشه زهيدا، و بيته بسيطا فلم يحتو على شىء حتى من الأمتعة البسيطة التى تضمها بيوت الفقراء الأمر الذى دل على تجرده من الدنيا، و إعراضه عنها. على أنه كانت تجبى له الأموال الطائلة، و الحقوق الشرعية من العالم الشيعى، بالاضافة الى أنه كان يملك البسرية و غيرها من الأراضى الزراعية التى تدر عليه بالأموال الخطيرة، و قد أنفق جميع ذلك بسخاء على البائسين و المحرومين فى سبيل اللّه و ابتغاء مرضاته، و كان (ع) دوما يتلو على أصحابه سيرة أبى ذر الصحابى العظيم الذى ضرب المثل الأعلى لنكران الذات و التجرد عن الدنيا و الزهد فى ملاذها، فقال (ع):

«رحم اللّه أبا ذر. فلقد كان يقول: جزى اللّه الدنيا عنى مذمة بعد رغيفين من الشعير، أتغذى بأحدهما، و أتعشى بالآخر، و بعد شملتى الصوف ائتزر باحدهما و أتردى بالأخرى ..» «۲».

و هكذا كان عليه السلام قد وضع نصب عينيه سيرة العظماء الخالدين من صحابة النبى (ص) يشيد بذكراهم، و يتلو سيرتهم الوضاءة على أصحابه لتكون لهم قدوة حسنة فى هذه الحياة.

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۶۵).

(۲) أصول الكافى: (ج ۲ ص ۱۳۴).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۰

جوده و سخاؤه:

و الامام موسى (ع) من أرقى أمثلة التكامل الانسانى فى مواهبه، و من تلك المواهب الكريمة الماثلة فيه أنه كان ندى الكف، مبسوط اليدين بالعطاء و مما لا شبهة فيه أن السخاء انما ينم عن طيب النفس، إذا كان بداعى الخير و الاحسان لا بدواع أخرى كحب الظهور و ذيوع الاسم فان ذلك لا يعد من السخاء بل يباينه بكل ما للتباين من معنى.

لقد تجلى الكرم الواقعى، و السخاء الحقيقى فى الامام فكان مضرب المثل للكرم و المعروف، فقد فزع إليه البائسون و المحرومون لينقذهم من كابوس الفقر و جحيم البؤس و قد أجمع المؤرخون أنه أنفق عليه السلام جميع ما عنده عليهم كل ذلك فى سبيل اللّه لم يبتغ من أحد جزاء أو شكورا، و كان (ع) فى صلاته يتطلب الكتمان و عدم الذيوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة و كان يلتمس فى ذلك وجه اللّه و رضاه، و لهذا كان يخرج فى غلس الليل البهيم فيوصل الطبقة الضعيفة ببره و إحسانه و هى لا تعلم من أى جهة تصلها تلك المبرة، و كان يوصلهم بصراره التى تتراوح ما بين المائتى دينار الى الاربعمائة دينار «۱» و كان يضرب المثل بتلك الصرار فكان أهله يقولون:

«عجبا لمن جاءته صرار موسى و هو يشتكى القلة و الفقر!!» «۲».

و بلغ من عطفه المستفيض أنه إذا بلغه عن شخص يؤذيه و يسىء إليه بعث له بصرة فيها الف دينار «۳»، و قد قامت هباته السرية و صلاته الخفية

---

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۸) كنز اللغة: ص ۷۶۶.

(۲) عمدة الطالب: ص ۱۸۵.

(۳) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۱

باعاشة فقراء يثرب، فكانوا جميعا يرتعون بنعمته و يعيشون من عطاياه، و قد ذكر المؤرخون جمهرة كبيرة ممن أغدق عليهم الامام ببره، نقتصر منهم على ما يلي:

۱- محمد البكرى:

و كانت لمحمد بن عبد اللّه البكرى ديون على جماعة من أهالى يثرب فقدم إليهم ليستحصل ديونه منهم فبقى مدة يطالبهم، و يلح عليهم فلم يظفر بشيء من ديونه فعنّ له أن يتشرف بمقابلة الامام، و يشكو له الحاجة و الفقر، فمضى إليه و كان (ع) فى بعض ضياعه (بنقمى) «۱»، و لما وصل الى محل الامام خرج عليه السلام و كان بخدمته غلام معه منسف «۲» فيه قديد «۳» مجزع «۴» فأكلوا منه جميعا و بعد الفراغ من تناول الطعام سأله الامام عن حاله فأخبره بقصته و ضيق حاله، فقام عليه السلام فدخل البيت ثم خرج فأمر غلامه بالانصراف لئن يراه فيكون ذل على السائل ثم أعطاه صرة فيها ثلاثمائة دينار- لعلها اكثر من ديونه- فأخذها محمد و انصرف شاكرا للامام و داعيا له بالخير «۵».

---

(۱) نقمى: بالتحريك و القصر من النقمة و هى العقوبة، موضع من اعراض المدينة كان لآل أبى طالب، جاء ذلك فى معجم البلدان: (ج ۸ ص ۳۱۰).

(۲) المنسف: بالكسر يستعمل فى تصفية الحب و غربلته.

(۳) القديد: اللحم المشرر الذى قطع و شرر كما فى تاج العروس:

(ج ۲ ص ۴۶۱).

(۴) المجزع: كل شيء اجتمع فيه سواد و بياض.

(۵) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۲

۲- غلام زنجى:

و خرج الامام من يثرب مع حاشيته و بعض أولاده الى ضياعه الواقعة بساية «۱» و قبل الانتهاء إليها استراحوا فى بعض المناطق المجاورة لها، و كان الوقت آنذاك شديد البرد، فبينما هم جلوس إذ خرج إليهم عبد زنجى فصيح اللسان و هو يحمل على رأسه قدرا يفور، فوقف أمام غلمان الامام و قال لهم:

- أين سيدكم؟.

- هو ذاك- و أشاروا الى أبى الحسن-- أبو من يكنى؟.

- أبو الحسن.

فوقف بين يديه و هو يتضرع قائلا له:

- يا سيدى: هذه عصيدة أهديتها إليك.

فقبل الامام هديته و أمره بأن يضعها عند الغلمان فوضعها عندهم ثم انصرف فلم يلبث إلا قليلا حتى أقبل و معه حزمة من الحطب فوقف قبال الامام و قال له:

- يا سيدى: هذا حطب أهديته إليك.

فقبل عليه السلام هديته و أمره أن يلتمس له قبسا من النار، فمضى قليلا- ثم جاء بالنار فأمر الامام بكتابة اسمه و اسم مولاه و بعد تسجيله أمر بعض ولده بالاحتفاظ به عند الحاجة، ثم أنهم رحلوا الى ضياعهم فمكثوا فيها أياما، و بعدها اتجهوا الى بيت اللّه الحرام، فاعتمر (ع) فيه، و بعد فراغه أمر صاعدا أن يفتش عن مالك العبد و قال له:

«إذا علمت موضعه فاعلمنى حتى أمشى إليه، فانى اكره أن أدعوه

---

(۱) سايۀ: واد من حدود الحجاز فيه مزارع.

و الحاجة لى».

فمضى ففتش عن الرجل حتى ظفر به، فعرفه و عرف أنه ممن يدين بالامامة، و بعد السلام عليه سأله الرجل عن قدوم الامام فأنكر عليه صاعد ذلك، ثم سأله عن سبب مجيئه فأخبره بأن له حوائج دعته الى السفر، فلم يقتنع الرجل بذلك و غلب على ظنه تشريف الامام الى مكة، ثم ودعه صاعد و قفل راجعا الى الامام، فتبعه الرجل و سار على أثره فالتفت صاعد فرآه يسير خلفه فكلما أراد التخلى عنه فلم يتمكن فسارا معا حتى أقبلا الى الامام فلما مثلا عنده أخذ (ع) يؤنب صاعدا على اخبار الرجل بقدومه فاعتذر له بأنه لم يخبره و لكنه تبعه بغير اختيار منه، و بعد ما استقر الرجل التفت عليه السلام إليه قائلا:

- غلامك فلان تبيعه؟.

- جعلت فداك، الغلام لك و الضيعة و جميع ما أملك.

- اما الضيعة فلا أحب أن أسلبكها ..».

و جعل الرجل يتضرع الى الامام و يتوسل إليه ليقبلهما منه، و الامام ممتنع من إجابته، و أخيرا اشترى (ع) الغلام مع الضيعة بألف دينار فأعتق الغلام، و وهب له الضيعة، كل ذلك ليجازى الاحسان بالاحسان و يقابل المعروف بالمعروف، و قد وسع اللّه على العبد ببركة الامام حتى اصبح أبناؤه من أثرياء مكة و صرافيها «۱».

۳- عيسى بن محمد:

و حدث عيسى بن محمد القرطى قال: زرعت بطيخا و قثاء و قرعا «۲»

---

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۹- ۳۰) البداية و النهاية:

(ج ۱۰ ص ۱۸۳).

(۲) القرع: نوع من اليقطين، الواحدة قرعة.

فى موضع بالجوانية «۱» على بئر يقال لها أم عضام، فلما قرب الخير و استوى الزرع بغتنى الجراد فأتى على الزرع كله، و كنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مائة و عشرين دينارا، فبينما أنا جالس إذ طلع على الامام موسى بن جعفر (ع) فسلم ثم قال لى:

- كيف حالك؟.

- أصبحت كالصريم «۲» بغتنى الجراد، فأكل زرعى.

- كم غرمت فيه؟

- مائة و عشرين دينارا مع ثمن الجملين.

فالتفت (ع) لعرفة، و قال له: زن لابن المغيث مائة و خمسين دينارا ثم قال لعيسى: فربحك ثلاثون دينارا مع الجملين «۳».

۴- فقير:

و دخل على الامام فقير يسأله العطاء فأراد (ع) اختباره ليكرمه على مقدار معرفته فقال له:

- لو جعل لك التمنى فى الدنيا ما كنت تتمنى؟.

- كنت أتمنى أن ارزق التقية فى دينى و قضاء حقوق اخوانى.

فاستحسن (ع) جوابه و أمر بأن يعطى الف دينار «۴». و قد حفلت كتب التأريخ بذكر الكثير من بره و احسانه على البائسين فقد أغدق عليهم من

---

(۱) الجوانية: بالفتح و تشديد ثانيه: و كسر النون و ياء مشددة:

موضع أو قرية قرب المدينة، جاء ذلك فى معجم البلدان (ج ۲ ص ۱۷۵) طبع بيروت.

(۲) الصريم: الأرض المحصود زرعها.

(۳) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۹) و كشف الغمة: (ص ۲۴۳).

(۴) الوسائل: باب الأمر بالمعروف.

جوده و معروفه ما أغناهم به عن الحاجة و السؤال.

و من آيات كرمه (ع) أنه أولم وليمة فى مناسبة لبعض أولاده فأطعم أهالى يثرب اطعاما شاملا ثلاثة أيام، فعابه على ذلك بعض حساده، فقال (ع):

«ما آتى اللّه نبيا من أنبيائه شيئا إلا- و قد آتى محمدا (ص) و زاده ما لم يؤتهم قال تعالى لسليمان بن داود: «هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب «۱» «۲»، و كان (ع) يقول:

«من موجبات المغفرة إطعام الطعام» «۳».

و كان (ع) لا يرى للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع أو يكسو به عاريا، و قد تلقى هذه الصفة الرفيعة من آبائه الذين ضربوا أسمى الأمثلة للجود و السخاء و المعروف.

حلمه:

و اهتم الاسلام اهتماما بالغا فى تركيز الحلم فى نفوس المسلمين، و جعله عادة لهم، و قد أثرت عن النبى و أئمة الهدى طائفة كبيرة من الأخبار تحث على التحلى به فقد قال النبى (ص): «اللهم اغننى بالعلم، و زينى بالحلم» و قال (ص): «ما أعز اللّه بجهل قط، و لا أذل بحلم قط» و قال الامام أمير المؤمنين «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك و حلمك» و قال الامام زين العابدين: «إنّه ليعجبنى الرجل أن

---

(۱) سورة ص آية ۳۹.

(۲) فروع الكافى: باب الولائم.

(۳) الوسائل.

يدركه حلمه عند غضبه» و قال الامام الصادق: «كفى بالحلم ناصرا» «۱».

و كانت هذه الظاهرة من أبرز صفات الامام موسى (ع) فقد كان مضرب المثل فى حلمه و كظمه للغيظ، و كان يعفو عمن أساء إليه، و يصفح عمن اعتدى عليه، و لم يكتف بذلك و انما كان يحسن لهم و يغدق عليهم بالمعروف ليمحو بذلك روح الشر و الانانية من نفوسهم، و قد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه فقد رووا أن شخصا من احفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للامام، و يكيل السب و الشتم لجده امير المؤمنين (ع) فأراد بعض شيعة الامام اغتياله فنهاهم (ع) عن ذلك و رأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل انه يزرع فى بعض نواحى المدينة، فركب (ع) بغلته و مضى إليه متنكرا، فوجده فى مزرعته فأقبل نحوه فصاح به العمرى لا تطأ زرعنا، فلم يعتن الامام إذ لم يجد طريقا يسلكه غير ذلك، و لما انتهى إليه جلس الى جنبه و أخذ يلاطفه و يحدثه بأطيب الحديث، و قال له بلطف و لين:

- كم غرمت فى زرعك هذا؟.

- مائة دينار.

- كم ترجو أن تصيب منه؟،- أنا لا أعلم الغيب!!.

- انما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟.

- أرجو أن يجيئنى منه مائتا دينار؟.

فأعطاه (ع) ثلاثمائة دينار، و قال: هذه لك و زرعك على حاله فتغير العمرى، و خجل من نفسه على ما فرط من قبل فى حق الامام، و تركه (ع)

---

(۱) النظام التربوى فى الاسلام.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۵۷

و مضى الى الجامع النبوى، فوجد العمرى قد سبقه، فلما رأى الامام مقبلا قام إليه تكريما و انطلق يهتف:

«اللّه أعلم حيث يجعل رسالته فى من يشاء».

فبادر إليه اصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، و يتلو عليهم مناقب الامام و مآثره، و يدعو له، فالتفت (ع) إلى أصحابه قائلا:

«أيما كان خيرا؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟» «۱».

لقد كان موقف الامام مع جميع مناوئيه و مبغضيه موقف اللطف و الاحسان فقد وضع نصب عينيه قوله تعالى: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ و بذلك فقد أعطى لأصحابه درسا رائعا لكيفية النصح و الارشاد و بين لهم أن الدعوة و التبشير لا بد أن يبتنيان على الحق الرفيع، و يرتكزان على سعة الصدر و الحلم، و إذا لم يحفها ذلك فانها لا تكاد تجدى فى ميادين الاصلاح.

و من آيات حلمه (ع) أنه اجتاز على جماعة من حساده و أعدائه، و كان فيهم ابن هياج فأمر بعض اتباعه أن يتعلق بلجام بغلة الامام و يدعيها فمضى الرجل الى الامام و تعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرف الامام غايته فنزل عن بغلته و أعطاها له «۲». لقد أقام (ع) بذلك أسمى مثل للانسانية الفذة و الحلم الرفيع.

و كان (ع) يوصى أبناءه بالتحلى بهذه الصفة الرفيعة و يأمرهم بالصفح عمن أساء إليهم فقد جمعهم و أوصاهم بذلك فقال:

«يا بنى: إنى أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها، اذا أتاكم آت

---

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۸- ۲۹) كشف الغمة: (ص ۲۴۷).

(۲) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۷۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۸

فأسمع أحدكم في الاذن اليمنى مكروها ثم تحول إلى اليسرى فاعتذر لكم، و قال: إني لم أقل شيئا فاقبلوا عذره .. «۱».

و بهذه الوصية نقف على مدى حلمه و سعة خلقه و يترتب على ذلك كثير من الفوائد الاجتماعية، فان قبول عذر المسيء و عدم مقابلته بالمثل من أهم الوسائل الداعية للتآلف و المحبة و جمع الكلمة، و ازالة البغضاء بين الناس.

ارشاده و توجيهه:

إن إرشاد الناس الى الحق و هدايتهم الى الصواب من أهم الأمور الاصلاحية التي كان الامام يعنى بها، فقد قام بدور مهم في انقاذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا و جرفتهم بتياراتها. و ببركة ارشاده و وعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي و الضلال و صاروا من عيون المؤمنين. و قد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة له في هذا المجال فقد رووا قصته مع بشر الحافي، فقد كان في بداية أمره فيما يقول الرواة يتعاطى الشراب و يقضي لياليه و أيامه في المجون و الدعارة فاجتاز الامام عليه السلام على داره ببغداد فسمع الملاهي و أصوات الغناء و القصب تعلو من داره، و خرجت منها جارية و بيدها قمامة فرمت بها في الطريق، فالتفت الامام إليها قائلا:

«يا جارية: صاحب هذه الدار حر أم عبد؟.

«حر».

«صدقت، لو كان عبدا لخاف من مولاه».

و دخلت الجارية الدار، و كان بشر على مائدة السكر، فقال لها:

ما أبطأك؟ فنقلت له ما دار بينها و بين الامام فخرج بشر مسرعا حتى

---

(۱) الفصول المهمة لابن الصباغ: ۲۲۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۵۹

لحق الامام فتاب على يده، و اعتذر منه و بكى «۱» و بعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه و اتصل باللّه عن معرفة و ايمان حتى فاق أهل عصره في الورع و الزهد، و قال فيه ابراهيم الحربي:

«ما أخرجت بغداد أتم عقلا، و لا أحفظ للسانه، من بشر بن الحارث كان في كل شعرة منه عقل» «۲».

و قد أعرض عن زينة الحياة الدنيا، و رضي بالقناعة، و قال فيها:

لو لم يكن في القناعة شيء إلا التمتع بعز الغناء لكان ذلك يجزى، ثم أنشأ يقول:

أفادتني القناعة أي عزو لا عز أعز من القناعة

فخذ منها لنفسك رأس مالو صير بعدها التقوى بضاعة

تحز حالين تغني عن بخيلو تسعد في الجنان بصبر ساعه و كان يتذمر من أهل عصره، و يكره الاختلاط بهم و ذلك لفقدان المؤمنين و الاخيار، و كثرة الأشرار و المنحرفين، لذلك ابتعد عن الاجتماع بكثير من الناس حتى أن المأمون تشفع بأحمد بن حنبل في أن يأذن له في زيارته فأبى و لم يجبه «۳»، و من شعره في تذمره من أهل زمانه قوله:

ذهب الرجال المرتجى لفعالهمو المنكرون لكل أمر منكر

و بقيت في خلف يزين بعضهمبعضا ليدفع معور عن معور «۴»

---

(۱) الكنى و الألقاب: (ج ۲ ص ۱۵۰) نقلا عن منهاج الكرامة للعلامة، و ذكر المناوى هذه البادرة فى الكواكب الدرية: ص ۲۰۸ إلا أنه لم يصرح باسم الامام موسى.

(۲) تأريخ بغداد: (ج ۷ ص ۷۳).

(۳) الكواكب الدرية: (ج ۱ ص ۲۰۸).

(۴) تأريخ بغداد: (ج ۷ ص ۷۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۰

و تجرد عن الدنيا، و انقطع الى اللّه حتى صار من أقطاب العارفين كل ذلك ببركة وعظ الامام و إرشاده له «۱».

و ممن أرشدهم الامام الى طريق الحق: الحسن بن عبد اللّه فقد كان شخصية مرموقة عند الملوك زاهدا فى الدنيا يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر لا تأخذه فى اللّه لومة لائم، فاجتمع بالامام فقال (ع) له:

- يا أبا على، ما أحب الى ما أنت عليه، و أسرنى به، إلا أنه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة.

- و ما المعرفة؟.

- تفقه و اطلب الحديث.

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك و عن فقهاء أهل المدينة، و عرضه على الامام فلم يرض (ع)، و أرشده الى فقه أهل البيت و أخذ الأحكام منهم، و الاعتراف لهم بالامامة فانصاع الرجل لذلك و اهتدى «۲» لقد كان عليه السلام يدعو الناس الى فعل الخير و يدلهم على العمل الصالح و يحذرهم لقاء اللّه و اليوم الآخر، فقد سمع رجلا يتمنى الموت فانبرى (ع) له قائلا:

- هل بينك و بين اللّه قرابة يحابيك لها؟.

- لا- فأنت إذن تتمنى هلاك الأبد «۳».

---

(۱) توفى بشر سنة ۲۲۷ ه- و دفن فى بغداد، و له جامع يقع بجانب مسجد الامام الاعظم، و اما القبر المشهور بقبر شيخ بشار فانه ليس بقبر بشر الحافى كما توهم بعضهم بل هو لبشار المعروف بالزهد.

(۲) المناقب: (ج ۳ ص ۴۰۷) ط النجف.

(۳) الاتحاف بحب الأشراف: (ص ۵۵).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۱

لقد عنى الامام بارشاد المسلمين الى فعل التقوى و عمل الخير، و سنذكر بعض نصائحه الرفيعة، و ارشاداته القيمة الحافلة بالنصح و التوجيه عند عرض تراثه العلمى و الأدبى.

احسانه الى الناس:

و كان الامام بارا بالمسلمين محسنا لهم فما قصده احد فى حاجة إلا قام بقضائها، فلا ينصرف منه إلا و هو ناعم الفكر مثلوج القلب، و كان (ع) يرى أن إدخال الغبطة على الناس و قضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير فلذا لم يتوان قط فى إجابة المضطر، و رفع الظلم عن المظلوم، و قد أباح لعلى بن يقطين الدخول فى حكومة هارون و جعل (كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان) مبررا له، و قد فزع إليه جماعة من المنكوبين فكشف آلامهم و ملأ قلوبهم رجاء و رحمة.

و من هؤلاء الذين أغاثهم الامام (ع) شخص من أهالى الرى كانت عليه أموال طائلة لحكومة الرى فلم يتمكن من أدائها، و خاف على نعمته أن تسلب منه، فأخذ يطيل الفكر فيما يعمل، فسأل عن حاكم الرى، فأخبر أنه من الشيعة، فطوت نيته على السفر الى الامام

ليستجير به فسافر الى يثرب فلما انتهى إليها تشرف بمقابلة الامام فشكا إليه حاله و ضيق مجاله، فزوده عليه السلام برسالة الى والى الرى جاء فيها بعد البسملة:

«اعلم أن للّه تحت عرشه ظلا لا يسكنه إلا من أسدى الى أخيه معروفا، أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سرورا، و هذا أخوك و السلام ..».

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۲

و أخذ الرسالة، و بعد أدائه لفريضة الحج، اتجه الى وطنه، فلما وصل، مضى الى الحاكم ليلا، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه، فقال له:

- من أنت؟.

- رسول الصابر موسى؟.

فهرع الى مولاه فأخبره بذلك فخرج حافى القدمين مستقبلا له، فعانقه و قبّل ما بين عينيه، و جعل يكرر ذلك، و يسأله بلهفة عن حال الامام، ثم إنه ناوله رسالة الامام فقبلها و قام لها تكريما، فلما قرأها استدعى بأمواله و ثيابه فقاسمه فى جميعها و أعطاه قيمة ما لا يقبل القسمة و هو يقول له:

- يا أخى هل سررتك؟.

- أى و اللّه و زدت على ذلك!!.

ثم استدعى السجل فشطب على جميع الديون التى عليه و أعطاه براءة منها، و خرج الرجل و قد طار قلبه فرحا و سرورا، و رأى أن يجازيه على إحسانه و معروفه فيمضى الى بيت اللّه الحرام فيدعو له، و يخبر الامام بما أسداه إليه من البر و المعروف، و لما أقبل موسم الحج مضى إليه ثم اتجه الى يثرب فواجه الامام و أخبره بحديثه، فسر (ع) بذلك سرورا بالغا، فقال له الرجل:

- يا مولاى: هل سرك ذلك؟.

- أى، و اللّه!! لقد سرنى، و سر أمير المؤمنين. و اللّه لقد سر جدى رسول اللّه (ص)، و لقد سر اللّه تعالى ..».

و قد دل ذلك على اهتمامه البالغ بشئون المسلمين و رغبته الملحة فى قضاء حوائج الناس و بذلك ينتهى بنا الحديث عن ذكر بعض مثل الامام و صفاته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۳

أقوال و آراء

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۵

و ظاهرة أخرى من حياة الامام موسى (ع) ربما تكون أعمق، و اكثر شمولا من غيرها و هى اجماع معظم المسلمين على اختلاف ميولهم و مذاهبهم على اجلاله و تعظيمه، و انه فى مقدمة القافلة من أئمة المسلمين فى علمه و تقواه و زهده و تحرجه فى الدين، و انه ممن طبق العالم شذى و عبيرا بسيرته و سلوكه و رسوخ يقينه، و قد سجل كبار العلماء و المؤلفين و غيرهم انطباعاتهم و احاسيسهم و هى مليئة بالاكبار و التعظيم له. و فيما يلى عرض لذلك:

۱- الامام الصادق:

و أشاد الامام الصادق عليه السلام بفضل ولده، و بيّن للمسلمين ما مثل فيه من المواهب و العبقريات، فقال:

«ولدى موسى شبيه عيسى بن مريم» «۱».

و قال: «و فيه علم الحكمة، و الفهم، و السخاء، و المعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، و فيه حسن الخلق، و

الجوار، و هو باب من أبواب اللّه».

و أثرت عنه كثير من الاخبار و هى تشيد بفضل الامام موسى (ع) و تعرب عن مآثره و مواهبه.

۲- هارون الرشيد:

و اعترف هارون الرشيد- الذى هو خصم الامام و أعدى أعدائه- بمواهب الامام و مناقبه، و أنه أحق بالخلافة من غيره، و قد صرح بذلك حينما سأله ولده المأمون عن اكباره و تقديره له، فقال له:

«يا بنى: هذا إمام الناس و حجة اللّه على خلقه، و خليفته على عباده، أنا إمام الجماعة فى الظاهر و الغلبة و القهر، و انه و اللّه لأحق بمقام رسول اللّه (ص) منى و من الخلق جميعا، و و اللّه لو نازعنى فى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناه فان الملك عقيم» و أضاف الى ذلك قوله: «يا بنى

---

(۱) دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى: (ج ۹ ص ۵۹۴).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۶

هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر إن أردت العلم الصحيح تجده عند هذا» «۱».

۳- ابن الساعى:

«اما الامام الكاظم فهو صاحب الشأن العظيم، و الفخر الجسيم، كثير التهجد، الجاد فى الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادات المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجدا، و قائما و يقطع النهار متصدقا و صائما، و لفرط حلمه، و تجاوزه عن المعتدين عليه كان كاظما، يجازى المسىء باحسانه إليه، و يقابل الجانى بعفوه عنه، و لكثرة عبادته يسمى بالعبد الصالح، و يعرف بالعراق بباب الحوائج الى اللّه لنجح المتوسلين الى اللّه تعالى به، كراماته تحار منها العقول، و تقضى بان له قدم صدق عند اللّه لا تزول» «۲».

۴- عبد اللّه بن أسعد اليافى:

«الامام موسى كان صالحا عابدا، جوادا حليما، كبير القدر، و هو أحد الأئمة الاثنى عشر المعصومين فى اعتقاد الامامية، و كان يدعا بالعبد الصالح لعبادته و اجتهاده، و كان سخيا كريما، كان يبلغه عن الرجل ما يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها الف دينار» «۳».

۵- ابن الجوزى:

«موسى بن جعفر كان يدعا العبد الصالح، و كان حليما و كريما إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال» «۴».

---

(۱) ينابيع المودة: (ج ۳ ص ۳۲).

(۲) مختصر أخبار الخلفاء: ص ۳۹.

(۳) مرآة الجنان: (ج ۱ ص ۳۹۴).

(۴) مختار صفوة الصفوة: ص ۱۵۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۶۷

۶- أبو حاتم:

«موسى بن جعفر ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين» «۱».

۷- القرمانى:

«موسى هو الامام الكبير الأوحد، الحجة الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين كاظما، و هو المعروف بباب الحوائج لأنه ما خاب المتوسل به فى قضاء حاجته قط» «۲».

۸- محمد بن احمد الذهبى:

«كان موسى من أجواد الحكماء، و من العباد الأتقياء، و له مشهد معروف ببغداد ..» «۳».

۹- خير الدين الزركلى:

«موسى بن جعفر الصادق بن الباقر، أبو الحسن سابع الأئمة الاثنى عشر عند الامامية، كان من سادات بنى هاشم، و من أعبد أهل زمانه، و أحد كبار العلماء الأجواد ..» «۴».

۱۰- الحسن بن عبد اللّه البخشى:

«هو الامام الكبير القدر، و الكثير الخير، كان رضى اللّه عنه يسهر ليله و يصوم نهاره، و سمى كاظما لفرط تجاوزه عن المعتدين، و هو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسل به فى قضاء حاجته قط و كانت له كرامات ظاهرة و مناقب باهرة، تسنم ذروة الشرف و علاها و سما

---

(۱) تهذيب التهذيب: (ج ۱۰ ص ۳۴).

(۲) أخبار الدول: ۱۱۲.

(۳) ميزان الاعتدال: (ج ۳ ص ۲۰۹).

(۴) الأعلام: (ج ۳ ص ۱۰۸).

أوج المزايا فبلغ أعلاها ..» «۱».

۱۱- احمد بن عبد اللّه الخزرجى:

«موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى، أبو الحسن الكاظم: المدنى، روى عن أبيه، و عنه ابنه على الرضا و أخواه على و محمد ابنا جعفر بن محمد، و طائفة، قال أبو حاتم، ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين و قال يحيى بن الحسين انه اذا بلغه عن رجل يؤذيه، يبعث إليه بصرة فيها الف دينار، و حبسه المهدى ثم أطلقه ..» «۲».

۱۲- ابن حجر العسقلانى:

«موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على أبو الحسن الهاشمى المعروف بالكاظم صدوق عابد من الطبقة السابعة ..» «۳».

۱۳- السيد على فكرى:

«قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الامام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر، جمع من الفقه و الدين بما لا مزيد عليه ..» «۴».

۱۴- الدكتور زكى مبارك:

«كان موسى بن جعفر سيدا من سادات بنى هاشم، و اماما مقدما فى العلم و الدين ..» «۵».

---

(۱) النور الجلى فى نسب النبى: ص ۹۷، مخطوط نفيس توجد نسخة منه بخط المؤلف بمكتبة الاستاذ الشيخ على الخاقانى.

(۲) خلاصة تهذيب الكمال: (ص ۳۳۴).

(۳) التقريب: (ص ۳۶۶).

(۴) احسن القصص: (ج ۴ ص ۲۹۳).

(۵) شرح زهر الآداب: (ج ۱ ص ۱۳۲).

۱۵- على بن محمد المالكى الشهير بابن الصباغ:

«و أما مناقبه، و كراماته الظاهرة، و فضائله و صفاته الباهرة تشهد له بأنه اقترع «۱» قبة الشرف و علاها، و سما الى أوج المزايا فبلغ أعلاها و ذللت له كواهل السيادة فامتطاها، و حكم فى غنائم المجد فاختار صفاياها فاصطفاها ..» «۲».

۱۶- الفضل بن الحسن الطبرسى:

«قد اشتهر بين الناس أن أبا الحسن موسى كان أجل ولد الصادق شأنا، و أعلاهم فى الدين مكانا، و أفصحهم لسانا، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أفقههم ..» «۳».

۱۷- محمد أمين غالب:

«و كان العلويون يقتدون بالرجل العظيم الامام موسى الكاظم، المشهور بالتقوى، و كثرة العبادة حتى سماه المسلمون «العبد الصالح» و كان يلقب أيضا بالرجل الصالح تشبيها له بصاحب موسى بن عمران، المذكور فى القرآن، و كان كريما سخيا ..» «۴».

۱۸- ابن معية:

«الامام موسى الكاظم و يلقب بأبى الحسن، و أبى ابراهيم، و أمه أم ولد و كان عظيم الفضل جليل القدر حبسه الهادى ثم أطلقه لمنام رآه،

---

(۱) اقترع: أى اختار.

(۲) الفصول المهمة: (ص ۲۱۴).

(۳) أعلام الورى فى أعلام الهدى: (ص ۱۷۸).

(۴) تأريخ العلويين: (ص ۱۵۷- ۱۵۸).

ثم حبسه الرشيد و مضى فى حبسه شهيدا» «۱».

۱۹- السيد كاظم اليمانى:

«موسى الكاظم و هو خامس سبط و سابع إمام سمى الكاظم لكظمه الغيظ و حلمه، و كان يخرج بالليل، و فى كمه صرر من دراهم فيعطى من أراد بره، و كان يضرب المثل بصبر موسى و سيرته، و كان إذا صلى العشاء لم يزل يحمد اللّه و يدعو الى نصف الليل، و اذا صلى الصبح ذكر اللّه تعالى الى طلوع الشمس، و كان هذا دأبه ..» «۲».

۲۰- محمد بن على بن شهر اشوب:

«و كان الامام أجل الناس شأنا، و أعلاهم فى الدين مكانا، و أسخاهم بنانا، و أفصحهم لسانا، و أشجعهم جنانا، قد خص بشرف الولاية و حاز إرث النبوة، و تبوأ محل الخلافة، سليل النبوة و عقيد الخلافة» «۳».

۲۱- السيد ضامن بن شدقم:

«السيد الكريم، و الامام الحليم، و سمى الكليم و الصابر الكظيم، صاحب العسكر ذو الشرف الأنور، و النور الأزهر و المجد الأظهر، و النسب الاطهر الصالح الأمين، الصابر الصائم، القائم، الحاكم على المحكوم، الشهيد المسموم المشهود له بالكرامات، المجدّ فى العبادات، المواظب على الطاعات المقيم ليله راكعا و ساجدا، الصائم نهاره، و فى سبيل اللّه مجاهدا، المجازى المسىء باحسانه، الكاظم غيظه، المنتشر حلمه و امتنانه، قائد الجيش، المدفون بمقابر قريش، الامام بالحق أبى ابراهيم، و أبى الحسن الامام موسى الكاظم

---

(۱) سبک الذهب فی سبک النسب، مخطوط توجد منه نسخة بمکتبة الامام کاشف الغطاء العامة.

(۲) النفحة العنبریة فی أنساب خیر البریة: (ص ۱۵).

(۳) المناقب: (ج ۲ ص ۳۸۳).

حیاة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۱۷۱

ابن الامام جعفر الصادق ..» «۱».

۲۲- علی بن محمد الصوفی:

«کان موسی عظیم الفضل رابط الجأش، واسع العطاء، و قیل ان أهله کانوا یقولون: عجبا لمن جاءته صرار موسی فشکا القلة ..» «۲».

۲۳- محمد الصبان:

«أما موسی الکاظم فکان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، و کان من أعبد أهل زمانه و من أکابر العلماء الأسخیاء ..» «۳».

۲۴- احمد بن حجر الهیثمی:

«موسی الکاظم: هو وارث أبیه علما و معرفة و کمالا و فضلا سمی الکاظم لکثرة تجاوزه و حلمه، و کان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، و کان أعبد اهل زمانه، و أعلمهم و أسخاهم» «۴».

۲۵- احمد بن أبی یعقوب المعروف بابن واضح:

«کان موسی بن جعفر علیه السلام من أشد الناس عبادة، و کان قد روی عن أبیه» «۵».

۲۶- عبد الوهاب الشعرانی:

«موسی الکاظم أحد الأئمة الاثنی عشر، و هو ابن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، کان یکنی بالعبد الصالح لکثرة عبادته و اجتهاده و قیامه باللیل، و کان اذا بلغه عن أحد یؤذیه یبعث إلیه

---

(۱) تحفة الأزهار و زلال الأنهار.

(۲) المجدی: مخطوط نفیس بمکتبة الامام کاشف الغطاء.

(۳) اسعاف الراغبین المطبوع علی هامش نور الأبصار: (ص ۲۱۳).

(۴) الصواعق المحرقة: (ص ۱۲۱).

(۵) تأریخ الیعقوبی: (ج ۳ ص ۱۴۵).

حیاة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۱۷۲

بمال ...» «۱».

۲۷- النبهانی:

«موسی الکاظم أحد أعیان أکابر الأئمة من ساداتنا آل البیت هداة الاسلام رضی اللّه عنهم أجمعین، و نفعنا ببرکتهم و أماتنا علی حبهم و حب جدهم الأعظم ..» «۲».

۲۸- محمد بن طلحة الشافعی:

«موسی بن جعفر الکاظم (ع) هو الامام الکبیر القدر، العظیم الشأن الکبیر، المجتهد الجاد فی الاجتهاد، المشهور بالکرامات، یبیت اللیل ساجدا و قائما، و یقطع النهار متصدقا و صائما، و لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدین علیه، دعی کاظما، کان یجازی المسیء باحسانه إلیه، و یقابل الجانی بعفوه عنه، و لکثرة عبادته کان یسمی بالعبد الصالح، و یعرف بالعراق بباب الحوائج الی اللّه لنجح مطالب

المتوسلين الى اللّه تعالى به، كراماته تحار منها العقول، و تقضى بأن له عند اللّه تعالى قدم صدق لا تزل و لا تزول» «۳».

۲۹- الشيخ المفيد:

«كان أبو الحسن موسى أعبد أهل زمانه، و أفقههم و أسخاهم كفا و أكرمهم نفسا، و كان أوصل الناس لأهله و رحمه، و كان يتفقد فقراء المدينة فى الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين و الورق، و الأدقة و التمور فيوصل إليهم ذلك و لا يعلمون من أى جهة هو» «۴».

---

(۱) الطبقات الكبرى: (ص ۳۳).

(۲) جامع كرامات الأولياء: (ج ۲ ص ۲۲۹).

(۳) مطالب السئول (ص ۸۳). طبع ايران.

(۴) الارشاد: (ص ۲۷۱).

۳۰- حفص:

«ما رأيت أحدا أشد خوفا على نفسه من موسى بن جعفر، و لا أرجى للناس منه» «۱».

۳۱- الشبلنجى:

«قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الامام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما المسمى، لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين كاظما، و هو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج الى اللّه و ذلك لنجح المتوسلين به ..» «۲».

۳۲- على بن عيسى الأربلى:

«مناقب الكاظم (ع) و فضائله و معجزاته الظاهرة، و دلائله و صفاته الباهرة، و مخائله تشهد أنه اقترع قمة الشرف و علاها و سما الى أوج المزايا فبلغ أعلاها، و ذللت له كواهل السيادة فركبها و امتطاها، و حكم فى غنائم المجد فاختار صفاياها و اصطفاها:

تركت و الحسن تأخذه‌تصطفى منه و تنتجب

فانتقت منه أحاسنه‌و استزادت فضل ما تهب طالت أصوله فسمت الى أعلى رتب الجلال، و طابت فروعه فعلت الى حيث لا ينال، يأتيه المجد من كل أطرافه، و يكاد الشرف يقطر من أعطافه، «أتاه المجد من هنا و هنا، و كان له بمجتمع السيول» السحاب الماطر قطرة من كرمه، و العباب الزاخر نغبة «۳» من نغبه و اللباب الفاخر من عد من

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۶۵)

(۲) نور الأبصار: (ص ۱۳۵).

(۳) النغبة: بالضم، الجرعة.

عبيده و خدمه كأن الشعرى «۱» علقت فى يمينه، و لا- كرامة للشعر العبور و كأن الرياض أشبهت خلايقه، و لا نعمى لعين الروض الممطور و هو عليه السلام غرة فى وجه الزمان، و ما الغرور و الحجول «۲» و هو أضوأ من الشمس و القمر، و هذا جهد ما يقال بل هو و اللّه أعلى مكانة من هذه الأوصاف و أسمى و أشرف عرقا من هذه النعوت و أنمى، فكيف تبلغ المدائح كنه مقداره أو ترقى همة البليغ الى نعت فخاره، أو تجرى جياد الأقلام فى حلبات صفاته، أو يسرى خيال الأوهام فى ذكر حالاته، كاظم الغيظ، و صائم القيظ، عنصره كريم، و مجده حادث و قديم، و خلق سؤدده و سيم، و هو بكل ما يوصف به زعيم، الآباء عظام و الأبناء كرام و الدين متين و الحق ظاهر مبين، و الكاظم فى أمر اللّه قوى أمين، و جوهر فضله غال ثمين، و واصفه لا- يكذب و لا- يمين، قد تلقى راية الامامة

باليمين فسما (ع) الى الخيرات منقطع القرين، و أنا أحلف على ذلك فيه و فى آبائه باليمين، كم له من فضيلة جليلة، و منقبة بعلو شأنه كفيلة، و هى إن بلغت الغاية بالنسبة إليه قليلة، و مهما عد من المزايا و المفاخر فهى فيهم صادقة و فى غيرهم مستحيلة إليهم ينسب العظماء و عنهم يأخذ العلماء و منهم يتعلم الكرماء، و هم الهداة الى اللّه تعالى، فبهداهم اقتده ..» «۳».

۳۳- الخطيب البغدادى:

«و كان الامام موسى سخيا كريما، و كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها الف دينار، و كان يصر الصرر ثلاثمائة دينار و أربعمائة

---

(۱) الشعرى: بالكسر، الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء و طلوعه فى شدة الحر.

(۲) الحجول: يوم مضىء مشرق بالسرور.

(۳) كشف الغمة: (ص ۲۵۵).

و مائتين ثم يقسمها بالمدينة، و كانت صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الانسان استغنى ..» «۱».

۳۴- الدكتور محمد يوسف موسى:

«و نستطيع أن نذكر أن أول من كتب فى الفقه هو الامام موسى الكاظم الذى مات سجينا عام ۱۸۳ ه- و كان ما كتبه إجابة عن مسائل وجهت إليه تحت اسم (الحلال و الحرام) «۲».

۳۵- الشيخ سليمان المعروف بخواجة كلان:

«موسى الكاظم و هو وارثه- أى وارث أبيه جعفر بن محمد- علما و معرفة و كمالا و فضلا، سمى الكاظم لكثرة تجاوزه و حلمه، و كان عند أهل العراق معروفا بباب قضاء الحوائج، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أسخاهم ..» «۳».

۳۶- النسابة أحمد بن على:

«كان موسى الكاظم عظيم الفضل رابط الجأش، واسع العطاء لقب بالكاظم لكظمه الغيظ، و حلمه، و كان يخرج فى الليل و فى كمه صرر من الدراهم فيعطى من لقيه و من أراد بره، و كان يضرب المثل بصرة موسى و كان أهله يقولون: عجبا لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة» «۴».

۳۷- محمود بن وهيب القراغولى:

«موسى بن جعفر وارث أبيه علما و معرفة و كمالا، و فضلا، سمى بالكاظم لكظمه الغيظ، و كثرة تجاوزه و حلمه، و كان معروفا عند أهل

---

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۱۳ ص ۲۷- ۲۸).

(۲) الفقه الاسلامى مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه: (ص ۱۶۰)

(۳) ينابيع المودة: (ص ۳۶۲).

(۴) عمدة الطالب: (ص ۱۸۵).

العراق بباب قضاء الحوائج عند اللّه، و كان أعبد أهل زمانه، و أعلمهم و أسخاهم ..» «۱».

۳۸- محمد أمين السويدى البغدادى:

«موسى الكاظم هو الامام الكبير القدر الكثير الخير، كان يقوم ليله و يصوم نهاره، و سمى الكاظم لفرط تجاوزه عن المعتدين» «۲».

۳۹- الدكتور عبد الجبار الجومرد:

«الامام الكاظم: هو موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب (ع) و كان ذا تأريخ حافل بالزهد و الورع و الكرم و دماثة الخلق، و قد لقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسيء إليه» «۳».

۴۰- جمال الدين الاتابكى:

«كان موسى يدعا بالعبد الصالح لعبادته، و بالكاظم لعلمه «۴» ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع و عشرين و مائة، و كان سيدا عالما فاضلا سنيا جوادا ممدوحا مجاب الدعوة» «۵».

هذه بعض الآراء التى دوّنها كبار العلماء فى مؤلفاتهم و هى تحمل طابع التقدير و الاكبار للامام، و قد أجمعت على اتصاف الامام بما يلى:

۱- انه أعلم أهل زمانه، و أفقههم.

۲- اجتهاده فى العبادة و الطاعة الى حد لا يجاريه أحد.

---

(۱) جوهرة الكلام فى مدح السادة الأعلام: (ص ۱۳۹).

(۲) سبائك الذهب: (ص ۷۳).

(۳) هارون الرشيد: (ج ۱ ص ۱۷۷).

(۴) انما لقب الامام بالكاظم لكظمه للغيظ وسعة حلمه لا لعلمه، فانه لا مناسبة بين الأمرين.

(۵) النجوم الزاهرة (۲/ ۱۱۲).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۷

۳- انه احلم الناس و اكظمهم للغيظ، و انه يقابل الجانى و المعتدى عليه بالعفو و الاحسان.

۴- انه من اجود الناس و أسخاهم و أنداهم كفا فبصرره يضرب المثل و يستغنى بكرمه من يصله.

۵- انه باب للحوائج عند اللّه، و قد خصه تعالى بهذه الكرامة و منحه بهذا اللطف فضمن لمن توسل به أن يقضى حاجته و مهمته و لا يرجع الى اهله الا و هو مثلوج الفؤاد ناعم الفكر.

۶- انه ذو كرامات تحار منها العقول و الالباب.

۷- انه أوصل الناس لأهله و رحمه.

۸- انه من أفصح الناس و أبلغهم.

۹- انه امام من أئمة المسلمين و من حجج اللّه على خلقه.

۱۰- انه بلغ القمة فى تواضعه و دماثة اخلاقه.

و روى المؤرخون ما يدعم هذه الظاهرة الكريمة فيه، فقالوا أنه مر برجل من اهل السواد ذميم المنظر، فسلم عليه و نزل عنده و حادثه طويلا ثم عرض عليه القيام بحاجته، و قضاء شئونه، و انصرف عنه، و ثقل ذلك على بعض من صحب الامام، فأنكر عليه صنعه، و اخذ يندد بالامام قائلا له:

- يا ابن رسول اللّه أ تنزل الى هذا، ثم تسأله حوائجه، و هو إليك أحوج؟

فغاظ ذلك الامام، و انطلق يجيبه بروح الاسلام و وعيه الذى لا يفرق بين المسلمين قائلا له:

«عبد من عبيد اللّه، و أخ فى كتاب اللّه، و جار فى بلاد اللّه، يجمعنا و اياه خير الآباء آدم، و أفضل الاديان الاسلام، و لعل الدهر يرد

من حاجتنا إليه فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه ..»

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۸

انه ليس من الاسلام فى شىء التفرقة بين صفوف المسلمين، فهم جميعا على صعيد واحد، و ان اكرمهم عند اللّه اتقاهم.

بهذه الروح الفواحة بالايمان و التقوى كان الامام عليه السلام يعالج النفوس المريضة التى اتزعت بالانانية، و الآفات الاجتماعية.

و هذه الصفات الماثلة فى الامام هى السر فى عظمته، و السر فى اجماع العلماء على اكباره و اتفاق المسلمين على محبته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۷۹

من تراثه الفكرى

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۱

أما تراث الامام الفكرى الذى زوّد به أصحابه و طلاب مدرسته فهو من أروع ما خلفه أئمة المسلمين من الثروات الفكرية، و من أنفس ما أبقاه علماء الاسلام من التراث العلمى، فقد تناول كثيرا من العلوم كعلم الحكمة و الكلام، و علم الفقه و التفسير و الحديث و غيرها من العلوم، و يضاف إليها حكمه و آراؤه القيمة التى تناولت آداب السلوك، و الاخلاق، و قواعد الاجتماع و هى حافلة بأروع صور الفصاحة و البلاغة البالغتين حد الاعجاز، و فيما يلى عرض موجز لبعضها:

رسالته فى العقل:

اشارة

العقل هو القوة المبدعة التى منحها اللّه للانسان و شرفه و ميزه به على بقية الموجودات، و جعله خليفة فى الأرض، و قد استطاع بعقله و تفكيره أن يستخدم الكائنات، و يكشف أسرارها، و يميط الحجاب عن دقائقها، و ان يغزو الفضاء، و يصل الى الكواكب، و يكتشف ما فيها كل ذلك وصل إليه الانسان و سيصل فى مستقبله القريب أو البعيد الى ما هو أعمق و أشمل من ذلك.

لقد انتهى الانسان فى انطلاقه الرائع الى هذه الاكتشافات المذهلة بفضل عقله، و ادراكه، و علمه، و قد تحدث الامام موسى عن أهم آثار العقل و استدل على فضله بالآيات الكريمة، و ذلك فى حديثه الذهبى الذى زود به تلميذه هشام بن الحكم، و يعتبر هذا الحديث من أهم الثروات الفكرية التى اثرت عن الامام، و قد شرحه شرحا فلسفيا صدر المتألهين الآخوند ملا صدرا «۱» و قال فى تقريضه ما نصه:

---

(۱) الشيخ ملا صدرا هو محمد بن ابراهيم الشيرازى الحكيم المتأله

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۲

«هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل بالمعنى المذكور- أعنى المرتبة الرابعة من العقول الاربعة المذكورة فى علم النفس- و محتو على معظم صفاته و خواصه و مدائحه، و متضمن لمعارف جليلة قرآنية، و مقاصد شريفة إلهية لم يوجد نظيرها فى كثير من مجلدات كتب العرفاء، و لم يعهد شبيهها فى نتائج أنظار العلماء النظار ذوى دقائق الأفكار إلا منقولا عن واحد من الأئمة الأطهار أو مسندا من طريقهم أو طريق العامة الى الرسول المختار (ص)، و الحديث مشتمل على خطابات ذكر فى كل منها بابا عظيما من العلم، بعضها فى العلوم الالهية و بعضها فى علم السماء و العالم، و بعضها فى علم الفلكيات، و بعضها فى علم الأكوان و المواليد، و بعضها

فى علم النفس، و بعضها فى تهذيب الأخلاق و تطهير النفوس من الرذائل، و بعضها فى السياسات المدنية، و بعضها فى المواعظ و النصائح، و بعضها فى علم الزهد و ذم الدنيا، و بعضها فى علم المعاد و الرجوع الى اللّه، و بعضها فى مذمة الكفرة و الجهلة و سوء عاقبتهم و انقلاب نشأتهم الى نشأة البهائم و انهم صم بكم عمى لأنهم لا يعقلون. الى غير ذلك من العلوم و المعارف ..».

و نقدم نص حديث الامام (ع) مشفوعا بشرح موجز اقتبسنا بعضه مما ذكره فيلسوف الاسلام الشيخ ملا صدرا فى تفسيره لهذا الحديث قال عليه السلام:

«يا هشام: إن اللّه تبارك و تعالى بشّر أهل العقل و الفهم فى كتابه

المعروف كان أعلم أهل زمانه فى الحكمة، متقنا لجميع فنونها- كما قال صاحب السلافة- له الاسفار الاربعة، و شرح أصول الكافى و تفسير بعض السور القرآنية و «كسر الاصنام الجاهلية» و «شواهد الربوبية» و غيرها.

توفى بالبصرة فى حال توجهه الى الحج و ذلك فى سنة ۱۰۵۰، جاء ذلك فى الكنى و الألقاب: (ج ۲ ص ۳۷۲).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۳

فقال: (فبشر عبادى، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم اللّه و أولئك هم أولو الألباب) «۱».

استدلّ الامام (ع) بهذه الآية الكريمة على تقديم أهل العقول المستقيمة على غيرهم لأن اللّه قد بشرهم بالهداية و النجاح، و قد تضمنت الآية التى استشهد بها الامام جملة من الفوائد العلمية نذكر فائدتين منها:

۱- وجوب الاستدلال:

إن الانسان إذا وقف على جملة من الأمور فيها الصحيح و الفاسد، و كان فى الصحيح هدايته و فى السقيم غوايته فانه يتحتم عليه أن يميز بينهما ليعرف الصحيح منها فيتبعه و الفاسد فيبتعد عنه، و من الطبيعى أن ذلك لا يحصل إلا باقامة الدليل و الحجة، و بهذا يستدل على وجوب النظر و الاستدلال فى مثل ذلك.

۲- حدوث الهداية:

و دلت الآية على حدوث الهداية و عروضها، و من المعلوم أن كل عارض لا بد له من موجد كما لا بد له من قابل، أما الموجد للهداية فهو اللّه تعالى و لذلك نسبها إليه بقوله: أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ و أما القابلون لها فهم أهل العقول المستقيمة و الى ذلك أشار تعالى بقوله:

(أولئك هم أولو الألباب) و من المعلوم ان الانسان انما يقبل المعرفة و الهداية لا من جهة جسمه و أعضائه بل من جهة عقله، فلو لم يكن كامل العقل امتنع عليه حصول المعرفة و الفهم كما هو ظاهر، و قد أقام الشيخ ملا صدرا رحمه اللّه الدليل على حدوث الهداية و على أن فاعلها هو اللّه تعالى، و أطال الكلام فى ذلك.

قال (ع):

---

(۱) سورة الزمر: آية ۱۷- ۱۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۴

«يا هشام ان اللّه تبارك و تعالى اكمل للناس الحجج بالعقول، و نصر النبيين بالبيان، و دلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ، وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۱».

أفاد الامام فى حديثه أن اللّه اكمل نفوس أنبيائه بالعقول الفاضلة، ليكونوا حججا على عباده، و هداة لهم الى طريق الخير و النجاة، و لو لم يمنحهم بذلك لما صلحوا لقيادة الأمم و هدايتها فان الناقص لا يكون مكملا لغيره.

لقد نصر اللّه انبياءه ببيان الحق، و آيات الصدق، و دلهم على ربوبيته و علمهم طريق معرفته، و توحيده بأدلة حاسمة تشهد على وجوده، و تدل على وحدانيته، و الآيات التى دلهم عليها من آثار خلقه، و من المعلوم- حسب ما ذكره المنطقيون- ان المعلول يدل على العلة، و الأثر يدل على المؤثر، و قد تضمنت الآية الكريمة التى تضمنها حديث الامام على جملة من الآثار العظيمة التى يستدل بها على وجود اللّه تعالى و هى:

۱- خلق السماوات:

ان من أعظم آيات اللّه الباهرات خلقه للسماوات التى زينها بالكواكب التى تسبح فى الفضاء، و تسير فى مداراتها، و تتباعد بعضها عن بعض حسب قواعد الجاذبية. و هى مسخرة فى حركاتها، و انجذابها و جذبها بأمر اللّه تعالى، يبلغ حجم الواحدة من بعض الكواكب اضعاف حجم الارض عشرات الآلاف، و بعضها اكبر من الارض عدة ملايين، و هى تسير فى افلاكها و منحنياتها لا يصطدم بعضها ببعض، و هى تنادى بوجود اللّه جلت

---

(۱) سورة البقرة: آية ۱۶۳- ۱۶۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۵

قدرته، قال سماحة الامام المغفور له الشيخ محمد عبده:

«تتألف هذه الأجرام السماوية من طوائف لكل طائفة منها نظام كامل محكم، و لا يبطل نظام بعضها نظام الآخر لأن للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على أنه صادر عن إله واحد لا شريك له فى خلقه و تقديره و حكمته و تدبيره، و أقرب تلك الطوائف إلينا ما يسمونه النظام الشمسى نسبة الى شمسنا هذه التى تفيض أنوارها على أرضنا فتكون سببا للحياة النباتية و الحيوانية، و الكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة فى المقادير و الأبعاد، و قد استقر كل منها فى مداره، و حفظت النسبة بينه و بين الأخر بنسبة إلهية، و لو لا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة فى أفلاكها فصدم بعضها بعضا، و هلكت العوالم بذلك فهذا النظام آية على الرحمة الالهية كما انه آية على الوحدانية ..» «۱».

إن ما اكتشفه العلم الحديث من النجوم هو بمقدار من الكثرة بحيث لو كنا نعد النجوم كلها بسرعة ۱۵۰۰ نجم فى الدقيقة لاستغرق عدنا ۷۰۰ سنة، أما نسبة الأرض إليها فهى أقل كثيرا من نقطة على حرف فى مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط «۲».

و مما لا شبهة فيه أنها لم تكن ناشئة عن الصدفة، و هل انها المدبرة و الخالقة لهذه العوالم اذ كيف يمكن أن تفسر هذه العلميات المعقدة المنضمة بتفسير يقوم على المصادفة و التخبط العشوائى «و كيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام فى ظواهر الكون و العلاقات السببية و التكامل و الفرضية و التوافق و التوازن التى تنتظم بسائر الظواهر، و تمتد آثارها من عصر الى عصر، كيف يعمل هذا الكون من دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه و أبدعه

---

(۱) تفسير المنار ۲/ ۶۰.

(۲) اللّه يتجلى فى عصر العلم ص ۴۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۶

و دبر سائر أموره».

يقول جون وليام كوتس:

«ان هذا العالم الذى نعيش فيه قد بلغ من الاتقان و التعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. إنه ملئ بالروائع و الأمور المعقدة التى تحتاج الى مدبر، و التى لا يمكن نسبتها الى قدر أعمى.

و لا شك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة و فهم و تقدير ظواهر هذا الكون و هى بذلك تزيد من معرفتنا باللّه و من ايماننا بوجوده» «۱».

۲- الارض:

و من عجائب آيات اللّه خلقه لهذا الكوكب الذى نعيش عليه، فقد جعله تعالى يدور حول محوره فى كل ۲۴ ساعة مرة واحدة، و سرعة حركته (۱۰۰۰) ميل فى الساعة، و لو كان يدور حول محوره بسرعة ۱۰۰ ميل فى الساعة لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن، و كذا طول النهار، و كانت الشمس محرقة فى الصيف لجميع النبات، و فى الليالى الباردة كان ينجمد ما عليها من نبات و حيوان كما انها لو اقتربت الشمس من الأرض أكثر مما عليه الآن لازدادت الاشعة التى تصل إليها بدرجة تؤدى الى امتناع الحياة فوقها كما انها لو ابتعدت عنها اكثر مما عليها لحدث العكس و قلت الاشعة و ازدادت قسوة البرد بدرجة تؤدى الى امتناع الحياة عليها و لو أن الأرض كانت صغيرة كالقمر أو حتى أن قطرها كان ربع قطرها الحالى لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوى و المائى اللذين يحيطان بها، و لصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت، و لو كان

---

(۱) اللّه يتجلى فى عصر العلم ص ۴۸.

(۲) التكامل فى الاسلام ۴/ ۶۶.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۷

قطرها ضعف قطرها الحالى لأصبحت جاذبيتها للاجسام ضعف ما هى عليه و انخفض تبعا لذلك ارتفاع غلافها الهوائى، و زاد الضغط الجوى و هو يوجب تأثيرا بالغا على الحياة فان مساحة المناطق الباردة تتسع اتساعا كبيرا، و تنقص مساحة الاراضى الصالحة للسكنى نقصا ذريعا، و بذلك تعيش الجماعات الانسانية منفصلة أو فى أماكن متنائية فتزداد العزلة بينها، و يتعذر السفر و الاتصال بل قد يصير ضربا من ضروب الخيال.

و لو كانت الارض فى حجم الشمس لتضاعفت جاذبيتها للاجسام التى عليها الى ۱۵۰ ضعفا و نقص بذلك ارتفاع الغلاف الجوى، و وصل وزن الحيوان الى زيادة ۱۵۰ ضعف عن وزنه الحقيقى كما تتعذر الحياة الفكرية بصورة عامة «۱».

و خص اللّه الأرض بميزة أخرى بأن جعل لها غلافا غازيا كثيفا سمكه يقدر ب ۸۰۰ كيلومتر، و هو يتكون من جميع العناصر الضرورية للحياة، و هو السبب فى حيلولة الشهب القاتلة الى الارض كما انه السبب فى ايصال حرارة الشمس بصورة معتدلة الى الارض بحيث يمكن ان تعيش على سطحها النباتات و الحيوانات كما ان له الأثر فى نقل المياه و البخار من المحيطات الى القارات و لولاه لتحولت القارات الى أرض قاحلة، و ليس لبعض الكواكب هذا الغلاف مما سبب عدم ظهور الحياة عليها فالمريخ له غلاف غازى و لكنه رقيق جدا و غير صالح للحياة لخلوه من الاوكسجين و الزهرة لها غلاف غازى و لكنه مكون من ثانى اوكسيد الكربون مما يجعله غير صالح لظهور الحياة و كذلك القمر له غلاف، و لكنه رقيق، و خال من العناصر الضرورية للحياة مثل الاوكسجين «۲».

---

(۱) اللّه يتجلى فى عصر العلم ص ۱۰- ۱۱

(۲) التكامل فى الاسلام ۶/ ۱۲۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۸

و مما ميز اللّه به الأرض بأن جعلها غبراء اللون لتكون قابلة للانارة و الضياء، و جعلها متوسطة فى الصلابة ليمكن المشى عليها، و لتقبل الزرع و الحرث، و ناهيك بما فى مائها و أنهارها و جبالها و معادنها من الآيات و العجائب قال سماحة الامام المغفور له كاشف الغطاء:

«حقا إن من أعظم تلك الآيات التى نمر عليها فى كل وقت و على كل حال هذه الأرض التى نعيش عليها، و نعيش منها و نعيش بها، منها بدؤنا و إليها معادنا. (منها بدأناكم و إليها تعودون) لا نزال نمشى على الأرض، و نثير ترابها فى الحرث و النسل، و نتقلب عليها للضرع و المرع، و نزاولها فى عامة شئون الحياة، و لا تزال تدر علينا بخيراتها و بركاتها و نحن ساهون لاهون، و عن آياتها معرضون غافلون عما فيها من عظيم القدرة، و باهر الصنعة، و دلائل العظمة و القوة، هذا التراب الذى قد نعده من أحقر الأشياء و أهونها و الذى هو فى رأى العين شىء واحد و عنصر فرد، كم يحتوى على عناصر لا- تحصى و خواص لا- تتناهى، تنثر فيه حب القمح فيعطيك أضعافا من نوعه، و تنثر فيه الفول و العدس و أمثالهما من القطانيات المختلفة فى الطعوم و الخواص فتعيدها إليك مضاعفة مترادفة، و تغرس فى نفس ذلك التراب نواة النخل و بذرة الكرم، و أقلام التين و التفاح و أمثالها من الفواكه فتثمر تلك الثمار الشهية المختلفة الأذواق المتغايرة الخواص، و قال رحمه اللّه: الأرض هى أم المواليد الثلاثة: الجماد، و النبات، و الحيوان، و تحوطها العناية بالروافد الثلاثة:

الماء، و الهواء و الشمس، فهى الحياة و هى الممات، و فيها الداء، و منها الدواء و قد تحصى نجوم السماء، أما نجوم الأرض فلا تحصى.

نعم لا تحصى نجوم الارض و لا معادن الارض و لا عناصر الأرض، و لا تزال الشريعة الاسلامية قرآنها و حديثها يعظم شأن الأرض و ينوه عنها صراحة و تلميحا فيقول: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَ أَمْواتاً وَ الْأَرْضَ

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۸۹

بَعْدَ ذلِكَ دَحاها أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلًا وَ حَدائِقَ غُلْباً وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا «۱».

إن الأفكار الثاقبة و العقول الجبارة التى استخدمت جميع وسائل العلم الحديث لم تصل الى تحليل جميع عناصر الارض و استخراج جميع كنوزها، مع انها بعض مخلوقات اللّه بل من أبسطها فسبحانه ما أجل قدرته و أعظم صنعه ..!

۳- اختلاف الليل و النهار:

و من آيات اللّه تعالى اختلاف الليل و النهار، و ذكر علماء التفسير للاختلاف وجهين: (أحدهما) انه افتعال مأخوذ من خلفه يخلفه إذا ذهب الاول و جاء الثانى فيكون المراد باختلاف الليل و النهار تعاقبهما فى الذهاب و المجيء (الثانى) الاختلاف فى الطول و القصر و النور و الظلمة و الزيادة و النقيصة، و كما انهما يختلفان فى الزمان فكذلك يختلفان فى المكان فكل ساعة فرضت معينة فى موضع من الأرض بأنها صبح مثلا فهى فى موضع آخر ظهر، و فى مكان ثالث عصر و من رابع مغرب و هلم جرا و ذلك لكروية الارض، و هذا الاختلاف من آثار النظام الشمسى الذى يدل على وحدة اللّه و وجوده، و هناك مصالح لا تحصى ترتبت على هذا الاختلاف كانتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب و المعيشة فى النهار و طلب الراحة و النوم فى الليل «۲» الى غير ذلك من المصالح الحيوية التى ذكرها العلماء فى

(۱) الارض و التربة الحسينية: ص ۱۰- ۱۳.

(۲) تفسير الرازى: (ج ۲ ص ۶۵- ۶۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۰

سر هذا الاختلاف التى تكشف عن وجوده تعالى و جميل صنعه و عظيم قدرته!.

۴- جريان الفك:

و من آياته تعالى جريان الفلك فى الماء فانه لو لا توسط الماء فى اللطافة و الخفة لما أمكن جريان البواخر و السفن فيه، كما انه لو لا الرياح المعينة على تحريكها الى الجهات المختلفة حسب اغراض الناس لما أمكن النفع بها، و قد جعل اللّه تلك الرياح متوسطة فى الهدوء و لو كانت عاصفة لتحطمت البواخر، بالاضافة الى أن مواد السفن من الخشب و الحديد و غيرها هى من خلق اللّه تعالى و من إيجاده، و إن كانت الهيئة التركيبية من الناس «۱» و جميع هذه الأمور التى المحنا إليها من فعل اللّه و من آثاره.

۵- نزول الماء من السماء:

و من عظيم آيات اللّه تعالى انزاله الماء من السماء فانه من عجائب صنعه و باهر قدرته، فقد خلقه مركبا من الاوكسجين و الهيدروجين و غيرهما بنسب متفاوتة و مقادير معينة. و كل عنصر من أجزائه يختلف عن العنصر الآخر و يخالفه و جعله تعالى سببا لحياة الاجسام النامية فقال: «و جعلنا من الماء كل شىء حيا» كما جعله تعالى سببا لحياة الانسان و سببا لرزقه و معيشته فقال:

وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ.

و إنما كان نزول المطر حياة للارض- كما صرحت به الآية الكريمة- لأن فيها قوة الحياة الحيوانية و النباتية، و ان كانت القوة بعيدة بالقياس الى

---

(۱) تفسير الرازى: (ج ۲ ص ۶۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۱

الحيوانية، فاذا نزل عليها الماء ظهر فيها من العشب و الكلاء و ما شاكله من النباتات التى يعيش بها الانسان و تحيى بها دواب الأرض، أو لأنه يحصل للارض بسبب نزول المطر النبات و الازهار و الرياحين فتكسى بذلك ثوبا من الحسن و الجمال تبعث على البهجة و المسرة لمن نظر إليها و هذا هو المراد من حياتها، و على كل ففى ذلك آيات و شواهد على وجود الصانع و باهر قدرته.

و لو أمعن الانسان فى النبات و الزرع و ما فيهما من العجائب لآمن بقدرة اللّه و جمال صنعه و تدبيره، فان الزرع يخرج على الحد الذى يحتاج إليه العباد فى أوقات معلومة فما يخرج فى موسم الربيع لا يدرك فى الخريف و ما يخرج فى الصيف لا يوجد فى الشتاء، و مضافا الى ذلك تغاير الاشجار و الثمار فانها متغايرة بألوانها و طعمها و رائحتها مع أنها تسقى بماء واحد و تخرج من أرض واحدة، فلو نظر الانسان الى ذلك بعين البصيرة لآمن بربه و ما زاغ قلبه و ما خرج عن جادة الايمان.

۶- بث الدواب فى الأرض:

و من آيات اللّه العظيمة بث الحيوانات فى الأرض المختلفة فى أنواعها و أصنافها و أشكالها و شرفها و خستها المتباينة فى أخلاقها و طبائعها و معيشتها و الانسان من جملة الحيوانات، و لكنه من أشرفها و أرقاها فهو خليفة اللّه فى أرضه لأن فيه انموذجا لجميع ما فى العالمين عالم الملك، و عالم الملكوت خصوصا بحسب وعيه و ادراكه، و احاطته بكثير من الحقائق و المعلومات الكلية و الجزئية فهو

عالم بنفسه بل هو أكبر من العالم يقول الامام امير المؤمنين (ع):

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۲ أ تحسب انك جرم صغيرو فيك انطوى العالم الأكبر إن الانسان بحسب تكوينه من أعظم آيات اللّه ففيه من الاجهزة الدقيقة ما لا تحصى و لا تعد كتكوين العين التى تحتوى على التنظيمات التلسكوبية و المكروسكوبية و هى تحتوى على ۱۳۰ مليون من مستقبلات الضوء، و هى أطراف أعصاب الابصار، و يقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذى يقيها ليلا و نهارا، و تعتبر حركته حركة لا ارادية، و يمنع عنها الاتربة و الذرات كما يكسر من حدة الشمس، و جعل لها السائل المحيط بها المعروف بالدموع من أقوى المطهرات و المعقمات الى غير ذلك مما هو أبلغ دليل على وجود اللّه و فى الانسان حاسة السمع، و هى من أعجب اجهزة الانسان فان فيه التيه و قد قال فيه العالم (كورثى):

«إن التيه يشتمل على نوع من الاقنية بين لولبية، و نصف مستديرة و ان فى القسم اللولبى وحده اربعة آلاف قوس صغيرة متصلة بعصب السمع فى الرأس».

ما طول تلك الأقواس؟

ما حجمها؟

كيف ركبت؟

إنها دقة تحير الالباب، فسبحان اللّه المكون و المصور، و فى الانسان حاسة الشم، و هى من اعظم آيات اللّه، فان مركز هذه الحاسة منطقة محدودة من الغشاء المخاطى المبطن لتجويف الأنف، تسمى منطقة الشم، و هى خالية من الأهداب، و بها عدة خلايا شمية طويلة رقيقة تنقل الأثر الى المخ، و ذلك فى جزء من الأنف، و هو المدخل الرئيسى للجهاز التنفسى الذى يتوقف عليه حياة الانسان.

و فى الانسان الجهاز العظمى، و هو يتكون من ۲۰۶ عظم، و يتصل

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۳

بعضها ببعض بالمفاصل التى تحركها العضلات، و هذه العظام مصنع الحياة فى الجسم اذ انها تكون الكريات الدموية الحمراء و البيضاء و انها اساس الحياة و من عجيب أمر هذه الكريات انها فى كل دقيقة من حياة الانسان يموت منها ما لا يقل عن مائة و ثمانين مليونا بسبب دفاعها عن الجسم ضد الميكروبات الوافدة، و اضافة لما تصنعه العظام من كريات الدم فانها مخزن تحفظ للجسم ما يزيد على حاجته من الغذاء سواء كان ذلك فى داخل العظام نفسها كالمواد الدهنية و الزلالية أو على العظام نفسها كالمواد الجيرية.

اما ملاءمة العظام لما خلقت له فهذا أمر عجيب. فعظام الجمجمة التى تحمى المخ أشد صلابة من غيرها، و أكثرها سمكا لانها تحمى انسجة رقيقة و دقيقة.

الى غير ذلك مما فى الانسان من الاجهزة المحيرة كالجهاز العصبى و الجهاز التناسلى، و الجهاز اللمفاوى، و الجهاز العضلى «۱» و هى تدل بوضوح على مكونها و خالقها، فانها لا يمكن ان تتكون صدفة فان حديث المصادفة اصبح من الخرافات التى لا يؤمن بها من كان له أدنى تفكير و شعور.

۷- تصريف الرياح:

من آيات اللّه تصريفه للرياح فانها تأتى جنوبا، و شمالا، و قبولا و دبورا، هذا هو كيفية تصريفها «۲».

---

(۱) يراجع فى هذه البحوث بصورة مستفيضة الى المصادر التالية:

اللّه و العلم الحديث، أمالى الامام الصادق، اللّه يتجلى فى عصر العلم، العلم يدعو للايمان.

(۲) تفسير الطبرى ۲/ ۶۵.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹۴

ان الرياح: هي حركة الهواء الموجود في الطبقات السفلى من الجو إذا سارت متوازية مع سطح الارض، و تختلف سرعة الرياح حتى تصل الى مائة كيلومتر في الساعة، و تسمى زوبعة، و إذا زادت عليها تسمى اعصارا، و قد تصل سرعتها الى ۲۴۰ كيلومترا في الساعة، و هذه الرياح هي العامل المهم في نقل بخار الماء و توزيعه، كما انها من أهم الوسائل لتلقيح النباتات. فقد ثبت ان هناك قسما كبيرا من النبات لا يتم تلقيحه الا بالهواء، قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ «۱».

۸- تسخير السحاب:

و من آياته تعالى تسخير السحاب، فقد سخره في أوقات مخصوصة لاحياء العباد و البلاد، و لو دام وجوده لعظم ضرره لأنه يستر أشعة الشمس كما يؤدي الى فساد جميع المركبات التي تتوقف على الجفاف، و بانقطاعه يعظم الضرر لأنه يؤدي الى القحط فيهلك الانسان و الحيوان فكان تقديره بالاوقات الخاصة و الفصول المعينة لأجل الصالح العام.

ان السحاب يتكون من تكاثف البخار في الهواء، و يختلف ارتفاع السحب على حسب نوعها، فمنها ما يكون على سطح الأرض كالضباب، و منها ما يكون ارتفاعه بعيدا الى اكثر من ۱۲ كيلومترا كسحاب (السيرس) الرقيق.

و عند ما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومترا في الساعة لا يمكن نزول قطرات المطر المتكون، و ذلك لمقاومة الرياح لها، ..

---

(۱) سورة الحجر: آية ۲۲.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹۵

و كلما تناثرت النقط تشحن بالكهرباء الموجبة، و تنفصل عنها الكهرباء السالبة التي تحملها الرياح .. و بعد مدة تصير مشحونة شحنا وافرا بالكهرباء، و عند ما تقترب الشحنتان بعضها من بعض بواسطة الرياح .. يتم التفريغ الكهربائي، و ذلك بمرور شرارة بينهما، و يستغرق وميض البرق لحظة قصيرة و يكون شكله خطا منكسرا، و يسمع بعده الرعد و هو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء، و تخيم السحابة، و ينزل منها المطر فتأخذ منه الأرض ما قدر اللّه لها من الماء.

فانظر كيف ولدت الرياح الكهرباء بنوعيه في السحب، و سببت نزول المطر منها «۱» كل ذلك بتقدير اللّه العزيز العليم، و تحدث الطنطاوي في تفسيره عن السحب و فوائدها قال:

«تعجب كيف كان السحاب ليس يرتفع عن وجه الارض في الجو اكثر من ستة عشر الف ذراع، و إن أقربه ما كان مماسا لوجه الارض نادر في بعض البلدان إذ لو كان السحاب مماسا لوجه الارض لأضر ذلك بالحيوان و النبات و أمتعة الناس. إلى أن قال: كما أنه لو كان بعيدا شديد الارتفاع في الهواء حتى لا يرى لكانت الامطار و الثلوج تأتي مفاجأة و الناس و الحيوان عنها غافلون لا يتحرزون فيكون الضرر عاما» «۲».

هذا بعض ما في الآية الكريمة من الشواهد و الأدلة على وجود اللّه تعالى الذي هو المصدر لوجود هذه العوالم و قد استدل الامام (ع) بهذه الآيات لدعم حقيقة الايمان باللّه، و تحرير العقول من خرافات الشرك و فيما يلي فصل آخر من حديثه (ع) قال:

---

(۱) اللّه و العلم الحديث ص ۱۷۴- ۱۷۵.

(۲) تفسير الجواهر: (ج ۱ ص ۱۵۵).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹۶

«يا هشام: قد جعل اللّه ذلك «۱» دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا فقال: وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۲» و قال: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۳» و قال:

ان فى اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۴» و قال: يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۵» و قال: وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوانٌ وَ غَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۶» و قال: وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۷» و قال: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ

---

(۱) اسم الاشارة يرجع الى الآية المذكورة او لكلامه المتقدم.

(۲) سورة النحل: آية: ۱۲.

(۳) سورة المؤمن: آية: ۶۶.

(۴) قد أخذ هذا من مضمون الآية الرابعة فى سورة الجاثية.

(۵) سورة الحديد: آية ۱۸.

(۶) سورة الرعد: آية: ۴.

(۷) سورة الروم: آية: ۲۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۱۹۷

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۱» و قال: هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ، تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۲».

استدل (ع) بهذه الآيات الكريمة على آثار اللّه تعالى الدالة على وجوده و وحدانيته، و قد بسطنا الكلام فى بعضها، و إنما أعادها (ع) للتنبيه على وثاقة الأدلة فانه لو أمعن بها العاقل المفكر و تدبرها لآمن بذلك و لم يبق عنده أى مجال للشك، و لذا كررها تعالى فى كتابه الحكيم، ثم انه (ع) ذكر بعض الموبقات و الجرائم التى حرمها القرآن و هى:

۱- الشرك باللّه.

۲- عصيان الأبوين.

۳- قتل الاولاد خشية إملاق.

۴- الفواحش ما ظهر منها و ما بطن.

۵- قتل النفس المحترمة.

و لو لا خوف الاطالة لبسطنا الكلام فى بيان بقية الآيات التى استشهد بها الامام فى حديثه، و لننتقل الى فصل آخر من كلامه، قال عليه السلام:

«يا هشام: ثم وعظ أهل العقل و رغبهم فى الآخرة فقال: وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۳».

استدل (ع) بالآية الكريمة على ترغيب اللّه تعالى لعباده العقلاء فى دار الخلود و النعيم و ذمه لدار الدنيا لأنها محصورة على الاكثر فى

اللهو و اللعب

---

(۱) سورة الانعام: آية ۱۵۱.

(۲) سورة الروم: آية: ۲۸.

(۳) سورة الانعام: آية: ۳۱.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹۸

فينبغي للعقلاء أن يزهدوا فيها و يجتنبوا شرها و حرامها، و يعملوا للدار الباقية التي أعدت للمتقين و الصالحين و لننتقل الى فصل آخر من حديثه قال (ع):

«يا هشام: ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ، وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۱» و قال: إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۲».

استدل (ع) بهذه الآيات الكريمة على تدميره تعالى للذين لا يعقلون من الامم السالفة التي كفرت باللّه و قد نزلت الآيات في قوم لوط حينما جحدوا اللّه و كفروا بآياته فأنزل تعالى بهم عقابه و جعل موطنهم بحيرة منتنة قبيحة المنظر و جعلها بسبيل مقيم يمر بها المارون ليلا و نهارا و لذا قال تعالى:

وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ .. «۳» و قد جعلهم تعالى عبرة و موعظة للذين يعقلون، فان فيه تحذيرا لهم من مخالفة المرسلين و المصلحين فان عاقبة المخالفة و العصيان الدمار و الهلاك «۴»، و قال عليه السلام:

«يا هشام: إن العقل مع العلم قال تعالى: وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ، وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ «۵».

استدل (ع) بالآية الكريمة على ملازمة العقل للعلم فان العقل بجميع مراتبه لا ينفك عن العلم و لا يفترق عنه، و سبب نزول الآية فيما يقوله المفسرون

---

(۱) سورة الصافات: آية: ۱۳۶ و ۱۳۷ و ۱۳۸.

(۲) سورة العنكبوت: آيه: ۳۳ و ۳۴.

(۳) تفسير ابن كثير: (ج ۴ ص ۲۰).

(۴) روح المعاني: (ج ۷ ص ۳۱۳).

(۵) سورة العنكبوت: آية: ۴۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۱۹۹

ان الكافرين قالوا إن اللّه كيف يضرب الأمثال بالهوام و الحشرات كالبعوض و الذباب و العنكبوت، و الامثال ينبغي ان تضرب بغير ذلك من الامور الخطيرة و هو منطق هزيل، فان التشبيه انما يكون بليغا فيما اذا كان مؤثرا في النفس فاذا قال الحكيم لمن يغتاب انسانا إنك بهذه الغيبة كأنك تأكل لحم الميتة لأنك تغتابه فان هذا يؤثر في ردعه اكثر مما يؤثر قوله: إن الغيبة حرام أو تورث العتاب و الشحناء بين الناس.

و أشار تعالى بقوله: وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ إلى أن معرفة حقيقة الاشياء و التمييز بين صحيحها و سقيمها لا يعقلها إلا من حصل له العلم و المعرفة فغير العالم لا يفقه ذلك «۱» و لننتقل الى فصل آخر من كلامه قال (ع):

«يا هشام: ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۲» و قال: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ «۳» و قال:

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ «۴» و قال: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا «۵» و قال: لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ، بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

---

(۱) تفسير الرازى.

(۲) سورة البقرة: آية: ۱۶۹.

(۳) سورة البقرة: آية: ۱۷۱.

(۴) سورة يونس: آية: ۴۲.

(۵) سورة الفرقان: آية: ۴۴.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۰

لا يَعْقِلُونَ «۱» و قال: وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۲».

استدل الامام (ع) بالآيات الكريمة على ذم من لا يعقل، و نتعرض فيما يلى الى بعض معانيها ليتضح استشهاد الامام بها:

(الآية الأولى):

دلت على ذم من يتبع أسلافه و مشايخه فى الامور الدينية من غير بصيرة و لا دليل، فان الذى يحفزهم الى اتباعهم انما هو الجهل و الغباوة و التعصب، و قد نزلت الآية فى اليهود حينما دعاهم رسول اللّه (ص) الى الاسلام فرفضوا ذلك، و قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا «۳» و لو كانت لهم عقول مستقيمة، و نضوج فكرى لفقهوا أن التقليد فى العقائد لا- يقره العقل السليم، فالعقيدة لا بد أن تؤخذ من الدليل العلمى الصحيح فانها أساس لحياة الانسان و سلوكه قال الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره:

«لو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية باسلوبها لتنفيرهم من التقليد فانهم فى كل ملة و جيل يرغبون عن اتباع ما أنزل اللّه استئناسا بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه، و حسبك بهذا شناعة إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل اللّه تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله و حسن سيره، إذ ما من عاقل إلا و هو عرضة للخطأ فى فكره، و ما من مهتد إلا و يحتمل أن يضل فى سيره، فلا ثقة فى الدين إلا- بما أنزل اللّه، و لا- معصوم إلا- من عصم اللّه، فكيف يرغب العاقل عما أنزل اللّه الى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل، على أنه لو لم يكن مؤمنا بالوحى لوجب

---

(۱) سورة الحشر: آية: ۱۳.

(۲) سورة البقرة: آية: ۴۳.

(۳) التبيان: (ج ۱ ص ۱۸۸) ط ايران.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۱

أن ينفره عن التقليد قوله تعالى: وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۱».

(الآية الثانية):

متصلة بالآية الأولى، و متممة لها فانه تعالى لما حكى حالة الكفار فى إصرارهم على التقليد الأعمى عند دعوتهم الى الاسلام ضرب اللّه للسامعين مثلا- عن حالهم- لئلا ينخدعوا بهم- بأنهم كالانعام و البهائم التى لا تعى دعاء الراعى لها سوى سماع الصوت منه دون أن تفهم المعنى، فكذلك هؤلاء لا يتأملون دعوة الحق و لا يعونها فهم بمنزلة من لا يعقل و هذا أعظم قدح و ذم للذين لا يعقلون.

(الآية الثالثة):

حكى فيها تعالى حال بعض الكفار بأنهم فى منتهى القسوة و جمود الطبع و خمود نار الذهن فانهم يستمعون الى ما يتلى عليهم من الآيات و الأدلة على صحة دعوة النبى (ص) و لكنهم صم من ناحية إدراك المعنى و تفهمه، و انه لا جدوى و لا فائدة فى دعوتهم الى اعتناق هذا الدين فقد بلغوا النهاية فى أمراضهم العقلية و النفسية بحيث لا يجدى معهم العلاج و النصح.

(الآية الرابعة):

خاطب اللّه فيها نبيه بأن لا يطمع فى إيمان بعض الكفرة لانهم كالأنعام فى عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من الآيات الباهرة فهم أضل سبيلا- من الأنعام لأنها تنقاد لصاحبها الذى يتعهدها و تهتدى لمراعيها و مشاربها و تأوى الى معاطنها و مرابضها و هؤلاء لا ينقادون لربهم و خالقهم و رازقهم فلا يعرفون احسانه و نعمه بالاضافة الى أن الحيوانات لم تعطل قوة من قواها المودعة فيها بل صرفت كل قوة الى ما خلقت له، و أما الكفرة فقد عطلوا قواهم

---

(۱) المنار: (ج ۱ ص ۱۰۰)

العقلية فضيعوا الفطرة الأصلية التى فطر الناس عليها و هى معرفة اللّه و الايمان به فلذا كانوا أضل سبيلا من البهائم.

(الآية الخامسة):

احتوت على ذم الكفرة لأن فيهم ثلاث من الصفات الذميمة و هى:

۱- الجبن عن الحرب. حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۲۰۲ ۸ - تسخير السحاب: ..... ص : ۱۹۴

البأس الشديد فيما بينهم.

۳- تشتت قلوبهم.

و علل تعالى الصفات الثلاث أو الاخيرة بعدم العقل، فان العاقل لا يكون جبانا كما انه لا يقع بأس أو خلاف بينه و بين غيره فان ذلك ينشأ من الجهل و الغباوة، و ذلك لا يتصف به المؤمنون و قد أشار (ع) إليهم بقوله:

«المؤمنون يد واحدة على من سواهم» و ذلك لاتحاد أفكارهم و وحدة اتجاههم فلا يعقل التفرق و الانقسام بين صفوفهم.

(الآية السادسة):

نزلت فى علماء اليهود فقد كانوا يقولون لاقربائهم من المسلمين:

اثبتوا على ما انتم عليه و هم لا يؤمنون بالاسلام «۱» و كان الاحرى بهم أن يعتنقوا الاسلام ثم يأمرون الغير بالتمسك به.

إلى هنا ينتهى بنا الحديث فى بيان الآيات التى استدل بها (ع) على ذم من لا يعقل من الناس، و لننتقل الى فصل آخر من كلامه، قال (ع):

«يا هشام: ثم ذم اللّه الكثرة فقال: وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ «۲»، و قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

---

(۱) مجمع البيان: (ج ۱ ص ۹۸).

(۲) سورة الانعام: آية: ۱۱۶.

السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ «۱» و قال تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ «۲».

استدل (ع) بالآيات الثلاث على ذم اكثر الناس لأنهم قد حجبوا عن نفوسهم الحق و توغلوا فى الباطل و غرقوا فى الشهوات إلا من

رحمه اللّه منهم و أخرجه من الظلمات الى النور، و نعرض فيما يلى الى مدلول الآيات- بايجاز-:

(الآية الاولى):

خاطب فيها تعالى نبيه (ص) و أراد به غيره أو ان الخطاب له و لغيره فى أنه (ص) لو أطاع الجمهور من الناس و سار على وفق أهوائهم و ميولهم لأضلوه عن دين اللّه و صرفوه عن الحق:

(الآية الثانية):

دلت بحسب مفهومها على أن اكثر الناس يقولون. ما لا يعلمون، و انهم لا يؤمنون باللّه فى قلوبهم بل انما يجرى على السنتهم من دون أن ينفذ الى اعماق نفوسهم.

(الآية الثالثة):

خاطب فيها تعالى نبيه بأنه لو سأل المشركين من هو الذى أنزل الماء من السماء الذى هو سبب رزقهم و حياتهم؟ لأجابوه بأنه هو اللّه تعالى الموجد للممكنات بأسرها و مع ذلك فانهم يشركون به و يعبدون بعض مخلوقاته التى لا يتوهم منها القدرة على ايجاد أى شىء- فالحمد للّه- على اظهارهم الحجة و اعترافهم بأن الخالق لأصول النعم و فروعها هو اللّه تعالى فيكون

---

(۱) سورة لقمان: آية: ۲۵.

(۲) سورة العنكبوت: آية: ۶۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۴

الحمد الذى ذكره تعالى كالحمد عند رؤية المبتلى «۱»، و نعرض الى فصل آخر من كلامه قال عليه السلام:

«يا هشام: ثم مدح القلة فقال: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ «۲» و قال: وَ قَلِيلٌ ما هُمْ «۳» و قال: وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ «۴» و قال: وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ «۵» و قال: وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ* «۶» و قال: وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ «۷» و قال: و اكثرهم لا يَشْعُرُونَ*.

استدل (ع) بالآيات الكريمة على مدحه قلة المؤمنين و ندرة وجودهم و قد صرحت الاخبار الواردة عن أهل البيت (ع) بذلك فقد قال أبو عبد اللّه عليه السلام: (المؤمنة أعز من المؤمن، و المؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟» و يعود السبب فى هذه القلة الى أن الايمان الحقيقى باللّه من أعظم مراتب الكمال التى يصل إليها الانسان، و هناك موانع كثيرة تحول دون الوصول الى هذا الايمان كانحطاط التربية و سوء البيئة و غيرهما من الحواجز التى تؤدى الى حجب الانسان عن خالقه و تماديه فى الاثم.

و المراد من قوله تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ليس معناه

---

(۱) روح المعانى: (ج ۶ ص ۴۲۳).

(۲) سورة سبأ: آية: ۱۳.

(۳) سورة ص: آية: ۲۴.

(۴) سورة غافر: آية: ۲۸.

(۵) سورة هود: آية: ۴۰.

(۶) سورة الانعام: آية: ۳۷.

(۷) سورة المائدة: آية: ۱۰۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۰۵

التلفظ بكلمة الشكر للّه، بل معناه صرف العبد جميع ما أنعم اللّه عليه فيما خلق لأجله و هذه مرتبة عظيمة لا تصدر إلا ممن عرف اللّه و اعتقد بأن جميع النعم و الخيرات صادرة منه، فيعمل على تحصيل الخير و محاربة آفات نفسه، و حينئذ يكون من الشاكرين للّه و الشكر بهذا المعنى من المقامات العالية التى لا يتصف بها إلا القليل، و نعرض الى فصل آخر من كلامه قال (ع):

«يا هشام: ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر و حلاهم بأحسن الحلية، فقال: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ «۱» و قال: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ «۲» و قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ «۳» و قال تعالى: أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ «۴» و قال تعالى: أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ «۵» و قال تعالى:

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ «۶» و قال تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى، وَ أَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ

---

(۱) سورة البقرة: آية: ۲۶۸.

(۲) سورة آل عمران: آية: ۶.

(۳) سورة آل عمران: آية: ۱۸۹.

(۴) سورة الرعد: آية ۱۹.

(۵) سورة الزمر: آية: ۸.

(۶) سورة ص: آية: ۲۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۰۶

هُدىً وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ «۱» و قال تعالى: وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ «۲».

استدل (ع) بالآيات الكريمة على مدح العقلاء الكاملين و تفوقهم على غيرهم فقد مدحهم تعالى بأحسن الصفات و أضفى عليهم أسمى النعوت، و نقدم بيانا موجزا عن مفادها حتى يتضح استشهاد الامام بها:

(الآية الاولى):

دلت على أنه تعالى منح بعض عباده (الحكمة) و هى من أعظم المواهب و من أجل الصفات فقد قيل فى تعريفها، انها العلم الذى تعظم منفعته و تجل فائدته.

و وصف تعالى من منح بها بأنه أوتى خيرا كثيرا كما أنه تعالى ذكر أنه لا يعلم معنى الحكمة أو القرآن إلا أولو الألباب.

(الآية الثانية):

وصف تعالى فيها عباده الكاملين فى عقولهم بثلاثة أوصاف:

۱- الرسوخ فى العلم.

۲- الايمان باللّه.

۳- العرفان بأن الكل من عند اللّه «۳».

و حكم تعالى بأن المتصفين بهذه النعوت الشريفة هم العقلاء الكاملون الذين هم ذوو الألباب.

(الآية الثالثة):

سبق الكلام فى تفسيرها و بيانها.

---

(۱) سورة غافر: آية: ۵۲.

(۲) سورة الذاريات: آية: ۵۴.

(۳) أى كلا من المتشابه و المحكم.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۷

(الآية الرابعة):

دلت على التعجب و الانكار على من يدعى المساواة بين العالم باحكام القرآن و بين غيره مع ان الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى و البصير، و الحى و الميت!.

(الآية الخامسة):

دلت على التفاوت بين من يسهر ليله فى طاعة اللّه و بين غيره الذى يقضى أوقاته بالملاهى و الملذات و هو معرض عن ذكر اللّه، فكيف يكونان متساويين.

(الآية السادسة):

دلت على أن القرآن الحكيم لما كان مشتملا على أسرار عظيمة و معارف جليلة و آيات باهرة أنزله تعالى الى عباده ليتدبروه و يتفهموه، و لكن هذا التدبر إنما يظفر به من له تفكير سليم.

(الآية السابعة):

دلت على أنه تعالى أورث بنى إسرائيل الكتاب فجعلهم حملة له، و إنما منحهم ذلك ليكون هدى و ذكرى لأولى الألباب.

(الآية الثامنة):

خاطب اللّه فيها نبيه (ص) بالاستمرار فى الذكر و عدم الاعتناء بالجاهلين الذين لا يعون و لا يتدبرون دعوته فان شأنه (ص) الافاضة و نشر التعليم و بسط القوى الروحية و لم ينتفع بذلك الا المؤمنون، قال (ع):

«يا هشام: إن اللّه تعالى يقول فى كتابه: «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» «۱»- يعنى عقل- و قال تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ

---

(۱) سورة ق: آية ۳۶.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۸

الْحِكْمَةَ «۱» يعنى الفهم و العقل».

ذكر (ع) أنه ليس المراد بالقلب الذى ذكر فى الآية الاولى هو العضو الخاص الموجود فى الانسان و سائر البهائم، بل المراد منه هو العقل الذى يدرك المعانى الكلية و الجزئية و يتوصل الى معرفة حقائق الأشياء و هو فى الحقيقة الكيان المعنوى للانسان و أشارت الآية الثانية الى نعمته تعالى على لقمان فقد وهبه الحكمة و هى من أفضل النعم و أجلها، و أخذ (ع) يتلو على هشام بعض حكم لقمان و نصائحه فقال:

«يا هشام: ان لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس و ان الكيس لدى الحق يسير، يا بنى: إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى اللّه، و حشوها الايمان، و شراعها التوكل، و قيمها العقل و دليلها العلم، و سكانها الصبر».

عرض (ع) فى حديثه لبعض وصايا لقمان، فقد أوصى ولده بالتواضع للحق و هو أن لا يرى الانسان لنفسه وجودا إلا بالحق و لا قوة له و لا لغيره إلا باللّه، و التواضع من أفضل الأعمال، و قد ورد عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: (من تكبر وضعه اللّه، و من تواضع

للّه رفعه اللّه).

إن الانسان كلما تجرد عن الانانية و محا عن نفسه التكبر زاده اللّه شرفا و فضلا.

و شبه لقمان الدنيا بالبحر، و وجه الشبه تغير الدنيا و تغير أشكالها و صورها فى كل لحظة فالكائنات التى فيها كالامواج التى تكون فى البحر معرضا للزوال و الفناء، و يحتمل أن يكون وجه الشبه أن الدنيا كالبحر الذى يعبر عليه الناس فكذلك الدنيا يعبر عليها الناس الى دار الآخرة و تكون

---

(۱) سورة لقمان: آية: ۱۱.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۰۹

النفوس فيها كالمسافرين، و الابدان كالسفن و البواخر تنقلهم من دار الدنيا الى دار الخلود، و قد غرق عالم كبير من الناس فى هذه الدنيا، و انما غرقوا لتهالكهم على الشهوات، و إذا كانت الدنيا بحرا توجب الغرق و الهلاك، فلا نجاة منها و لا سلامة إلا بسفينة التقوى و الصلاح، و ليكن شراعها التوكل على اللّه و الاعتماد عليه فى جميع الامور، كما انه لا بد من عقل يكون قيما لتلك السفينة و ربانا لها، و العقل دليله العلم فان نسبته إليه كنسبة النور من السراج و الرؤية من البصر، و مع هذه الخصال لا بد من الصبر فان ارتقاء الانسان و قربه من ربه لا يحصل إلا بمجاهدات قوية للنفس و لننتقل الى مشهد آخر من كلامه قال (ع):

«يا هشام: إن لكل شىء دليلا، و دليل العقل التفكر، و دليل التفكر الصمت، و لكل شىء مطية، و مطية العقل التواضع و كفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام: ما بعث اللّه أنبياءه و رسله الى عباده الا ليعقلوا عن اللّه فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، و أعلمهم بأمر اللّه أحسنهم عقلا، و اكملهم عقلا أرفعهم درجة فى الدنيا و الآخرة».

استدل عليه السلام فى كلامه الاخير على شرف الأنبياء و فضلهم بكمال عقولهم و قد قال النبى (ص) لأمير المؤمنين: يا على إذا تقرب الناس الى خالقهم بأنواع البر فتقرب إليه أنت بالعقل حتى تسبقهم» ان وفور العقل من أفضل ما يمنح به الانسان إذ به يتوصل الى سعادة الدنيا و الفوز فى دار الآخرة.

قال عليه السلام:

«يا هشام: إن للّه على الناس حجتين: حجة ظاهرة، و حجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل و الأنبياء و الأئمة (ع) و أما الباطنة فالعقول».

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۰

«يا هشام: ان العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره و لا يغلب الحرام صبره».

تعرض (ع) فى الفقرات الاخيرة من كلامه الى بعض أحوال العقلاء من أنهم لا تمنعهم كثرة نعم اللّه عليهم من شكره تعالى كما لا تزيل صبرهم النوائب و الكوارث.

قال عليه السلام:

«يا هشام: من سلط ثلاثا على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله:

من أظلم نور تفكره بطول أمله، و محا طرائف حكمته بفضول كلامه، و أطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله، و من هدم عقله أفسد عليه دينه و دنياه».

تعرض (ع) فى كلامه الى أن فى الانسان قوتين متباينتين، و هما العقل و الهوى، و لكل واحدة منهما صفات ثلاث تضاد الصفات الأخرى، فصفات العقل: التفكر و الحكمة و الاعتبار، و صفات الهوى: طول الامل و فضول الكلام، و الانغماس فى الشهوات.

أما طول الامل فى الدنيا فانه يمنع من التفكر فى أمور الآخرة، و يحمل النفس على الاقبال فى أمور الدنيا، و هذا هو المراد من قوله

(ع): «اظلم نور تفكره بطول أمله» ان طول الأمل يبدد نور الفكر بالظلمة و يحجبه عن الانطلاق فى ميادين الخير.

أما فضول الكلام فانه يمحى طرائف الحكمة من النفس.

و أما الاشتغال باللذات و الانصراف الى الشهوات فانه يعمى القلب و يذهب بنور الايمان و يطفئ نور الاستبصار و الاعتبار من النفس فمن سلط هذه الخصال الشريرة على نفسه فقد أعان على هدم عقله، و من هدم عقله فقد أفسد دينه و دنياه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۱

قال عليه السلام:

«يا هشام: كيف يزكو «۱» عند اللّه عملك و أنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، و أطعت هواك عن غلبة عقلك.

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن اللّه «۲» اعتزل أهل الدنيا و الراغبين فيها، و رغب فيما عند اللّه، و كان اللّه آنسه فى الوحشة و صاحبه فى الوحدة و غناه فى العيلة، و معزه من غير عشيرة.

يا هشام: نصب الحق «۳» لطاعة اللّه، و لا نجاة الا بالطاعة، و الطاعة بالعلم و العلم بالتعلم، و التعلم بالعقل يعتقد «۴» و لا علم إلا من عالم ربانى، و معرفة العلم بالعقل.

يا هشام: قليل العمل من العالم مقبول مضاعف «و كثير العمل من أهل الهوى و الجهل مردود».

مراده (ع) أن قليل العمل من العالم مقبول و سببه أن بالعلم صفاء القلوب و طهارة النفوس و التوصل الى معرفة اللّه عز شأنه.

و فضيلة كل عمل إنما هى بقدر تأثيرها فى صفاء القلب و إزالة الحجب و الظلمة عن النفس، و هى تختلف بحسب الاشخاص فرب انسان يكفيه قليل العمل فى صفاء نفسه نظرا للطافة طبعه، ورقة حجابه، و رب انسان لا يؤثر

---

(۱) يزكو: الزكاة لغة الطهارة و النماء و هى تطلق على العين و المعنى فيقال: زكى ماله- أى نما ماله- و يقال زكى عمله- أى طهر عمله، و يحتمل كلا المعنيين فى المقام.

(۲) أى حصلت له معرفة اللّه و العلم بصفاته و أحكامه و شرائعه.

(۳) نصب الحق: مبنى للمجهول- أى وجد الحق لطاعة اللّه.

(۴) يعتقد- أى يشتد و يستحكم.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۲

العمل الطيب الذى يصدر منه فى صفاء ذاته. نظرا لكثافة طبعه و كثرة الحجب على نفسه.

قال (ع):

«يا هشام: إن العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة، و لم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارته.

يا هشام: إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ و ترك الدنيا من الفضل، و ترك الذنوب من الفرض».

قال (ع):

يا هشام: إن العاقل نظر الى الدنيا و الى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، و نظر الى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام: إن العقلاء زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة و الآخرة طالبة و مطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه، و من طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه و آخرته».

و توضيح الفقرات الاخيرة من حديثه (ع) قوله: «الدنيا طالبة مطلوبة» يعنى أن الدنيا توصل الرزق المقدر الى من هو فيها، و بهذا الاعتبار تكون طالبة، و أما مطلوبيتها فهو سعى أبنائها و جدهم لتحصيل نعمها، و أما طلب الآخرة فهو إتيان الموت و حلول الأجل

المحتوم لجميع من فى الدنيا فهى تطلبهم لتنقلهم من الدنيا إليها، و أما مطلوبيتها فهو سعى أبنائها الصلحاء فى تحصيل الأعمال الصالحة ليكونوا آمنين من العقاب و العتاب قال (ع):

«يا هشام: من أراد الغنى بلا مال و راحة القلب من الحسد،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۳

و السلامة فى الدين. فليتضرع الى اللّه عز و جل فى مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، و من قنع بما يكفيه استغنى و من لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبدا.

يا هشام: ان اللّه حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب، حين علموا أن القلوب تزيغ و تعود الى عماها و رداها، انه لم يخف اللّه من لم يعقل عن اللّه، و من لم يعقل عن اللّه لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه و لا يكون أحد كذلك الا من كان قوله لفعله مصدقا و سره لعلانيته موافقا، لأن اللّه تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفى من العقل إلا بظاهر منه و ناطق عنه».

أشار الامام (ع) بكلامه الاخير الى ان المؤمن اذا لم يكن قلبه مستضيئا بنور اللّه تعالى و عقله مهتديا بهدى اللّه، فانه لا يكون آمنا من الزيغ كما لا يكون آمنا من الارتداد بعد الدخول فى حظيرة الاسلام، و قد أشار القرآن الكريم الى هذه الظاهرة قال تعالى: و ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ و قال تعالى: مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ و لذلك يدأب الصالحون بالسؤال من اللّه فى أن لا تزيغ قلوبهم و أن لا يضلوا عن دينه فان النفوس البشرية بحسب نشأتها و خلقتها إذا لم يساعدها التوفيق لا تنجو من وساوس الشيطان و غوايته.

قال (ع):

«يا هشام كان أمير المؤمنين (ع) يقول: ما عبد اللّه بشىء أفضل من العقل، و ما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر و الشر منه مأمونان، و الرشد و الخير منه مأمولان، و فضل ماله مبذول، و فضل قوله مكفوف، و نصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۴

أحب إليه مع اللّه من العز مع غيره، و التواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، و يستقل كثير المعروف من نفسه و يرى الناس كلهم خيرا منه، و انه شرهم فى نفسه، و هو تمام الامر).

استدل (ع) على مقصوده بكلام جده أمير المؤمنين (ع) الذى تعرض فيه لصفات العقلاء و خصائص أفعالهم.

قال (ع):

يا هشام: إن العاقل لا يكذب و ان كان فيه هواه.

يا هشام: لا دين لمن لا مروة له، و لا مروة لمن لا عقل له، و ان أعظم الناس قدرا الذى لا يرى الدنيا لنفسه خطرا. أما إن أبدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها».

و توضيح ما أفاده فى قوله عليه السلام: «أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها»: هو أنه لا يليق أن يكون ثمنا لهذه الابدان سوى الجنة، و نقل صاحب الوافى عن استاذه إيضاحا لمقالة الامام ما نصه:

«إن الابدان فى التناقص يوما فيوما و ذلك لتوجه النفس منها الى عالم آخر فان كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه فى هذه الدنيا و انقطاع حياته البدنية الى اللّه سبحانه و الى نعيم الجنان لكونه على منهج الهداية و الاستقامة فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع اللّه تعالى، و لهذا خلقه اللّه عز و جل و ان كانت شقية كانت غاية سعيه و انقطاع أجله و عمره الى مقارنة الشيطان و عذاب النيران لكونه على طريق الضلالة فكأنه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية و اللذات الحيوانية التى ستصير نيرانا محرقة و هى اليوم كامنة مستورة عن

حواس أهل الدنيا و ستبرز يوم القيامة «و برزت الجحيم لمن يرى» معاملة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۱۵

مع الشيطان و خسر هنالك المبطلون» «۱».

قال (ع):

«يا هشام إن أمير المؤمنين (ع) كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، و ينطق إذا عجز القوم عن الكلام و يشير بالرأى الذى يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق».

إن أمير المؤمنين (ع) قال: لا يجلس فى صدر المجلس الا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء فجلس فهو أحمق.

و قال الحسن بن على (ع): إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، فقيل له: يا ابن رسول اللّه و من أهلها؟.

- الذين قصهم اللّه فى كتابه و ذكرهم فقال: إنما يتذكر أولو الألباب قال: هم أولو العقول.

و قال على بن الحسين (ع): مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح و آداب العلماء زيادة فى العقل، و طاعة ولاة العدل تمام العز، و استثمار المال تمام المروة و ارشاد المستشير قضاء النعمة، و كف الأذى من كمال العقل، و فيه راحة البدن عاجلا و آجلا.

يا هشام: ان العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، و لا يسأل من يخاف منعه، و لا يعد ما لا يقدر عليه، و لا يرجو ما يعنف برجائه، و لا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه».

أشار (ع) بهذه الفقرات الاخيرة الى حزم العاقل و احتياطه فى أقواله و تحفظه على شرفه و منزلته، و توقفه من الاقدام على ما لا يثق بحصوله.

---

(۱) الوافى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۱۶

و انتهت هذه الرسالة الرفيعة على رواية ثقة الاسلام الشيخ الكلينى «۱» و قد ذكر زيادة عليها الحسن بن على الحرانى فى كتابه (تحف العقول) و قد أهملها الكلينى، و قد رأينا أن نقتطف منها بعض الوصايا من دون أن نعلق عليها إيثارا للاختصار و إتماما للفائدة و الى القراء ذلك، قال (ع):

«يا هشام: من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله اللّه من عثرته يوم القيامة، و من كف غضبه عن الناس كف اللّه عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام: وجد فى ذوابة «۲» سيف رسول اللّه (ص) إن أعتى الناس على اللّه من ضرب غير ضاربه و قتل غير قاتله. و من تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل اللّه على نبيه محمد (ص) و من أحدث حدثا «۳» أو آوى محدثا لم يقبل اللّه منه يوم القيامة صرفا و لا عدلا.

يا هشام أفضل ما يتقرب به العبد الى اللّه بعد المعرفة به الصلاة و بر الوالدين و ترك الحسد و العجب و الفخر.

يا هشام: اصلح يومك الذى هو أمامك، فانظر أى يوم هو، و اعدّ له الجواب، فانك موقوف و مسئول. و خذ موعظتك من الدهر و أهله، الى أن قال: و انظر فى تصرف الدهر و أحواله، فان ما هو آت من الدنيا كما ولى منها، فاعتبر بها، و قال على بن الحسين (ع): «إن جميع ما طلعت عليه الشمس فى مشارق الأرض و مغاربها بحرها و برها و سهلها

---

(۱) أصول الكافى: (ج ۱ ص ۱۳- ۲۰) و ذكرت أيضا فى الوافى (ج ۱ ص ۲۶- ۲۸).

(۲) الذوابة: من كل شيء أعلاه و من السيف علاقته، و من السوط طرفه.

(۳) الحدث: الأمر الحادث الذى ليس بمعتاد و لا معروف فى السنة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۷

و جبلها عند ولى من أولياء اللّه و اهل المعرفة بحق اللّه كفيء الظلال، ثم قال (ع): أو لا حر يدع هذه اللماظة «۱»- يعنى الدنيا- لأهلها فليس لأنفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها، فانه من رضى من اللّه بالدنيا فقد رضى بالخسيس.

يا هشام: ان كل الناس يبصرون النجوم و لكن لا يهتدى بها إلا من يعرف مجاريها و منازلها، و كذلك انتم تدرسون الحكمة، و لكن لا يهتدى بها منكم الا من عمل بها.

يا هشام: مكتوب فى الانجيل: «طوبى للمتراحمين، أولئك هم المرحومون يوم القيامة. طوبى للمطهرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم القيامة. طوبى للمتواضعين فى الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة.

يا هشام: قلة المنطق حكمة عظيمة. فعليكم بالصمت، فانه دعة حسنة و قلة وزر، و خفة من الذنوب. فحصنوا باب الحلم، فان بابه الصبر، و ان اللّه عز و جل يبغض الضحاك من غير عجب، و المشاء الى غير إرب، و يجب على الوالى أن يكون كالراعى لا يغفل عن رعيته، و لا يتكبر عليهم، فاستحيوا من اللّه فى سرائركم، كما تستحيون من الناس فى علانيتكم، و اعلموا ان الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع و رفعه غيبة عالمكم بين أظهركم.

يا هشام: تعلم من العلم ما جهلت، و علم الجاهل مما علمت، عظم العالم لعلمه، و دع منازعته، و صغر الجاهل لجهله، و لا تطرده و لكن قرّبه و علمه.

---

(۱) اللماظة: بالضم بقية الطعام الذى يكون فى الفم، و بقية الشيء القليل، و المراد بها هنا الدنيا.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۸

يا هشام: ان كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها، و قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: «ان للّه عبادا كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق، و انهم لفصحاء عقلاء، يستبقون الى اللّه بالأعمال الزكية، لا يستكثرون له الكثير و لا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون فى أنفسهم أنهم أشرار و أنهم لأكياس و أبرار.

يا هشام: الحياء من الايمان، و الايمان فى الجنة، و البذاء من الجفاء، و الجفاء فى النار.

يا هشام: المتكلمون ثلاثة: فرابح، و سالم، و شاجب «۱» فأما الرابح فالذاكر للّه، و أما السالم فالساكت، و أما الشاجب فالذى يخوض فى الباطل، ان اللّه حرم الجنة على كل فاحش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال و لا ما قيل فيه، و كان أبو ذر (رضى اللّه عنه) يقول: «يا مبتغى العلم ان هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك و ورقك».

يا هشام: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين، يطرى أخاه اذا شاهده، و يأكله اذا غاب عنه، ان أعطى حسده، و ان أبتلى خذله، ان أسرع الخير ثوابا البر، و أسرع الشر عقوبة البغى، و ان شر عباد اللّه من تكره مجالسته لفحشه، و هل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم، و من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

يا هشام: لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا، و لا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف و يرجو.

يا هشام: قال اللّه عز و جل: و عزتى و جلالى و عظمتى و قدرتى و بهائى و علوى فى مكانى لا يؤثر عبد هواى على هواه الا جعلت الغنى فى نفسه،

---

(۱) الشاجب: كثير الهذيان و الكلام، و الهالك هو الأنسب.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۱۹

وهمه فى آخرته، و كففت عليه فى ضيعته، و ضمنت السماوات و الارض رزقه، و كنت له من وراء تجارة كل تاجر.

يا هشام: عليك بالرفق، فان الرفق يمن، و الخرق شؤم، ان الرفق و البر و حسن الخلق يعمر الديار و يزيد فى الرزق.

يا هشام قول اللّه تعالى: هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ. جرت فى المؤمن و الكافر و البر و الفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، و ليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء.

يا هشام: إن مثل الدنيا مثل الحية مسها لين. و فى جوفها السم القاتل يحذرها الرجال ذوو العقول و يهوى إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام: اصبر على طاعة اللّه، و اصبر عن معاصى اللّه، فانما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سرورا و لا حزنا، و ما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التى أنت فيها فكأنك قد اغتبطت.

يا هشام: مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله.

يا هشام: إياك و الكبر فانه لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر، الكبر رداء اللّه فمن نازعه رداءه أكبه اللّه فى النار على وجهه.

يا هشام: ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه و ان عمل سيئا استغفر اللّه منه و تاب إليه.

يا هشام تمثلت الدنيا للمسيح (ع) فى صورة امرأة زرقاء فقال لها:

كم تزوجت؟ فقالت: كثيرا، قال: فكل طلقك؟ فقالت: بل كلا قتلت قال المسيح فويح لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۰

يا هشام: ان ضوء الجسد فى عينه، فان كان البصر مضيئا استضاء الجسد كله، و ان ضوء الروح العقل، فان كان العبد عاقلا كان عالما بربه.

و اذا كان عالما بربه أبصر دينه، و اذا كان جاهلا بربه لم يقم له دين، و كما لا يقوم الجسد الا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين الا بالنية الصادقة و لا تثبت النية الصادقة الا بالعقل.

يا هشام: ان الزرع ينبت فى السهل و لا ينبت فى الصفا «۱» فكذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع و لا تعمر فى قلب المتكبر الجبار، لأن اللّه جعل التواضع آلة العقل، و جعل التكبر من آلة الجهل، أ لم تعلم أن من شمخ الى السقف برأسه شجبه، و من خفض رأسه استظل تحته و أكنه، و كذلك من لم يتواضع للّه خفضه اللّه و من تواضع للّه رفعه.

يا هشام: ما أقبح الفقر بعد الغنى، و أقبح الخطيئة بعد النسك، و أقبح من ذلك العابد للّه ثم يترك عبادته.

يا هشام: لا خير فى العيش إلا لرجلين: لمستمع واع، و عالم ناطق.

يا هشام: ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل.

يا هشام: قال رسول اللّه (ص): اذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة، و المؤمن قليل الكلام كثير العمل و المنافق كثير الكلام قليل العمل.

يا هشام: أوحى اللّه تعالى الى داود (ع) قل لعبادى: لا يجعلوا بينى و بينهم عالما مفتونا بالدنيا فيصدهم عن ذكرى، و عن طريق محبتى و مناجاتى أولئك قطاع الطريق من عبادى، ان أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبتى و مناجاتى من قلوبهم.

---

(۱) الصفا: الحجر الصلد.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۱

يا هشام: من تعظم فى نفسه لعنته ملائكة السماء و ملائكة الارض، و من تكبر على اخوانه و استطال عليهم فقد ضاد اللّه، و من ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشده.

يـا هشـام أوحى اللّه تعـالى الى داود، يا داود حـذر و أنـذر أصـحابك عن حب الشـهوات فان المعلقـة قلوبهم بشـهوات الـدنيا قلوبهم محجوبة عنى.

يـا هشـام: ايـاك و الكبر على أوليـائى و الاسـتطالة بعلمـك فيمقتك اللّه فلا تنفعك بعـد مقته دنياك و لا آخرتك، و كن فى الـدنيا كساكن دار ليست له إنما ينتظر الرحيل.

يا هشام: مجالسـة أهل الـدين شـرف الـدنيا و الآخرة، و مشاورة العاقل الناصـح يمن و بركـة و رشـد و توفيق من اللّه، فاذا أشار عليك العاقل الناصح فاياك و الخلاف فان فى ذلك العطب «۱».

يـا هشـام: ايـاك و مخالطـة النـاس و الأنـس بهم الاـ ان تجـد منهم عاقلاـ و مأمونـا فـانس به و اهرب من سائرهم كهربك من السـباع الضاريـة، و ينبغى للعاقل اذا عمل عملا أن يسـتحى من اللّه، و اذا تفرد له بالنعم أن يشارك فى نعمه أحدا غيره، و اذا مر بك أمران لا تـدرى أيهما خير و أصوب، فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه، فان كثير الصواب فى مخالفـة هواك، و اياك أن تطلب الحكمـة و تضعها فى الجهال.

فانبرى إليه هشام قائلا:

«فان وجدت رجلا طالبا لها غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقى إليه».

فتلطف له فى النصيحة، فان ضاق قلبه فلا تعرض نفسك للفتنة.

ثم انه استرسل عليه السلام فى حديثه فقال: و احذر رد المتكبرين،

---

(۱) العطب: الهلاك.

فان العلم يـذل على ان يملى على من لا يفيق، فقال هشام: فان لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ فقال (ع): فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسـلم من فتنـة القول و عظيم فتنـة الرد، و اعلم أن اللّه لم يرفع المتواضـعين بقـدر تواضـعهم و لكن رفعهم بقـدر عظمته و مجده، و لم يؤمن الخائفين بقـدر خوفهم و لكن آمنهم بقـدر كرمه و جوده، و لم يفرح المحزونين بقـدر حزنهم و لكن بقـدر رأفته و رحمته، فما ظنـك بـالرءوف الرحيم الـذى يتودد الى من يؤديه بأوليـائه، فكيف بمن يؤذى فيه؟ و مـا ظنـك بالتواب الرحيم الـذى يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضاه، و يختار عداوة الخلق فيه.

يـا هشـام: من أحب الـدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، و ما أوتى عبـد علما فازداد للـدنيا حبا الا ازداد من اللّه بعـدا، و ازداد اللّه عليه غضبا.

يا هشام: ان العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به، و اكثر الصواب فى خلاف الهوى، و من طال أمله ساء عمله.

يا هشام: لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل!!.

يا هشام: اياك و الطمع، و عليك باليأس مما فى أيـدى الناس، و أمت الطمع من المخلوقين، فان الطمع مفتاح للـذل، و اختلاس للعقل و اختلاق للمروات، و تدنيس للعرض، و ذهاب للعلم، و عليك بالاعتصام بربك و التوكل عليه، و جاهد نفسك لتردها عن هواها فانه واجب عليك كجهاد عدوك، فقال له هشام:

فأى الأعداء أوجبهم مجاهدة؟.

– أقربهم إليـك و أعـداهم لك، و أضـرهم بك و أعظمهم لك عـداوة، و أخفاهم لك شـخصا مع دنوه منك، و من يحرض عليك أعداءك و هو إبليس الموكل بوسواس القلوب فله فلتشـتد عداوتك، و لا يكونن أصبر على مجاهدتك لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته فانه أضعف منك فى قوته، و أقل

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۲۳

ضررا في كثرة شره، اذا أنت اعتصمت باللّه فقد هديت الى صراط مستقيم.

يا هشام: من اكرمه اللّه بثلاث فقد لطف له، عقل يكفيه مؤونة هواه، و علم يكفيه مؤونة جهله، و غنى يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام: احذر هذه الدنيا و احذر أهلها، فان الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردى معانق لهواه، و متعلم مقرى كلما ازداد علما ازداد كبرا يستعلى بقراءته و علمه على من هو دونه، و عابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحب أن يعظم و بوقر، و ذى بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به و لكنه عاجز أو مغلوب فلا يقدر على القيام بما يعرفه، فهو محزون مغموم بذلك و هو أمثل أهل زمانه و أوجههم عقلا» «۱» الى هنا ينتهى بنا الحديث في هذه الوصية القيمة التى حوت أصول الفضائل و الآداب و قواعد السلوك و الاخلاق، و قد وضع فيها المناهج العامة لما يصلح الحياة الفردية و الاجتماعية.

رسالته في التوحيد:

و من تراثه القيم رسالته في التوحيد و هى- على ايجازها- مدعمة بالحجج الكلامية على وجود اللّه تعالى، و بيان صفاته الايجابية و السلبية، و قد كانت هذه الرسالة- فيما يرويه المؤرخون- جوابا عن رسالة وجهها إليه الفتح بن عبد اللّه يسأله عن ذلك فأجابه (ع) بعد البسملة بما نصه:

«الحمد للّه الملهم عباده حمده، و فاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال

---

(۱) تحف العقول: ص ۳۹۰- ۴۰۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۲۴

على وجوده بخلقه، المستشهد بآياته على قدرته «۱» الممتنعة من الصفات ذاته «۲» و من الأبصار رؤيته «۳» و من الأوهام الاحاطة به «۴» لا أمد لكونه «۵» و لا غاية لبقائه «۶» لا تشمله المشاعر، و لا تحجبه الحجب «۷» و الحجاب بينه و بين خلقه خلقه إياهم، لامتناعه مما يمكن في ذواتهم «۸» و لا مكان

---

(۱) أراد (ع) أن اللّه استشهد على قدرته الباهرة بآياته العظيمة كخلق السماوات و الأرض و الشمس و القمر، و يعبر عنها بالآيات الافقية، و بخلق الأرواح و العقول و النفوس و ادراكاتها و تسمى بالآيات النفسية و هى تدل على عظيم قدرته تعالى.

(۲) اشار (ع) الى أن صفات اللّه عين ذاته تعالى و ليست عارضة عليه كعروضها على الممكن، و قد أقيمت الأدلة الوافرة في علم الكلام على ذلك

(۳) أراد (ع) أن الأبصار تمتنع من رؤيته تعالى، و فيه ايماء لطيف الى عدم امتناع ادراك البصائر و القلوب من رؤيته، و لكنها تراه بنور المعرفة و حقيقة الايمان كما قال (ع): «و لكن رأته القلوب بحقائق الايمان).

(۴) أراد (ع) ان اللّه يحيط بما سواه فكيف يحيط به شيء من الأوهام التى لا تتعلق الا بالمعانى الجزئية المحدودة.

(۵) اى انه تعالى فوق الآجال و الازمنة فلا أمد له، فان الزمان مخلوق له.

(۶) المراد: ان بقاء اللّه تعالى قائم بذاته لا بصفة عارضة.

(۷) المراد: انه تعالى لا يمكن أن تحجبه الحجب فانها مختصة بالجسمانيات الحادثة التى أفاض تعالى عليها الوجود.

(۸) يعنى انه تعالى يمتنع عليه ما يمكن في ذوات عباده من الاحداث و الأمور الناقصة:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۲۵

مما يمتنع منه «۱» و لافتراق الصانع من المصنوع و الحاد من المحدود و الرب من المربوب «۲» الواحد بلا تأويل عدد «۳» و الخالق لا بمعنى حركة «۴» و البصير لا بأداة و السميع لا بتفريق آلة «۵».

---

(۱) أراد (ع) ان الصفات التى يمتنع جريانها على ذاته تعالى هى الصفات الممكنة، و يراد بالامكان الامكان العام الشامل للامتناع، و عليه فتوصف بالامتناع فى مقام حملها عليه تعالى، و فى بعض النسخ «و لا مكان ذواتهم مما يمنع منه ذاته» و المراد منها ان ذوات العباد متصفة بالامكان الخاص، و يمتنع ان يتصف به تعالى لأنه واجب الوجود.

(۲) المراد: ان ذات الصانع تفترق عن ذات المصنوع، و وجهه كمال الصانع، و نقص المصنوع، و كذلك يفترق الحاد عن المحدود فان الحاد هو اللّه تعالى، و هو غير متناه، و المحدود هو الانسان و هو متناه. أما أدلة ذلك فقد تعرضت له كتب الحكمة و الكلام.

(۳) المراد: ان وحدة اللّه و وحدة صفاته ليست من باب الأعداد التى تحصل كثرتها من تكرر العدد، فوحدة علم اللّه لا ثانى لها خارجا و لا ذهنا و كذا وحدة قدرته و ارادته و سائر صفاته، فلا تدخل تلك الوحدة فى باب الاعداد فان وحدة كل شىء ليست الا نفس وجوده الخاص، و اذا كان وجود اللّه لا مثل له خارجا و لا ذهنا فكذلك وحدته تكون خاصة غير داخلة فى باب الاعداد.

(۴) يعنى ان خلق اللّه و إيجاده للاشياء انما هو من باب الافاضة و الابداع لا من باب المباشرة و العمل، كما ان الحركة انما هى من عوارض الاجسام و هو منزه عنها.

(۵) ان اللّه لو كان مفتقرا فى صفاته الى آلة للزم إمكانه، فان المفتقر للغير انما هو الممكن لا الواجب.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۶

و الشاهد لا بمماسة «۱» و الباطن لا باجتنان «۲» و الظاهر البائن لا بتراخى مسافة «۳» أزله نهى لمجاول الأفكار «۴» و دوامه ردع لطامحات العقول «۵» قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، و قمح وجوده جوائل الأوهام «۶» أول الديانة به معرفته «۷» و كمال معرفته توحيده، و كمال توحيده نفى الصفات

---

(۱) المماسة: من خواص الاجسام و هو تعالى منزه عنها فلا تعرض عليه أوصافها.

(۲) الاجتنان: الاستتار، و المراد ان العقول لا تصل الى ادراك كنهه لا من جهة استتاره بستر أو حجاب، و انما هى قاصرة عن ادراكه و تصوره.

(۳) مراده ان اللّه تعالى فى غاية الظهور لأن وجوده مجرد عن الحجب أو الغواشى الساترة، و انما كان تعالى بائنا لا بتراخى مسافة لأنه تعالى منزه عن الأبعاد و المسافات و الحركات فانما يتصف بها الممكن لا الواجب.

(۴) المراد أن أزلية اللّه ليست من الأزمنة و انما هى فوق الزمان فلا سبيل الى العقول- التى هى من الزمنيات- ان تدرك أزليته تعالى.

(۵) اراد (ع) أن دوام اللّه و بقاءه محيطان بالأزمان و الآباد، و العقول لا تتوصل الى ادراك ذلك.

(۶) المراد: ان اللّه تعالى قد قهر بوجوده أن تجول فيه الأوهام فتصل الى ادراك كنهه.

(۷) يعنى أن اول الدين و بدايته أن يعرف الانسان أن للعالم صانعا و مدبرا، و للمعرفة مراتب و هى:

۱- التصديق بوجوده تعالى.

۲- تفرده بالألوهية، و نفى الشريك عنه.

۳- مرتبة الاخلاص و الايمان بقدرته و صفاته المتحدة مع ذاته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۷

عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف. و شهادة الموصوف أنه غير الصفة و شهادتهما جميعا بالتثنية، الممتنع منه الأزل، فمن وصف

اللّه فقد حده «۱».

و من حده فقد عده «۲» و من عده فقد أبطل أزله «۳» و من قال:

كيف؟ فقد استوصفه «۴» و من قال: فيم فقد ضمنه، و من قال على م؟

فقد جهله «۵» و من قال: اين فقد أخلى منه «۶» و من قال ما هو فقد

---

(۱) المراد: أن من وصف اللّه بصفة و لم يجعلها عين ذاته فقد جعله محدودا فان كل صفة تكون غير الذات لا بد أن تقع تحت مقولة من المقولات التسع، و لها حد خاص، و الوجود لا يعرض عليها الا بعد ان تكون لها حدود معينة، و الحال ان اللّه هو الذى يفيض الوجود على غيره فكيف يوصف بهذه الصفة العارضة.

(۲) اراد (ع) أن من يحد اللّه فقد جعله من جملة المعدودات، و قد بينا استحالة ذلك بالنسبة إليه تعالى.

(۳) المراد: ان كل معدود مفتقر فى وجوده الى غيره، و كل من كان مفتقرا الى غيره فهو مسبوق بالعدم، و من جعل اللّه فى سلسلة المعدودات فقد أبطل أزليته.

(۴) يعنى أن من قال بذلك فقد جعل للّه وصفا زائدا على ذاته، و قد بينا امتناع ذلك.

(۵) ان القول بذلك مستلزم لاثبات الجسمانية للّه، و هى مستحيلة بالنسبة إليه تعالى.

(۶) يعنى أن من قال بذلك فقد أخلى منه تعالى سائر الامكنة، و الحال أن كل ذرة من ذرات الكون لا تخلو منه تعالى و لكن لا على وجه الحلول و قد استدل على ذلك فى علوم الحكمة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۲۸

نعته «۱» و من قال: الى م؟ فقد غاياه، عالم اذ لا معلوم، و خالق اذ لا مخلوق، و رب اذ لا مربوب، و كذلك يوصف ربنا، و فوق ما يصفه الواصفون «۲» ..» «۳».

و بهذا تنتهى هذه الرسالة المنعمة بأصول التوحيد و قواعده، و قد أثر كثير منها عن الامام أمير المؤمنين (ع) و لكن أئمة أهل البيت (ع) كثيرا ما تتشابه كلماتهم فى علم التوحيد فهم واضعوا قواعده و اصوله و منشؤا ادلته و براهينه، فبهم عرف هذا العلم، و منهم استمدت أصوله و قواعده.

البداء:

اشارة

و مسألة البداء من غوامض المسائل الكلامية و أكثرها تعقيدا، و قد وقع الخلاف فيه بين المسلمين، فأجمعت الشيعة على صحته و الالتزام به، و أنكره أهل السنة و الجماعة، و قد شهروا به على الشيعة، و عدوه- فيما يرونه- من المؤاخذات التى تواجه كيانهم العقائدى. و لعل السبب- فيما

---

(۱) المراد: أن كلمة (ما هو؟) تقع فى السؤال عن ماهية الشىء- التى تسمى بما الحقيقية- و تقع فى جوابها النعوت الكلية الذاتية المركبة من الجنس و الفصل القريبين، و الحال ان وجوده تعالى وجود بحت بلا ماهية، و كل ما لا ماهية له لا نعت له كما هو مقرر فى فن الحكمة.

(۲) المراد: ان عقول الواصفين لا يمكن أن تدرك كنه كماله تعالى لأنه فوق عقولهم فانها من الممكنات المتناهية، و هى لا يمكن

أن تحيط بكنه غير المتناهي.

(۳) اصول الكافي ۱/ ۱۳۹- ۱۴۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۲۹

نحسب- يعود الى أنه لم يتضح لهم بصورة موضوعية معنى البداء و حقيقته الذي تقول به الشيعة فأنكروه عليهم، و لا بد لنا من وقفة قصيرة للبحث عنه قبل أن نعرض الى رأي الامام فيه.

المعنى اللغوي:

البداء في اللغة- اسم ممدود- مشتق من البدو و هو الظهور، و هو اسم لرأي حادث متجدد يستصوبه صاحبه، و يقدمه على رأيه الأول «۱» و في الحديث «بدا للّه عز و جل أن يبتليهم» أي قضى بذلك و هو معنى البداء «۲».

حقيقته عند الشيعة:

و التزمت الشيعة بالبداء، و صرحت به أئمة أهل البيت (ع) فقد ورد عنهم أنه «ما عبد اللّه بشيء مثل البداء» و قد أثبت العلماء الأعلام بالأدلة الوافرة امكانه و ضرورة الالتزام به و لكن لا على إطلاقه- كما سنوضحه- و ممن بحث عنه بصورة موضوعية و شاملة آية اللّه العظمى السيد أبو القاسم الخوئي فقد قرره في بحثه كما كتبه في (بيانه)، و نسوق نص ما كتبه في (البيان) قال ما نصه:

«ان البداء الذي تقول به الشيعة الامامية انما يقع في القضاء غير المحتوم أما المحتوم منه فلا يتخلف، و لا بد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء و توضيح ذلك: ان القضاء على ثلاثة أقسام:

الأول: قضاء اللّه الذي لم يطلع عليه احدا من خلقه، و العلم المخزون الذي استأثر به نفسه. و لا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) ان البداء إنما ينشأ

---

(۱) الصحاح: القاموس، أساس البلاغة.

(۲) البداية: ۱/ ۱۰۹.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۳۰

من هذا العلم.

روى الشيخ الصدوق في (العيون) باسناده عن الحسن بن محمد النوفلي أن الرضا (ع) قال لسليمان المروزي: رويت عن أبي عبد اللّه (ع) أنه قال: ان للّه عز و جل علمين علما مخزونا مكنونا لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء، و علما علمه ملائكته و رسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه و روى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه (ع) قال: إن للّه علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء، و علم علمه ملائكته و رسله و أنبياءه و نحن نعلمه «۱».

الثاني: قضاء اللّه الذي أخبر نبيه و ملائكته بأنه سيقع حتما، و لا ريب في أن هذا القسم أيضا لا يقع فيه البداء، و ان افترق عن القسم الأول بأن البداء لا ينشأ منه.

قال الرضا (ع) لسليمان المروزي في الرواية المتقدمة عن الصدوق:

إن عليا كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه اللّه ملائكته و رسله، فما علمه ملائكته و رسله فانه يكون، و لا يكذّب نفسه و لا ملائكته و لا رسله، و علم عنده مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه يقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء و يمحو و يثبت ما يشاء «۲».

و روى العياشي عن الفضيل. قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول:

من الامور أمور محتومة جائية لا محالة، و من الامور أمور موقوفة عند اللّه

---

(۱) و رواه الشيخ الكلينى عن أبى بصير. الوافى باب البداء (ج ۱ ص ۱۱۳).

(۲) و رواه الشيخ الكلينى عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر (ع) نفس المصدر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۱

يقدم منها ما يشاء، و يمحو ما يشاء، و يثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحدا- يعنى الموقوفة- فأما ما جاءت به الرسل فهى كائنة لا يكذب نفسه، و لا نبيه، و لا ملائكته.

الثالث: قضاء اللّه الذى أخبر نبيه و ملائكته بوقوعه فى الخارج الا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة اللّه بخلافه. و هذا القسم هو الذى يقع فيه البداء «يمحو اللّه ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب. للّه الامر من قبل و من بعد».

و قد استدل- سماحته- على ان البداء الذى تقول به الشيعة: هو القسم الثالث من القضاء- بجملة من الاخبار و الروايات المأثورة عن اهل البيت (ع) و أضاف بعد ذلك إيضاحا وافيا لحقيقة البداء بقوله:

و البداء انما يكون فى القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو و الاثبات و الالتزام بجواز البداء لا يستلزم نسبة الجهل الى اللّه سبحانه، و ليس فى هذا الالتزام ما ينافى عظمته و جلاله.

فالقول بالبداء هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان اللّه و قدرته فى حدوثه و بقائه، و ان ارادة اللّه نافذة فى الأشياء أزلا و أبدا بل و فى القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الالهى و بين علم المخلوقين فعلم المخلوقين- و ان كانوا أنبياء أو أوصياء- لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى فان بعضا منهم و ان كان عالما- بتعليم اللّه اياه- بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم اللّه المخزون الذى استأثر به لنفسه، فانه لا يعلم بمشيئة اللّه تعالى- لوجود شىء- أو عدم مشيئته الا حيث يخبره اللّه تعالى به على نحو الحتم.

و القول بالبداء يوجب انقطاع العبد الى اللّه و طلبه اجابة دعائه منه، و كفاية مهماته، و توفيقه للطاعة، و ابعاده عن المعصية، فان انكار البداء

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۲

و الالتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة- دون استثناء- يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن اجابة دعائه. فان ما يطلبه العبد من ربه و ان كان قد جرى قلم التقدير بانفاذه فهو كائن لا محالة، و لا حاجة الى الدعاء و التوسل. و إن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبدا، و لم ينفعه الدعاء و لا التضرع. و اذا يئس العبد من اجابة دعائه ترك التضرع لخالقه حيث لا فائدة فى ذلك. و كذلك الحال فى سائر العبادات و الصدقات التى ورد عن المعصومين (ع) انها تزيد فى العمر أو فى الرزق أو غير ذلك مما يطلبه العبد «۱».

و دعم السيد قوله بعد هذا بالآيات و الأخبار الواردة من الفريقين على ضرورة البداء و لزوم القول به.

هذا هو رأى الشيعة فى البداء- كما أفاده آية اللّه الخوئى- و هو صريح واضح يقضى بصحته الدليل و يعضده البرهان.

الانكار على الشيعة:

و البداء الذى تلتزم به الشيعة- كما ذكرنا- لا يشذ عن القواعد العلمية و لا يخالف قاعدة اسلامية و لكن خصومهم قد شهروا به عليهم ففسروه بتفسير مجاف لما تراه الشيعة، و فيما يلى عرض لبعض الناقدين:

۱- سليمان بن جرير و نقل الشهرستانى عن سليمان بن جرير أنه قال: ان أئمة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم «الاولى» القول بالبداء، فاذا قالوا: انه سيكون لهم أمر و شوكة ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا: بدا للّه تعالى فيه

---

(۱) البيان فى تفسير القرآن: (ج ۱ ص ۲۷۱- ۲۷۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۳

و قد قال فيه زرارة بن أعين شعرا:

و تلك أمارات تجىء لوقتهاو مالك عما قدر اللّه مذهب

و لو لا البدا سميته غير فائتو نعت البدا نعت لمن يتقلب

و لو لا البدا ما كان ثم تصرفو كان كنار دهرها تتلهب «الثانية»: التقية فكلما أرادوا شيئا تكلموا به فاذا قيل لهم هذا خطأ قالوا: انما قلناه تقية «۱».

۲- الفخر الرازى قال الرازى- عند تفسير قوله تعالى يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ:- قالت الرافضة: البداء جائز على اللّه تعالى، و هو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده «۲».

۳- احمد أمين قال الدكتور احمد امين: «و رأينا بعض الشيعة يرى البداء الذى أنكره اليهود، و أقدم من قال به المختار بن أبى عبيد: الذى كان يدعو لمحمد بن الحنفية. و يقول الشهرستانى: «انما صار المختار الى البداء لأنه كان يدّعى علم ما يحدث من الاحوال إما بوحى يوحى إليه، و اما برسالة من قبل الامام، فكان اذا وعد أصحابه بكون شىء و حدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه، و ان لم يوافق قال: قد بدا لربكم. و كان لا يفرق بين النسخ و البداء، فاذا جاز النسخ فى الاحكام جاز البداء فى الأخبار» و قد اعتنق كثير من الشيعة مذهب البداء و طبقوه فى كثير من مسائلهم التأريخية، و قال أحد أئمتهم: «لا يعبد اللّه بأحسن من القول بالبداء» لأنه يفتح باب التوبة فى طلب العفو من اللّه، و كان

---

(۱) شرح اصول الكافى نقلا عن الرازى فى خاتمة كتاب المحصل.

(۲) تفسير الرازى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۴

اليهود أقوى المعارضين فى البداء» «۱».

و هؤلاء الناقدون للشيعة- على مقالتهم بالبداء- لم يكن رأيهم قريبا من الواقع و ذلك لعدم وقوفهم على حقيقة البداء الذى تذهب إليه الشيعة.

إنكار اليهود:

و أول من انكر البداء و احاله اليهود فقد ذهبوا الى أن قلم التقدير و القضاء حينما جرى على الاشياء فى الأزل استحال ان تتعلق المشيئة بعكسه و خلافه، و بسبب ذلك قالوا: يد اللّه مغلولة عن الفيض و البسط و الاخذ و العطاء لأنه قد جرى فيها قلم التقدير فلا يمكن فيها التغيير و التبديل.

رأى الامام موسى:

و تحدث الامام موسى عليه السلام عن البداء فى حديثه مع المعلى بن محمد، و قد سأله عن كيفية علم اللّه فأجابه (ع) بجواب عرض فيه لأهم المسائل الفلسفية و الكلامية، و هذا نصه:

قال عليه السلام:

«علم وشاء، و أراد و قدر، و قضى، و أمضى فأمضى ما قضى، و قضى ما قدر، و قدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة و بمشيئته كانت الارادة، و بارادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء، و بقضائه كان الامضاء، و العلم يتقدم على المشيئة، و المشيئة ثانية، و الارادة

ثالثة «۲» و التقدير واقع على

---

(۱) فجر الاسلام: (ج ۱ ص ۳۵۴).

(۲) مراده: ان علم اللّه تعالى له مراتب ستة بعضها مترتب على بعض، و هى:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۵

القضاء بالامضاء «۱» فلله تبارك و تعالى البداء فيما علم متى شاء، و فيما أراد لتقدير الاشياء «۲» فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء، فالعلم فى المعلوم قبل كونه، و المشيئة فى المنشأ قبل عينه، و الارادة فى المراد قبل قيامه، و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها «۳» عينا و وقتا «۴» و القضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات «۵» ذوات الاجسام المدركات

اولا- العلم و هو فى المقام عبارة عن تصور الشيء، و هو أول المبادئ الاختيارية للافعال.

ثانيا- المشيئة.

ثالثا- الارادة و هى العزم على الفعل أو الترك.

رابعا- التقدير و هو تعيين المكان و الزمان الذى يوجد فيه الفعل بعد تصوره و تصور أوصافه.

خامسا- القضاء و هو ايجاب العمل.

سادسا- الايجاد للشيء.

و هذه المراتب بعضها مرتب على بعض ترتبا ذاتيا كل فى محله.

(۱) مراده ان التقدير مع ترتبه و تقدمه الذاتى على القضاء فانه واقع عليه و موجب لجعله اقتضاء خاصا لايجاد خاص، فالتقدير ينبعث منه امضاء الاقتضاء.

(۲) بيان لوقوع البداء فى أى مرتبة من المراتب السابقة، و قد تقدم بيانها بالتفصيل.

(۳) مراده: ان الانواع الطبيعية و الطبائع الجسمانية موجودة فى علم اللّه الأزلى، و مشيئته و ارادته الذاتيتين.

(۴) أشار (ع) الى تركيب الاجسام من العناصر المختلفة.

(۵) يعنى ان الذى يتعلق القضاء بامضائه انما هو الشيء المبرم

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۶

بالحواس من ذى لون و ريح و وزن وكيل و ما دبّ و درج من إنس و جن و طير و سباع و غير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تعالى فيه البداء مما لا عين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء و اللّه يفعل ما يشاء «۱» فبالعلم علم الاشياء قبل كونها «۲» و بالمشيئة عرف صفاتها و حدودها و أنشأها قبل اظهارها و بالارادة ميز أنفسها فى ألوانها و صفاتها، و بالتقدير قدر أقواتها و عرف أولها و آخرها و بالقضاء أبان للناس أماكنها و دلهم عليها و بالامضاء شرح عليها و أبان أمرها و ذلك تقدير العزيز العليم».

و انتهى بذلك هذا الحديث الحافل بأروع المسائل الكلامية و أشدها غموضا، و قد اعرب فيه الامام عن المرحلة التى يقع فيها البداء من علم اللّه، و قد اوضحنا ذلك فيما سبق.

الايمان باللّه

ان النفوس اذا أترعت بروح الايمان باللّه فقد صفت من الذنوب و زكت من الزيغ، .. فبالايمان تسود العدالة و المحبة، و تنتشر الفضيلة و المودة، و يقضى على جميع أنواع الرذائل الاجتماعية من الظلم و الغبن و الاعتداء ..

لقد بعث اللّه الأنبياء و الرسل الى عباده ليغرسوا فى نفوسهم هذه الظاهرة

الـذى هو من المفعولات التى تقع فى عالم الكون، و ما يقع فى عالم الكون انما هو من ذوات الاجسام المدركة بالحواس من ذى لون و ريح .. الخ

(۱) بين (ع) المرحلة التى يقع فيها البداء من علم اللّه.

(۲) مراده بيان الخواص التى تترتب على المراتب الستة من علم اللّه تعالى و قد بينها (ع) فى حديثه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۷

الكريمة، و قد تحدث الامام عنه ففضله على جميع الأعمال و ذلك حينما سأله شخص فقال له:

- أيها العالم، اخبرنى أى الأعمال أفضل عند اللّه؟.

- ما لا يقبل عمله الا به.

- و ما ذلك؟!!.

- الايمان باللّه، الذى هو أعلى الاعمال درجة، و أسناها حظا، و أشرفها منزلة.

- اخبرنى عن الايمان أقول و عمل أم قول بلا عمل؟.

- الايمان عمل كله، و القول بعض ذلك العمل بفرض من اللّه، بين فى كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب و يدعو إليه.

- صف لى ذلك حتى أفهمه؟.

- ان للايمان حالات و درجات و طبقات و منازل، فمنه التام المنتهى تمامه، و منه الناقص البين نقصانه، و منه الزائد الراجح زيادته.

- إن الايمان ليتم و يزيد و ينقص؟!!.

- نعم.

- و كيف ذلك؟!!.

ان اللّه تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح بنى آدم، و قسمه عليها و فرقه عليها فليس من جوارحهم جارحة الا و هى موكلة من الايمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذى به يعقل و يفقه و يفهم، و هو أمير بدنه الذى لا تورد الجوارح، و لا تصدر الا عن رأيه و أمره، و منها يداه اللتان يبطش بهما، و رجلاه اللتان يمشى بهما و فرجه الذى ألباه و عيناه اللتان يبصر بهما، و أذناه اللتان يسمع بهما، و فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين، و فرض على العينين

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۸

غير ما فرض على السمع، و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين، و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار، و المعرفة، و التصديق، و التسليم، و العقد و الرضا بأن لا إله الا اللّه وحده لا شريك له، أحدا، صمدا، لم يتخذ صاحبة و لا ولدا، و ان محمدا (ص) عبده و رسوله ..» «۱».

العلم:

و حمل أئمة اهل البيت (ع) مشعل النهضة العلمية فى العالم الاسلامى، فأسسوا فى حواظره معالم الحياة الفكرية، و دعوا المسلمين دعوات جادة تحمل طابع النصح و التوجيه لهم فى أن يبنوا حياتهم على اساس من الوعى العلمى، و قد ملئت موسوعات الحديث و الفقه بما أثر عنهم من أحاديث الترغيب فى طلب العلم.

و عنى الامام موسى (ع) بهذه الدعوة الخلافة فأمر المسلمين بالجد على تحصيل العلم و التفقه فى الدين، و حذرهم من طلب بعض العلوم التى لا يستفيدون بها فى تطوير حياتهم، فقد روى المؤرخون انه دخل مسجد النبى (ص) فرأى قوما قد طافوا برجل و هم يعظمونه و يبالغون فى تكريمه فقال (ع) لبعض أصحابه:

- من هذا؟

- علامة!- و ما العلامة؟

---

(۱) اصول الكافى: (ج ۲ ص ۳۸- ۳۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۳۹

- أعلم الناس بأنساب العرب و وقائعها.

- ذاك علم لا يضر من جهله، و لا ينفع من علمه.

و التفت الى اصحابه فبين لهم العلوم النافعة التى ينبغى لهم أن ينفقوا حياتهم على تحصيلها فقال:

«انما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، و ما خلاهن فهو فضل ..».

انه ليس فى علم الانساب، و لا فى معرفة وقائع العرب ما يبعث على النماء الفكرى، او يصنع حضارة انسانية، او يخلق تقدما و تطورا فى حياة المسلمين فهو علم لا يضر من جهله، و لا ينفع من علمه، فلذا قلل الامام من أهميته، و دعا الى صرف الوقت فى غيره من سائر العلوم.

و حدث الامام عليه السلام اصحابه عما ينبغى عليهم أن يعرفوه قال (ع):

«وجدت علم الناس فى أربع: «اولها» أن تعرف ربك (الثانية) أن تعرف ما صنع بك «الثالثة» ان تعرف ما أراد منك «الرابعة» أن تعرف ما يخرجك عن دينك».

و أوضح هذه الفقرات الاربعة سماحة المغفور له السيد محسن الأمين قال:

«الاولى» وجوب معرفة اللّه التى هى اللطف «الثانية» معرفة ما صنع بك من النعم التى يتعين عليك لأجلها الشكر و العبادة «الثالثة» أن تعرف ما أراد منك فيما أوجبه عليك، و ندبك الى فعله لتفعله على الحد الذى اراده منك فتستحق بذلك الثواب «الرابعة» أن تعرف الشىء الذى يخرجك عن طاعته فتجتنبه» «۱».

---

(۱) اعيان الشيعة ۴/ ۵۷.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۰

التفقه فى الدين:

اشارة

و حث الامام المسلمين على التفقه فى الدين، و معرفة الاحكام الشرعية فقال لهم:

«تفقهوا فى دين اللّه، فان الفقه مفتاح البصيرة، و تمام العبادة، و السبب الى المنازل الرفيعة و الرتب الجليلة فى الدين و الدنيا، و فضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، و من لم يتفقه فى دينه لم يرض اللّه له عملا ..».

و سأله بعض أصحابه عما يحتاج إليه من الاحكام الشرعية قائلا:

«هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟.

فقال (ع): «ان الناس لا يسعهم أن يتركوا ما يحتاجون إليه فى امور دينهم».

مجالسة العلماء:

و أمر (ع) اصحابه بملازمة العلماء و مجالستهم و ذلك للاستفادة من علومهم و آدابهم و الاقتداء بسلوكهم فقال (ع):

«محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى» «۱».

فضل الفقهاء:

و أشاد (ع) بفضل الفقهاء الذين هم أعلام الدين و حملة كتاب اللّه فقال (ع) محدثا عن جده رسول اللّه (ص) فى فضلهم:

«قال رسول اللّه (ص): الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا».

---

(۱) الزرابى: البسط و الفرش الفاخرة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۱

فانبرى إليه احد اصحابه قائلا:

- يا رسول اللّه، ما دخولهم فى الدنيا؟.

- اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم.

العمل:

و أعلن الاسلام دعوته الاكيدة على العمل و الكسب، قال تعالى:

فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ، وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «۱».

ان الاسلام دعا الناس الى العمل، و حثهم عليه ليكونوا ايجابيين فى حياتهم يتمتعون بالجد و النشاط ليفيدوا و يستفيدوا، و كره لهم الحياة السلبية و الانكماش عن العمل الذى يؤدى الى عرقلة الاقتصاد، و شيوع الفقر و الحاجة فى البلاد.

و قد استفاضت كتب الحديث بما أثر عن النبى (ص) و أوصيائه فى الحث على العمل، و اضفاء النعوت الكريمة عليه فهو جهاد، و شرف، و عبادة و من سيرة الأنبياء.

و كان أئمة أهل البيت (ع) يزاولون العمل بأنفسهم ليقتدى بهم المسلمون، فهذا الامام جعفر الصادق (ع) كان يعمل فى بعض بساتينه، فقد حدث ابو عمر الشيبانى قال: رأيت أبا عبد اللّه (ع) و بيده مسحاة، و عليه ازار غليظ و العرق يتصبب منه، فقلت له:

«جعلت فداك اعطنى اكفك» فقال (ع): «انى أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس فى طلب

---

(۱) سورة الجمعة: آية: ۱۰

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۲

المعيشة» «۱».

و كان الامام الكاظم (ع) يعمل لاعاشة عائلته، فقد روى الحسن بن على بن أبى حمزة قال: رأيت أبا الحسن موسى يعمل فى أرض له، و قد استنقعت قدماه فى العرق فقلت له:

جعلت فداك، اين الرجال؟

- يا على، عمل باليد من هو خير منى و من أبى فى أرضه.

فبهر الحسن و انطلق يقول:

- من هو؟

- رسول اللّه (ص) و أمير المؤمنين و آبائى كلهم قد عملوا بأيديهم، و هو من عمل النبيين و المرسلين و الصالحين» «۲».

و اعطى (ع) بذلك درسا رائعا عن الاسلام من أنه دين العمل و الجد و ان الشخص مهما علت منزلته فهو مأمور بالعمل ليكف نفسه و من يعول به عما فى أيدى الناس.

التحذير من الكسل:

و نهى الاسلام عن الكسل لأنه موجب لشل الحركة الاقتصادية، و تجميد طاقات الانسان، و فساد المجتمع، و قد ورد فى الأدعية المأثورة عن أئمة الهدى بالتعوذ منه، فقد جاء عنهم «اللهم انى اعوذ بك من الكسل و السأم و الفترة» و قال الامام الصادق (ع): لبعض اصحابه: «اياك و الكسل و الضجر فانهما مفتاح كل سوء .. انه من كسل لم يؤد حقا، و من ضجر

---

(۱) العمل و حقوق العامل فى الاسلام ص ۱۳۵.

(۲) من لا يحضره الفقيه ۳/ ۵۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۳

لم يصبر على حق» «۱».

و أوصى الامام موسى بن جعفر (ع) بعض ولده بالجد فى اموره و الحذر من الكسل فقال (ع):

«إياك و الكسل و الضجر فانهما يمنعاك من حظك فى الدنيا و الآخرة» لقد كان الامام (ع) يكره الكسل و البطالة، و يمقت صاحبها لأنها تؤدى الى الفقر و السقوط، و ذهاب المروءة، و من يتصف به يكون فى حكم الموتى لا تفكير له و لا تدبر.

الاقتصاد:

و أوصى (ع) اصحابه بالاقتصاد، و نهاهم عن التبذير و الاسراف لأن بهما زوال النعمة فقال (ع):

«من اقتصد و قنع بقيت عليه النعمة، و من بذّر و أسرف زالت عنه النعمة».

و قال عليه السلام:

«ما عال امرئ اقتصد» ان من معالم الاقتصاد الاسلامى المنع من التبذير لأن فيه اضاعة للاموال و فسادا للاخلاق، و نشرا للميوعة و التحلل، و اثارة للحقد و الكراهية فى نفوس الفقراء الذين لا يجدون السعة فى المال، و قد تحدثنا عن هذه الظاهرة بصورة موضوعية و شاملة فى كتابنا «العمل و حقوق العامل فى الاسلام».

---

(۱) العمل و حقوق العامل فى الاسلام ص ۱۴۰

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۴

مكارم الاخلاق:

اشارة

و جاء الاسلام بمكارم الاخلاق، و اعتبرها قاعدة اساسية فى رسالته المشرقة قال الرسول (ص): «انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» فكان (ص) فى اخلاقه المثل الاعلى للانسانية الكريمة، و سار من بعده أئمة الهدى يقتفون آثاره فى تأسيس معالم الاخلاق و مكارم الاعمال، و ذلك بسلوكهم، و فيما أثر عنهم من الوصايا، و الارشادات لاصحابهم.

و قد عنى الامام بهذه الظاهرة فكان دوما يوصى اصحابه بالتحلى بالصفات الكريمة ليكونوا بسلوكهم و هديهم قدوة صالحة للمجتمع، حتى يستطيعوا على نشر مفاهيم الخير و الصلاح بين الناس، و نعرض الى بعض ما أثر عنه فى ذلك.

للسخاء و حسن الخلق:

و حث (ع) اصحابه على التحلى بالسخاء و حسن الخلق قال:

«السخى الحسن الخلق فى كنف اللّه، لا يتخلى اللّه عنه، حتى يدخله الجنة، و ما بعث اللّه نبيا الا سخيا، و ما زال أبى يوصينى بالسخاء و حسن الخلق ..».

الورع:

كان عليه السلام كثيرا ما يوصى اصحابه و شيعته بالورع عن محارم اللّه، قال:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۵

«كثيرا ما كنت أسمع أبى يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه فى خدورهن».

الصبر:

و أوصى (ع) اصحابه بالتمسك بالصبر ان نزلت بهم كارثة أو حل بهم خطب فان الجزع يذهب بالاجر الذى أعده اللّه للصابرين قال (ع):

«المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها الا بالصبر و الاسترجاع عند الصدمة».

قال (ع): «ان الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء» قال (ع): «المصيبة للصابر واحدة و للجازع اثنتان»

الصمت:

و أوصى (ع) اصحابه بالصمت و بين لهم فوائده قال:

«ان الصمت باب من أبواب الحكمة، و ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير».

العفو و الاصلاح:

و حث (ع) اصحابه على العفو و الاحسان لمن أساء إليهم، كما شجعهم على الاصلاح بين الناس، و بين لهم عاقبة المحسنين و المصلحين و ما لهم من الاجر عند اللّه فقال:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۶

«ينادى مناد يوم القيامة ألا من كان له أجر على اللّه فليقم، فلا يقوم إلا من عفا و أصلح».

قول الخير:

و أوصى (ع) اصحابه بقول الخير و اسداء المعروف الى الناس، فقد قال للفضل بن يونس:

أبلغ خيرا و قل خيرا، و لا تكن إمعة «۱».

- ما الامعة؟.

- لا تقل: انا مع الناس، و انا كواحد من الناس. ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: «يا أيها الناس انما هما نجدان «۲» نجد خير، و نجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير».

قول الحق:

و امر (ع) اصحابه بقول الحق: و اظهاره و التجنب عن الباطل قال:

«اتّق اللّه، و قل الحق و ان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك، أى فلان اتق اللّه ودع الباطل و ان كان فيه نجاتك، فان فيه هلاكك».

حسن الجوار:

و أوصى (ع) اصحابه بالاحسان الى الجار و الصبر على تحمل الأذى

---

(۱) الإمع و الإمعة- بالكسر فالتشديد- قيل أصله إنى معك.

(۲) النجد: الطريق الواضح المرتفع.

و المكروه منه قال (ع):

«ليس حسن الجوار كف الأذى، و لكن حسن الجوار الصبر على الأذى».

اغاثة المستجير:

و حث (ع) أصحابه على إغاثة المستجير و قضاء حاجته فقال:

«من قصده رجل من اخوانه مستجيرا به فى بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولايـة اللّه عز و جل» «۱» و قد أمرهم بقضاء حوائج الناس فقال: من أتاه اخوه المؤمن فى حاجة فانما هو رحمة من اللّه تبارك و تعالى ساقها إليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، و هو موصول بولايـة اللّه، و ان رده عن حاجته و هو يقدر على قضائها سلط اللّه عليه شجاعا من نار ينهشه فى قبره الى يوم القيامة ..» و قال (ع) فى فضل من لا يرد حاجة اخيه المؤمن: «ان للّه عبادا فى الارض يسعون فى حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، و من أدخل على مؤمن سرورا فرح اللّه قلبه يوم القيامة» «۲».

زيارة الاخوان:

و أمر (ع) اصحابه بالتوادد و التآلف و زيارة بعضهم بعضا لأنها توجب المحبة و شيوع المودة، مضافا لما لها من الأجر العظيم عند اللّه،

---

(۱) الوسائل: باب الأمر بالمعروف.

(۲) نفس المصدر.

قال:

«من زار أخاه المؤمن للّه لا لغيره يطلب به ثواب اللّه، و كل اللّه عز و جل به سبعين الف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه ينادونه ألا طبت و طابت لك الجنة، تبوأت من الجنة منزلا ..».

الرضاء بقضاء اللّه:

و حث (ع) اصحابه على الرضا بقضاء اللّه و التسليم لمشيئته و أمره قال:

«ينبغى لمن عقل عن اللّه أن لا يستبطئه فى رزقه، و لا يتهمه فى قضائه».

شكر النعمة:

و أوصى (ع) اصحابه باظهار نعم اللّه و شكرها قال:

«التحدث بنعم اللّه شكر، و ترك ذلك كفر، فاربطوا نعم ربكم بالشكر، و حصنوا أموالكم بالزكاة، و ادفعوا البلاء بالدعاء، فان الدعاء جنة ترد البلاء و قد أبرم إبراما ..».

محاسبة النفس:

و حث (ع) اصحابه على محاسبة نفوسهم و النظر فى اعمالهم فان كانت حسنة استزادوا منها، و ان كانت سيئة طلبوا من اللّه المغفرة و الرضوان قال:

«ليس منا من لم يحاسب نفسه فى كل يوم، فان عمل حسنا استزاد منه، و ان عمل سيئا استغفر اللّه منه و تاب منه ..».

الاستشارة:

و اوصى (ع) شيعته بالاستشارة فى أمورهم، و عدم الاستبداد بها قال:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۴۹

«من استشار لا يعدم عند الصواب مادحا، و عند الخطأ عاذرا ..»

مساوئ الافعال:

و نهى (ع) أصحابه عن التخلق بالصفات الذميمة، و ارتكاب أى عمل غير صالح و فيما يلى ذلك:

اتباع الهوى:

قال (ع): «اتق المرتقى السهل إذا كان منحدره و عرا، إن أبى قال: لا تدع النفس و هواها، فان هواها رداها، و ترك النفس و ما تهوى اذاها، و كف النفس عما تهوى دواها».

العقوق:

قال (ع): قال رسول اللّه (ص): «كن بارا و اقتصر على الجنة، و ان كنت عاقا فظا فاقتصر على النار».

استصغار الذنب:

قال (ع): «لا تستكثروا كثير الخير و لا تستقلوا قليل الذنوب، فان القليل من الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا، و خافوا فى السر حتى تعطوا من انفسكم النصف».

المزاح:

قال (ع) لبعض ولده: «اياك و المزاح فانه يذهب بنور ايمانك و يستخف بمروءتك ..».

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۵۰

أدعيته:

اشارة

و انقطع الامام الى اللّه فكان فى جميع اوقاته يلهج بذكره تعالى، و يدعوه دعاء المنيبين، و قد حفلت كتب الأدعية بالشيء الكثير من ادعيته اما فائدة الدعاء فقد تحدث عنها بقوله:

«عليكم بالدعاء، فان الدعاء للّه و الطلب الى اللّه يرد البلاء و قد قدر و قضى و لم يبق الا امضاؤه، فاذا دعى اللّه عز و جل، و سئل صرف البلاء».

و تحدث (ع) مرة اخرى عما يترتب على الدعاء من الفوائد فقال:

«ما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيلهمه اللّه عز و جل الدعاء الا كان كشف ذلك البلاء وشيكا و ما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلا فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء و التضرع الى اللّه عز و جل» «۱» و نقدم عرضا موجزا لبعض أدعيته.

دعاؤه على ظالم له:

دعا (ع) بهذا الدعاء الشريف فى قنوته على بعض ظالميه و اكبر الظن انه احد خلفاء العباسيين المعاصرين له الذين جرعوه انواع الغصص و الآلام و نحن نقدم نصه الكامل ليتضح منه ما قاساه الامام من طواغيت زمانه، «اللهم، انى و فلان ابن فلان، عبدان من عبيدك، نواصينا بيدك تعلم مستقرنا و مستودعنا و منقلبنا، و مثوانا، و سرنا، و علانيتنا تطلع على نياتنا و تحيط بضمائرنا، علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه، و معرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نعلنه، و لا ينطوى عندك شيء من أمورنا، و لا ينستر دونك حال من أحوالنا، و لا لنا منك معقل يحصننا، و لا حرز يحرزنا، و لا مهرب

---

(۱) اصول الكافى: (ج ۲ ص ۵۵۳).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۵۱

لنا نفوتك به، و لا تمنع الظالم منك حصونه، و لا يجاهدك عنه جنوده، و لا يغالبك مغالب بمنعه، أنت مدركه اينما سلك و قادر عليه اينما لجأ، فمعاذ المظلوم منابك، و توكل المقهور منا عليك، و رجوعه إليك، يستغيث بك اذا خذله المغيث، و يستصرخك اذا قعد عنه النصير، و يلوذ بك اذا نفته الافنية، و يطرق بابك اذا اغلقت عنه الابواب المرتجة، و يصل إليك اذا احتجبت عنه الملوك الغفلة، تعلم ما حل به من قبل أن يشكوه إليك، و تعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له، فلك الحمد بصيرا عليما لطيفا، اللهم، و انه قد كان فى سابق علمك و محكم قضائك، و جارى قدرك، و نافذ امرك، و ماضى مشيئتك فى خلقك أجمعين شقيهم و سعيدهم و برهم و فاجرهم ان جعلت «لفلان ابن فلان» على قدرة فظلمنى بها و بغى على بمكانها و استطال و تعزز بسلطانه الذى خولته اياه، و تجبر و افتخر بعلو حاله الذى نولته، و غره املاؤك، و أطغاه حلمك عنه فقصدنى بمكروه عجزت عن الصبر عليه، و تعمدنى بشر ضعفت عن احتماله، و لم اقدر على الاستنصاف منه لضعفى، و لا على الانتصار لقلتى فوكلت أمره إليك، و توكلت فى شأنه عليك، و توعدته بعقوبتك، و حذرته ببطشك، و خوفته بنقمتك، فظن ان حلمك عنه من ضعف، و حسب أن إملاءك له من عجز، و لم

تنهه واحدة عن اخرى، و لا انزجر عن ثانية بأولى لكنه تمادى فى غيه، و تتابع فى ظلمه، ولج فى عدوانه و استشرى فى طغيانه جرأة عليك يا سيدى و مولاى و تعرضا لسخطك الذى لا تحبسه عن الباغين، فها أنا يا سيدى مستضام تحت سلطانه مستذل بفنائه مبغى على، و جل خائف، مروع مقهور قد قل صبرى و ضاقت حيلتى، و تغلقت على المذاهب الا إليك، و انسدت عنى الجهات الا جهتك، و التبست على اموري فى دفع مكروهه و اشتبهت على الآراء فى ازالة ظلمه، و خذلنى من استنصرته من خلقك، و اسلمنى من تعلقت به

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۲

من عبادك، فاستشرت نصحى فأشار على بالرغبة إليك، و استرشدت دليلى فلم يدلنى الا إليك، فرجعت إليك يا مولاى صاغرا راغما مستكينا عالما انه لا فرج لى الا عندك، و لا خلاص لى الا بك انتجز وعدك فى نصرتى و اجابة دعائى لأن قولك الحق الذى لا يرد و لا يبدل، و قد قلت تباركت و تعاليت «و من بغى عليه لينصرنه اللّه» و قلت جل ثناؤك، و تقدست أسماؤك:

«ادعونى استجب لكم» فأنا فاعل ما امرتنى به لا ـ منا عليك، و كيف أمن به و أنت دللتنى عليه، فاستجب لى كما وعدتنى يا من لا يخلف الميعاد و انى لأعلم يا سيدى ان لك يوما تنتقم فيه من الظالم للمظلوم، و أتيقن ان لك وقتا تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب لأنه لا ـ يسبقك معاند، و لا ـ يخرج من قبضتك منابذ، و لا تخاف فوت فائت و لكن جزعى و هلعى لا يبلغان الصبر على اناتك، و انتظار حلمك فقدرتك يا سيدى فوق كل قدرة، و سلطانك غالب كل سلطان، و معاد كل احد إليك و ان أمهلته، و رجوع كل ظالم إليك و ان انظرته، و قد أضرنى- يا سيدى- حلمك عن (فلان) و طول اناتك له، و إمهالك اياه، و يكاد القنوط ان يستولى على، لو لا ـ الثقة بك، و اليقين بوعدك، فان كان فى قضائك النافذ و قدرتك الماضية انه ينيب، او يتوب، او يرجع عن ظلمى و يكف عن مكروهى، و ينتقل عن عظيم ما ركب منى، فصل على محمد و آله، و أوقع ذلك فى قلبه قبل إزالة نعمتك التى أنعمت بها عليه، و تكدير معروفك الذى صنعته إليه، و ان كان علمك به غير ذلك من مقامه على ظلمى، فانى أسألك يا ناصر المظلومين المبغى عليهم اجابة دعوتى فصل على محمد و آله و خذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر و افجأه فى غفلته مفاجاة مليك منتصر و اسلبه نعمته و سلطانه و افضض عنه جموعه و أعوانه و مزق ملكه كل ممزق، و فرق انصاره كل مفرق، و اعزله من نعمتك التى لم يقابلها بالشكر و الاحسان، و انزع عنه سربال عزك الذى لم يجازه بالاحسان، و اقصمه

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۳

يا قاصم الجبابرة، و اهلكه يا مهلك القرون الخالية، و ابره يا مبير الأمم الظالمة، و اخذله يا خاذل الفرق الباغية، و ابتر عمره، و ابتز ملكه، و عف أثره، و اقطع خبره، و اطف ناره، و اظلم ناره، و كور شمسه، و ازهق نفسه، و اهشم سوقه، وجب سنامه، و ارغم أنفه، و عجل حتفه و لا تدع له جنة الا هلكتها، و لا دعامة الا قصمتها، و لا كلمة مجتمعة الا فرقتها و لا قائمة علو الا وضعتها، و لا ركنا الا وهنته، و لا سببا الا قطعته، و أرنا انصاره و جنوده عبيدا بعد العزة، و اجعلهم متفرقين بعد اجتماع الكلمة و مقنعى الرءوس بعد الظهور على الامة، و اشف بزوال امره القلوب الوجلة و الأفئدة اللهيفة، و الأمة المتحيرة، و البرية الضائعة، و اظهر بزواله الحدود المعطلة، و السنن الداثرة، و الأحكام المهملة، و المعالم المتغيرة، و الآيات المحرفة، و المدارس المهجورة، و المحاريب المجفوة، و المشاهد المهدومة، و اشبع به الخماص السابغة، و ارو به اللهوات اللاغبة و الأكباد الضامية، و أرح به الأقدام المتعبة، و اطرقه ببلية لا اخت لها، و بساعة لا مثوى فيها، و بنكبة لا انتعاش معها، و بعثرة لا إقالة منها، و ابح حريمه، و نغص نعيمه، و أره بطشتك الكبرى، و نقمتك المثلى، و قدرتك التى هى فوق قدرته، و سلطانك الذى هو أعز من سلطانه، و أغلبه لى بقوتك القوية، و محالك الشديد، و امنعنى منه بمنعك، و ابتله بفقر لا ـ يجبره، و بسوء لا يستره، وكله الى نفسه فيما تريد انك فعال لما تريد، و ابره من حولك و قوتك، وكله الى حوله و قوته و ازل مكره بمكرك، و ادفع مشيئته بمشيئتك، و اسقم جسده، و ايتم ولده و نقص اجله، و خيب امله، و ازل دولته، و اطل عولته، و اجعل شغله فى بدنه، و لا تفكه من حزنه، و صير كيده فى ضلال و امره الى زوال و نعمته الى انتقال وجده فى سفال و

سلطانه فى اضمحلال، و عاقبته الى شر مآل و امته بغيظه إن أمته، و ابقه بحسرته ان أبقيته، و قنى شره و همزه و لمزه

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۴

و سطوته و عداوته، و المحه لمحة تدمر بها عليه، فانك اشد بأسا و أشد تنكيلا ..» «۱».

و يلمس فى هذا الدعاء الشريف مدى الخطوب الفادحة و الآلام المرهقة التى تلقاها الامام من خصمه، فانه لم يدع عليه بهذا الدعاء الا بعد أن ملأ قلبه بالحزن الشديد و الألم المرير.

دعاؤه عند الحاجة:

و كان (ع) يدعو بهذا الدعاء اذا اصابته فاقة او أعواز.

«يا اللّه: اسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلى على محمد و آل محمد و أن ترزقنى العمل بما علمتنى من معرفة حقك، و أن تبسط على ما حظرت من رزقك» «۲».

دعاؤه لوفاء الدين:

و شكا الى الامام بعض اصحابه الديون المتراكمة عليه فكتب (ع) له هذا الدعاء و أمره ان يدعو به.

«اللهم، اردد الى جميع خلقك مظالمهم التى قبلى صغيرها و كبيرها فى يسر منك و عافية، و ما لم تبلغه قوتى، و لم تسعه ذات يدى، و لم يقو عليه بدنى، و يقينى و نفسى، فأده عنى من جزيل ما عندك من فضلك ثم لا تخلف على منه شيئا تقضيه من حسناتى يا ارحم الراحمين، اشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و اشهد ان محمدا عبده و رسوله و أن الدين كما شرع و ان الاسلام كما وصف، و ان الكتاب كما انزل، و أن القول كما حدث و ان اللّه هو الحق المبين، ذكر اللّه محمدا و أهل بيته بخير، و حيا محمدا

---

(۱) مهج الدعوات: (ص ۶۷- ۷۲.)

(۲) اصول الكافى: (ج ۲ ص ۵۵۳)،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۵

و اهل بيته السلام ..» «۱».

دعاء الحجاب:

كان عليه السلام يتحجب بهذا الدعاء، و يتقى به شر من يخاف شره، و هو:

«توكلت على الحى الذى لا يموت، و تحصنت بذى العزة و الجبروت و استعنت بذى الكبرياء و الملكوت، مولاى استسلمت إليك، فلا تسلمنى و توكلت عليك فلا تخذلنى، و التجأت الى ظلك البسيط فلا تطرحنى أنت الطلب و إليك المهرب، تعلم ما اخفى و ما اعلن و تعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور، فامسك عنى اللهم ايدى الظالمين من الجن و الانس أجمعين و اشفنى، و عافنى يا ارحم الراحمين ..» «۲».

و نكتفى بهذا المقدار من ادعيته المقدسة التى تدل على مدى انقطاعه الى اللّه و تعلقه به و ذكرت له ادعية كثيرة فى (الاقبال) و (مهج الدعوات) و غيرهما مما ألف فى هذا الموضوع.

وعظ و ارشاد:

كان (ع) فى اغلب الأوقات يدلى بنصائحه الرفيعة، و ارشاداته القيمة الى اصحابه و الى من يمت إليه، و كان (ع) دوما يحذرهم من عذاب اللّه و عقابه و يخوفهم الدار الآخرة، و هذه بعض وصاياه.

وصيته لبعض ولده:

قال (ع): يا بنى، اياك ان يراك اللّه فى معصية نهاك عنها، و اياك

---

(۱) اصول الكافى: (ج ۲ ص ۵۵۵).

(۲) مهج الدعوات: (ص ۳۷۳).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۶

ان يفقدك اللّه عند طاعة أمرك بها، و عليك بالجد، و لا تخرجن من نفسك التقصير عن عبادة اللّه، فان اللّه عز و جل لا يعبد حق عبادته، و اياك و المزاح فانه يذهب بنور ايمانك، و يستخف بمروءتك، و اياك و الكسل و الضجر فانهما يمنعانك حظك من الدنيا و الآخرة» «۱».

ارشاد و توجيه:

و وجه (ع) ارشادا عاما لجميع المسلمين جاء فيه:

«كفى بالتجارب تأديبا، و بممر الايام عظة، و بأخلاق من عاشرت معرفة، و بذكر الموت حاجزا من الذنوب و المعاصى، و العجب كل العجب للمحتمين من الطعام و الشراب مخافة الداء ان نزل بهم كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار اذا اشتعلت فى ابدانهم ..» «۲».

وصية عامة:

و أوصى (ع) عموم اصحابه بتنظيم اوقاتهم، و العمل على تهذيب نفوسهم قال (ع):

«اجتهدوا فى ان يكون زمانكم اربع ساعات: ساعة لمناجاة اللّه، و ساعة لأمر المعاش، و ساعة لمعاشرة الاخوان و الثقات الذين يعرفونكم عيوبكم، و يخلصون لكم فى الباطن، و ساعة تخلون فيها للذاتكم فى غير محرم و بهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات، و لا تحدثوا انفسكم بفقر و لا بطول عمر، فانه من حدث نفسه بالفقر بخل، و من حدثها بطول العمر يحرص اجعلوا لأنفسكم حظا من الدنيا باعطائها ما تشتهى من الحلال و ما لا يثلم المروءة، و ما لا سرف فيه، و استعينوا بذلك على أمور الدين، فانه روى

---

(۱) الوافى: (ج ۳ ص ۷۸).

(۲) الدر النظيم.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۷

«ليس منا من ترك دنياه لدينه او ترك دينه لدنياه» «۱».

الحث على فعل الخير:

قال (ع): من استوى يوماه فهو مغبون، و من، كان آخر يوميه أشرها فهو ملعون، و من لم يعرف الزيادة على نفسه فهو فى النقصان، و من كان الى النقصان اكثر فالموت خير له من الحياة ..» «۲».

و بهذا مرض الموجز ينتهى بنا الكلام من بعض مواعظه و ارشاداته و ننتقل الى فصل آخر من تراثه.

مناظراته و احتجاجاته:

اشارة

و للامـام (ع) منـاظرات و احتجاجات بليغـة مع خصومه المناوئين له كما جرت له مناظرات اخرى مع بعض علماء اليهود و النصارى، و قـد افلـج (ع) الجميع بما أقامه من الأدلـة الوافرة على صـحة مـدعاه و بطلان ما ذهبوا إليه، و قـد اعترفوا بالعجز و الفشل، و بغزارة علم الامام، و تفوقه عليهم و فيما يلى بعضا منها:

۱- مع نفيع الانصارى:

و شرّف (ع) بلاط الملك هارون، فلما رآه حاجب البلاط قابله بالتكريم و الحفاوة و قدمه على غيره لمقابلة هارون، و كان فى مجلس الانتظـار نفيع الأنصـارى فلمـا رأى تلك الحفاوة البالغـة احترق قلبه من الغيظ و ساءه تكريم الامام، فالتفت الى عبـد العزيز و كان معه فقال له:

---

(۱) تحف العقول (ص ۴۰۹) عرضنا لبيان هذا الحديث بصورة موضوعية و شاملة فى كتابنا «العمل و حقوق العامل فى الاسلام».

(۲) الاتحاف بحب الاشراف: (ص ۵۵).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۸

- من هذا الشيخ؟. حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۲۵۸ ۱ - مع نفيع الانصارى: ..... ص : ۲۵۷

أو ما تعرفه!! هذا شيخ آل أبى طالب، هذا موسى بن جعفر.

فانبرى نفيع يندد بالعباسيين على تكريمهم للامام قائلا:

ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أما لئن خرج لأسوأنه.

فزجره عبد العزيز و نهره قائلا:

«لا تفعل، فان هؤلاء أهل بيت لم يتعرض لهم أحد بخطاب الا وسموه- بالجواب- سمة يبقى عارها عليه أبد الدهر ..».

و لما انتهى الامام من مقابلة هارون، و خرج من عنده اقبل عليه نفيع يشتد فامسك بزمام دابته و قال له:

- من أنت؟

- يا هـذا، ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب اللّه، و ابن اسـماعيل ذبيح اللّه، و ابن ابراهيم خليل اللّه، و ان كنت تريد البلد فهو الذى فرض اللّه عز و جل على المسـلمين و عليك ان كنت منهم الحج إليه، و ان كنت تريد المفاخرة فو اللّه ما رضـى مشـركوا قومى بمسلمى قومك أكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، خل عن زمام دابتى.

و انصرف نفيع و هو لا يبصر طريقه من الخجل و العار الذى وسمه به الامام «۱».

۲- مع الفضل بن الربيع:

و تشـرف هـارون الرشـيد بزيـارة قبر النبى (ص) فـاجتمع به الامـام (ع) و بعـد انتهاء المقابلـة، خرج (ع) فاجتاز على محمـد الامين ابن الرشيد، فالتفت

---

(۱) نزهة الناظر فى تنبيه الخاطر: ص ۴۵.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۵۹

محمد الى الفضل بن الربيع قائلا له: عاتب هذا، فقام الفضل الى الامام فقال له:

كيف لقيت امير المؤمنين على هذه الدابة التى ان طلبت عليها لم تسبق و ان طلبت عليها تلحق؟

- لست احتاج ان أطلب، و لا أن اطلب، و لكنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل، و ترتفع عن ذلة العير، و خير الامور اوسطها ..» «۱».

فتركه الامام و انصرف، و بدا على الفضل الارتباك و العى و العجز.

۳- مع أبى يوسف:

و امر هارون الرشيد أبا يوسف «۲» ان يسأل الامام بحضرته لعله أن يبدى عليه العجز فيتخذ من ذلك وسيلة للحط من كرامته، و لما اجتمع (ع) بهم وجه إليه ابو يوسف السؤال الآتى:

- ما تقول فى التظليل للمحرم؟

- لا يصلح.

- فيضرب الخباء فى الأرض و يدخل البيت؟

- نعم.

- فما الفرق بين الموضعين؟

- ما تقول فى الطامث ا تقضى الصلاة؟

- لا

---

(۱) زهر الآداب (ج ۱ ص ۱۳۲).

(۲) ابو يوسف: هو يعقوب بن ابراهيم الأنصارى، ولد سنة ۱۱۳ ه-، و توفى ببغداد سنة ۲۸۲ ه- و كان من اصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأى و اخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ثم عن ابى حنيفة و ولى القضاء لهارون الرشيد جاء ذلك فى طبقات الفقهاء: ص ۱۱۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۰

- ا تقضى الصوم؟

- نعم- و لم؟

- هكذا جاء- و هكذا جاء هذا فسكت أبو يوسف و لم يطق جوابا و بدا عليه الخجل و العجز فقال هارون:

- ما أراك صنعت شيئا؟

- رمانى بحجر دامغ «۱»، و تركهما الامام و انصرف عنهما و قد خيم عليهما الحزن و الشقاء.

۴- مع أبى حنيفة:

و دخل ابو حنيفة على الامام الصادق (ع) فقال له:

رأيت ابنك موسى يصلى و الناس يمرون بين يديه، فلم ينههم عن ذلك؟!.

فأمر أبو عبد اللّه (ع) باحضار ولده فلما مثل بين يديه قال له:

«يا بنى، ان أبا حنيفة يذكر انك كنت تصلى و الناس يمرون بين يديك؟».

«نعم، يا أبت ان الذى كنت اصلى له كان اقرب إلى منهم، يقول اللّه عز و جل: «و نحن اقرب إليه من حبل الوريد».

و فرح الامام الصادق (ع) و سر سرورا بالغا بما ادلى به ولده من المنطق الرائع، فقام إليه فضمه و انطلق قائلا:

---

(۱) المناقب: (ج ۳ ص ۴۲۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۶۱

«بأبي أنت و أمي يا مودع الاسرار!!» «۱».

۵- مع هارون الرشيد:

و لما اعتقل هارون الرشيد الامام موسى (ع) و بقي في السجن حفنة من السنين امر يوما باحضاره في بلاطه، فلما حضر و استقر به المجلس التفت إليه هارون و قد نخر الغيظ قلبه قائلا:

- يا موسى بن جعفر: خليفتين يجبى لهما الخراج؟!!.

- يا أمير المؤمنين، أعيذك باللّه ان تبوء باثمي و إثمك، و تقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت انه قد كذب علينا منذ قبض رسول اللّه (ص) بما علم ذلك عندك، فان رايت بقرابتك من رسول اللّه (ص) أن تأذن لي أن احدثك بحديث اخبرني به ابي عن آبائه عن جدي رسول اللّه (ص):

- قد أذنت لك.

- أخبرني ابي عن آبائه عن جدي رسول اللّه (ص) انه قال: «ان الرحم اذا مست الرحم تحركت و اضطربت»، فناولني يدك.

فرق هارون و زال غضبه فمد إليه يده و جذبه الى نفسه و عانقه طويلا ثم ادناه منه و قد اغرورقت عيناه بالدموع و التفت إليه قائلا له بنبرات تقطر عطفا:

«صدقت، و صدق جدك، لقد تحرك دمي، و اضطربت عروقي حتى غلبت على الرقة، و فاضت عيناي، و أنا أريد أن أسألك عن اشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم اسأل عنها احدا، فان أنت اجبتني عنها خليت عنك و لم اقبل قول احد فيك، و قد بلغني انك لم تكذب قط، فاصدقني عما أسألك مما في قلبي».

- ما كان علمه عندي فاني مخبرك به، إن أنت آمنتني.

---

(۱) البحار: (ج ۱۲ ص ۲۸۳).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۶۲

- لك الأمان، إن أنت صدقتني، و تركت التقية التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

- سل عما شئت.

- لم فضلتم علينا و نحن و أنتم من شجرة واحدة، و بنو عبد المطلب و نحن و انتم واحد، فبنو العباس و انتم ولد أبي طالب، و هما عما رسول اللّه (ص)، و قرابتهما منه سواء؟

- نحن اقرب.

- و كيف ذلك؟

- لأن عبد اللّه و أبا طالب لأب و أم، و أبوكم العباس ليس هو من أم عبد اللّه و أبي طالب.

- لم ادعيتم انكم ورثتم النبي (ص) و العم يحجب ابن العم، و قبض رسول اللّه (ص) و قد توفي أبو طالب قبله، و العباس عمه حي؟

- إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، و يسألني عن كل باب سواها.

- لا- أو تجيب؟

- آمني.

- قد آمنتك قبل الكلام،- جاء فى قول على (ع): انه ليس مع ولد الصلب ذكرا كان أم أنثى لأحد سهم الا الأبوين و الزوج و الزوجة، و لم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، الا ان تيما و عديا، و بنى أميّة قالوا: العم والد، رأيا منهم بلا حقيقة و لا أثر عن النبى (ص) ثم انه (ع) ذكر له جملة من فقهاء العصر الذين أفتوا بما أفتى به جده امير المؤمنين (ع) فى هذه المسألة و أضاف (ع) الى ذلك قوله:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۳

«روى قدماء العامة، عن النبى (ص) أنه قال: (على أقضاكم) و كذلك قال عمر بن الخطاب: (على أقضانا) و هو- أى القضاء- اسم جامع لأن جميع ما مدح به النبى (ص) أصحابه من القراءة و الفرائض، و العلم داخل فى القضاء».

و بعد ما ادلى (ع) بهذه الحجة الدامغة طلب منه هارون الرشيد المزيد من الايضاح و البيان فقال (ع): ان النبى لم يورث من لم يهاجر، و لا اثبت له ولاية حتى يهاجر.

قال هارون: ما حجتك؟

قال (ع): قول اللّه تبارك و تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا «۱»، و ان عمى العباس لم يهاجر.

فتغير لون هارون و تميز من الغيظ فقال للامام:

- هل أفتيت أحدا بذلك من أعدائنا أم أخبرت به أحدا من الفقهاء؟

- لا- و ما سألنى عنها أحد سواك.

فسكن غضبه و قال:

لم جوزتم للعامة و الخاصة ان ينسبوكم الى رسول اللّه (ص) و يقولوا:

لكم يا بنى رسول اللّه، و أنتم بنو على، و إنما ينسب المرء الى أبيه، و فاطمة انما هى وعاء، و النبى (ص) جدكم من قبل أمكم؟

- لو ان النبى (ص) نشر فخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه؟

- سبحان اللّه!! و لم لا أجيبه، بل أفتخر على العرب و العجم و قريش بذلك.

- لكنه لا يخطب منى و لا أزوجه.

---

(۱) سورة الأنفال آية ۷۳.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۴

- و لم؟

- لأنه ولدنى و لم يلدك.

- أحسنت يا موسى!!- كيف قلتم: إنا ذرية النبى: و النبى لم يعقب، و انما العقب للذكر لا للأنثى، و انتم ولد بنته.

- أسألك بحق القرابة الا ما أعفيتنى.

- لا- أو تخبرنى عن حجتكم فيه يا ولد على، و أنت يا موسى يعسوبهم و إمام زمانهم، و لست أعفيك.

- تأذن لى فى الجواب؟

- هات.

- قال اللّه تعالى فى كتابه: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ «۱» من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

- ليس لعيسى أب.

- انما ألحقه اللّه تعالى بذرارى الأنبياء من طريق مريم، و كذلك ألحقنا بذرارى النبى (ص) من قبل أمنا فاطمة (ع) و طلب هارون من الامام أن يزيد فى حجته و برهانه، فأجابه الى ذلك فقال (ع):

«قال اللّه عز و جل: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ «۲» فلم يدع أحد أن النبى (ص) أدخل

---

(۱) سورة الأنعام: آية ۸۴- ۸۵.

(۲) سورة آل عمران: آية ۶۰

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۵

تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا- على بن أبى طالب و فاطمة و الحسن و الحسين، فكان تأويل قوله تعالى: ابناءنا الحسن و الحسين، و نساءنا فاطمة و أنفسنا على بن أبى طالب (ع) و أضاف الى هذه الحجة برهانا آخر و هو ان العلماء قد أجمعوا على ان جبرئيل قال: يوم أحد، يا محمد ان هذه لهى المواساة من على فقال (ص) انه منى و انا منه، فقال و انا منكما» «۱».

و انقطعت حجة هارون و لم يجد طريقا يسلكه، لأن الامام قد أدلى بحجج دامغة لا مجال للشك فيها، ثم ان هارون طلب منه ان يزوده برسالة موجزة تجمع اعمال الدين فكتب (ع) بعد البسملة ما نصه:

«جميع امور الأديان أربعة: امر لا- اختلاف فيه، و هو اجماع الأمة على الضرورة التى يضطرون إليها، و الأخبار المجمع عليها، و هى الغاية المعروض عليها كل شبهة، و المستنبط منها كل حادثة، و امر يحتمل الشك و الانكار، فسبيله استنصاح اهله «۲» الحجة عليه مما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله او سنة عن النبى (ص) لا اختلاف فيها، او قياس تعرف العقول عدله و لا يسع خاصة الأمة و عامها الشك فيه و الانكار له، و هذان الأمران من امر التوحيد فما دونه الى أرش الخدش فما دونه فهذا المعروض الذى يعرض عليه امر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، و ما غمض عليك صوابه نفيته، فمن أورد واحدة من هذه الثلاثة «۳» فهى الحجة البالغة التى بينها اللّه فى قوله لنبيه: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ

---

(۱) البحار: (ج ۱۲ ص ۲۷۴- ۲۷۵).

(۲) ورد فى بعض النسخ: استيضاح أهله.

(۳) الظاهر ان المراد بهذه الثلاث: الكتاب و السنة و القياس الذى تعرف العقول عدله.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۶

لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ «۱» يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، لأن اللّه عدل لا يجور، يحتج على خلقه بما يعلمون و يدعوهم الى ما يعرفون لا الى ما يجهلون و ينكرون ..».

فأجازه هارون و أكرمه «۲» و انصرف الامام و قد دل خصمه- المسمى بخليفة المسلمين و أمير المؤمنين- على امور الدين كما أوضح له منزلة أهل البيت و صحة اقوالهم و دعم ما ذهب إليه بأوثق الأدلة و البراهين.

و ذكر رواة الأثر له مناظرة أخرى مع هارون، و الذى نراه انها من الموضوعات، و انها الى الخيال أقرب منها الى الواقع، و فيما يلى نصها:

حج هارون الرشيد بيت اللّه الحرام فمنعت الشرطة دخول الحجاج الى البيت حال طوافه، و بينما هو مشغول فى الطواف و قد احاطت به الحرس اذ بادر اعرابى الى البيت و جعل يطوف معه فأقبل عليه الحاجب قائلا:

- تنح يا هذا عن وجه الخليفة.

- ان اللّه ساوى بين الناس فى هذا الموضع، فقال: «سواء العاكف فيه و البادى».

فكف الحاجب عنه، و كلما طاف الرشيد طاف الاعرابى امامه، و نهض الرشيد الى الحجر الأسود ليقبله فسبقه الاعرابى إليه و لثمه، و صار الرشيد الى (المقام) ليصلى فيه فسبقه الاعرابى و صلى امامه فالتاع هارون و استولى عليه الغضب فأمر حاجبه باحضاره فانبرى إليه قائلا:

- اجب امير المؤمنين.

- ما لى إليه حاجة فأقوم إليه، فان كانت الحاجة إليه فهو بالقيام أولى

---

(۱) سورة الأنعام: آية ۱۴۹.

(۲) تحف العقول: ص ۴۰۷- ۴۰۸، و رواه المفيد فى الاختصاص و المجلسى فى البحار بصورة أوجز من هذه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۷

فمضى الحاجب الى الرشيد فقال: صدق، ثم مشى إليه فلما وصل سلم عليه و قال:

- يا اعرابى أجلس؟

- ما الموضع لى فتستأذننى فيه بالجلوس، إنما هو بيت اللّه نصبه لعباده فان أحببت أن تجلس فاجلس، و ان أحببت ان تنصرف فانصرف!! فجلس هارون و هو مغيظ محنق فقال له:

- ويحك!! مثلك من يزاحم الملوك؟!- نعم. و فىّ مستمع «۱».

- فانى سائلك، فان عجزت آذيتك.

- سؤالك هذا سؤال متعلم؟ او سؤال متعنت؟

- بل سؤال متعلم.

- اجلس مكان المسئول من السائل. و سل، و أنت مسئول.

- اخبرنى ما فرضك؟

- ان الفرض واحد، و خمسة، و سبعة عشر، و اربع و ثلاثون، و اربع و تسعون، و مائة و ثلاثة و خمسون على سبعة عشر، و من اثنى عشر واحد و من اربعين واحد، و من مائتين خمس، و من الدهر كله واحد، و واحد بواحد.

فضحك الرشيد، و قال مستهزءا به:

- ويحك أسألك عن فرضك و أنت تعد على الحساب؟!!- أ ما علمت ان الدين كله حساب، و لو لم يكن الدين حسابا لما اتخذ اللّه للخلائق حسابا ثم قرأ (و ان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين).

---

(۱) فى مستمع: أى عندى علم يجب ان يستمع إليه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۸

- بين لى ما قلت: و الا امرت بقتلك بين الصفا و المروة.

فقال الحاجب: لهارون:

- هبة للّه و لهذا المقام.

فضحك الاعرابى من قوله، فغضب منه هارون و قال له:

- مم ضحكت؟

- تعجبا منكما!! اذ لا ادرى من الأجهل منكما الذى يستوهب أجلا قد حضر، او الذى استعجل أجلا لم يحضر؟!! فقال الرشيد: فسر ما قلت؟

- أما قولى: الفرض واحد فدين الاسلام كله واحد و عليه خمس صلوات و هى سبعة عشر ركعة، و أربع و ثلاثون سجدة، و اربع و تسعون تكبيرة، و مائة و ثلاث و خمسون تسبيحة، و اما قولى: من اثنى عشر واحد فصيام شهر رمضان من اثنى عشر شهرا، و أما قولى: من الاربعين واحد فمن ملك اربعين دينارا اوجب اللّه عليه دينارا، و أما قولى: من مائتين خمسة فمن ملك مائتى درهم اوجب اللّه عليه خمسة دراهم، و أما قولى: فمن الدهر كله واحد فحجة الاسلام، و أما قولى: واحد بواحد فمن أهرق دما بغير حق وجب إهراق دمه قال اللّه تعالى: النَّفْسَ بِالنَّفْسِ.

فانطلق هارون يعرب عن اعجابه بغزارة علمه قائلا له: للّه درك!! ثم انه أمر باعطائه بدرة فقال له الاعرابى: بم استوجبت هذه البدرة، بالكلام أو بالمسألة؟

- بل بالكلام.

- فانى أسألك عن مسألة فان أتيت بها كانت لك البدرة تتصدق بها فى هذا الموضع الشريف، فان لم تجبنى عنها اضفت الى البدرة بدرة اخرى لأتصدق بها على فقراء الحى من قومى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۶۹

فأمر هارون باحضار بدرة اخرى و قال له:

- سل عما بدا لك.

- اخبرنى عن الخنفساء تزق أم ترضع ولدها؟

فتغير هارون و استولى عليه الغضب فاندفع قائلا:

- ويحك مثلى من يسأل عن هذه المسألة!!- سمعت ممن سمع من رسول اللّه (ص) انه قال: من ولى أقواما وهب له من العقل كعقولهم، و أنت إمام هذه الأمة، يجب أن لا تسأل عن شىء من أمر دينك و من الفرائض إلا اجبت عنه، فهل عندك له جواب؟.

- لا- بين لى ما قلته و خذ البدرتين.

- ان اللّه لما خلق الأرض خلق دبابات الأرض من غير فرث و لا دم خلقها من التراب، و جعل رزقها و عيشها منه، فاذا فارق الجنين أمه لم تزقه، و لم ترضعه، و كان عيشها من التراب فقال هارون: و اللّه ما ابتلى أحد بمثل هذه المسألة.

فأخذ الاعرابى البدرتين و انصرف فتبعه بعض الناس فسأل عن اسمه فاذا هو الامام موسى بن جعفر (ع) فانعطف الى هارون فأخبره بذلك، فقال هارون:

- ينبغى ان تكون هذه الورقة من تلك الشجرة «۱».

و الذى يبعثنا على الريبة فى هذه الرواية ما يلى:

۱- انها احتوت على قيام الامام بمزاحمة هارون فى طوافه و صلاته و هو بعيد عن هدى الامام و سلوكه، و لم يكن هناك أى أثر دينى يترتب على هذه العملية.

---

(۱) المناقب: (ج ۳ ص ۴۲۷- ۴۲۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۰

۲- خفاء شخصية الامام على هارون و عدم معرفته به طيلة هذه المناظرة التى استوعبت وقتا كبيرا مع أن هارون يعرف الامام، و لم يكد يخفى عليه امره.

۳- أخذ الامام البدرتين من هارون، و هو بعيد كل البعد عما عرف به الامام من الآباء، و عدم الخضوع الى هارون و غيره من ملوك عصره.

۴- ان هذه القصة بجميع ابعادها سؤالا و جوابا لا تخلو من هزال، و بعد عن المنطق فهى الى الخيال أقرب منها الى الواقع ... ان كثيرا من امثال هذه الامور هى من وضع الغلاة و المفوضة، و لا نصيب لها من الصحة حسب ما اعتقد.

۶- مع علماء اليهود:

و قصد وفد من علماء اليهود الامام الصادق ليحاججونه فى الاسلام فلما تشرفوا بالمثول بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحجة و الدليل على نبوة رسول اللّه (ص) قائلين:

- أى معجز يدل على نبوة محمد (ص)؟

- كتابه المهيمن، الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطى من الحلال و الحرام، و غيرهما مما لو ذكرناه لطال شرحه.

- كيف لنا ان نعلم هذا كما وصفت؟

فانطلق الامام موسى و كان آنذاك صبيا قائلا لهم:

- و كيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات اللّه لموسى على ما تصفون؟

- علمنا ذلك بنقل الصادقين.

- فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقنه اللّه تعالى من غير تعليم و لا معرفة عن الناقلين.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۱

فبهروا و آمنوا بقول الامام الكاظم- الذى هو المعجز بحق- و هتفوا معلنين اسلامهم قائلين:

- نشهد أن لا إله الا اللّه، و ان محمدا رسول اللّه، و أنكم الأئمة الهادون و الحجج من عند اللّه على خلقه ...

و لما أدلى الامام موسى بهذه الحجة و أسلم القوم على يده، و ثب إليه أبو عبد اللّه فقبل ما بين عينيه و قال له: أنت القائم من بعدى، ثم انه (ع) أمر بكسوة لهم و أوصلهم فانصرفوا و هم شاكرون «۱».

۷- مع بريهة:

كان بريهة من أقطاب النصارى و من علمائها النابهين، و كان يطلب الحق و يبغى الهداية فاتصل بجميع الفرق الاسلامية و اخذ يحاججهم فلم يصل الى الهدف الذى يريده، فوصفت له الشيعة و وصف له هشام بن الحكم فقصده و معه مائة عالم من علماء النصارى فلما استقر به المجلس سأله عن أهم المسائل الكلامية و العقائدية فاجابه عنها هشام ثم ارتحلوا جميعا الى التشرف بمقابلة أبى عبد اللّه (ع) و قبل الالتقاء به اجتمعوا بالامام موسى فقص عليه هشام مناظراته و حديثه مع بريهة فالتفت (ع) الى بريهة قائلا:

- يا بريهة: كيف علمك بكتابك؟

- أنا به عالم.

- كيف ثقتك بتأويله؟

- ما أوثقنى بعلمى به!! فأخذ (ع) يقرأ عليه الانجيل و يرتل عليه فصوله فلما سمع ذلك بريهة آمن بأن دين الاسلام حق و ان الامام من شجرة النبوة فانبرى إليه قائلا:

---

(۱) البحار: (ج ۴ ص ۱۴۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۲

- اياك كنت اطلب منذ خمسين سنة، أو مثلك!! ثم انه أسلم و أسلمت معه زوجته و قصدوا جميعا ابا عبد اللّه (ع) فحكى له هشام الحديث و إسلام بريهة على يد ولده موسى فسر (ع) بذلك و التفت (ع) قائلا له:

«ذرية بعضها من بعض و اللّه سميع عليم».

و انبرى بريهة الى أبى عبد اللّه قائلا:

- جعلت فداك، انى لكم التوراة و الانجيل و كتب الأنبياء؟!!- قال هى عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرءوها، و نقولها كما قالوها: ان اللّه لا يجعل حجة فى أرضه يسأل عن شىء فيقول: لا أدرى.

و لزم بريهة الامام أبا عبد اللّه و صار من خلص أصحابه و لما انتقل الامام (ع) الى دار الخلود اتصل بالامام موسى حتى توفى فى عهده «۱»

۸- مع راهب:

كان فى الشام راهب تقدسه النصارى و تعظمه، و كان يخرج لهم فى السنة يوما فيعظهم، فالتقى به الامام فى ذلك اليوم الذى يعظ به و قد طافت به الرهبان و عليه القوم، فلما استقر المجلس بالامام التفت إليه الراهب قائلا:

- يا هذا، أنت غريب؟

- نعم.

- منا أو علينا؟

- لست منكم.

- أنت من الامة المرحومة؟

- نعم-- أمن علمائها أم من جهالها؟

---

(۱) البحار: (ج ۴ ص ۱۴۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۳

- لست من جهالها؟

فاضطرب الراهب، و تقدم الى الامام يسأله عن أعقد المسائل عنده قائلا:

- كيف طوبى، أصلها فى دار عيسى عندنا، و عندكم فى دار محمد (ص) و أغصانها فى كل دار؟

- انها كالشمس يصل ضوؤها الى كل مكان و موضع و هى فى السماء.

- ان الجنة كيف لا ينفذ طعامها و إن أكلوا منه، و كيف لا ينقص منه شىء؟

- انه كالسراج فى الدنيا يقتبس منه، و لا ينقص منه شىء.

- ان فى الجنة ظلا ممدودا، ما هو؟

- الوقت الذى قبل طلوع الشمس، هو الظل الممدود، ثم تلا قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ.

- ان أهل الجنة يأكلون و يشربون كيف لا يكون لهم غائط و لا بول؟

- انهم كالجنين فى بطن أمه.

- ان لأهل الجنة خدما كيف يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟

- ان الانسان اذا احتاج الى شيء عرفت اعضاؤه ذلك فتعرفه الخدم فيحققون مراده من غير أمر.

- مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة؟

- مفتاح الجنة قول العبد: لا إله الا اللّه.

- صدقت.

ثم انه أسلم هو و قومه «۱».

---

(۱) المناقب: (ج ۳ ص ۴۲۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۷۴

هذه بعض احتجاجات الامام و مناظراته، و سنذكر قسما آخر منها في بعض فصول الكتاب.

نظمه الشعر:

أما نظمه للشعر فقليل جدا و قد ذكر الشيخ المفيد له أبياتا تلاها الامام الرضا (ع) على المأمون و نسبها (ع) الى أبيه:

كن للمكاره بالعزاء مدافعافلعل يوما لا ترى ما تكره

فلربما استتر الفتى فتنافستفيه العيون و انه لمموه

و لربما خزن الأديب لسانهحذر الجواب و انه لمفوه

و لربما ابتسم الوقور من الأذىو ضميره من حره يتأوه «۱» و ذكر ذو النون المصرى أنه اجتاز في أثناء سياحته على قرية تسمى بتدصر فرأى جدارا قد كتبت عليه هذه الأبيات و هي:

أنا ابن منى و المشعرين و زمزمو مكة و البيت العتيق المعظم

و جدى النبى المصطفى و أبى الذىولايته فرض على كل مسلم

و أمى البتول المستضاء بنورهااذا ما عددناها عديلة مريم

و سبطا رسول اللّه عمى و والدىو أولاده الأطهار تسعة أنجم

متى تعتلق منهم بحبل ولايةتفز يوم يجزى الفائزون و تنعم

أئمة هذا الخلق بعد نبيهمفان كنت لم تعلم بذلك فاعلم

أنا العلوى الفاطمى الذى ارتمىبه الخوف و الأيام بالمرء ترتمى

فضاقت بى الأرض الفضاء برحبهاو لم استطع نيل السماء بسلم

فالممت بالدار التى انا كاتبعليها بشعرى فاقر ان شئت و المم

---

(۱) الأمالى: ص ۱۵۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۷۵ و سلم لأمر اللّه في كل حالةفليس أخو الاسلام من لم يسلم قال ذو النون فعلمت انه علوى قد هرب من السلطة و ذلك في خلافة هارون، و احتمل المجلسي ان تكون هذه الأبيات للامام الكاظم (ع) ذهب الى ذلك المكان و كتبها لاتمام الحجة على أعدائه «۱» و يبعد ذلك أن الامام لم يهرب من السلطة و لم يتخف في يوم من الأيام بل كان في يثرب مقيما منكرا على هارون و على غيره من ملوك عصره و لم يهرب من السلطة و لم يخف من جورها و سنذكر ذلك بالتفصيل.

جوامع الكلم:

و له (ع) كلمات حكمية قد تطرق فيها لبعض الشؤون الأخلاقية و الاجتماعية، زيادة على ما ذكرناه، و قد آثرنا ذكرها من دون إيضاح او تعليق و هى:

قال (ع): لا تذهب الحشمة بينك و بين أخيك، و ابق منها، فان ذهابها ذهاب الحياء.

قال (ع): عونك للضعيف من أفضل الصدقة.

قال (ع): يعرف شدة الجور من حكم به عليه.

قال (ع): تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل.

قال (ع): لا تصلح المسألة الا فى ثلاث: فى دم منقطع، أو غرم مثقل، أو حاجة مدقعة.

قال (ع): المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستفل بالمعاول، و المؤمن

---

(۱) البحار: (ج ۱۱ ص ۲۸۶).

لا يستفل دينه بشيء.

قال (ع): أداء الأمانة و الصدق يجلبان الرزق، و الخيانة و الكذب يجلبان الفقر و النفاق.

و سأله عبيد اللّه بن اسحاق المدائنى فقال له: ان الرجل يرانى فيحلف باللّه انه يحبنى، أ فأحلف باللّه انه لصادق؟ فقال (ع): امتحن قلبك فان تحبه فاحلف و الا فلا.

قال (ع): من تكلف ما ليس من عمله ضاع عمله، و خاب أمله.

قال (ع): لا خير فى العيش الا لمسمع واع او عالم ناطق.

قال (ع): ان صلاحكم من صلاح سلطانكم، و ان السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له ما تحبون لانفسكم و اكرهوا له ما تكرهون لانفسكم.

قال (ع): لمحمد بن الفضل: يا محمد كذب سمعك و بصرك عن أخيك و ان شهد عندك خمسون قسامة، و قال لك قولا: فصدقه و كذبهم و لا تذيعن شيئا يشينه.

قال (ع): من دعا قبل الثناء على اللّه و الصلاة على النبى (ص) كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

قال (ع): افضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج.

قال (ع): التودد الى الناس نصف العقل.

قال (ع): كثرة الهم تورث الهرم.

قال (ع): العجلة هى الخرق.

قال (ع): قلة العيال أحد اليسارين.

قال (ع): من أحزن والديه فقد عقهما.

قال (ع): الصنيعة لا تكون صنيعة الا عند ذى دين أو حسب،

و اللّه ينزل المعونة على قدر المؤنة، و ينزل الصبر على قدر المصيبة.

قال (ع): اذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيرا حتى يعرف ذلك منه.

قال (ع): المؤمن مثل كفتى الميزان كلما زيد فى ايمانه زيد فى بلائه قال (ع): و قد حضر ميتا أنزل فى قبره، ان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله، و ان شيئا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره.

قال (ع): اشتدت مئونة الدين و الدنيا، أما مئونة الدنيا فانك لا تمد يدك الا وجدت فاجرا قد سبقك إليها، و أما مئونة الآخرة فانك لا تجد أعوانا يعينونك عليها.

قال (ع): لا تبذل لاخوانك من نفسك ما ضرره عليك أعظم من منفعته لهم.

قال (ع): أخذ أبى بيدى، و قال يا بنى: ان ابى محمد بن على أخذ بيدى، و قال ان أبى على بن الحسين أخذ بيدى و قال: يا بنى: افعل الخير الى كل من طلبه منك فان كان من أهله فقد أصبت موضعه، و ان لم يكن له بأهل كنت أهله، و ان شتمك رجل عن يمنك ثم تحول الى يسارك و اعتذر إليك فاقبل منه.

قال (ع): ما أهان الدنيا قوم قط الا هنأهم اللّه اياها و بارك لهم فيها، و ما أعزها قوم قط إلا بغضهم اللّه اياها.

و ذكر فى مجلسه بعض الجبابرة، فقال (ع): أما و اللّه لئن عز بالظلم فى الدنيا ليذلن بالعدل فى الآخرة.

قال (ع): من أتى الى أخيه مكروها فبنفسه بدأها.

قال (ع): من ولده الفقر أبطره الغنى.

قال (ع): ما استسب اثنان الا انحط الأعلى منهما الى المرتبة السفلى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۸

قال (ع): المؤمن أخو المؤمن لأمه و أبيه و ان لم يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من لم ينصح لأخيه، ملعون من استأسر لأخيه، ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون من اغتاب أخاه.

قال (ع): قلة الوفاء عيب بالمروءة.

قال (ع): المعروف تلو المعروف غل لا يفكه الا مكافأة او شكر.

قال (ع): لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال.

قال (ع): قلة الشكر تزهد فى اصطناع المعروف.

قال (ع): رأس السخاء أداء الأمانة.

قال (ع): من لم يكن له من نفسه واعظ تمكن منه عدوه- يعنى به الشيطان-.

قال (ع): المغبون من غبن من عمره ساعة.

قال (ع): من كثر خلقه لم يعرف بشره.

قال (ع): من ترك التماس المعالى لانقطاع رجائه فيها لم ينل جسيما.

قال (ع): أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل الا به، و أوجب العلم عليك ما أنت مسئول عن العمل به، و ألزم العلم ما دلك على صلاح قلبك و أظهر لك فساده، و أحمد العلم عاقبة ما زاد فى عقل العاقل، فلا تشغلن بعلم لا يضرك جهله، و لا تغفلن عن علم يزيد فى جهلك تركه.

قال (ع): اياك ان تمنع فى طاعة اللّه فتنفق مثليه فى معصية اللّه.

قال (ع): من تكلم فى اللّه هلك، و من طلب الرئاسة هلك، و من دخله العجب هلك.

سأله رجل عن الجواد: فقال (ع): ان لكلامك وجهين. فان كنت تسأل عن المخلوقين، فان الجواد الذى يؤدى ما افترض اللّه عليه. و البخيل من بخل بما افترض اللّه عليه، و ان كنت تعنى الخالق فهو الجواد

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۷۹

ان أعطى، و هو الجواد ان منع لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك و ان منعك منعك ما ليس لك.

قال (ع): ان قوما يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفا هم الآمنون يوم القيامة.

قال (ع): فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، و هذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد اللّه و إمائه لينقذهم من يد إبليس و مردته و لذلك هو أفضل عند اللّه من الف عابد و الف عابد قال عبد اللّه بن يحيى: كتبت الى الامام موسى فى دعاء «الحمد للّه منتهى علمه» فكتب (ع) لا تقولن: منتهى علمه، فانه ليس لعلمه منتهى و لكن قل: منتهى رضاه.

قال (ع): كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث اللّه لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون.

قال على بن سويد السائى: سألت أبا الحسن الأول عن قول اللّه عز و جل وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ فقال (ع): التوكل على اللّه درجات: منها ان تتوكل عليه فى أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضيا. تعلم أنه لا يألوك الا خيرا و فضلا، و تعلم ان الحكم فى ذلك إليه، و تثق به فيها و فى غيرها.

قال (ع): ان اهل الارض لمرحومون ما تحابوا و أدوا الأمانة و عملوا بالحق.

قال (ع): لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك و بينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه، و لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۰

قال (ع): ان الأنبياء و أولاد الأنبياء و أتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال، السقم فى الأبدان، و خوف السلطان و الفقر.

قال (ع) لبعض ولده: لا تخرجن نفسك من حد التقصير فى عبادة اللّه و طاعته فان اللّه عز و جل لا يعبد حق عبادته.

قال (ع): ان اللّه عز و جل يقول: إنى لم أغن الغنى لكرامة له على و لم أفقر الفقير لهوان به على، و هو مما ابتليت الأغنياء بالفقراء، و لو لا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة.

قال (ع): اذا لم تستح فاعمل ما شئت.

و حدث العباس بن هلال الشامى قال قلت لأبى الحسن موسى: جعلت فداك ما أعجب الى الناس من يأكل الجشب، و يلبس الخشن و يتخشع؟!! فقال (ع): أ ما علمت أن يوسف نبى و ابن نبى كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب و يجلس فى مجالس آل فرعون فيحكم، فلم يحتج الناس الى لباسه و انما احتاجوا الى قسطه، و انما يحتاج من الامام اذا قال: صدق، و اذا وعد انجز، و اذا حكم عدل، إن اللّه لم يحرم طعاما و لا شرابا من حلال، انما حرم الحرام قل او كثر، و قد قال اللّه من حرم زينة اللّه التى اخرج لعباده و الطيبات من الرزق».

قال موسى بن بكر: سألت أبا الحسن (ع) عن الكفر و الشرك أيهما أقدم فقال لى: ما عهدى بك تخاصم، فقلت: امرنى هشام بن سالم ان أسألك، فقال لى: الكفر أقدم و هو الجحود قال اللّه عز و جل: إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ.

قال على بن سويد: سألت أبا الحسن موسى (ع) عن الضعفاء- أى ضعفاء العقيدة- فكتب (ع) لى الضعيف من لم ترفع له حجة، و لم يعرف الاختلاف فاذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۱

قال على بن سويد: سألت أبا الحسن عن العجب الذى يفسد العمل فقال (ع): العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه و يحسب انه يحسن صنعا، و منها أن يؤمن العبد بربه فيمن على اللّه عز و جل، و للّه عليه فيه المن.

قال (ع): من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه و عياله كان كالمجاهد فى سبيل اللّه فان غلب عليه فليستدن على اللّه و على

رسوله ما يقوت به عياله فان مات و لم يقضه كان على الامام قضاؤه فان لم يقضه كان عليه وزره ان اللّه عز و جل يقول: انما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين، الى قوله تعالى: وَ الْغارِمِينَ، و هذا فقير مسكين مغرم.

قال (ع): قال رسول اللّه (ص): من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماوات و الأرض.

قال (ع): أحسن من الصدق قائله، و خير من الخير فاعله.

قال على بن جعفر: سألت اخى موسى بن جعفر فقلت له:

- أصلحك اللّه، أ يكون المؤمن بخيلا؟

- نعم.

- أ يكون خائنا؟

- لا- و لا يكون كاذبا، ثم قال (ع): ان أبى حدثنى عن آبائه عن رسول اللّه (ص) أنه قال: كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب و الخيانة و قال (ع): سأل رجل رسول اللّه (ص) ما حق الوالد على ولده؟

فقال (ص) لا يسميه باسمه، و لا يمشى بين يديه، و لا يجلس قبله، و لا يستسب له «۱».

قال (ع): قال رسول (ص): من اصبح و هو لا يهم بظلم احد

---

(۱) أى لا يعمل فعلا يصير سببا لسب الناس الى أبيه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۲

غفر اللّه ما اجترم «۱».

قال (ع): جاء رجل الى رسول اللّه (ص) فقال له يا رسول اللّه ما حق ابنى هذا؟

فقال (ص): ان تحسن اسمه و أدبه.

قال (ع): نعم المال النخل الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل.

و نقتصر على هذا المقدار من جوامع كلماته (ع) و له تراث آخر يتعلق فى رد الملحدين و غيرهم و سوف نقدمه عند عرض مشاكل عصره و فيما يلى بعض المصادر التى اقتبسنا منها هذه الكلمات القيمة و هى:

۱- الوسائل: لمحمد بن الحسن الحر العاملى ۲- من لا يحضره الفقيه: للصدوق محمد بن على القمى ۳- المحاسن: لأبى جعفر احمد بن محمد البرقى ۴- اصول الكافى: لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى الرازى ۵- عيون اخبار الرضا: للصدوق محمد بن على القمى ۶- أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملى ۷- ميزان الاعتدال لمحمد بن أحمد الذهبى ۸- الاتحاف فى حب الاشراف: للشبراوى ۹- نور الأبصار: للشبلنجىّ ۱۰- الاحتجاج: للطبرسى ۱۱- قرب الاسناد: لعبد اللّه بن جعفر الحميرى ۱۲- الوافى: لمحسن القاشانى ۱۳- تأريخ اليعقوبى: لأحمد بن أبى يعقوب المعروف بابن واضح ۱۴- مجموعة ورام: لورام بن أبى فراس ۱۵- تحف العقول: للحسن بن على ۱۶- نزهة الناظر فى تنبيه الخاطر: للحسين بن محمد الحلوانى

---

(۱) اجترم: اكتسب.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۳

انهيار الحكم الأموى

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۵

كان الامام موسى (ع) أيام الثورة العارمة على الحكم الأموى فى سن مبكر، فقد كان عمره الشريف- حسب ما يقول الرواة- مما يزيد على اربع سنين، و هو دور يسمح لصاحبه أن ينقل الى دخيلة نفسه كثيرا من المشاهدات و الصور التى تمر عليه، و لا سيما اذا كانت من الاحداث الجسام فانها تؤثر- من دون شك- فى دخائل ذاته، و تتفاعل معه، و تترك فيه كثيرا من الانطباعات حسب ما يقوله علماء النفس.

و قد شاهد الامام أو سمع و هو فى سنه المبكر الثورة العارمة التى عمت جميع الاقالىم الاسلامية على الحكم الأموى، فقد واكبت تلك الثورة كثيرا من الأحداث الرهيبة فجبال من جثث الضحايا و بحور من الدماء بذلت بسخاء للتخلص من ذلك الحكم الاسود القائم على الجور و الاستغلال و التنكر لحقوق الانسان.

و لسنا بصدد البحث عن تأسيس الدولة الأموية، و بيان دوافع ايجادها فذاك أمر يحز فى النفس، و يترك لهب الحزن فى القلوب، فان هذه الدولة لم تتأسس الا لعزل أهل البيت (ع) و اقصائهم عن قيادة الأمة حسب ما هو معلوم من مبدأ الشورى الذى صمم لأجل هذه الغاية ... و قد رافقت تلك الدولة فى جميع مراحلها كثيرا من المشاكل الاجتماعية ما أثرت به على الحياة الاسلامية العامة من اضاعة الاهداف الاصلية التى ينشدها الاسلام فى ظلال حكمه من نشر العدالة و المساواة و الرفاهية و الدعة بين الناس.

لقد جمدت بصورة قطعية جميع المفاهيم الاسلامية البناءة، و ضاعت آمال الاسلام فى ايجاد مجتمع متحرر من الجهل و الجمود، و البؤس و الفقر لقد تبدلت الحياة الكريمة التى سعى الاسلام الى ايجادها الى حياة قائمة تسودها النزعات الجاهلية، و يعمها الظلم و الجور و الانحراف عن القيم الانسانية.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۶

و لا بد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن الاسباب التى طوت ذلك الحكم الاسود، و أزالت وجوده البغيض عن العالم الاسلامى، فان الحديث عن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا- فيما نحسب- بالبحث عن حياة الامام موسى فانها تصور لنا محنة أهل البيت (ع) فى تلك الادوار الرهيبة، و ما عانوه من الظلم المرير و الجور الشديد، و ما قاسته شيعتهم من المجازر و السجون و المطاردة و التنكيل، و ما عاناه المسلمون جميعا من الاضطهاد الجماعى المتميز بسلب حرياته، و شل اقتصاده، و اشاعة البؤس و الفقر و انعدام الأمن فى ربوعه الى غير ذلك من الوان الظلم و الاضطهاد، و من الطبيعى أن لذلك أثرا كبيرا فى تكوين حياة الامام موسى، و انطباعها على الحزن العميق، و الأسى الشديد ... و فيما يلى عرض موجز لبعض تلك الاحداث.

[اسباب الانهيار]

التنكيل بأهل البيت:

و كان الشىء البارز فى السياسة الأموية انها وجهت جميع أجهزتها الادارية و الاقتصادية و السياسية الى اضطهاد أهل البيت (ع) و التنكيل بهم و كان من مظاهر ذلك:

۱- انها فرضت سبهم، و انتقاصهم على جميع المسلمين، و جعلته فرضا دينيا يسألون عنه و يحاسبون عليه، فكان الخطيب يبدأ خطابه و يختمه بسب العترة الطاهرة التى هى عديلة القرآن الكريم، و بلغ الانحطاط الفكرى و الاجتماعى أقصاه عند تلك السلطات الحاكمة، فكان الانتهازيون و باعة الضمير يتوصلون إليها بانتقاص عترة النبى (ص) و سبها، فقد روى المؤرخون ان شخصا ذميم المنظر جاء يشتد الى الحجاج و هو رافع عقيرته:

«أيها الامير ان أهلى عقونى فسمونى عليا، و انى فقير بائس، و انا الى صلة الامير محتاج ..».

فتضاحك الحجاج، و قال له:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۸۷

(للطف ما توصلت به فقد وليتك موضع كذا ..» «۱».

إن مناصب الدولة، و أموالها تمنح بغير حساب للادعياء و الاغنياء لأنهم ينتقصون أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و قد أثار ذلك كوامن الحقد و الغيظ في نفوس المؤمنين و المتحرجين في دينهم فاندفعوا الى اعلان سخطهم على الأمويين، و كان من بينهم الشاعر الملهم كثير بن كثير فقد قال:

لعن اللّه من يسب علياو حسينا من سوقة و إمام

أ يسب المطهرون جدوداو الكرام الأخوال و الأجداد

يأمن الطير و الحمام و لايأمن آل الرسول عند المقام

طبت بيتا و طاب اهلك أهلاأهل بيت النبي و السلام

رحمة اللّه و السلام عليهم كلما قام قائم بسلام «۲» و صورت هذه الأبيات مدى الاستياء الشامل و الحزن العميق لانتقاص أهل البيت كما حكت أصدق الود و خالصه لهم.

۲- و استخدمت السلطة التربية لمحاربه أهل البيت، و هي أخطر وسيلة اعتمدت عليها لدعم غرضها فقد عهدت الى معلمي الكتاتيب أن يغذوا الاطفال بروح الكراهية و العداء لآل النبي (ص) و أن يمعنوا في غرس هذه النزعة الشريرة في نفوسهم من أجل أن ينشأ جيل حاقد على آل البيت (ع) و كان ذلك من أفتك الوسائل و أكثرها خطرا على الاسلام، فقد باعدت بين بعض المسلمين و بين عترة النبي (ص) التي فرض اللّه مودتها في محكم

---

(۱) حياة الامام الحسن بن علي ۲/ ۳۳۶

(۲) شرح ابن أبي الحديد ۳/ ۴۷۵، عرضنا كلمات الاحرار الذين نقدوا الامويين على ذلك في كتابنا حياة الامام الحسن بن علي ۲/ ۳۳۸- ۳۴۶.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۸۸

كتابه، و لا تزال آثار هذه الظاهرة السيئة باقية حتى يوم الناس هذا.

۳- انها أقامت لجان الوضع لتضع الحديث و تنمقه في مثالب أهل البيت، و تضع أحاديث المدح و الثناء للصحابة و بني أمية، و مما وضعوه، أن النبي (ص) قال «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء انما ولي اللّه» و روى أبو هريرة عميد هذه اللجنة أن الرسول (ص) قال: «ان ابا طالب في ضحضاح من نار» و هو الذي اكثر من الرواية في كفر أبي طالب مؤمن قريش و حامي الاسلام و المنلفح عن رسول اللّه (ص) في احرج المواقف و اكثرها صعوبة، و سبب ذلك التقليل من أهميته و الحط من مآثره و مناقبه.

و على أي حال فان السلطات الأموية قد عنت بلجان الوضع، و جهدت باذاعة أخبارها المفتعلة ضد أهل البيت (ع) و ذلك لتظليل الرأي العام و صرفه عن عترة رسول اللّه (ص) و ذريته.

۴- و أمعن الأمويون في قتل العترة الطاهرة فقد امتدت ايديهم الأثيمة الى تلك النفوس الزكية التي أوجب اللّه ودها على جميع المسلمين، فقد كان لهم ضلع كبير في اغتيال الامام امير المؤمنين (ع) حسب ما حققناه «۱» و اغتال معاوية سبط النبي (ص) الأول و ريحانته الامام الحسن (ع) فدس له السم على يد زوجته جعيدة بنت الأشعث «۲» و قام بعده يزيد بارتكاب أفضع جريمة هزت الضمير الانساني و ذلك بابادته للعترة الطاهرة على صعيد كربلاء فقد أوجبت هذه المأساة الكبرى التي مني بها العالم الاسلامي شعورا

(۱) حققنا ذلك فى تقديمنا لكتاب «معاوية أمام محكمة الجزاء» تأليف العلامة الكبير الشيخ مهدى القرشى.

(۲) حياة الامام الحسن

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۸۹

عاما بالاستياء و الكراهية لبنى أمية، و سببت الهاب نار الثورات العارمة ضد ذلك الحكم الجاهلى.

و قام طاغية بنى مروان هشام بن عبد الملك بقتل زيد بن على بن الحسين (ع) و أمر الرجس الخبيث بوضع رأس زيد فى مجلسه و أمر جميع من يدخل عليه بأن يطأ بحذائه وجه زيد الذى هو قطعة من كبد رسول اللّه (ص).

و كتب هشام الى و الى الكوفة أن يبقى زيدا مصلوبا، و لا ينزله عن خشبته قاصدا اذلال العلويين. و التشفى منهم، و بقى جسده الطاهر مرفوعا على أعواد المشانق تصهره الشمس، و تذروه الرياح، قد وضعوا عليه الحرس خوفا من أن يختلس و يوارى فى التراب، و عمدت السلطة بعد ذلك الى احراق الجثمان العظيم و ذره فى الهواء «۱».

و عمد الامويون الى قتل يحيى بن زيد الثائر العظيم، ففى ذمة اللّه ما لاقته عترة رسول اللّه (ص) من القتل و التنكيل و الظلم و الهوان من بنى أمية التى انتهكت بذلك حرمة النبى (ص) فى عترته التى هى أولى بالرعاية و العطف من كل شىء.

و على أى حال فان ما واجهته العترة الطاهرة من صنوف الكوارث و الخطوب طيلة الحكم الأموى قد أوجب سخط الاخيار و المتحرجين فى دينهم، كما أوجب التحام القوى، و انتفاضة الشعوب الاسلامية الى الثورة الكبرى التى اطاحت بحكم الامويين.

(۱) عقائد الزيدية

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۰

اضطهاد الشيعة:

و لاقت الشيعة فى عهد الامويين المزيد من الجور و الاضطهاد، فقد صبت السلطات عليهم جام غضبها، و قابلتهم بجميع الوان العنف، لأنهم القوة الواعية التى تدفع الشعوب الاسلامية الى مناهضة الجور، و مناجزة الظلم، فكانت معظم الثورات الدامية التى أذعرت السلطات الأموية تستند الى الشيعة فهم قادة النضال و دعاة العدالة الاجتماعية، و ملهمى الشعوب روح التضحية فى سبيل المبدأ و العقيدة.

لقد قاموا بأحرج الظروف، و أشدها أزمة و تعقيدا بمناهضة الظلم و مكافحة الجور، و تحرير المجتمع من الذل و العبودية، و قد قاسوا فى سبيل ذلك أعنف المشاكل و أشدها لوعة و مرارة، و قد تحدث عنها الامام الباقر (ع) بقوله:

«و قتلت شيعتنا بكل بلدة، و قطعت الايدى و الأرجل على الظنة، و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره» «۱».

و قد كتب معاوية الى جميع عماله و ولاته بعد عام الصلح مذكرة جاء فيها:

«.. انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب علينا و اهل بيته فامحوه من الديوان و اسقطوا عطاءه و رزقه. و شفع ذلك بنسخة اخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به و اهدموا داره» «۲».

(۱) شرح ابن ابى الحديد ۳/ ۱۵.

(۲) نفس المصدر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۱

لقد واجهت الشيعة من العناء و الارهاق ما لا سبيل الى تصويره، و كان من اشدهم محنة شيعة أهل الكوفة أيام معاوية فقد استعمل عليهم زياد ابن أبيه، و كان بهم عالما فاشاع فيهم القتل و الاعدام فقتلهم تحت كل حجر و مدر و قطع أيديهم و أرجلهم، و سمل عيونهم، و صلبهم على جذوع النخل و شردهم و طردهم «۱».

و قد أوجبت هذه السياسة النكراء اشاعة السخط و التذمر بين جميع المسلمين فانهم لم يألفوا هذه السياسة، و لم يعهدوها من قبل، فانهم لم يواجهوا من الحكومات السابقة مثل هذا الاضطهاد و التنكيل بأحد من المسلمين.

و قد سعت الشيعة جاهدة بعد ما حل بها من الاضطهاد و الجور إلى العمل المتواصل على اسقاط الحكم الأموى، و فل عروشه، فنظموا صفوفهم و شكلوا المنظمات السرية التى عملت على ايقاظ الرأى العام، و بعثه الى ساحات النضال و التضحية للتخلص من الحكم الأموى.

واقعة الحرة:

و من أهم المآسى التى رزء بها العالم الاسلامى واقعة الحرة فقد انتهكت فيها كرامة الاسلام و حرمة الرسول (ص) فقد اعلنت القيادة العسكرية بعد احتلالها ليثرب اباحة الدماء و الاعراض و الاموال، و قد أسرف الجيش الأموى فى ذلك بصورة لم يعهد لها نظير فى القسوة و الغلظة، فقد استباح قتل النساء و الاطفال و الابرياء، و انتهاك الأعراض، و قد لجأ المدنيون الى قبر النبى (ص) و اعتصموا به لاعتقادهم ان قداسته سوف تحميهم و تعصمهم من الاعتداء الا ان تلك الوحوش الكاسرة لم تقم وزنا لحرمة

---

(۱) حياة الامام الحسن بن على ۲/ ۳۴۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۲

القبر و لم ترجو له وقارا، فقد عمدوا الى قتلهم و انتهاك أعراضهم فى الجامع النبوى، و قد علق مؤرخ أوربى على هذا الحادث المؤسف بقوله:

«إن تأثير هذا الحادث على العالم الاسلامى كان هائلا- مروعا، فكأن الأمويين قد أرادوا أن يوفوا ما عليهم من دين حينما عاملهم الرسول و جيشه بالرحمة و العطف فشردوا و قتلوا خيرة شباب المدينة، و رجالها الميامين كما أجبروا من تبقى منهم على مبايعة يزيد على أنهم خول يحكم فى دمائهم و أموالهم و أهليهم فمن امتنع عن ذلك و سمه بالكى على رقبته.

و قد اصبحت مدينة الرسول فى حكم بنى أمية كالواحة فى الصحراء التى تحيط من جهاتها الأربع الكآبة الموحشة، و الظلام الدامس، و لم تسترد المدينة قط عهودها الغابرة حتى أصبحت فى عصر بنى أمية بلدة الماضى السحيق» «۱».

و قد ذعر المسلمون من هذه الحادثة النكراء التى لم ترع فيها حرمة النبى (ص) فى مجاوريه الذين آووه و نصروه و قاموا بحمايته أيام محنة الاسلام و غربته، و إذا بهم تستباح دماؤهم و تنتهك أعراضهم، و تنهب أموالهم، و يرغمون على البيعة بأنهم خول و عبيد ليزيد .. و ما انتهت هذه الكارثة الاليمة إلا- بموجات من السخط و التذمر، فقد اصبحت حديث الناس فى أنديتهم، و كانت من أوثق الاسباب التى أدت الى التحام القوى، و تعبئة الرأى العام الى الثورة الكبرى التى اطاحت بالحكم الأموى.

سياسة الكفر و الظلم:

و الشىء المحقق الذى لم يختلف فيه المؤرخون هو أن الامويين لم تكن لهم أى نزعة اسلامية، و انما كانوا على نزعاتهم الجاهلية، فلم ينفث الاسلام

(۱) مختصر تأريخ العرب ص ۷۵

الى دخائل قلوبهم، و انما جرى على السنتهم خوفا من حد السيوف و أسنة الرماح، و لما دخلوا فى حظيرة هذا الدين أخذوا يكيدون له، و يترقبون الفرص للانتقام منه و لما آل أمر المسلمين الى عميد الامويين عثمان بن عفان حسب المخطط الرهيب الذى صممته الشورى، سارع أبو سفيان الزعيم الأموى الى قبر سيد الشهداء حمزة فركله برجله و قال:

«يا أبا عمارة! .. إن الامر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمسى فى يد غلماننا يتلعبون به ..».

ثم مضى مثلوج القلب، و دخل على عثمان فقال: «اللهم، اجعل الأمر أمر جاهلية، و الملك ملك غاصبية، و اجعل أوتاد الأرض لبنى أمية» «۱».

لقد قال أبو سفيان كلمة الكفر: أمام عثمان، و هو خليفة المسلمين و لم يوجه له عتابا أو ينزل به عقابا.

و كانت هذه النزعة الالحادية ماثلة فى معاوية، و ظل متأثرا بها طوال حياته، و قد أعرب عن هذه الظاهرة فى حديثه الخطير مع المغيرة بن شعبة فقد كشف فيه جانبا كبيرا عن واقعه الجاهلى و عدم ايمانه بالاسلام. و هذا نص حديثه فيما رواه مطرف بن المغيرة قال: وفدت مع أبى المغيرة على معاوية فكان أبى يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يرى منه، و أقبل ذات ليلة فأمسك عن العشاء و هو مغتم أشد الغم، فانتظرته ساعة. و ظننت أنه لشيء حدث فينا أو فى عملنا فقلت له:

- ما لى أراك مغتما منذ الليلة؟

- يا بنى جئت من أخبث الناس!!

(۱) تأريخ ابن عساكر ۶/ ۴۰۷

- و ما ذاك؟

- خلوت بمعاوية فقلت له: إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا فانك قد كبرت، و لو نظرت الى اخوانك من بنى هاشم فوصلت ارحامهم، فو اللّه ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لى:

«هيهات هيهات!! ملك أخو تيم فعدل، و فعل ما فعل، فو اللّه ما عدا ان هلك فهلك ذكره، الا ان يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمر عشر سنين فو اللّه ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر. ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد فى مثل نسبه، فعمل ما عمل، و عمل به فو اللّه ما عدا ان هلك فهلك ذكره، و ذكر ما فعل به، و ان أخا بنى هاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات «أشهد ان محمدا رسول اللّه» فأى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك إلا دفنا دفنا» «۱».

و هذه البادرة تدل بوضوح على كفره و الحاده، و على حقده البالغ على النبى (ص) فقد هاله و أزعجه ذكره فى كل يوم خمس مرات فى الأذان و لو وجد سبيلا لمحا اسمه، و طمس معالم دينه، و لشدة بغضه للنبى (ص) انه مكث فى ايام خلافته اربعين جمعة لا يصلى فيها على النبى و قد سئل عن ذلك فقال:

«لا يمنعنى من ذكره الا ان تشمخ رجال بآنافها» «۲».

و تمثلت هذه الظاهرة الالحادية بجميع ابعادها فى ولده يزيد فانه بعد توليته الحكم اعلن الكفر و المروق من الدين، و قد اعلن كلمة الالحاد بقوله:

(۱) ابن أبى الحديد ۲/ ۳۵۷.

(۲) حياة الامام الحسن بن على ۲/ ۱۴۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۵ لعبت هاشم فى الملك فلاخبر جاء و لا وحى نزل و هكذا اذا استعرضنا سيرة اغلب ملوك بنى أمية لوجدناها حافلة بالزندقة و الحقد على الاسلام، و قد حاولوا جميعا محو سطوره و اطفاء نوره و لو لا فيض عارم فى مبادئه و عناية فيه من اللّه للف لواؤه، و لم يبق له ذكر و لا أثر.

و قد ساس الامويون الأمة الاسلامية بسياستهم الالحادية التى لا تؤمن بالاسلام كقاعدة أساسية فى ميادين الحكم و الادارة، و الاقتصاد و السياسة، فغيروا جميع المناهج الحية التى أقامها الاسلام لاصلاح المجتمع، فعطلوا الحدود، و استحلوا ما حرم اللّه، و أقاموا أحكامهم على الشبهة، و قتلوا على الظنة و التهمة، و نهبوا أموال المسلمين و ثرواتهم، و قد ألمع الى ذلك سديف بن ميمون «۱» فى دعائه عن جور الأمويين و ظلمهم بقوله:

(۱) سديف بن ميمون: شاعر مفلق، و أديب بارع، و خطيب مصقع، بليغ فى رعايته للمناسبات، و اصابته للأهداف، قال النمرى: ما كان فى زمان سديف أشعر منه، و لا أطبع، و لا أقدر على ما يريده من الشعر، كان مولى لامرأة من خزاعة، و كان لها زوج من اللهبيين، و ادعى سديف بذلك ولاء بنى هاشم، و زعم المدائنى أنه مولى بنى العباس و شاعرهم، جاء ذلك فى طبقات الشعراء (ص ۳۹- ۴۰) و فى العمدة (ص ۴۵) أنه لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على ابى جعفر المنصور قال له:

إنا لنأمل أن ترتد ألفتنابعد التباعد و الشحناء و الاحن

و تنقضى دولة احكام قادتهافينا كأحكام قوم عابدى وثن

فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتناإن الخلافة فيكم يا بنى حسن فلما بلغ المنصور ذلك كتب الى عبد الصمد ان يدفنه حيا ففعل ذلك

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۶

«اللهم: قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، و امارتنا غلبة بعد المشورة و عهدنا ميراثا بعد الاختيار للامة، و اشتريت الملاهى و المعارف بسهم اليتيم و الأرملة، و حكم فى أبشار المسلمين أهل الذمة، و تولى القيام بأمرهم كل فاسق محلة فلا ذائد يذود عن هلكة، و لا مشفق ينظر إليهم بعين الرحمة، و لا رادع يردع من آوى إليهم بمظلمة، و لا ذو شفقة يشبع الكبد الحرى من السغب، فهم أهل ضرع و ضيعة، و حلفاء كآبة و ذلة، قد استحصد زرع الباطل، و بلغ نهايته، و استجمع طريده، و استوسق و ضرب بجرانه اللهم فأتح له يدا من الحق حاصدة تجتث سنامه، و تهشم سوقه، و تبدد شمله، و تفرق كلمته ليظهر الحق فى أحسن صورته، و أتم نوره، و أعظم بركته، اللهم: و قد عرفنا من انفسنا خلالا- لا تقعد بنا عن استجابة الدعوة، و أنت المتفضل على الخلائق أجمعين، و المتولى الاحسان الى السائلين فآت لنا من أمرنا حسب كرمك وجودك، و امتنانك، فانك تقضى ما تشاء و تفعل ما تريد ...» «۱».

و قد ألم دعاء سديف بوصف رائع للسياسة الأموية التى انتهكت حقوق المسلمين، و كفرت بجميع القيم العليا التى جاء بها الاسلام و حاربت جميع مبادئه و مناهجه.

و على أى حال فان الأمويين قد ساسوا الاقاليم الاسلامية بسياسة قد بنيت على الكفر و الخروج على ارادة الامة، و قد اعتقد المسلمون بأن فى فى ظفر الأمويين بالحكم انما هو فوز للقوى المعادية للاسلام، و قد جاء هذا المعنى فيما كتبه فيكلسن قال:

«اعتبر المسلمون انتصار بنى أمية و على رأسهم معاوية انتصارا

و جاء فى تأريخ ابن عساكران المنصور رمى به فى بئر بعد أن ضربه.

(۱) طبقات الشعراء ص ۳۷- ۳۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۹۷

؟؟؟ للأرستقراطية الوثنية، التي ناصبت الرسول و أصحابه العداء، و التي جاهدها رسول اللّه (ص) حتى قضى عليها، و صبر معه المسلمون على جهادها و مقاومتها حتى نصرهم اللّه فقضوا عليها، و أقاموا على انقاضها دعائم الدين الاسلامي، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء و الضراء و أزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء، و يستذلون الضعفاء، و يبتزون الأموال، لذلك لاندهش إذ كره المسلمون بني أمية و غطرستهم، و كبرياءهم و اثارتهم للاحقاد القديمة، و نزوعهم للروح الجاهلية ..» «۱».

و لم يكن يخالط المسلمين شك في أن الأمويين خصوم الاسلام و اعداؤه الذين حاولوا اخفات صوته، و اخماد ضوئه، و انهم انما دخلوا في حظيرته طمعا في الأمرة، و سعيا وراء مصالحهم الخاصة، و قد أكد ذلك العلامة «دوزي» بقوله:

«إن جمهور المسلمين كانوا يرون أن من بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الاسلام الا سعيا وراء مصالحهم الشخصية، و انهم لا حق لهم في الخلافة و لا غيرها، فقد كانت سياسة بني أمية تهدف الى جعل الخلافة ملكا كسرويا، و ليس أدل على ذلك من قول معاوية: «؟؟

الملوك» «۲».

إن من يتصفح السياسة الأموية يرى أنها كانت ترمي الى بسط الالحاد و اشاعة الكفر، و فل عروش الاسلام، و ازالة وجوده، و ذلك بما صعده الأمويون من العمليات التخريبية ضده كابادة اعلامه أمثال حجر بن عدي، و عمرو ابن الحمق الخزاعي، و ميثم التمار، و رشيد الهجري، و أمثالهم من قادة الفكر في الاسلام.

---

(۱) تأريخ الاسلام السياسي ۱/ ۳۹۸

(۲) ملوك الطوائف و نظرات في تأريخ الاسلام (ص ۳۸۱).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۲۹۸

و قد أوجبت هذه السياسة المعادية للاسلام انتفاضة الجماهير الاسلامية و اجماعها على حرب الامويين و ازالة دولتهم و سلطانهم.

السياسة المالية:

و للاسلام اقتصاده الخلاق الذي ينعش الشعوب، و يزيد من دخلها الفردي، و يزيل عنها كابوس الفقر و الحرمان، و قد أوجب على الدولة مراقبة الاقتصاد العام، و العمل على زيادة الانتاج، و صرف الخزينة العامة على المصالح الحيوية، و لم يبح ان يصرف قليل أو كثير من أموال الأمة في غير تطورها الاقتصادي و الصناعي، حسب ما هو معلوم من مخططات السياسة المالية في الاسلام.

و قد جافى الامويون هذه السياسة المشرقة، و ابتعدوا عنها، و كان أول من انحرف عنها عثمان بن عفان فقد صرف بيت المال على بني أمية و آل أبي معيط، و خص الوجوه و الاشراف و ذوي النفوذ بالهبات الضخمة و الثراء العريض، و حرم العامة من الانفاق عليها، و قد أوجبت هذه السياسة الملتوية اخفاقه فقد سخط عليه الأخيار و المتحرجون في دينهم، و طالبوه بالعدول عنها الا انه لم يعن بهم و أصر على تنفيذ سياسته فثار عليه المسلمون و أردوه صريعا يتخبط بدمه، و قد ارهق المسلمين في ايام حكمه و حملهم عناء شديدا، و كذلك أجهدهم بعد قتله حسب ما أجمع عليه المؤرخون.

و قد سار الامويون طيلة حكمهم على وفق السياسة العثمانية فخصوا انفسهم و من يمت إليهم بالاموال و الثراء و حرموا الأمة ان تتمتع بالرفاهية فقد اصطفوا جميع ثرواتها و امكانياتها الاقتصادية و تركوا شبح الفقر ماثلا في كل بيت من بيوت المسلمين، و قد فزع والى مصر الى العاهل الاموي

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۲۹۹

سليمان بن عبد الملك شاكيا له ما يعانيه المصريون من الاضطهاد و الثقل من الضرائب التى فرضت عليهم قائلا له:

«يـا أمير المؤمنين: إنى ما جئتك حتى أنهكت الرعيـة، و جهـدت فان رأيت أن ترفق بها، و تخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها و صلاح معايشها فافعل فانه يستدرك ذلك فى العام المقبل ...»

و هذا منطق حق و عدل الا ان الطاغية الجبار لم يع ذلك، و اجابه بما انطوت عليه نفسه من النزعات الشريرة قائلا:

«هبلتك أمك، احلب الدر فاذا انقطع فاحلب الدم و النجا» «۱» و هل هناك ظلم أفحش او أقسى من هذا الظلم؟

أى استهانة بحقوق الانسان و كرامته مثل هذه الاستهانة؟ إنه يريد ان يحكم على المجتمع بالدمار، و يسلبه حياته، و مقوماته و لما شاع هـذا الظلم الفـاحش اخـذ العمـال و الولاـة يتقربون إليهم بظلم الرعيـة و الجور عليهـا، فقـد روى المؤرخون ان عبيـد اللّه بن الحجـاب صـاحب الخراج على مصـر أراد ان يتقرب الى هشـام بن عبـد الملك فكتب إليه إن ارض مصـر تحتمل الزيادة فأمره ان يزيـد فى كل دينار قيراطا «۲».

و هكـذا أخـذت البلاـد الاسـلامية ترزح تحت كـابوس ثقيـل من الفقر و الحرمـان قـد سـلبت جميع مقوماتها، و صارت بأيـدى هؤلاء الأوغاد يصرفونها بسخاء على المجون و الدعارة و افساد الاخلاق، و لم يعد ما يصرف من تلك الاموال على المصالح العامة.

---

(۱) الجهشيارى (ص ۵۱- ۵۲).

(۲) تأريخ الحركات الفكرية فى الاسلام (ص ۴۲).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۰۰

الضرائب الاضافية:

و أمعنت السـلطات الاموية فى جهد الرعية و ارهاقها، فقد سـلبتها جميع مقدراتها و امكانياتها الاقتصادية، و ذلك بما فرضـته عليها من الضرائب التى لم يألفها المسلمون، و لم يقرها دينهم، و قد روى المؤرخون ألوانا قاسية من تلك الضرائب و كان من بينها ما يلى:

۱- الرسوم على الصناعات و الحرف «۱».

۲- الرسوم: على من أراد الزواج او يكتب عرضا «۲».

۳- الرسوم: على اجور البيوت «۳».

۴- ضريبة النيروز، و أول من سنها معاوية بن أبى سفيان، و قد بلغت عشرة ملايين درهم «۴».

۵- الضريبة على من أسلم «۵» و السبب فى ذلك شل الحركة الاسلامية و وقف انتشارها.

و المهم فى هـذه الضـرائب الاضافيـة انها لم تكن محدودة، و انما كان أمرها بيد الولاة و الجباة فهم الذين يقدرونها حسب رغباتهم و ميولهم، و تحدث «بندلى جوزه» عن شدة وطأتها و ثقلها بقوله:

---

(۱) تأريخ الحركات الفكرية فى الاسلام (ص ۴۲).

(۲) الطبرى ۸/ ۱۲۹، تأريخ ابن الأثير ۵/ ۲۳.

(۳) الوزراء و الكتاب (ص ۲۴).

(۴) الحركات الفكرية فى الاسلام (ص ۴۲)، تأريخ التمدن الاسلامى ۲/ ۲۲.

(۵) التمدن الاسلامى ۲/ ۲۱.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۰۱

«انها كانت أشد وطأة من الخراج و الجزية لأنها لم تكن محدودة و لا مستندة الى قاعدة مقبولة بل كان مقدارها يتوقف على رغبة العمال» «۱» و سأل صاحب أخناء بمصر عمرو بن العاص ان يخبره بمقدار ما عليه من الجزية فأجابه ابن العاص:

«لو أعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم، و ان خفف عنا خففنا عنكم» «۲».

و ليس فى مفاهيم الظلم الاجتماعى اكثر من هذا الظلم و لا أشد وطأة منه على المجتمع الانسانى فالشعوب خزانة لهؤلاء الحاكمين أو بستان لهم- على حد تعبير ابن العاص- و قال معاوية: «الأرض للّه و أنا خليفة اللّه فما آخذ من مال اللّه فهو لى و ما تركته كان جائزا لى».

إن هذه السياسة النكراء قد أثارت سخط المجتمع و الهبت العواطف و المشاعر بروح الثورة، و النضال على قلب ذلك الحكم و ازالة وجوده و آثاره.

اصطفاء الاموال:

و جهدت الحكومات الأموية فى فقر المسلمين و تجويعهم فسلكت كل طريق يؤدى الى نشر الفاقة و الحرمان بينهم، و كان من بين الوسائل التى اتخذها الأمويون الى فقر المسلمين اصطفاء أموالهم فقد كتب معاوية الى زياد بن أبيه عامله على العراق ان يصطفى له الصفراء و البيضاء.

فأوعز زياد الى عماله بذلك و أمرهم أن لا يقسموا بين المسلمين ذهبا

---

(۱) الحركات الفكرية (ص ۴۲).

(۲) تأريخ التمدن الاسلامى ۴/ ۷۹- ۸۰.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۰۲

و لا فضة «۱».

و كتب معاوية الى وردان عامله على مصر «ان تزد على كل امرئ من القبط قيراطا، فكتب إليه وردان: كيف أزيد عليهم و فى عهدهم ان لا يزاد عليهم؟».

و كانت الحال كذلك فى سائر الولايات الاسلامية فقد صادر احد اخوة الحجاج املاك الاهالى ببلاد اليمن «۲».

لقد اتخذ الامويون مال اللّه دولا، و عباد اللّه خولا كما اخبر الصادق الامين (ص) عما تمنى به أمته فى ظلال الحكم الاموى الجائر، و قد أثارت هذه السياسة عليهم سخط العامة فهبوا الى اعلان الثورة و الاطاحة بحكم الظلم و الجور.

رفض الناس لاملاكهم:

و لفداحة الضرائب، و ثقلها فقد عمد المزارعون الضعفاء الى رفض اراضيهم و التخلى عنها، و التجأ بعضهم الى تسجيلها باسم احدى شخصيات العرب، او باسم احد رجال الدولة لأجل حمايتهم، و كانوا يدفعون عوض هذا التسجيل قسما من الحاصلات الزراعية «۳» أما فى ولاية الحجاج فقد سجل عدد كبير من الملاكين اراضيهم باسم مسلمة بن عبد الملك.

لقد لاقت الشعوب الاسلامية فى تلك الأدوار المظلمة اشد الوان العسف و الاضطهاد فهى تكدح و تعطى ثمرة جهودها الى اولئك الطغاة

(۱) التمدن الاسلامى ۴/ ۷۹

(۲) تأريخ الاسلام ۱/ ۴۷۴

(۳) الوزراء و الكتاب (ص ۱۱۸)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۰۳

ليصرفونه على المجون و الدعارة و الشهوات.

و بقى هذا الحال المرير مستمرا، حتى دور النبيل عمر بن عبد العزيز فلمس المجتمع فى عهده بعض الوان الدعة و الرفاهية، فأمر بالغاء تلك الضرائب الاضافية «۱»، و لما انتهى دوره عاد الشقاء الى الناس، فقد أمر يزيد بن عبد الملك بارجاع تلك الضرائب، و كتب الى عماله مذكرة جاء فيها:

«اما بعد: فان عمر كان مغرورا، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده و أعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى اخصبوا أم أجدبوا، أحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا» «۲».

و لما انتهى هذا المرسوم الملكى الى العمال أخذوا بخناق الناس و شددوا عليهم فأعادوا الضرائب الى حالتها الأولى «۳».

لقد انحرف الأمويون عن القصد، و جانبوا العدل، و ابتعدوا عن الطريق القويم، و هذا هو السر فى اجماع المسلمين على بغضهم فى جميع أدوار الحياة الاسلامية.

الولاة و الجباة:

و أقام الامويون ولاتهم و جباتهم من شذاذ الآفاق أمثال زياد بن أبيه، و المغيرة بن شعبة، و بسر بن أبى ارطاة، و سمرة بن جندب و خالد القسرى، و الحجاج بن يوسف الثقفى، و نظرائهم من الظلمة المستبدين

(۱) الطبرى ۸/ ۱۲۹

(۲) الادارة الاسلامية (ص ۱۱۴)

(۳) تأريخ اليعقوبى ۲/ ۵۵

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۰۴

الذين أثبتوا فى نشاطهم السياسى و الادارى انهم أعداء الانسانية، و انهم لا عهد لهم بالرحمة و الرأفة او بأى مثل كريم يمتاز به الانسان عن الحيوان السائم.

لقد سلط الامويون هؤلاء الجفاة الأوغاد على رقاب المسلمين فامعنوا فى ظلمهم، و انتهاك حرماتهم، و سلب أموالهم، يقول النمرى لعبد الملك مبينا له جور عماله، و اضطهادهم لقومه حتى افتقروا و هربوا فى البيداء، و ليس معهم سوى إبل مهزولة، يقول النمرى:

أ خليفة الرحمن إنا معشرحنفاء نسجد بكرة و أصيلا

إن السعاة عصوك يوم أمرتهمو اتوا دواهى لو علمت و غولا

أخذوا العرين فقطعوا حيزومهبالاصبحية قائما مغلولا «۱»

حتى اذا لم يتركوا لعضامهلحما و لا لفؤاده معقولا «۲»

جاءوا بصكهم و أحدر أسأرتمنه السياط يراعه اجفيلا «۳»

أخذوا حمولته فأصبح قاعدالا يستطيع عن الديار حويلا

يدعو امير المؤمنين و دونه‌خرق تجر به الرياح ذيولا «۴»

كهداهد كسر الرماة جناحهاتدعو بقارعة الطريق هديلا

أ خليفة الرحمن ان عشيرتى‌أمسى سوامهم عزين فلو لا «۵»

قوم على الاسلام لما يتركواما عونهم و يضيعوا التهليلا «۶»

---

(۱) الحيزوم: وسط الظهر، الاصبحية جمع أصبح السياط.

(۲) المعقول: الادراك.

(۳) اشأرت: أى بقيت فى الاناء بقية، الاجفيل: الخائف.

(۴) الخرق: الصحراء الواسعة.

(۵) عزين: الجماعات.

(۶) الماعون: الزكاة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۰۵ قطعوا اليمامة يطردون كأنهم‌قوم أصابوا ظالمين فتيلا

شهرى ربيع ما تذوق لبونهم‌الا حموضا و خمة و ذبيلا «۱»

و أتاهم يحيى فشد عليهم‌عقدا يراه المسلمون ثقيلا «۲»

كتبا تركن غنيهم ذا عيلةبعد الغنى و فقيرهم مهزولا

فتركت قومى يقسمون امورهم‌إليك أم يتربصون قليلا «۳» و قد صور النمرى بهذا الشعر الجور الهائل و المظالم الفظيعة التى صبها الولاة على قومه، و قد استمر هذا الظلم حتى فى دور عمر بن عبد العزيز الذى هو أعدل ملوك بنى أمية- كما يقولون- فان عماله لم يألوا جهدا فى اخذ اموال الناس بغير حق يقول كعب الاشعرى مخاطبا له:

إن كنت تحفظ ما يليك فانماعمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذى تدعو لهحتى تجلد بالسيوف رقاب

بأكف منصلتين اهل بصائرفى وقعهن مزاجر و عقاب «۴» و كان عمر يخطب على المنبر فانبرى إليه رجل فقطع عليه خطابه و قال له:

إن الذين بعثت فى أقطارهانبذوا كتابك و استحل المحرم

طلس الثياب على منابر ارضناكل يجور و كلهم يتظلم «۵»

و أردت ان يلى الامانة منهم‌عدل و هيهات الأمين المسلم «۶»

---

(۱) الخموض: المر المالح،

(۲) يحيى: احد السعادة الظالمين.

(۳) حياة الامام الحسن ۲/ ۲۰۲ نقلا عن طبقات الشعراء (ص ۴۳۹)

(۴) البيان و التبيان ۳/ ۳۵۸

(۵) طلس الثياب: الوسخة منها.

(۶) البيان و التبيان ۳/ ۳۵۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۰۶

لقد بالغ الولاة و الجباة فى اضطهاد المجتمع الاسلامى، و سلبه جميع مقوماته الاقتصادية، و لم يفعلوا ذلك من عند أنفسهم، و انما

كان بايعاز من ملوك الأمويين، فهم كانوا يدفعونهم الى النهب، و يقاسمونهم ما يسلبونه من الناس، و قد جاء هذا المعنى صريحا فيما قاله: «فان فلوتن»:

«و بدل ان يتخذ الخلفاء- اى خلفاء الأمويين- التدابير لمحاسبة الولاة، و منعهم من الظلم نجدهم يقاسمونهم فى فوائدهم من الأموال التى جمعوها بتلك الطرق المفضوحة، و هذا معناه رضى الخلفاء بسوء تصرف العمال مع أهل البلاد بالاضافة الى انه دليل على أن بعضهم كان يهمه مصالح الخزينة المركزية بالدرجة الأولى ..» «۱».

إن ملوك الامويين لم يحاسبوا ولاتهم و جباتهم على ما اقترفوه من الظلم الفاحش و النهب الفظيع لأموال الأمة، فقد كان ذلك بدفع منهم، فان الوالى كلما اشتد ظلمه، و جار فى حكمه ازداد قربا منهم، فزياد بن أبيه كان اقرب الناس الى معاوية حتى الصق نسبه به، و ذلك لبطشه و جوره، و فتكه الذريع بالمسلمين، و الحجاج بن يوسف الثقفى كان من اقرب الولاة الى عبد الملك و آثرهم عنده حتى فوض أمر العراق إليه يتصرف فيه حيثما يشاء، و ذلك لعنفه و اسرافه فى اراقة الدماء.

و على أى حال فان ما عاناه المسلمون من جور العمال و ظلمهم من أهم اسباب الثورة الكبرى التى اطاحت بنظام الحكم الأموى، و طوت سلطانه.

---

(۱) السيادة العربية (ص ۲۸).

احتقار الشعوب:

و الشىء البارز فى السياسة الأموية ازدراء الشعوب الاسلامية، فقد كان ملوك الأمويين يبالغون فى الاستخفاف بحق شعوبهم، يقول الوليد بن يزيد الأموى:

فدع عنك ادكارك آل سعدىفنحن الأكثرون حصى و مالا

و نحن المالكون الناس قسرانسومهم المذلة و النكالا

و نوردهم حياض الخسف ذلاو ما نألوهم الا خبالا و صور هذا الشعر مدى الاستهتار الفاحش بحق الأمة، و الاستهانة بارادتها و قيمها.

و قال عبد الملك بن مروان فى خطابه الذى ألقاه فى يثرب أمام أبناء المهاجرين و الانصار:

«الا- و انى لا- أداوى أمر هذه الأمة الا- بالسيف حتى تستقيم قناتكم، و انكم تحفظون اعمال المهاجرين الأولين، و لا تعملون مثل عملهم، و انكم تأمروننا بتقوى اللّه، و تنسون ذلك من أنفسكم، و اللّه لا يأمرنى أحد بتقوى اللّه بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ..» «۱».

و حفل هذا المنطق القاسى الرهيب بالطغيان الفاجر على الأمة، فقد جعل مداواتها بنشر القتل و الخوف و الارهاب لا ببسط العدل و الرفاهية بينها ...

و يقول ابن العاص: «انما السواد بستان قريش» و معنى هذا ان السواد ملك للامويين لا لأهله فانهم عبيد و خول لهم، لا حرية لهم و لا

---

(۱) نظام الحكم و الادارة فى الاسلام (ص ۲۸۵).

اختيار، و كان هذا منطق السياسة الأموية فى جميع فتراتها لا ترى هناك وجودا للأمة، و كان هذا من أهم العوامل التى ادت الى قلب الحكم الأموى و انهياره.

اضطهاد الذميين:

و قضى الاسلام فى تشريعه الرائع الاصيل باحترام كافة الأديان، و ضمان كرامة ابنائها، و منحهم الحرية التامة فلهم أن يتمتعوا بجميع ما يتمتع به المسلمون من الحقوق ما داموا داخلين فى ذمة الاسلام.

انه ليس من الاسلام ان يضطهد أى انسان مهما كانت ميوله و معتقداته ما لم يحدث فتنة أو فسادا فى الأرض، يقول الامام امير المؤمنين (ع) رائد العدالة الكبرى فى عهده الدولى: «الناس صنفان اما أخ لك فى الدين أو شبيه لك فى الخلق».

لقد تبنى الاسلام بصورة ايجابية شعار العدالة و الحرية و المساواة بين جميع الناس فى ضمن اطارها الاسلامى، و لكن السياسة الاموية فى جميع مخططاتها قد حملت معول الهدم على ما تبناه الاسلام فى ميادين الاصلاح الاجتماعى فعاملت الذميين معاملة قاسية لا تتفق مع روح الاسلام و هديه، فقد روى المؤرخون أن اسامة بن زيد التنوخى، القائم بأمر الخراج من قبل يزيد بن عبد الملك قد اوقع بالذميين و ارهقهم فأخذ أموالهم، و وسم أيديهم «۱» و فرض عبد العزيز بن مروان الجزية على الرهبان، و هى أول جزية أخذت منهم «۲».

---

(۱) خطط المقريزى ۴/ ۳۹۵

(۲) نفس المصدر.

ان جور الأمويين و ظلمهم قد عمّ جميع المواطنين، و لم يقتصر على المسلمين الأمر الذى أوجب شيوع الحقد و الكراهية عند جميع الناس لحكمهم.

ظلمهم للموالى:

و قضت السياسة الأموية بحرمان الموالى من جميع الحقوق الطبيعية للانسان فعاملتهم معاملة الحيوان السائم، و قابلتهم بمزيد من العنف و الاضطهاد مع دخولهم فى حظيرة الاسلام الذى هتف بحقوق الانسان، و اعلن المساواة العادلة بين جميع الطبقات، هذا مع ان فيهم طبقة كبيرة من اعلام الاسلام و قادته الفكريين، و ان شطرا كبيرا من الفتوحات الاسلامية قد قام على جهودهم و جهادهم، و من المؤسف حقا أن الامويين لم يألوا جهدا فى اذلالهم و ارهاقهم، و قد روى المؤرخون الوانا بغيضة من ذلك العسف، و قد فتح عليهم باب الظلم و الجور- كسرى العرب- معاوية بن أبى سفيان فقد انتهك حرماتهم و رام سفك دمائهم بغير حق فقد دعا كلا من الاحنف بن قيس التميمى، و سمرة بن جندب الهلالى و قال لهما: إنى رأيت هذه الحمر- أى الموالى من الفرس- قد كثرت، و اراها قد قطعت على السلف، و كأنى انظر وثبة منهم على العرب و السلطان، فقد رأيت ان أقتل شطرا لاقامة السوق، و عمارة الطريق فما ترون؟» فأيده سمرة، و عارضه الاحنف، و أقنعه بأن لا يفعل «۱» و قد سار على هذه الخطة الفاجرة ملوك الأمويين من بعده فهانوا الموالى و حرموهم من العطاء و الرزق و قد جاء أحد الخراسانيين الى عمر بن عبد العزيز يطالبه بالعدالة و المساواة قائلا:

---

(۱) العقد الفريد ۲/ ۲۷۰

«يا أمير المؤمنين عشرون الفا من الموالى يغزون بلا عطاء، و لا رزق و مثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤدون الخراج ..» «۱».

لقد قابلتهم السلطات الأموية بالحرمان و الاجحاف فحرمتهم من العطاء و القوت مع انهم كبقية الجنود يغزون و يفتحون، و هذا مما

أوجب زيادة النقمة في صفوفهم، و اتساع نطاق العداء لهم، و انضمامهم الى كل ثورة ضدهم يقول الجاحظ في كتابه- العرب و الموالى- ان الحجاج بن يوسف لما خرج عليه عبد الرحمن بن الاشعث، و حاربه، و لقى ما لقى من قراء اهل العراق، كان اكثر من قاتله الموالى من أهل البصرة، فجمعهم بعد اطفائه تلك الثورة، و قال لهم: «انما أنتم علوج و عجم و قراؤكم اولى بكم» ثم فرقهم حيث شاء في البلاد النائية، و نقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه إليها «۲».

و بلغ من تعصبهم الأعمى انهم كانوا لا يرون الموالى أكفاء لهم فكانوا ينادونهم بأسمائهم و القابهم، و لا يكنونهم بالكنى لما في الكنية من الشعور بالمساواة لهم، كما كانوا لا يسمحون لهم بالسير في الصف أمامهم أو معهم الا وراءهم، و لا يجعلون منهم قائدا على جيش عربي، و لا يجيزون لأحد منهم ان يصلى اماما على جنازة أحد من العرب، و إذا اطعموا أحدا من الموالى معهم- لعلمه و فضله- اجلسوه على السفرة في طريق الخباز، لكى يعلم من يراه أنه ليس عربيا في الصميم، و إذا اقبل العربي من السوق و معه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله عنه فلا يمتنع، و كان إذا لقيه راكبا و أراد ان ينزل فعل «۳».

---

(۱) الطبري: ۸/ ۱۳۴، ابن الأثير ۵/ ۱۹

(۲) العقد الفريد ۲/ ۲۷۱

(۳) ضحى الاسلام ۱/ ۱۸- ۳۴

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۱۱

لقد ذكر المؤرخون صورا كثيرة من الوان هذا الاضطهاد الجماعي للموالى الأمر الذي خولف فيه عما الزم به الاسلام من المساواة العادلة بين جميع المسلمين من دون فرق بين عربيهم و اعجميهم، و أبيضهم و أسودهم.

لقد سببت هذه التفرقة العنصرية شق كلمة المسلمين، و اشاعة الاحقاد و الاختلاف بينهم، كما سببت ان يكون الموالى في طليعة الثوار على الحكم الأموي و سببا في تحطيم ملكهم.

خلاعة الخلفاء:

و انغمس ملوك الأمويين في الدعارة و المجون فتهالكوا على اللذة و الشهوات و الاستهتار بالقيم الاخلاقية، و قد انتشر التسيب و التحلل في أيامهم و شاع استعمال الخمر و القمار، و قد صرفت الدولة أغلب مقدراتها على المغنين و الماجنين و العابثين، و جلبت جميع ادوات اللهو و آلات الغناء، و فيما يلي بعض خلفائهم الماجنين:

يزيد بن عبد الملك:

و انقطع يزيد بن عبد الملك الى العقار و القيان، و كان يسمى خليع الأمويين، شغف بجاريتين من جواريه تدعى احداهما (حبابة) و الاخرى (سلامة) و قطع ايام حياته في احضانهما، غنته حبابة يوما بقولها:

بين التراقي و اللهاة حرارةما تطمئن و لا تسوغ فتبرد فطرب حتى فقد رشده، و أخذ يطير فقالت ساخرة به:

«يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة!!».

و أخذ يقول: بلا اختيار «و اللّه لأطيرن» و انطلقت تسخر به و تهزأ

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۱۲

من الأمة التي مكنته من رقابها قائلة له:

- على من تدع هذه الأمة؟

- عليك ثم انعطف عليها فجعل يقبل يدها، و هي تعبث به و تسخر منه.

خرج يوما يتنزه فى بعض نواحى الأردن، و معه جاريته حبابة فأخذ يتعاطى معها كئوس الخمر، فلما ثملا رماها بحبة عنب فدخلت فمها، فشرقت منها فتمرضت و ماتت، و قد فقد رشده على موت هذه المغنية فقد تركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت و هو يشمها و يلثم جسدها و هى جثة هامدة و يبكى عليها أمر البكاء، و قد كلمه بعض خواصه فى أمرها فأذن فى دفنها، و رجع الى قصره كئيبا، حزينا فسمع احدى جواريه تقول:

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى‌منازل من يهوى معطلة قفرى فأخذ يبكى أمر البكاء و قد استولى عليه الحزن و الأسى، و مكث فى قصره سبعة أيام لا يواجه الناس حدادا و حزنا على هذه الفاجرة، فأشار عليه أخوه مسلمة بالخروج الى الناس لئلا يشيع عنه هذا المنكر فيزهدون فيه، فاستجاب لنصحه و خرج الى الناس «۱» و هذه البادرة قد دلت على خلاعة هذا الماجن الذى يلى به الاسلام و بأمثاله من الماجنين الذين تقلدوا زمام الحكم.

الوليد بن يزيد:

و صح عن النبى (ص) انه قال: «ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو شر على هذه الأمة من فرعون على قومه» و قد أيد

---

(۱) ابن الأثير: (ج ۵ ص ۵۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۱۳

الأوزاعى أنه هو الوليد بن يزيد «۱» و قد تمادى هذا الطاغية الخليع فى الدعارة فكان أول من حمل المغنين من البلدان، و جالس الملهين، و اظهر الشراب و الملاهى، و العزف، و قد انتشر فى عصره الفساد و انعكف الناس على تعاطى الخمر و شربها، و كان مغرما بها، و قد وصفها بأدق وصف بقوله:

و صفراء كالزعفران‌سباها لنا التجر من عسقلان

تريك القذاة و عرض الاناء ستر لها دون مس البنان

لها حبب كلما صفقت‌تراها كلمعة برق يمانى «۲» و بلغ من مجونه انه أراد ان يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب فيها الخمور و يشرف منها على الطواف «۳» و لكن اللّه حال بينه و بين ذلك و قصم ظهره و أخذه أخذ عزيز ذى انتقام فقد ظهر عليه يزيد بن الوليد مع جماعة من أهل بيته فقتلوه و احتزوا رأسه و نصبوه بدمشق «۴».

و من خلاعة هذا الماجن المستهتر ان ابن عائشة القرشى «۵» غناه بقوله:

---

(۱) أمالى المرتضى: (ج ۱ ص ۷۹).

(۲) مروج الذهب: (ج ۳ ص ۱۴۷).

(۳) الأمالى: (ج ۱ ص ۸۹).

(۴) اليعقوبى: (ج ۳ ص ۷۳).

(۵) ابن عائشة: هو عبد الرحمن بن عبيد اللّه، و عائشة أمه هى أم محمد بنت عبد اللّه بن عبيد اللّه من تيم قريش، يكنى أبا سعيد، و كانت سمية أم زياد بن أبيه إحدى جداته و فى ذلك يقول: حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۳۱۳ خلاعة الخلفاء: ..... ص : ۳۱۱

أيا أسفى على إسعاف دهرو حظ من حظوظ بنى الزوانى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۱۴ انى رأيت صبيحة النحرحورا نفين عزيمة الصبر

مثل الكواكب فى مطالعهاعند العشاء أطفن بالبدر

و خرجت ابغى الأجر محتسبافرجعت موقورا من الوزر فطرب حتى فقد صوابه و التفت الى ابن عائشة قائلا:

«احسنت و اللّه، بأمير المؤمنين، اعد بحق عبد شمس اعد ..».

فأعادها عليه فقال له: احسنت و اللّه، بحق أميّة اعد، فأعادها عليه فأخذ يتخطى آباءه واحدا بعد واحد و هو يقسم عليه بهم ليعيدها عليه فأعادها عليه مرارا و هو ثمل لا يعقل قد أفسدت الخمرة عقله و انكبّ على ابن عائشة فجعل يقبل أطرافه و أعضاءه عضوا عضوا حتى انتهى الى عورته و بعد صراع طويل دام بينهما استطاع هذا الخليع- المسمى بأمير المؤمنين، و خليفة المسلمين- تقبيل عورة ابن عائشة بصورة مخزية تندى منها خجلا وجه الانسانية، ثم انه نزع ثيابه فألقاها عليه، و بقى مجردا بادى العورة حتى أتوه بثياب غيرها فلبسها ثم منحه الف دينار و حمله على بغلته، و طلب منه ان يركبها على بساطه ثم ودعه قائلا له: «قد تركتنى على أحر من جمر الغضا» «۱».

هذه صورة موجزة عن دعارة ملوك الأمويين و خلاعتهم، و تماديهم فى اللهو و الفساد الأمر الذى سبب اشاعة الحقد عليهم و الكراهية لحكمهم.

_____على انى أمت الى الليالىبعرق من سمية غير و انى جاء ذلك فى طبقات الشعراء: (ص: ۳۳۷- ۳۳۸).

(۱) مروج الذهب: (ج ۳ ص ۱۴۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۱۵

العصبية بين اليمنية و النزارية:

و من أهم العوامل التى أدت الى تلاشى الحكم الأموى نشوب النزاع بين اليمانية و النزارية و تصاعد العداء فيما بينهما، الأمر الذى أدى الى اضعاف الدولة، و ذلك لانضمام اليمانية الى الدولة العباسية، و قد أوجد هذا النزاع العلويون فان الكميت شاعر الاسلام الاكبر لما أنشد هاشمياته التى مدح فيها اهل البيت (ع) قصد عبد اللّه بن الحسن فطلب منه أن ينشىء شعرا يثير به حفائظ النفوس بين العرب لعل فتنة تحدث فتكون سببا لزوال دولة الامويين فاستجاب الكميت و انطلق ينظم قطعا من الشعر الحماسى الرائع يذكر فيها مناقب قومه اليمانيين و يفضلهم على القحطانيين، و مما قاله:

لنا قمر السماء و كل نجمتشير إليه أيدى المهتدينا

وجدت اللّه اذ سمى نزاراو اسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جعل المكارم خالصاتو للناس القفا و لنا الجبينا و قد أثر شعره فى القلوب تأثيرا عظيما حتى ثارت الحفائظ بين القبيلتين و شاع البغض و العداء بينهما، و انتصر للقحطانية شاعر اهل البيت دعبل الخزاعى، و اكبر الظن انه كان بين الشاعرين اتفاق على ذلك فانهما معا من شعراء اهل البيت و كلاهما قد ضرب الرقم القياسى لاعمق الود و الولاء لهم و مما قاله دعبل فى الرد على الكميت:

أ فيقى من ملامك يا ظعيناكفاك اللوم مر الأربعينا

أ لم تحزنك أحداث الليالىيشيبن الذوائب و القرونا

أحيى الغر من سروات قومىلقد حييت عنا يا مدينا

فان يك آل إسرائيل منكمو كنتم بالأعاجم فاخرينا

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۱۶

الى ان يقول:

و ما طلب الكميت طلاب وترو لكنا لنصرتنا هجينا

لقد علمت نزار ان قومىالى نصر النبوة فاخرينا و أخذت كل قبيلة تفتخر على الأخرى و تدلى بمناقبها و مكارمها حتى اتسع العداء و

شمل سكان القرى و البادية و تخربت من أجل ذلك القلوب.

و انفصمت عرى الوحدة بين هاتين الأسرتين اللتين تعدان من أعظم سكان الجزيرة العربية عددا و نفوذا، و قد نتج من ذلك أن مروان بن محمد الجعدى آخر خلفاء الأمويين قد تعصب للنزاريين، مما سبب انحراف اليمانيين عنه و انضمامهم الى الدعوة العباسية، و بذلك فقد ضعف كيان الدولة الأموية الى أبعد الحدود «۱».

نتائج الأحداث:

اشارة

إن الأحداث الرهيبة التى منى بها العالم الاسلامى من جراء الحكم الاموى الجائر فى سياسته، و اقتصاده، و ادارته، قد اعقب ما يلى:

۱- الثورات المحلية:

و انطلقت فى اغلب الاقاليم الاسلامية عدة ثورات محلية انتقاما من السلطة و كراهية لها كثورات العلويين، و ثورات الخوارج، و هى ثورات متصلة، قد دوخت السلطة، و أضعفت كيانها الاقتصادى و العسكرى، و من الطبيعى ان هذه الثورات انما حدثت نتيجة لانتشار الظلم الاجتماعى، و فقدان العدل و المساواة بين المسلمين، و لو ان الحكومات الاموية سارت

---

(۱) مروج الذهب: (ج ۳ ص ۱۵۹- ۱۶۳).

فى سياساتها الداخلية على وفق الأهداف العليا التى ينشدها الاسلام فى ظلال حكمه لما منيت بتلك الكوارث و الزعازع.

۲- الدعوة الى العلويين:

و انعقدت فى يثرب و الكوفة أحزاب سرية، و قد عملت بكل اجهزتها على الدعوة للرضا من آل محمد (ص) و ارجاع الخلافة الاسلامية لأهل البيت (ع) و قد حفل منطق الدعوة بما يلى:

اولا- انها كانت تذيع بين المسلمين ما ورد فى فضل العترة الطاهرة من الآيات و الاخبار التى تلزم المسلمين برعايتهم و مودتهم، و الرجوع إليهم و كان من اساليب الدعوة انهم يقولون للناس:

- هل فيكم احد يشك ان اللّه عز و جل بعث محمدا و اصطفاه؟

- لا- أ فتشكون ان اللّه أنزل عليه كتابه فيه حلاله و حرامه و شرائعه؟

- لا- أ فتظنونه خلفه عند غير عترته و اهل بيته؟

- لا- أ فتشكون ان اهل البيت معدن العلم، و أصحاب ميراث رسول اللّه (ص) الذى علمه اللّه؟

- لا «۱» و قد سبب هذا الاسلوب الرائع التفاف المسلمين حول أهل البيت، و تعطشهم الى ايام حكمهم.

و كان المنصور الدوانيقى يجوب فى الارياف و ينشد مديح اهل البيت

---

(۱) الكامل لابن الأثير (۵/ ۱۷)

و اكبر الظن انه قد عهد إليه القيام بهذه المهمة.

ثانيا- انها كانت تذيع ما جرى على آل النبى (ص) من النكبات و الخطوب مما يذيب لفائف القلوب، و يثير روح الحقد و الكراهية للامويين و يدفع الجماهير الى الثورة على النظام القائم.

ثالثا- انها كانت تبشر بالأهداف الاصيلة، و المثل العليا التى تنشدها العترة الطاهرة فى ظلال حكمها العادل من نشر الأمن و الدعة و الرفاهية بين الناس، و القضاء على جميع الوان الغبن الاجتماعى، و الظلم الاجتماعى، و ان لا- حكم يضمن للمسلمين كراماتهم، و يصون حقوقهم، و يحقق آمالهم الا فى ظل حكم اهل البيت (ع) الذى هو امتداد لحكم الاسلام، و تطبيق لعدله و مساواته.

رابعا- انها كانت تقوم بافهام المسلمين بأن ما حل فيهم من المحن و النكبات فى ظل الحكم الاموى انما هو من النتائج المباشرة لعملية فصل الخلافة عن أهل البيت الذين هم سدنة الوحى و عدلاء الذكر الحكيم، و ان الصدر الاول هم الذين فسحوا المجال بسقيفتهم الى القوى المعادية للاسلام ان تنزو على منابر الحكم، و تستولى على زمام السلطة فتمعن فى اذلال المسلمين و ارغامهم على ما يكرهون.

إن الصدر الاول لو تابعوا النبى (ص) فيما احتاط به لامته من جعل الخلافة فى اعلام عترته، وقاية للامة من الانحراف، و صيانة لها من الزيغ و الضلال، و انطلاقا لها فى ميادين التقدم الاجتماعى، لو انهم و اكبوا النبى (ص) و تابعوه لما حدثت تلك الخطوب و الرزايا فى العالم الاسلامى، و ما منى بالحكم الاموى الذى اتخذ عباد اللّه خولا، و مال اللّه دولا.

لقد كانت هذه الدعوة الخلافة تشق طريقها فى أجواء العالم الاسلامى و تغزو العواطف و المشاعر، فقد آمن بها المسلمون كقاعدة اساسية لتطورهم

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۱۹

الاجتماعى، و انقاذهم من جور الامويين و ظلمهم و استبدادهم.

لقد قامت الدعوة الى العلويين على هذا الاساس من الوعى الدينى و الوعى الاجتماعى، و مما يؤكد ذلك ان القاسم بن مجاشع احد قادة الدولة العباسية بعث بوصيته الى المهدى ليشهد فيها، و قد جاء فى بنودها:

«شهد اللّه ان لا إله الا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط، لا إله الا هو العزيز الحكيم، ان الدين عند اللّه الاسلام، يشهد بذلك، و يشهد ان محمدا عبده و رسوله، و ان على بن أبى طالب (ع) وصى رسول اللّه (ص) و وارث الامامة من بعده».

فلما قرأ المهدى الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده، و نظر إليه نظرة غضب فقال له القاسم: أ ليس على هذا كان خروجنا على بنى أمية؟ فأجابه المهدى بأنهم قد عدلوا عن ذلك بعد أن استتب لهم الأمر وصفا لهم الملك.

و هذه البادرة تدل بوضوح على ان الدعوة كان من صميمها التبشير بأن الامام امير المؤمنين (ع) وصى رسول اللّه (ص) و خليفته من بعده على أمته، و انه مع اعلام ذريته ورثة علم النبى (ص) و سفن نجاة هذه الأمة، فلا بد ان تكون قيادة الامة لهم، و ان ترجع لهم السلطة العليا فى الاسلام.

۳- الاضطراب العام:

و شاع الاضطراب و انتشرت الفتن فى جميع انحاء العالم الاسلامى فقد ساد عليه الخوف و الفزع من الحكم القائم، و قد وصف الشاعر الشهير الحارث ابن عبد اللّه الجعدى الحالة الراهنة فى عموم البلاد بقوله:

أبيت ارعى النجوم مرتفقا «۱»إذا استقلت تجرى أوائلها

---

(۱) المرتفق: الواقف الثابت.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۰ من فتنة اصبحت مجللة «۱»قد عم أهل الصلاة شاملها

من بخراسان و العراق و من‌بالشام كان شجاه «۲» شاغلها

فالناس منها فى لون مظلمةدهماء مثلجة غياطلها

يمسى السفيه الذى يعنف بالجهل سواء فيه و عاقلها

و الناس فى كربة يكاد لهاتنبذ أولادها حواملها

يغدون منها فى كل مبهمةعمياء تمنى لها غوائلها

لا ينظر الناس فى عواقبهاالا التى لا يبين قائلها

كرغوة البكر او كصيحة حب-لى طرقت حولها قوابلها

فجاء فينا أزرى بوجهتهفيها خطوب حمر زلازلها «۳» و قد جاء هذا الوصف رائعا دقيقا لحالة المواطنين، فقد ألم بما منوا به من الفتن و الاضطراب. و وصف حالة المجتمع شاعر آخر و هو العباس ابن الوليد بقوله:

إنى اعيذكم باللّه من فتنمثل الجبال تسامى ثم تندفع

إن البرية قد ملت سياستكمفاستمسكوا بعمود الدين و ارتدعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكمإن الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكمفثم لا حسرة تغنى و لا جزع «۴» لقد انصبت الفتن على المجتمع كالجبال- كما يقول ابن الوليد- من جراء سياسة الأمويين التى بنيت على العسف و التنكيل بجميع المواطنين،

---

(۱) مجللة: أى شاملة

(۲) شجاه: حزنه

(۳) تأريخ الطبرى: (ج ۹ ص ۳۸).

(۴) تأريخ ابن الأثير: (ج ۵ ص ۱۰۵).

و كان من الطبيعى أن تحدث تلك الفتن انفجارا عاما لا تقف فى وجهه أى قوة فى العالم.

الثورة الكبرى:

و انتفضت جميع الشعوب الاسلامية من أقصاها الى أدناها كالمارد الجبار و هى تحطم جميع القيود و الحواجز التى وضعت عليها، و هى تهتف بسقوط الحكم الأموى، و تدعوا للرضا من آل محمد (ص) و قد عجزت السلطات المحلية عن اخماد نار الثورة التى أخذت بالتوسع و الازدياد.

و نعرض فيما يلى- بإيجاز- الى بعض فصول تلك الثورة الكبرى، و ما رافقته من أحداث.

مؤسسو الثورة:

و الشىء المحقق هو ان أول من صمم الثورة، و وضع مناهجها و أساليبها هم العلويون، و ذلك لما عانوه من ظلم الأمويين و جورهم، فانطلقوا يعملون جميع الوسائل لقلب الحكم الأموى، و ليس للعباسيين فى بداية الأمر أى ضلع فى ذلك، فقد كانوا بمعزل عن الاشتراك فى أى عمل سياسى، و انما كانوا مسالمين للدولة، و مساندين لسياستها، و كان الأمويون يمنحونهم الهبات، و يوفرون لهم المزيد من العطاء لكسب و دهم، و اضعاف كيان العلويين، و كان المسلمون ينظرون إليهم نظرة عادية، و ذلك لعدم قيامهم بأى عمل

ايجابى كان فى صالح المجتمع الاسلامى.

و أما تبنى العباسيين للثورة فانما كان بعد ما بدا الضعف و الانهيار فى الحكم الأموى، و اطمئنوا بنجاح الثورة فانضموا الى العلويين، و قد اختلف

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۲

المؤرخون فى كيفية انضمامهم الى الثورة فذهب فريق منهم الى أن أبا هاشم ابن محمد بن الحنفية الزعيم البارز فى العلويين لما خشى سليمان بن عبد الملك أمره أخذ يستميله بالدعوة إليه فأجابه الى ذلك، و لما قدم عليه أظهر له الود، و قابله بمزيد من التبجيل و التكريم، و لكنه دبر قتله فدس له السم و هو فى طريقه الى الحميمة التى يقطن بها العباسيون، و لما شعر بدنو أجله عهد بأمره الى محمد بن على، و أفضى باسراره إليه، و عرفه بأسماء الدعاة فى الاقطار، و ذهب بعض المؤرخين الى أن أبا هاشم لم يعهد بأمره الى محمد بن على، و لكنه لما حل عنده و رأى ما فيه من ثقل حاله أخذ يستدرجه حتى أخبره بما عنده، و لما توفى عثر على الملفات التى كانت فيها أسرار الدعوة و أسماء الدعاة «۱».

و على أى حال فقد تبنى العباسيون منذ تلك اللحظة الأمر، و أخذوا يعملون على تنسيق الثورة و تنظيمها.

مركز الثورة:

و انعقدت فى يثرب الدعوة الى الثورة على الحكم الأموى، و بعد اغتيال أبى هاشم انتقلت الى الحميمة ببلقاء الشام فصارت مركز الدعوة فبها كانت توضع المخططات، و تصمم المناهج الثورية و ترسل الى الدعاة فى الكوفة التى هى الوطن الأم للدعوة العلوية، و ترسل أيضا الى الدعاة فى خراسان التى عرفت بالنصب و العداء للامويين بسبب اضطهادهم للفرس و لميلهم الى التشيع.

و قد ارسلت الدعاة الى خراسان فى زى التجار فقاموا ينشرون مساوئ الحكم الأموى، و يذكر ما حل بأهل البيت من الخطوب و النكبات، و قد

---

(۱) الامامة و السياسة ۲/ ۱۴۰- ۱۴۱

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۳

استجاب الخراسانيون للدعوة و انضموا إليها «۱» و قد وصف خراسان محمد ابن على للدعاة و أكد عليهم ببذل المزيد من النشاط فيها قائلا لهم:

«عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير، و الجلد الظاهر، و هناك صدور سليمة، و قلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، و لم تتوزعها النحل، و هم جند لهم أبدان و أجسام و مناكب و كواهل و أصوات هائلة ... و بعد فانى أتفاءل الى المشرق، و إلى مطلع سراج الدنيا و مصباح الخلق ..» «۲»

و بذل الدعاة المزيد من نشاطهم فى خراسان حتى تبلورت فيها الدعوة و قامت على سوقها عبلة الذراع مفتولة الساعد فقد تفانى الخراسانيون فى حمايتها و صيانتها، و اعتقدوا جازمين انها تقوم بحمايتهم من جور الأمويين و استغلالهم.

مؤتمر الأبواء:

و عقد الهاشميون مؤتمرا لهم فى الأبواء تداولوا فيه شئون الدعوة، و تعيين المرشح للخلافة من بينهم، و قد حضره كل من ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور، و صالح بن على، و عبد اللّه بن الحسن، و ابناه محمد و ابراهيم و محمد بن عبد اللّه بن عمرو، و غيرهم، و قام فيهم صالح بن على خطيبا فقال:

«إنكم القوم الـذين تمتـد أعين الناس إليهم فقـد جمعكم اللّه فى هـذا الموضع فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا فى الآفاق، و ادعوا اللّه، لعل اللّه أن يفتح عليكم و ينصركم ..»

---

(۱) الفخرى (ص ۱۲۲- ۱۲۳).

(۲) احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم (ص ۲۹۳- ۲۹۴).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۴

فانبرى أبو جعفر المنصور فقال:

«لأى شـىء تخدعون أنفسـكم. و اللّه لقد علمتم ما الناس أميل أعناقا و لا أسرع إجابة منهم الى هذا الفتى- و أشار بيده الى محمد بن عبد اللّه بن الحسن- ..»

فانطلقوا جميعا يؤيدون مقالته قائلين:

«صدقت، إنا لنعلم هذا» و قاموا فبايعوا محمدا، و بايعه ابراهيم الامام، و المنصور و السفاح و سائر من حضر ذلك الاجتماع «۱».

و لم يف العباسـيون بهـذه البيعـة فقـد خـانوا بعهـدهم، و نقضوا ميثـاقهم فأخـذوا يعملون بالخفـاء لانفسـهم فأفهموا الـدعاة بـذلك، و أوصوهم بالسـر و الكتمان خوفا من انتفاضة العلويين عليهم، و عدم استجابة الناس لهم إذ لم تكن لهم أى ركيزة اجتماعية، و لم يكن لهم تأريخ ناصع، فلذا أوصوا الدعاة بالكتمان، و أمروهم بأن يدعوا الناس للرضا من آل محمد.

و على أى حال فقد اتخذ العباسيون الدعوة الى العلويين شعارا لهم لينالوا ثقة الأمة، و يكسبوا ود أهل البيت و عطفهم.

انتخاب أبى مسلم:

و انتخب ابراهيم الامام عميد الأسـرة العباسية غلامه أبا مسلم الخراسانى قائدا عاما للحركة الانقلابية، و الزم الدعاة و الشيعة بطاعته فقد جاء فى كتابه الذى كتبه الى من فى الكوفة و خراسان من الشيعة «إنى قد أمرت أبا مسلم

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۲۵۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۵

بأمرى فاسمعوا له و أطيعوا، و قد أمرته على خراسان و ما غلب عليه» «۱».

و كان عمر أبى مسلم يومئذ تسعة عشر سنة حسب ما أجمع عليه المؤرخون و كان يقظا حساسا حديدى الارادة، فاتكا غادرا لم يعرف الرحمة و الرأفة و كان من أمهر السياسيين فى حياكة المؤامرات و الدسائس.

و قـد دهش الجميع لترشـيح أبى مسـلم لهـذا المنصب الخطير نظرا لحداثـة سـنه، و قلـة تجـاربه، و قـد أبى جمع من الـدعاة طـاعته، و الانصياع لأوامره الا ان ابراهيم الامام الزمهم بالسمع و الطاعة له «۲» فلم يجدوا بدا بعد ذلك من متابعته «۳».

وصية ابراهيم لأبى مسلم:

و أوصى ابراهيم الامام غلامه بهذه الوصية الحافلة بالإثم و المنكر و الخروج عن الدين فقد جاء فيها:

«يا عبد الرحمن، إنك منا أهل البيت فاحفظ وصيتى: انظر هذا الحى من اليمن، فأكرمهم و حل بين ظهرانيهم، فان اللّه لا يتم هذا الأمر الا بهم. و انظر هـذا الحى من ربيعة، فاتهمهم فى أمرهم. و انظر هذا الحى من مضـر، فانهم العدو القريب الدار. فاقتل من شـككت فى أمره و من وقع فى نفسك منه شىء. و إن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم

(۱) الطبرى احداث سنة ۱۲۸ ه-

(۲) تأريخ ابن الأثير ۴/ ۲۹۵

(۳) لقد قتل أبو مسلم جميع من عارض فى اختياره حسب ما نص عليه المؤرخون.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۶

بالعربية فافعل. فأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاقتله ..» «۱».

و ان صحت هذه الوصية فانها تدل على أن الرجل لا عهد له بالمثل الانسانية، و لا علاقة له بالاسلام الذى احتاط بالدماء و حرم سفكها بغير حق.

لقد أخذ أبو مسلم بوصية ابراهيم فأسرف فى اراقة الدماء، و انتهاك الحرمات، فقتل ستمائة الف عربى بالسيف صبرا عدا من قتل فى الحرب- حسب ما نص عليه المؤرخون- فأشاع الحزن و الحداد و الثكل فى بلاد المسلمين، و هو أمر لا يقدم عليه من كانت له أى نزعة دينية أو انسانية

فى خراسان:

و بعد أن تم ترشيح أبى مسلم زعيما للقيادة العسكرية من بنى العباس توجه من فوره الى خراسان ليقود المناضلين الى ساحة الحرب للاجهاز على الحكم الأموى، و حين وصوله التقى بالدعاة و الزعماء فخطب فيهم قائلا:

«اشعروا قلوبكم الجرأة فانها من أسباب الظفر، و اكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام، و الزموا الطاعة فانها حصن المحارب ...» «۲».

و أخذ ينظم الحركة تنظيما رائعا دقيقا، يصور للناس فساد الحكم الأموى و ما يسومهم به من الظلم و الارهاق، و انه سوف ينشر العدل و الدعة و الرفاهية فيما بينهم حتى استجابت له القلوب و رحبت به جماهير الخراسانيين و التفوا حوله، و بذلك فقد تكونت النواة الأولى لجيوش بنى العباس.

(۱) تأريخ ابن الأثير ۴/ ۲۹۵

(۲) العقد الفريد ۱/ ۱۵۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۷

و الشىء الوحيد الذى استطاع أن يحرز به أبو مسلم النصر، و يتغلب به على الاحداث هو استغلاله للعصبية القبلية فى خراسان فقد كان اليمانيون مع خلاف مع المضريين، و اخذ أبو مسلم يغذى هذه الظاهرة العدائية، و يوقدها. فكلما أوشك شملهم ان يجتمع على حربه أوغر صدور طائفة على الأخرى، و أثار الموتور بطلب الثأر من واتره، و بذلك فقد شغلهم عن مناجزته حتى تم له الأمر.

مع نصر بن سيار:

و لما رأى نصر بن سيار قوة أبى مسلم، و استحكام نفوذه أرسل الى العاهل الأموى مروان رسالة يستنهضه فيها الى مساعدته، و يستمد منه العون قبل أن تحترق حكومته بنار الثورة، و كتب فى رسالته هذه الأبيات الحماسية:

أرى خلل الرماد وميض نارو يوشك أن يكون لها ضرام

فان النار بالعيدان تذكىو ان الحرب أولها كلام

فان لم يطفئها عقلاء قوميكون وقودها جثث و هام

أقول من التعجب: ليت شعرىأ أيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نيامافقل قوموا فقد حان القيام و عجز مروان عن اجابته فكتب إليه يخبره بضعفه، و عجزه عن اخماد تلك النار بقوله: «يرى الشاهد ما لا يراه الغائب».

و لما يئس نصر من نجدته استنجد بوالى العراق يزيد بن عمرو بن هبيرة، و كتب إليه رسالة، و ختمها بهذه الابيات:

أبلغ يزيد و خير القول أصدقهو قد تبينت أن لا خير فى الكذب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۸ بأن أرض خراسان رأيت بهابيضا اذا أفرخت حدثت بالعجب

فراخ عامين إلا انها كبرتو لم يطرن و قد سربلن بالزغب

فان يطرن و لم يحتل لهن بهايلهبن نيران حرب أيما لهب فقال يزيد لحامل الرسالة: «قل لصاحبك: لا غلبة الا بكثرة، فليس له عندى رجل) «۱».

و فكر نصر فى الخروج من الأزمة، فأرسل الى كل من الكرمانى و شيبان الخارجى هذه الابيات يقول:

ابلغ ربيعة فى مرو، و من يمنان اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب

و لينصبوا الحرب إن القوم قد نصبواحربا، يحرق فى حافاتها الحطب

ما بالكم تنشبون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم عيب

و تتركون عدوا قد أحاط بكممن تجمع لا دين و لا حسب

لا عرب مثلكم فى الناس نعرفهمو لا صريح موال، ان هم نسبوا

قوم يقولون قولا ما سمعت بهعن النبى و لا جاءت به الكتب

من كان يسألنى عن أصل دينهمفان دينهم أن يقتل العرب «۲» و لم تجد محاولات نصر فى التغلب على الأحداث فقد أخذت الثورة تتسع، و حواضر خراسان تسقط واحدة اثر أخرى، و كان أبو مسلم يطرب من النصر الذى أحرزه و ينشد:

أدركت بالحزم و الكتمان ما عجزتعنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا

ما زلت أسعى بجهدى فى دمائهمو القوم فى غفلة بالشام قد رقدوا

---

(۱) تاريخ ابن الأثير ۴/ ۳۰۵

(۲) تأريخ ابن الأثير ۴/ ۳۰۴

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۲۹ حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوامن نومة لم ينمها قبلهم أحد

و من رعى غنما فى أرض مسبعةو نام عنها تولى رعيها الاسد «۱» و انبرت جيوش أبى مسلم تحتل المدن و الحصون، و تلحق بالعدو الخسائر الفادحة فى الارواح و الاموال، و لم يستطع نصر الوقوف أمام تلك القوى الهائلة فانهزم راكبا جواده، و سلك المفازة بين الرى و همذان فمات فى مجاهلها كمدا «۲».

و احتل أبو مسلم خراسان، و ما والاها من المدن و القرى، و اتجه بعد ذلك الى تحرير العراق، و سارت جيوشه كالموج تخفق عليها الرايات السود التى هى شعار بنى العباس، فقامت باحتلال العراق من دون أن تلقى أى مقاومة، و قد برزت بذلك حكومة بنى العباس على يدى أبى مسلم.

اما الحديث عن سقوط الدولة الاموية، و مقتل عاهلها مروان و ما لاقاه الامويون من صنوف الجهد و التنكيل من بنى العباس فسوف نتحدث عنه عند البحث عن عهد السفاح.

ان الحديث عن العوامل التى أدت الى سقوط الدولة الاموية أمر تقتضيه ضرورة البحث عن حياة الامام موسى (ع) فقد قطع شوطا من حياته، و هو يسمع بتلك الازمات الاجتماعية التى غيرت مجرى الحياة العامة فقد بلغ عمره الشريف حين سقوط الدولة الاموية احدى عشر سنة و هو دور يسمح لصاحبه أن ينقل الى دخائل نفسه كثيرا من المشاهدات و الصور التى تمر عليه. و قد رأى انحراف الثورة عن مجراها فقد كان باعثها ارجاع

---

(۱) وفيات الاعيان ۱/ ۲۸۲

(۲) مروج الذهب ۲/ ۲۰۴

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۰

الحكم لأهل البيت (ع) حتى تنعم الأمة بالعدل و الرفاهية و الدعة و الاستقرار و لكنها مع الاسف قد حملت الخلافة الى بنى العباس، و إذا بهم يمعنون فى قتل العلويين و مطاردتهم، و التنكيل بهم، و إذا ببيوت العلويين يعمها الأسى و الثكل و الحداد، و من الطبيعى ان لذلك أثرا بالغا فى نفس الامام موسى (ع) فقد اترعت نفسه بالاسى الشديد و الحزن العميق.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۱

فى عهد السّفاح

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۳

[البيعة لأبى العباس السفاح]

اشارة

و استقبلت الكوفة بيعة أبى العباس السفاح بكثير من الوجوم و القلق و الاضطراب لان الدولة الاموية لا تزال قائمة، و هى تسيطر على أغلب الاقاليم الاسلامية، و العاهل الأموى مروان معسكر على نهر الزاب فى جيش ضخم يزيد على مائة الف من فرسان الجزيرة و الشام و الموصل، و ليس مع الخليفة العباسى سوى خراسان و اطرافها، و الكوفة و لم تدخل البصرة و لا واسط فى اطار البيعة ... مضافا الى أن الدعوة للخلافة انما كانت للرضا من آل محمد، و لم يرد ذكر لبنى العباس، فان الجماهير انما خاضت التيارات النضالية من أجل العلويين الذين هم الركيزة الاولى للعدل الاجتماعى، و ضمان مصالح الأمة.

و لم يدر فى خلد احد ان الخلافة تؤول الى بنى العباس لأن النفوس كانت مترعة بالشكوك و الريبة منهم، فان منهم من عرف بالغدر و الخيانة للامة فى أدق ظروفها، و أحرج ساعاتها، كعبيد اللّه بن العباس الذى خان اللّه و رسوله بانضمامه الى معسكر معاوية فى غلس الليل البهيم بعد أن قبض الرشوة، و ترك سبط النبى (ص) .. و مما زاد فى ارتياب المسلمين منهم انهم كانوا مسالمين للحكم الاموى فى جميع فتراته، و لم يقوموا بأى عمل ايجابى فى مناهضة جور الامويين و ظلمهم.

و على أى حال فقد استقبلت الكوفة- فى يوم الجمعة ۱۲ ربيع الاول سنة ۱۳۲ ه- موكب أبى العباس السفاح و هو متجه الى الجامع، و بعد اداء فريضة الصلاة ارتقى ابو العباس أعواد المنبر، و كان موعوكا فخطب الناس خطبة رائعة بليغة اثنى فيها على بنى العباس، و قد جاء فيها:

«يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا، و منزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، و لم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم، حتى

أدركتم زماننا، و أتاكم اللّه بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، و اكرمهم علينا و قد زدتكم فی

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۳۳۴

أعطياتكم مائة درهم فأنا السفاح المبيح، و الثائر المنيح ...» «۱».

و انبری من بعده عمه داود بن علی فخطب فی الناس خطابا بليغا أثنی فيه علی بنی العباس و ذم فيه بنی أمية، و جاء فيه:

«أيها الناس: إنا و اللّه ما خرجنا فی طلب هذا الامر لنكثر لجينا و لا عقيانا «۲» و لا نحفر نهرا، و لا نبنی قصرا، و إنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبنی عمنا، و ما كرهنا من أموركم، فلقد كانت أموركم ترمضنا «۳» و نحن علی فرشنا. و يشتد علينا سوء سيرة بنی أمية فيكم و استنزالهم «۴» لكم و استئثارهم بفيئكم و صدقاتكم و مغانمكم عليهم، لكم ذمة اللّه تبارك و تعالی و ذمة رسوله (ص) و ذمة العباس رحمه اللّه علينا أن نحكم فيكم بما انزل اللّه، و نعمل فيكم بكتاب اللّه، و نسير فی العامة و الخاصة بسيرة رسول اللّه (ص) ...».

و أخذ يمنی أهل الكوفة بالصلة و العطاء، و يكيل لهم الوعود، و قد اشرأبت إليه الاعناق، و اصغت إليه الاسماع، و هو يؤكد لهم ان الدولة الجديدة ستحقق لهم العدل السياسی و العدل الاجتماعی، و تسير فيهم بسياسة قوامها الحق المحض .. ثم نزل ابو العباس عن المنبر و معه عمه داود بن علی حتی دخل قصر الامارة، و بقی أبو جعفر المنصور فی المسجد يأخذ البيعة فيه علی الناس، فلم يزل يأخذها عليهم حتی صلی بهم العصر ثم المغرب و العشاء الی ساعة متأخرة من الليل «۵».

---

(۱) فی الطبری «و الثائر المبير».

(۲) اللجين: الفضة، العقيان: الذهب الخالص

(۳) ترمضنا: أی تحرقنا

(۴) فی الطبری «و استذلالهم»

(۵) تأريخ ابن الاثير ۴/ ۳۲۵

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۳۳۵

و لم يطل أبو العباس الاقامة فی الكوفة التی هی مقر العلويين فخرج منها و أقام بمعسكر أبی سلمة الخلال- فی حمام أعين-، و بعدها أخذ فی بناء (الهاشمية) لتكون عاصمة لدولته.

وقعة الزاب:

و حينما تولی ابو العباس السفاح منصب الخلافة ارسل قواته المسلحة بقيادة محمد بن عبد اللّه بن علی لقتال العاهل الاموی مروان الحمار، و سار عبد اللّه يطوی البيداء بجيشه الضخم، فالتقی بجيش العدو بالزاب قرب الموصل، و كانت رايات بنی العباس تحملها الرجال علی الجمال البخت «۱» و قد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف و الغرب، فلما رآها مروان ذهل و قال لمن حوله:

«أ ما ترون رماحهم كأنها النخل غلظا!! أ ما ترون أعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع الغمام السود!!».

و بينما هو ينظر إليها، و قد طار قلبه رعبا و فزعا اذ نفرت قطع كبيرة من الغربان السود، فنزلت علی اول عسكر عبد اللّه بن علی فاتصل سوادها بسواد تلك الرايات فصارت كالليل البهيم، فازداد فزع مروان و انبری يقول:

«أ ما ترون الی السواد قد اتصل بالسواد حتی صار الكل كالسحب السود المتكاثفة!!».

و أقبل مروان علی رجل الی جانبه فقال له: بنبرات تقطر فزعا و خوفا- أ لا تعرفنی من صاحب جيشهم؟».

---

(۱) البخت: نوع من الأبل الواحد بختى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۶

- عبد اللّه بن على بن العباس بن عبد المطلب.

- ويحك أمن ولد العباس هو؟

- نعم- و اللّه لوددت أن على بن أبى طالب مكانه فى هذا الصف.

لقد ايقن مروان بالمصير المحتوم، و تمنى أن يكون الفاتح الامام امير المؤمنين (ع) ليقابلهم بالعفو و الاحسان، و يصفح عنهم، و لم يفهم الرجل مقالة مروان، و دار فى خلده أنه يتهم الامام بالجبن فانبرى إليه قائلا:

- أ تقول هذا لعلى مع شجاعته؟

- ويحك ان عليا مع شجاعته صاحب دين، و ان الدين غير الملك، و إنا نروى عن قديمنا أنه لا شىء لعلى و لا ولده فى هذا» «۱».

و اندلعت نار الحرب بين الفريقين، و ما عتمت جيوش الامويين ان تحطمت شر تحطيم، فانهزم مروان و ولى منكسرا مع بعض فلول جيشه حتى أتى الموصل فمنعه أهلها من الدخول إليها خوفا من نقمة الجيش العباسى المنتصر و ولى منهزما نحو حران، و لكنه لم يستطع البقاء فيها فانحدر نحو مدينة حمص و الجيش العباسى يلاحقه، و التحق بدمشق فأراد و إليها نصرته الا انه لم يستطع لضيق الوقت، فقد زحف العدو وراءه، فتوجه الى الاردن فوجدها قد رفعت اعلام بنى العباس فحاد عنها، و نزل فى فلسطين، و علم مروان ان دمشق قد سقطت بأيدى العباسيين فاستولى عليه الرعب، فترك مقامه فى فلسطين و اتجه الى مصر فنزل فى قرية (بوصير) و أقام فى كنيسة كانت فيها فأدركته كتائب صالح بن على فى ليلة مظلمة، و دارت بين الفريقين معركة دامية قتل فيها مروان و انبرى إليه شخص من أهل الكوفة فاحتز رأسه

---

(۱) شرح ابن أبى الحديد (۷/ ۱۳۴).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۷

و استخرج لسانه فجاءت هرة فاختطفته منه «۱».

و انتهت بذلك الدولة الأموية التى حكمت بالظلم و الجور، و عاثت فسادا فى الارض، فاتخذت مال اللّه دولا، و عباد اللّه خولا، و قد انتقم اللّه منهم أمرّ الانتقام و أشده فجعل ملكهم هباء و نصرهم جفاء، و كتب لهم الخزى و العار على ممر العصور الصاعدة.

و حمل رأس مروان الى أبى العباس السفاح فلما رآه سجد و أطال السجود ثم رفع رأسه، و قال:

«الحمد للّه الذى لم يبق ثأرنا قبلك و قبل رهطك، الحمد للّه الذى أظفرنا بك، و أظهرنا عليك. ما أبالى متى طرقنى الموت، و قد قتلت بالحسين (ع) ألفا من بنى أمية، و أحرقت شلو هشام بابن عمى زيد كما أحرقوا شلوه. ثم تمثل:

لو يشربون دمى لم يرو شاربهمو لا دماؤهم جمعا ترويني و حول وجهه الى القبلة فسجد ثانية و تمثل:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفتقواطع فى ايماننا تقطر الدما

اذا خالطت هام الرجال تركتهاكبيض نعام فى الثرى قد تحطما و التفت الى حضار مجلسه فقال لهم: اما مروان فقتلناه بأخى ابراهيم و قتلنا سائر بنى أمية بحسين، و من قتل معه، و بعده من بنى عمنا أبى طالب «۲»، و قد رسخ بذلك ملك بنى العباس و أصبح السفاح ملكا على المسلمين فى جميع أقطارهم.

---

(۱) مختصر أخبار الخلفاء.

(۲) شرح ابن أبى الحديد (۷/ ۱۳۱).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۸

هرب الأمويين:

و لما انهارت الدولة الأموية فزع الأمويون، و امتلأت قلوبهم بالذعر و الهلع فهام بعضهم على وجهه فى البيداء، و من الهاربين عبد اللّه و عبيد اللّه ابنا مروان، و معهما لمة من نسائهم و اصحابهم، فوافوا بلاد «النوبة» فأكرمهم عظيمها، و أرادوا اللجوء الى بلاده فأبى خوفا من سلطة العباسيين، فخرجوا خائفين حتى انتهوا الى «بجاوة» فقاتلهم عظيمها، و انصرفوا يريدون اليمن و قد اترعت نفوسهم بالجزع و الذعر فعرض لهم طريقان بينهما جبل فسلك كل واحد منهما فى طريق و هما يعتقدان انهما يلتقيان بعد ساعة.

فسارا تمام اليوم فلم يلتقيا، و راما الرجوع فلم يمكنهما ذلك، فسارا أياما فلقى عبيد اللّه (منسرا) من مناسر الحبشة فقاتلهم و أخيرا قتل عبيد اللّه و استأسر أصحابه و نهب الحبشيون جميع ما عندهم من الأمتعة و تركوهم عراة حفاة حتى هلكوا من العطش فكان الرجل منهم يبول فى يده و يشربه و يبول و يعجن به الرمل و يأكله حتى لحقوا عبد اللّه بن مروان و قد ناله من العناء و الشدة اكثر مما نالهم و معه عدة من حرمه و هن عراة حفاة قد تقطعت أقدامهن من المشى و شربن البول حتى تقطعت شفاههن و قد وافوا (المندب) فأقاموا به شهرا و جمع الناس لهم شيئا ثم خرجوا يريدون مكة و هم فى زى الحمالين «۱».

لقد صب اللّه عليهم هذا العذاب الشديد و الخوف المرهق فجعلهم من أعظم العظات و العبر لأعداء الشعوب.

---

(۱) اليعقوبى: (ج ۳ ص ۸۴- ۸۵)، العقد الفريد: (ج ۳ ص ۱۹۸- ۱۹۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۳۹

الإبادة الشاملة:

اشارة

و اخذت الحكومة العباسية تطارد الأمويين و تستأصل شأفتهم بغير هوادة و لا رحمة فأشاعت فيهم القتل و أبادتهم تحت كل حجر و مدر، و فيما يلى بعض ما لاقوه من الابادة و التنكيل:

۱- فى البصرة:

و قام سليمان بن على فى البصرة بقتل الأمويين و التنكيل بهم، فأعدم منهم جماعة ثم أمر بهم فجروا بأرجلهم و القوا فى الطرق حتى أكلتهم الكلاب، و قد اختفى كثير منهم كعمر بن معاوية فقد بقى وقتا طويلا خائفا متسترا حتى صافت به الارض فالتجأ الى سليمان بن على فوقف على رأسه و هو لا يعرفه فقال له و قد بدت عليه الذلة و الانكسار:

- لفظتنى البلاد إليك. و دلنى فضلك عليك، فاما قتلتنى فاسترحت و إما رددتنى سالما فأمنت.

- من أنت؟

فعرفه بنفسه فرق له و قال له:

- مرحبا بك، ما حاجتك؟

- إن الحرم اللواتى أنت أولى الناس بهن، و أقربهم إليهن قد خفن لخوفنا.

- حقن اللّه دمك و وفر مالك.

ثم آمنه و كتب بذلك الى السفاح فأقرّ أمنه «۱».

---

(۱) الكامل: (ج ۵ ص ۲۰۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۰

۲- فى مكة و المدينة:

و قتل داود بن على جماعة منهم بمكة و المدينة، و قد انشده ابراهيم بن هرمة أبياتا يحفزه فيها على الاستمرار فى تتبعهم و القضاء عليهم قائلا:

فلا عفا اللّه عن مروان مظلمةو لا أميهٔ بئس المجلس البادى

كانوا كعاد فأمسى اللّه أهلكهمبمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبنى من هاشم أحدفيما أقول و لو أكثرت تعدادى «۱» و قد تأسف الشيخ محمد الخضرى على ما صنعه بهم داود بن على فقال:

«حتى لم يبق منهم احدا ارضاء لشهوة الانتقام التى تمسكت فى قلوب بنى العباس و لم تخجلهم تلك الوحشية القاسية ..» «۲».

لقد تأسف الخضرى على مقتل الأمويين و لم يأسف على ما فعلوه بعترة النبى الأعظم من القتل و السبى، و بما انزلوه بأحرار المسلمين من التنكيل و الارهاق و التعذيب و غير ذلك من الفضائع و الفضائح، و كان من المحتم ان يلاقوا ذلك، فقد كتب اللّه على الظالمين اللعنة و الخزى، و أجرى فى قضائه انه لا بد أن يلاقوا مصيرهم الحافل بالخسران و سوء المصير، و لكن الخضرى لا ينظر الى الواقع إلا بمنظار أسود، قد أكلت العصبية قلبه، فهام بحب اسياده الأمويين فبكى لحالهم و تألم على مصيرهم.

۳- فى الحيرة:

و لما استتب الأمر الى أبى العباس أخذ يتتبع الأمويين فلم يظفر بأحد منهم حتى نفذ فيه حكم الاعدام لأجل تدعيم ملكه و سلطانه، و إرضاء لأبناء عمومته العلويين، و رعاية لعواطف اكثر المواطنين الذين نكبتهم السلطة

---

(۱) مختصر تأريخ الخلفاء (ص ۴).

(۲) المحاضرات: (ص ۴۹).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۱

الأموية، و قد استأمنه سليمان بن هشام بن عبد الملك فآمنه فدخل عليه فى الحيرة و معه جماعة من الأمويين، و بينما هم جلوس إذ دخل عليه حاجبه فقال له:

«يا أمير المؤمنين: رجل حجازى أسود، راكب على نجيب متلثم يستأذن و لا يخبر باسمه، و يحلف أن لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك!!»- هذا مولاى سديف فليدخل.

فدخل سديف، فلما رأى السفاح و حوله بنو أمية قد جلسوا على النمارق و الكراسى تحرق قلبه من الغيظ و انبرى مستأذنا منه ليتلو عليه أبياته الحماسية فأذن له فاندفع قائلا و هو مغيظ محنق:

أصبح الملك ثابت الأساسبالبهاليل من بنى العباس

بالصدور المقدمين قديماو الرءوس القماقم الرّواس

يا أمير المطهرين من الذم و يارأس منتهى كل رأس

أنت مهدى هاشم و هداهاكم أناس رجوك بعد إياس

لا تقيلن عبد شمس عثاراو اقطعن كل رقلة و غراس

انزلوها بحيث أنزلها اللّهبدار الهوان و الاتعاس

خوفهم أظهر التودد منهمو بهم منكم كحر المواسى

و اذكروا مصرع الحسين و زيداو قتيلا بجانب المهراس

و الامام الذى بحران أمسىرهن قبر ذى غربة و تناسى و ألهبت هذه الأبيات قلب السفاح فأخذ الغيظ منه مأخذا عظيما حتى بان على سحنات وجهه فشعر بذلك بعض الأمويين فانطلق يقول:

«قتلنا و اللّه العبد» و أخذ السفاح يتحرق قلبه غيظا و موجدة، و صاح بالخراسانيين:

خذوهم، فانبرى إليهم الخراسانيون بالدبابيس فضربوهم ضربا بالغا حتى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۲

سقطوا على وجوههم، و أمر السفاح ان يمد عليهم خوان الطعام، ففرش عليهم الخوان، و وضع عليهم الطعام، و جلس السفاح مع حاشيته يتناولون الغذاء و هم يسمعون أنينهم حتى هلكوا عن آخرهم و بدى الفرح على وجه السفاح فقال:

- ما أكلت فى عمرى أكلة أهنأ من هذه الأكلة ..».

ثم رفع الطعام عنهم، و سحبت جثثهم فرميت بالطرق فأكلت الكلاب أكثرها «۱» و أطل عليهم سديف و هو مثلوج القلب ناعم الفكر فانبرى قائلا:

طمعت أميّة أن سيرضى هاشمعنها و يذهب زيدها و حسينها

كلاـو رب محمد و إلههحتى يبيد كفورها و خئونها «۲» و لما فرغ السفاح من قتل الأمويين، و محاهم من دنيا الوجود اندفع و هو جذلان مبتهج يقول:

بنى أميّة قد أفنيت جمعكمفكيف لى منكم بالأول الماضى

يطيّب النفس ان النار تجمعكمعوضتم من لظاها شر معتاض

منيتم لا أقال اللّه عثرتكمبليث غاب الى الأعداء نهاض

إن كان غيظى لفوت منكم فلقدمنيت منكم بما ربى به راضى و هكذا كانت نهاية الظالمين و اعداء الشعوب القتل و الدمار و الخزى و العار

نبش قبور الأمويين:

و تتبع العباسيون خصومهم الأمويين أحياء فأبادوهم- كما ذكرنا- و انعطفوا على أمواتهم فنبشوا قبورهم، و أحرقوا ما تبقى من عظامهم النخرة و جرى ذلك بعد ما احتلت الجيوش العباسية دمشق فأمر عبد اللّه بن على القائد العام للقوات

---

(۱) مختصر أخبار الخلفاء: (ص ۱۰).

(۲) العقد الفريد: (ج ۳ ص ۲۰۷).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۳

المسلحة بنبش قبورهم فنبشوا قبر الطاغية معاوية بن أبى سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطا مثل الرماد، و نبشوا قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا فيه جمجمة و نبشوا قبر يزيد بن معاوية فوجدوا فيه حطاما كأنه الرماد، و أخرج جسد هشام بن عبد الملك فضرب بالسياط، و صلب ثم أحرق و ذر فى الهواء «۱» الى هنا ينتهى بنا الحديث عن الأمويين و ما جرى عليهم من الاندحار و الدمار

السفاح و العلويون:

و لم يكن من المتوقع عند احد ان يفوز العباسيون بالخلافة لأن الثورة الكبرى التى اطاحت بالحكم الاموى انما كانت من اجل العلويين، فقد كانت هتافات المتظاهرين بالدعوة «الى الرضا من آل محمد» و كانت هذه الدعوة شعار الثوار الذين بذلوا المزيد من التضحيات فى سبيلها، و كان العباسيون أنفسهم لا يحلمون بذلك فقد بايع السفاح و أخوه المنصور محمدا ذا النفس الزكية، و لكن الاقدار قد حولت الأمر عن العلويين، و حملته الى العباسيين.

و لما صفا الملك لأبى العباس جهد فى ارضاء العلويين فمنحهم بالعطاء الجزيل، و قابلهم بشتى الوان التبجيل و التكريم، و قضى على خصومهم الامويين، و كانت العلاقة فيما بينهما ظاهرا علاقة ود و صفاء، و اما فى الواقع فان العلويين قد انطوت نفوسهم على الحزن العميق، و الأسى الشديد و ذلك لمكيدة العباسيين بهم و استئثارهم بالخلافة من دون ان يأخذوا رأيهم فى الأمر.

و على أى حال فان العلويين قد وفدوا على أبى العباس و هو فى الانبار

---

(۱) الكامل: (ج ۵ ص ۲۰۵).

يهنئونه بالخلافة، و لم يفد عليه محمد و ابراهيم فرابه ذلك، و التفت الى ابيهما عبد اللّه فقال له:

- ما منعهما أن يفدا مع من وفد على من أهل بيتهما؟

- ما كان تخلفهما لشىء يكرهه أمير المؤمنين.

فقبل السفاح العذر على مضض و كره، و مما زاد فى قلق السفاح و اضطرابه من محمد و أخيه أنه لما بنى مدينة الانبار التى اتخذها عاصمة له دخلها مع أخيه أبى جعفر، و عبد اللّه بن الحسن، و هو يسير بينهما، و يطلعهما على ما فى المدينة من المصانع و القصور فظهرت من عبد اللّه فلتة فجعل يتمثل بهذين البيتين:

أ لم تر جوشنا قد صار يبنىقصورا نفعها لبنى نفيلة «۱»

يؤمل أن يعمر عمر نوحو أمر اللّه يحدث كل ليلة «۲» فتغير وجه أبى العباس، فالتفت ابو جعفر المنصور الى عبد اللّه فقال له:

- أ تراهما ابنيك و الأمر صائر إليهما لا محالة؟

- لا و اللّه ما ذهبت، و لا أردته، و لا كانت الا كلمة جرت على لسانى لم الق لها بالا.

و قد أوحشت هذه الكلمات قلب السفاح فلما عزم العلويون على الخروج الى يثرب اجزل لهم العطاء و بعث معهم رجلا من ثقاته فقال له: قم بانزالهم و لا تأل فى الطافهم، و كلما خلوت معهم فاظهر الميل إليهم، و التحامل علينا، و على ناحيتنا، و انهم احق بهذا الأمر منا، و احص لى ما يقولون و ما يكون منهم فى مسيرهم و مقدمهم.

---

(۱) فى زهر الآداب «أ لم تر حوشبا لما تبنى»

(۲) فى المقاتل «ان يعمر الف عام»

و حينما وصل عبد اللّه الى يثرب اجتمع به ولده، و سألوه عن كل صغيرة و كبيرة فأخذ يشرح لهم الحالة، و حفزهم على الثورة، و كان ذلك الرجل حاضرا فحفظ جميع ما دار بينهم فلما عاد الى ابى العباس اطلعه على جميع ما شاهده من بنى الحسن فوغر صدره عليهم، و اشتد غضب المنصور عليهم.

و أخذ الذين يتزلفون الى السلطة يختلقون السعايات و يفتعلون الوشايات بأن العلويين يدعون الناس الى خلع بيعة السفاح، فضاق السفاح بذلك ذرعا، و كتب الى عبد اللّه كتابا شفعه بهذا البيت:

أريد حياته و يريد قتلىعذيرك من خليلك من مراد فأجابه عبد اللّه برسالة فند فيها تلك المزاعم، و كتب فى آخرها هذه الأبيات:

و كيف يريد ذاك و أنت منهبمنزلة النياط من الفؤاد

و كيف يريد ذاك و أنت منهو زندك حين يقدح من زناد

و كيف يريد ذاك و أنت منهو أنت لهاشم رأس و هاد «۱» و اطمأن بذلك ابو العباس، و سكن روعه الا ان أبا جعفر المنصور كان يحثه، و يدفعه الى الايقاع بمحمد و ابراهيم فزجره السفاح و قال له:

«من شدد نفر، و من لان تأسف، و التغافل من سجايا الكرام» «۲» و سلك مع العلويين مسلك السياسى المحنك فلم يقابلهم بأذى و لا مكروه، بل كان يتظاهر بالود و العطف عليهم.

---

(۱) تأريخ اليعقوبى (۳/ ۹۷).

(۲) شذرات الذهب (۱/ ۱۵۹)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۶

موقف الامام الصادق:

اشارة

و تميز موقف الامام الصادق (ع) بالحياد، و الالتجاء الى الدعة و السكون و عدم القيام بأى نشاط سياسى فانه كان يعلم باخفاقه، و عدم عائدته على الأمة بأى مكسب سوى الضرر الشامل الذى يفتك بالمجتمع و يجر له كثيرا من النكبات و الخطوب.

و قد أصر الامام على هذه الخطة السليمة فى موقفه مع العلويين تارة و مع دعاة الدولة العباسية أخرى، و فيما يلى إيضاح ذلك:

۱- مع العلويين:

و استشف الامام الصادق (ع) من وراء الغيب أن الخلافة بعد سقوط الدولة الاموية لا بد أن تؤول الى العباسيين، و ليس للعلويين فيها أى نصيب و كان يمعن فى نصحهم، و تحذيرهم من التصدى لطلب الحكم، و قد روى المؤرخون بوادر كثيرة مما أثر عنه فى هذا المجال، فقد رووا أن العلويين و العباسيين أيام الحكم الاموى اجتمعوا و اتفقوا على أن يبايعوا محمدا ذا النفس الزكية، فأرسلوا خلف الامام الصادق (ع) و عرضوا عليه ذلك فنهاهم عنه، و قال لهم:

«لا تفعلوا فان الأمر لم يأت بعد».

فغضب عبد اللّه بن الحسن و حسب ان ذلك حسد لابنه، فنظر إليه الامام نظرة رحمة و اشفاق و قال له:

«لا و اللّه، ما ذاك يحملنى، و لكن هذا- و أشار الى أبى العباس السفاح- و اخوته و ابناؤهم دونكم».

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۷

و نهض الامام متأثرا، فتبعه عبد الصمد، و أبو جعفر المنصور فقالا له:

«يا أبا عبد اللّه أ تقول ذلك»؟

«نعم و اللّه أقوله و أعلمه» «۱».

و بالغ (ع) فى نصحه لعبد اللّه فى ان يعزب عن هذا الأمر، و لا يورط نفسه و ابنيه فيه، و قد قال (ع) له:

«انها- اى الخلافة- و اللّه ما هى إليك، و لا الى ابنيك، و لكنها لهؤلاء- و أشار الى بنى العباس- و ان ابنيك لمقتولان» «۲».

ان هذا العلم، و هذا الايحاء مستمد من علم رسول اللّه (ص) فهم اوصياؤه و ورثة علمه، و سدنة حكمته، و موطن أسراره.

لقد منح (ع) ابناء عمه بالنصيحة، و أشار عليهم بما فيه نجاتهم، و أعلمهم بأنهم لن ينالوا هذا الأمر، و لو تابعوه لجنبوا نفوسهم المهالك و المصاعب، و ما فجعوا الأمة برزاياهم، و لكنهم- رضى اللّه عنهم- لهم عذرهم- فى ذلك- فقد لاقوا المزيد من الذل و الهوان من تلك السلطات المستهترة التى لم تأل جهدا فى قهرهم و ارغامهم على ما يكرهون فانطلقوا الى ساحات الجهاد أحرارا و ماتوا كراما تحت ظلال الاسنة، و سوف نعرض ذلك بمزيد من التفصيل عند البحث عن عهد الطاغية أبى جعفر المنصور.

۲- مع أبى سلمة:

و لما اشرفت الدولة الأموية على الانهيار تحت وطأة الجيوش العباسية

---

(۱) مقاتل الطالبيين: (ص ۵۵۵).

(۲) نفس المصدر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۸

و ضرباتها المتلاحقة لها، رأى أبو سلمة الذى لقب بوزير آل محمد أن يحول الخلافة الى العلويين، و سواء أ كان ذلك عن جد و اخلاص منه أم عن مكيدة و خديعة لهم، فقد كتب الى ثلاثة منهم يعرض عليهم ما فكر به، و هم: الامام جعفر بن محمد، و عبد اللّه المحض، و عمر الاشرف بن الامام زين العابدين (ع) و سلم رسائله الى مولى من مواليهم الذين يقطنون الكوفة و أوصاه بقوله:

«اقصد أولا- جعفر بن محمد الصادق (ع) فان أجاب فابطل الكتابين الآخرين، فان لم يجب فالق عبد اللّه المحض فان أجاب فابطل كتاب عمر الأشرف، و ان لم يجب فالق عمر».

و انطلق الرسول حتى اذا انتهى الى يثرب بدأ بمقابلة الامام أبى عبد اللّه الصادق (ع) فسلمه الكتاب ليلا، فتناول (ع) الكتاب بعد ما عرض عليه حديث أبى سلمة فقال (ع):

«ما أنا و أبو سلمة و هو شيعة لغيرى؟» و انبرى الرسول للامام قائلا له:

«اقرأ الكتاب، و اجب عليه بما ترى» فقال الامام لخادمه: ادن السراج منى، فأدناه فوضع الكتاب على النار حتى احترق، فقال له الرسول:

- أ لا تجيبه؟

- قد رأيت الجواب و تمثل (ع) ببيت للكميت:

فيا موقدا نارا لغيرك ضوؤها و يا حاطبا فى غير حبلك تحطب فخرج الرسول من عنده، و أتى عبد اللّه بن الحسن، و دفع إليه الكتاب فقرأه و ابتهج، فلما كان الغد من ذلك اليوم ركب عبد اللّه

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۴۹

حتى أتى منزل أبى عبد اللّه الصادق (ع) فقام (ع) تكريما له و قابله بمزيد من الحفاوة و قال له:

- يا أبا محمد ما أتى بك؟

- هو أجل من أن يوصف!!- ما هو؟

- هذا كتاب أبى سلمة يدعونى الى الخلافة، و قد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان.

فتأثر (ع) منه، و قال له:

«يا أبا محمد و متى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان، و أنت أمرتهم بلبس السواد؟ هل تعرف أحدا منهم باسمه أو بصورته؟ فكيف يكونون شيعة لك، و أنت لا تعرفهم، و هم لا يعرفونك؟».

فأخذ عبد اللّه يحاججه، و يجادله، فقطع (ع) حديثه، و قال له:

«قد علم اللّه أنى أوجب النصح على نفسى لكل مسلم، فكيف أدخره عنك، فلا تمن نفسك الأباطيل، فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء- يعنى بنى العباس- و قد جاءنى مثل هذا الكتاب الذى جاءك» «۱».

لقد كشف الامام فى حديثه المشرق صفحة من صفحات الغد المجهول فأنارها بعلمه، و لم يبق بها أى خفاء و التباس، من حتمية مصير الخلافة لبنى العباس، و عقم المعارضة لهم، و ما انتهت حفنة من السنين حتى تحقق تنبؤه و صدقه فى ذلك.

و على أى حال فقد كان رفض الامام لدعوة أبى سلمة يحمل جانبا كبيرا من الاصالة و العمق فى مجريات الأحداث، فان دعوة أبى سلمة ان

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۱۸۴، الآداب السلطانية (ص ۱۳۷).

كان جادا فيها لم تكن بداعى الايمان بحق أهل البيت، و انما كانت ناشئة عن دواع أخرى من ضياع مصالحه و آماله، و إلا فلما ذا لم يراسلهم قبل هذا الوقت الحافل بالاخطار، فان الجيوش العباسية التى زحفت الى احتلال العراق لم تكن شيعة للعلويين، و انما هى شيعة لبنى العباس قد صهرتهم دعوتهم، فكيف يستجيب الامام لدعوة أبى سلمة أو يسير فى مجاهل هذه التيارات القاتمة المحفوفة بالمهالك و الاخطار .. على أن عبد اللّه ابن الحسن قد استجاب له، فما ذا جناه منه غير الدمار الشامل له و لأسرته و لم يخف امر هذه الدعوة على بنى العباس فقد اوجبت قلقهم و اضطرابهم و تصميمهم على قتله، فقد روى المؤرخون ان ابا العباس و أبا جعفر المنصور قد اتفقا على ان يخرج المنصور الى خراسان لزيارة أبى مسلم و يحدثه فى امر ابى سلمة، و يطلب منه القيام باغتياله، فخرج المنصور حتى انتهى الى ابى مسلم فعرض عليه الأمر فقال له: «أ فعلها أبو سلمة؟ أنا أكفيكموه» ثم دعا احد قواده «مرار بن أنس الضبى»، و قال له:

«انطلق الى الكوفة فاقتل أبا سلمة حيث لقيته، و انته فى ذلك الى رأى الامام» فسار مرار مع جماعة من جنده الى الكوفة، و كان ابو سلمة يسمر عند السفاح الذى تظاهر باعلان العفو و الرضا عنه، فجلس مرار مع جماعته فى طريقه، فلما خرج ابو سلمة فى منتصف الليل بادر الى قتله، و أشاعوا فى الصباح ان الخوارج هى التى قتلته «۱» و انتهى بذلك امر ابى سلمة فى فجر مولد الدعوة العباسية.

---

(۱) الطبرى احداث سنة ۱۳۲ ه- و قتل ابو سلمة فى ۱۵ من شهر رجب و ذلك بعد هزيمة مروان بشهر واحد.

۳- مع ابى مسلم:

و لما استبان لأبى مسلم واقع العباسيين و غدرهم حاول أن ينقل الأمر الى اهل البيت (ع) فكتب الى الامام الصادق رسالة جاء فيها:

«إنى قد أظهرت الكلمة، و دعوت الناس عن موالاة بنى أمية الى موالاة اهل البيت، فان رغبت فلا مزيد عليك ..».

فكتب الامام (ع) جوابا له تمثلت فيه الحكمة و الوعى، و الادراك لحقائق الأمور، و قد جاء فيه:

«ما أنت من رجالى، و لا الزمان زمانى» «۱».

أجل كيف يكون أبو مسلم من رجال الامام أبى عبد اللّه الصادق (ع) الذى هو الثقل الأكبر فى الاسلام؟

ان اصحاب الامام و دعاته انما هم الاخيار المتحرجون فى دينهم الذين يؤثرون طاعة اللّه على كل شىء.

كيف يرضى الامام ان يتسلم السلطة من أبى مسلم الذى استحل جميع ما حرم اللّه و سفك دماء المسلمين بغير حق؟

ندم أبى مسلم:

لقد ندم أبو مسلم فى آخر الأمر على ما اقترفه من الموبقات و الآثام و عزى جميع ما فعله الى السفاح، و قد جاء ذلك فى رسالته التى رفعها الى أبى جعفر المنصور فقد جاء فيها:

«كنت اتخذت أخاك إماما، و جعلته على الدين دليلا لقرابته،

---

(۱) الملل و النحل ۱/ ۲۴۱

و الوصية التى زعم انها صارت إليه، فأوطأ بى عشوة الضلالة، و أوهقنى فى ربقة الفتنة، و أمرنى ان آخذ بالظنة، و أقتل على التهمة، و لا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمات حتم اللّه صونها، و سفكت دماء فرض اللّه حقنها، و زويت الأمر عن أهله، و وضعته منه فى غير محله، فان يعف اللّه عنى فبفضل منه، و إن يعاقب فبما كسبت يداى، و ما اللّه بظلام للعبيد ..» «۱».

لقد كشف أبو مسلم فى رسالته عن ندمه و بربرية السفاح و قسوته، و ان جميع ما فعله من سفك الدماء، و هتك الحرمات، و إذاعة الرعب، و نشر الارهاب كل ذلك مستند الى أوامر السفاح.

و ادلى ابو مسلم بتصريح آخر يقرب من ذلك رفعه الى ابى جعفر المنصور و قد جاء فيه:

«أما بعد: فانى اتخذت رجلا إماما، و دليلا على ما افترض اللّه على خلقه، و كان فى محلة العلم نازلا، و فى قرابته من رسول اللّه (ص)، قريبا فاستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد تعافاه اللّه الى خلقه، و كان كالذى ادلى بغرور، و أمرنى أن اجرد السيف، و ارفع المرحمة و لا أقبل المعذرة، و لا أقيل العثرة، ففعلت توطيدا لسلطانكم، حتى عرفكم من كان يجهلكم، و أطاعكم من كان عدوكم، و أظهركم اللّه بعد الخفاء و الذل و الحقارة ..» «۲».

و اعرب ابو مسلم بهذا التصريح الخطير عما اتصف به السفاح من الخداع و التضليل، و عدم الايمان بالقيم الانسانية.

و قد بلغ به و خز الضمير و الندم على ما ارتكبه من عظيم الإثم انه

---

(۱) تأريخ بغداد ۱۰/ ۲۰۸

(۲) البداية و النهاية ۱۰/ ۶۴

كان لا يرجو مغفرة اللّه له فكان يدعو بعرفات:

«اللهم: إنى تائب إليك مما لا أظنك ان تغفر لى» فقيل له: أ فيعظم على اللّه غفران ذنبك؟

فقال: إنى نسجت ثوب ظلم ما دامت الدولة لبنى العباس، فكم من صارخة تلقنى عند تفاقم الظلم فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه «۱».

لقد أفسد ابو مسلم أمر آخرته، و باع دينه فى سبيل توطيد الملك لبنى العباس، و قد ندم حيث لا يجديه الندم، فما كان اللّه ليتلطف بالعفو و الغفران على من اراق بحورا من دماء الابرياء بغير حق، و اشاع فى بلاد المسلمين الثكل و الحزن و الحداد.

وفاة السفاح:

و مرض السفاح مرضه الذى توفى فيه، و بقى أياما يعانى أشد الآلام و أقساها.

و لما ثقل حاله، و اشتد به المرض ارسل الى ابن أخيه عيسى بن موسى، و فى رواية الى عمه عيسى بن على، فناوله كتابا مغلقا، و كتب على غلافه: «من عبد اللّه و وليه إلى آل رسول اللّه (ص) و الأولياء و جميع المسلمين» و أوصاه بكتمان أمره اذا خرجت نفسه حتى يقرأ الكتاب على الناس، و لم يكن احد يدرى لمن اوصى بالخلافة من بعده «۲» و فى ليلة الأحد الموافق: ۱۲ ذى الحجة سنة (۱۳۶ ه-) توفى

---

(۱) الكنى و الالقاب ۲/ ۱۵۱ نقلا عن ربيع الابرار.

(۲) تأريخ اليعقوبى: ۳/ ۳۴۸

السفاح «۱» و انتقل الى اللّه فسجاه عيسى بن على بثوبه، و كتم على الناس موته، فلما اصبح الصبح جمع رجال بنى العباس، و كبار رجال الدولة فنعى إليهم السفاح، و اخرج إليهم كتاب البيعة مغلقا، ففض الكتاب أمامهم و اذا به يوصى بالخلافة لأخيه أبى جعفر، و بولاية العهد الى ابن أخيه عيسى ابن موسى بن محمد، و اخذ البيعة على الحاضرين لأبى جعفر المنصور، ثم قام بعد ذلك بمواراته فدفن فى قصره حسب وصيته «۲».

و انتهت بذلك حياة السفاح الحافلة بسفك الدماء، و هتك الحرمات، و قد ختم حياته بفرض اخيه المنصور خليفة على المسلمين، و هو من أشر خلق اللّه، و أخبث حاكم فى الاسلام لؤما و انحرافا عن العدل، فقد جهد فى فقر المسلمين و اشاعة الذعر و الخوف فى جميع انحاء العالم الاسلامى كما سنذكره بالتفصيل.

الى هنا ينتهى بنا الحديث عن الامام موسى (ع) فى عهد السفاح، فرأى و هو فى غضون الصبا و ريعة العمر محنة المجتمع الاسلامى و شقاءه بتلك الادوار الرهيبة التى اجتازت عليه فانه لم ينتقل من جور الامويين و ظلمهم حتى وقع تحت وطأة الحكم العباسى فأخذ يعانى الجور و الاستبداد، و العسف و الارهاق، و اخذت السلطة العباسية تمعن فى افقار المسلمين و نهب ثرواتهم و صرفها بسخاء على المجون و الدعارة كما كان الحال أيام الحكم الاموى، و من الطبيعى ان لذلك أثرا كبيرا فى حياة الامام موسى (ع) و انطوائها على الحزن و الأسى.

---

(۱) مروج الذهب: ۳/ ۱۸۱

(۲) ابن الأثير: ۴/ ۳۴۷

فى عهد المنصور

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۵۷

و لم تكن للمنصور ايـة سابقة من السوابق، أو مأثرة من المآثر حتى يستحق الخلافة التى هى من اعظم المراتب فى الاسـلام، فلم يكن يملك أى نزعة انسانية أو صـفة شـريفة تؤهله للقيام بشئون المسلمين، فقد اجمع المؤرخون انه تسربل باللؤم و البخل، و خسة الطبع، و دناءة النفس، و كان الغدر و الفتك من ابرز مظاهر شخصـيته، و قد ساس المسـلمين سياسة من لا يؤمن باللّه و اليوم الآخر فأشاع بينهم الخوف و الارهـاق، و سـلبهم جميع مقومـاتهم الاقتصاديـة، حتى تمنوا رجوع الحكم الامـوى، و عودة أيـامهم على مـا فيها من قسوة و عذاب، يقول احد مخضرمى الدولتين:

يا ليت جور بنى مروان دام لناو ليت عـدل بنى العباس فى النار و قال الثائر العظيم محمد ذو النفس الزكية فى حديثه الذى أدلى به عن جور العباسيين و ظلمهم:

«و لقـد كنا نقمنا على بنى أميـة ما نقمنا، فما بنو العباس الا أقل خوفا للّه منهم، و ان الحجة على بنى العباس لأوجب منها عليهم، و لقد كانت للقوم مكارم و فواضل ليست لأبى جعفر ..» «۱».

و قد افرط فى سـفك الدماء الى حد لا يوصف فقتل على الظنة و التهمة و تنكر لجميع الناس فلم تسلم منه حتى أسرته فأباد اعلامها و قطع رءوسها، و يعزى ذلك الى حقده و طيشه، و قد وصفه الاستاذ السيد مير على بقوله:

«كان المنصور خـداعا لا يتردد البتـة فى سـفك الـدماء، و تعزى قسوته الى حقده البالغ حد الافراط فى حين كان خلفه لا يفتك بأحد الا بعـد كثير من التروى و الامعان، و على الجملـة كان أبو جعفر سادرا فى بطشه مسـتهترا فى فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد على صـفحة من أسوأ صفحات التأريخ العباسى، و يقول السيوطى: كان المنصور أول من أحدث ثغرة الخلاف

---

(۱) الأغانى: ۱۰/ ۱۰۶

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۵۸

بين العباسيين و العلويين بعد ان كانا كتلة واحدة» «۱».

و وصفه ابن هبيرة «۲» و هو من معاصـريه بقوله: «ما رأيت رجلا فى حرب او سـلم أمكر، و لا أنكر، و لا اشـد تيقظا من المنصور حتى لقد حاصـرنى فى تسـعة شهور و معى فرسان العرب فجهدنا كل الجهد على أن ننال من عسكره شيئا فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره، و كثرة تيقظه» «۳».

و قد استطاع ببطشه و كيده أن يؤسس الدولة العباسية، و يسيطر على جميع اجهزة الحكم سيطرة كاملة.

و كان من أقسـى ما قام به من الظلم جوره البالغ على العلويين، و معاملتهم بما لا يوصف من العنف و الاضـطهاد فقد صب عليهم جام غضبه فنكل بهم أفظع التنكيل، و لم يرع فيهم أواصر الرحم، و قربهم من الرسول (ص) و قد شاهد الامام موسى (ع) ما حل باسرته من صنوف المحن و الارهاق، فكان لذلك أثره الكبير فى نفسه فقد صارت موطنا للآلام و الاحزان.

لقد قطع الامام موسى (ع) عقدين من سنى حياته فى دور المنصور

---

(۱) مختصر تأريخ العرب (ص ۱۸۴).

(۲) ابن هـبيرة: هو عمر بن سـعد بن عـدى الفزارى ولى العراقين ليزيـد بن عبـد الملـك ست سـنين، و كـان يكنى أبـا المثنى، و يقول الفرزدق مخاطبا لعبد الملك فى أمر ابن هبيرة:

أوليت العراق و رافديهفزاريا احذ يد القميص

تفتق بالعراق أبو المثنىو علّم قومه أكل الخبيص و المراد بقوله: «أحـذ يـد القميص» انه خفيف اليـد كناية عن خيانته الكنى و الألقاب

۱/ ۴۳۴ نقلا عن المعارف لابن قتيبة.

(۳) العصر العباسى (ص ۶۸).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۵۹

فرأى تلك السياسة النكراء التى تحمل شارات الموت و الفناء لجميع المواطنين ... و لا بد لنا من البحث عن مظاهر شخصية المنصور، و سياسته و اعماله فان البحث عن ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بحياة الامام موسى لأنه يصور لنا العصر الذى عاش فيه، و ما لاقى فيه المسلمون من جهد و عناء فان لذلك أثرا فى انطباعاته عن كثير من الاحداث، و فيما يلى عرض موجز للتعريف بشخصية المنصور:

مظاهر شخصية المنصور:

اشارة

اما الخصائص التى عرف بها المنصور، و كانت من مقوماته و ذاتياته فهى:

۱- البخل:

اشارة

و مما لا شبهة فيه ان البخل هو المنبع الوحيد لجميع الرذائل النفسية فصاحبه قد انمحت عن اعماق نفسه جميع الوان الاريحية و النبل، و قد تحمل هذه الصفة على التمادى فى الإثم، و تلقيه فى شر عظيم.

و كانت هذه النزعة الشريرة من ابرز صفات المنصور، فقد كان مضرب المثل فى بخله، و قد عرض الدولة الاسلامية للمجاعة الشاملة و البؤس و الحرمان و نظرا لبخله الشديد فقد لقب بالدوانيقى.

قال ابن الأثير: إنما سمى المنصور بالدوانيقى لبخله و ذلك لما حفر الخندق بالكوفة قسط على كل منهم دانقا و صرفه على الحفر، و الدانق سدس الدرهم، ثم قال و فى سنة ۱۵۵ ه عمل المنصور للكوفة و البصرة سورا و خندقا و أمر لمن عمل بالسور و الخندق لكل واحد خمسة دراهم، فلما

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۰

فرغوا أمر بجمعهم و أخذ من كل واحد اربعين درهما و فى ذلك يقول الشاعر

يا لقومى ما لقينامن أمير المؤمنينا

قسم الخمسة فيناو جبانا الأربعينا «۱» و لما فرغ من بناء بغداد حاسب امراء جيشه و الزمهم بما بقى عندهم حتى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهما «۲» و كان يحاسب العمال و لو كان بقدر الدانق و الحبة «۳»، و اما مظاهر بخله فهى كما يلى:

أ- حرمانه لنفسه:

و قد حمله بخله و لؤمه على حرمان نفسه من التمتع بلذائذ الحياة فكان يتحاشى النعم، و يلبس ما خشن من الثياب و ربما رقع قميصه بيده، و قد قال الامام الصادق (ع) فيه:

«الحمد للّه الذى ابتلاه بفقر نفسه فى ملكه» «۴».

و رأته احدى جواريه و عليه قميص مرقع فقالت ساخرة منه:

«أ خليفة و ثوب مرقوع؟» فضحك و قال لها: ويحك أ ما سمعت قول الشاعر بن هرمة:

قد يدرك الشرف الفتى و قميصه‌خلق و جيب قميصه مرقوع «۵» إنه لم يدرك الشرف، و انما انتهى الى قرار سحيق من الخسة و اللؤم و ضعة النفس.

---

(۱) الكامل.

(۲) الفخرى: (ص ۱۱۸).

(۳) عنوان المجد: (ص ۱۶۱).

(۴) الفخرى: (ص ۱۱۵).

(۵) تأريخ بغداد ۱/ ۵۷

ب- الشح على الأصدقاء:

و كان المنصور ضنينا بالمال على نفسه و اصدقائه فلم يجد بشىء عليهم و لم يفكر فى صلتهم، فقد كان له زميل أيام فقره و فاقته و هو الوضين بن عطاء، فاستدعاه حينما استولى على دست الحكم فلما مثل عنده أخذ يسأله عن حاله و شئونه قائلا له:

«يا أبا عبد اللّه ما مالك»؟

- الخير الذى يعرفه أمير المؤمنين.

- ما عيالك؟

- ثلاث بنات و امرأة و خادم لهن.

- اربع فى بيتك؟

- نعم.

و أخذ يردد ذلك عليه و يستفهم عن كمية عياله حتى اعتقد الوضين انه سيصله و يمنحه العطاء، ثم انه رفع رأسه إليه بعد تفكير طويل قائلا:

«أنت أيسر العرب، أربع مغازل يدرن فى بيتك!! «۱».

بهذه الكيفية المخجلة كانت نفسه الوضيعة التى تسربلت بالبخل و اللؤم فليس فيها بصيص من نور الرأفة و الرحمة.

ج- حرمان الادباء:

كانت الدولة الأموية تغدق بالأموال الطائلة على الشعراء و الأدباء حتى ازدهر الأدب و راج سوقه و كانت الأوساط الاجتماعية تنظر الى هذه الطبقة ببالغ الاهتمام نظرا لاعتناء الدولة و احتفائها بها، و لما انتهى الدور الى المنصور بالغ فى اذلالهم و تحطيمهم و حرمانهم من الصلة و الدخول عليه، فكان لا يؤذن لهم إلا بعد جهد كثير، و قد وفد عليه أبو نحيلة، فوقف بباب

---

(۱) عصر المأمون: (ج ۱ ص ۲۹۴).

بلاطه مستأذنا فلم يأذن له بالدخول و الخراسانيون و غيرهم يدخلون و يخرجون بلا عناية و هم يستهزءون به و يسخرون منه، و رآه بعض اصدقائه و هو بتلك الحالة من الذل و الهوان فقال له:

- كيف ترى ما أنت فيه من هذه الدولة؟

فانبرى مجيبا بهذه الأبيات التى ارتجلها و هو يصور ما هو فيه:

أكثر خلق اللّه بى لا يدرىمن أى خلق اللّه حين يلقى

و حلة تنشر ثم تطوىو طيلسان يشترى فيغلى

لعبد عبد او لمولى مولىيا ويح بيت المال ما ذا يلقى «۱» إن الذى دعا المنصور الى الاستهانة بهذه الطبقة المثقفة هو البخل و الشح.

و روى المؤرخون من شحه و قطيعته للشعراء: أن المؤمل بن أميل قدم على المهدى ولى عهد المنصور فمدحه بقصيدة رائعة ملكت مشاعره فأعطاه عشرين الف درهم، و رفع صاحب البريد رسالة الى المنصور يحيطه علما بالامر، فلما انتهت إليه و علم بالحال تميز غيظا و رفع من فوره رسالة الى ولده يندد فيها بفعله و قد جاء فيها «انما كان ينبغى لك أن تعطى الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم».

و كتب الى كاتب المهدى ان يبعث إليه الشاعر فورا فطلبه الكاتب فلم يظفر به، فأخبره أنه توجه الى مدينة السلام، فبعث احد ضباط جيشه مع دورية من الشرطة و أمرهم بالقاء القبض عليه فأقاموا بجسر النهروان فلا يجتاز عليهم احد الا سألوه عن اسمه، فاجتاز عليهم المؤمل فسألوه عن اسمه فأخبرهم به، فألقوا عليه القبض فكادت روحه أن تزهق من الخوف و الذعر و جاءوا به الى الربيع حاجب المنصور فانبرى الى المنصور فأخبره

---

(۱) الأغانى: (ج ۱۸ ص ۱۴۸).

بالعثور عليه، فأمر بادخاله فلما مثل بين يديه التفت إليه و هو مغيظ محنق قائلا:

- أنت المؤمل بن أميل؟

- نعم اصلح اللّه أمير المؤمنين.

- هيه، أتيت غلاما غرا فخدعته!!.

- نعم أصلح اللّه أمير المؤمنين، أتيت غلاما كريما فخدعته فانخدع فهدأت ثورة المنصور و سكن غضبه، ثم امره بأن يتلو عليه قصيدته فانبرى منشدا:

هو المهدى إلا أن فيهمشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا و ذا فهما إذا ماأنارا مشكلان على البصير

فهذا فى الظلام سراج ليلو هذا فى النهار سراج نور

و لكن فضل الرحمن هذاعلى ذا بالمنابر و السرير

و بالملك العزيز فذا أميرو ما ذا بالأمير و لا الوزير

و نقص الشهر يخمد ذا و هذامنير عند نقصان الشهور

فيا بن خليفة اللّه المصفىبه تعلو مفاخرة الفخور

لئن فتّ الملوك و قد توافواإليك من السهولة و الوعور

لقد سبق الملوك أبوك حتىبقوا من بين كاب أو حسير

و جئت وراءه تجرى حثيثاو ما بك حين تجرى من فتور

فقال الناس ما هذان إلابمنزلة الخليق من الجدير

لئن سبق الكبير فأهل سبقله فضل الكبير على الصغير

و إن بلغ الصغير مدى كبيرلقد خلق الصغير من الكبير فلم يملك المنصور اعجابه بهذه المقطوعة الرائعة التى احتوت على أجمل آيات المدح و الثناء فقال له:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۴

«و اللّه لقد احسنت!! و لكن هذا لا يساوى عشرين الف درهم أين المال؟

فأجابه بالحضور، و هو يرعد من الخوف و الذعر، فأمر حاجبه بقبضها و اعطائه اربعة آلاف درهم، فامتثل الحاجب ذلك.

و دلت هذه البادرة على ضعة نفسه و حرصه الذى ينم عن نفس لا عهد لها بالاريحية و النبل.

و روى المؤرخون من بخله انه كان فى طريقه الى مكة فطلب أن يؤتى له بحاد يحدو به، فجىء له بسلم الحادى فحدا به، فطرب حتى كاد ان يسقط من الراحلة، فاجازه بنصف درهم، فأنكر عليه ذلك و قال له:

- يا أمير المؤمنين لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فأجازنى عشرة آلاف درهم!! فنظر إليه المنصور بحنق و قال له:

- ما كان له ان يعطيك من بيت المال.

و أمر حاجبه الربيع بأن يقبضها منه، فاخذ سلم يتوسل إليه و يحلف له أنه لم يبق من تلك الاموال شىء، و ما زال يتوسل بالمنصور حتى تركه و شرط عليه ان يحدو به ذهابا و إيابا بغير ثمن «۱»، و يقول بشر المنجم دعانى أبو جعفر يوما عند المغرب فبعثنى فى بعض الأمر، فلما رجعت رفع ناحية مصلاه فاذا دينار فقال: خذ هذا و احتفظ به فاخذته فهو عندى الى الساعة مخافة أن يطالبنى به لأنه لم يقل خذه لك «۲».

و لما اصدر المرسوم الملكى الذى يقضى بأن تلبس الرعية القلانس الطوال

---

(۱) الاغانى ۱۳/ ۱۱۰، تأريخ الخلفاء (ص ۲۶۷).

(۲) الطبرى: احداث سنة ۱۵۸.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۵

المفرطة اندفع الشاعر الفكهى أبو دلامة يعرض ببخل المنصور قائلا:

و كنا نرجى من إمام زيادةفزاد الامام المصطفى فى القلانس

نراها على هام الرجال كأنهادنان يهود جللت بالبرانس «۱» لقد جهد المنصور فى احتكار أموال الأمة و كنزها، و عدم انفاق أى شىء منها على المصلحة العامة مما أشاع الفقر و البؤس فى جميع أنحاء البلاد.

د- مع المهدى:

كان المهدى آثر الناس عند المنصور و أقربهم إليه حتى جعله ولى عهده، و قد قابله بالجفاء على ابسط قضية مادية، فقد حدّث واضح مولاه قال انى لواقف يوما على رأس أبى جعفر اذ دخل عليه المهدى و عليه قباء أسود جديد فسلم و جلس، ثم قام منصرفا فاتبعه ابو جعفر ببصره لحبه له و اعجابه به، فلما توسط الرواق عثر بسيفه فتخرق سواده، فقام و مضى لوجهه غير مكترث به، فلما نظر المنصور الى ذلك فقد صوابه، فأمر برده فاندفع إليه بشراسة و قد استولى عليه الغضب فهاجمه قائلا له:

«يا أبا عبد اللّه: استقلالا للمواهب!! أم بطرا بالنعمة، أم قلة علم بالمصيبة؟ كأنك جاهل بما لك و ما عليك ..» «۲».

لقد ساق لولده هذا اللون من العتب المر من اجل أمر زهيد لا يعنى به اغلب الناس.

و روى واضح انه دخل على المنصور فقال له: انظر ما عندك من الثياب الخلقان، فاجمعها فاذا علمت بمجيء المهدى فجئنى بها قبل أن يدخل و ليكن معها رقاع، ففعلت، فدخل المهدى فوجد اباه يقدر الرقاع على

---

(۱) تأريخ الخلفاء: (ص ۲۶۲).

(۲) عصر المأمون: (ج ۱ ص ۹۳).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۶

خروق الثياب فضحك و قال له:

يا امير المؤمنين من هاهنا يقول الناس: نظروا فى الدينار و الدرهم و لم يقل الدانق لئلا يثير عواطفه، فقال له المنصور: انه لا جديد لمن لا يصلح خلقه، و هذا الشتاء قد حضر، و نحتاج الى كسوة للعيال و الولد، فقال المهدى: على كسوة امير المؤمنين و عياله و ولده، فقال له دونك فافعل «۱».

و روت جاريته خالصة قالت: دخلت على المنصور فاذا هو يتشكى وجع ضرسه، فلما سمع حسى قال: ادخلى فدخلت، و اذا هو واضع يده على صدغيه، فسكت ساعة، ثم قال لى:

- يا خالصة كم عندك من المال؟

- الف درهم.

- ضعى يدك على رأسى و احلفى.

فخافت منه، و قالت: عندى عشرة آلاف دينار، فقال: احمليها إلى، فدخلت على المهدى و الخيزران فأخبرتهما بما حدث فركلها المهدى برجله، و قال لها ما ذهب بك إليه؟ ما به من وجع، و لكنى سألته بالأمس مالا فتمارض، احملى إليه ما قلت له، و لما جاءه المهدى قال له: يا أبا عبد اللّه تشكو الحاجة، و هذا المال عند خالصة «۲».

لقد قابل ولده المهدى بكثير من الجفاء، و هو آثر الناس عنده و سبب ذلك حرصه، و خساسة طبعه.

ه- مع الفقيه ابن السمان:

و كان الفقيه ازهر السمان صديقا للمنصور قبل أن يلى الخلافة، فلما

---

(۱) تأريخ الطبرى.

(۲) الطبرى: أحداث سنة ۱۵۸ ه-

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۷

صارت إليه قصده، فقال له المنصور:

- ما حاجتك؟

- على دين أربعة آلاف درهم، و دارى مستهدمة، و ابنى يريد البناء بأهله.

فأمر له بمبلغ من المال، و نهاه عن المجيء إليه فقال له:

- لا تأتنا طالب حاجة بعد هذا.

- افعل.

و مضت اشهر معدودة فعاد ابن السمان إليه فنظر إليه المنصور بنظرات تقطر غيظا و قال له:

- ما جاء بك؟

- لم أجئ طالب حاجة، و لكن مسلما.

- أظنك أتيتنا لما أتيتنا له فى المرة الاولى .. لا تأتنا طالب حاجة، و لا مسلما و أمر له بصلة.

و خرج ابن السمان، و لكنه لم يلبث ان عاد إليه ثالثة، فقال له المنصور:

- ما جاء بك؟

- لم آت طالب حاجة، و لا مسلما، و لكن دعاء سمعته منك قبلا أحببت ان آخذه عنك.

- لا تأخذه فانه غير مستجاب، لأنى قد دعوت اللّه ان يريحنى من خلقتك فلم يفعل، و صرفه و لم يعطه شيئا «۱».

و- مع عماله:

و قابل المنصور عماله بمزيد من الحرمان و الضيق، و قد ذكر المؤرخون

---

(۱) الطبرى: احداث سنة ۱۵۸ ه-

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۸

بوادر كثيرة من عسفه معهم، فقد رووا انه ولى رجلا- عملا- فى ناحية فأتمه، و دخل عليه فقدم له الحساب، و قام لينصرف فقال له المنصور:

- أشركتك فى أمانتى، و وليتك فيئا من فيء المسلمين فخنته.

- أعيذك باللّه يا أمير المؤمنين ما صحبنى من ذلك شيء الا درهم فى كمى، صررته لكى اكترى به بغلا يوصلنى عيالى، فادخل بيتى، و ليس معى شيء من مال اللّه، و لا مالك.

فقال له المنصور: ما أظنك الا صادقا، هلّم درهمنا فأخذه منه و وضعه تحت لبده «۱».

و رفع إليه عامله زياد بن عبد اللّه الحارثى رسالة يسأله فيها الزيادة فى عطائه، و كانت الرسالة فى منتهى البلاغة و الفصاحة فأعجب بها المنصور، و وقع عليها:

«ان الغنى و البلاغة إذا اجتمعا فى رجل ابطراه، و امير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة» «۲».

لقد انتهى المنصور فى بخله الى حضيض من الشح و اللؤم ماله من قرار فكان به من سيئات الدنيا و مساوئ الملوك.

أسباب حرصه:

إن هذا البخل البالغ حد الافراط فى نفس المنصور ناشئ عن خبث ذاته و خسة طبعه، و عدم ايمانه باللّه.

و تحدث المنصور أمام حاشيته و خواصه عن الاسباب التى دعته ان

---

(۱) الطبرى

(۲) تأريخ الخلفاء: (ص ۲۶۷)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۶۹

يمعن فى افقار الرعية، و الضيق عليها قائلا:

صدق ابن الاعرابى حيث يقول: «اجع كلبك يتبعك».

فانبرى إليه أبو العباس الطوسى فرد عليه قائلا:

«يـا أمير المـؤمنين أخشـى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه و يـدعك» «۱» حفنـة من التراب على المنصور و على كـل حاكم يسـتهين بحقوق الشعب لقد جعل الطاغية الجبار اخضاع الشعب منحصرا فى جوعه و فاقته لا بنشر العدل و الرفاهية بين ابنائه.

و تحدث المنصور عن الاسباب التى دعته الى احتكار الاموال الضخمة فى خزائنه من دون ان ينفق منها شيئا على المصالح العامة فقال:

«من قلّ ماله قل رجاله، و من قل رجاله قوى عليه عدوه، و من قوى عليه عدوه اتضع ملكه، و من اتضع ملكه استبيح حماه ..» «۲»

و هكذا كانت فكرته الخاطئة مبنية على ادخار الأموال، و عدم انفاقها على المسـلمين .. انه من دون شك من ابرز من عناهم اللّه تعالى بقوله:

وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِى نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» «۳».

---

(۱) عصر المأمون ۱/ ۹۳

(۲) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۱۲۱

(۳) سورة التوبة آية: ۳۴ و ۳۵

استبداده:

كـان المنصـور فى جميع مـا يتعلق بمملكته مسـتبدا لاـ يستشـير احـدا فيمـا يتصـرف فيه، و اذا أدلى عليه احـد برأى خـالفه، فقـد روى المؤرخون انه احضر ابن أخيه عيسى بن موسى و أمره بقتال محمد بن عبد اللّه فقال له عيسى:

«يا أمير المؤمنين: شاور عمومتك».

فزجره قائلا له: اين قول ابراهيم بن هرمة.

تزور امرئ لا يمخض القوم سرهو لا ينتجى الأذنين فيما يحاول

اذا ما أتى شيئا مضى كالذى أتىو إن قال إنى فاعل فهو فاعل ثم قال: «امض أيها الرجل فو اللّه ما يراد غيرى و غيرك: و ما هو إلا أن تشخص او أشخص أنا».

بمثل هـذا الاعتزاز بالنفس كان يتحكم فى رقاب المسـلمين و فى جميع امكانياتهم، و كان يتمثل دائما بقول الهيثم بن عدى لينوه عن طغيانه و استبداده:

إن قناتى لنبع لا يؤيسهاغمز الثقاف و لا دهن و لا نار

متى أجر خائنا تأمن مسارحهو إن أخف آمنا تقلق به الدار

سيروا إلى و غضوا بعض أعينكمإنى لكل امرئ من جاره جار «۱» و دل ذلك على مدى ما يحمله من طيش و غرور و استبداد بشئون المسلمين، و قد ادت هذه السياسة الملتوية الى نشر الرعب و اذاعة الفزع بين جميع الناس.

---

(۱) الطبرى: (ج ۹ ص ۳۱۶).

فتكه:

اشارة

كان الفتك و الاغتيال من عوامل الاستمتاع النفسى عند المنصور فكان ألذ شىء عنده سفك الدماء، و قد تمادى فى ذلك بقسوة و جفاء لم يعرف لهما نظير فى تأريخ المجازر البشرية:

إنه لم يلج فى دخائل نفسه بصيص من نور الرأفة و الرحمة فكان يطربه عويل اليتامى، و نوح الأيامى، و أنين الجرحى.

لقد عمد هذا الطاغية السفاك الى اغتيال جماعة من رءوس دولته، و بناة سلطانه ممن كان يحذر منهم، و يخشى بأسهم، و نعرض فيما يلى لبعضهم

۱- ابو مسلم:

و لم تقم الدولة العباسية إلا على أكتاف أبى مسلم فهو باعثها و مؤسسها و غارس بذرتها، و لو لا جهوده لم يرفع لبنى العباس علم، و لم يذكر لهم اسم، و قد تنكر له المنصور فجازاه جزاء سنمار، فاستدعاه و آمنه و قابله بمزيد من الحفاوة و التكريم و انزله قصرا من قصوره و دعا رئيس حرسه عثمان بن نهيك، و شبيب بن واج، و ابو حنيفة حرب بن قيس و قال لهم:

تكونوا خلف الرواق إذا دخل على أبو مسلم فاذا صفقت بيدى، دخلتم فقتلتموه، و اقبل ابو مسلم على عادته فأجلس فى الحجرة المجاورة، و أخبر بأن المنصور فى شغل فجلس مليا ثم اذن له بالدخول فدخل و سلم عليه، فنظر إليه نظرة انتقام و غيظ، و قال له: اخبرنى عن تقدمك إياى بطريق مكة؟

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷۲

- كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس.

و أخذ يعدد عليه اعماله المنكرة، و يعاتبه و أبو مسلم يعتذر عن ذلك، و لما طال عتابه له قال أبو مسلم:

- لا يقال هذا لى بعد بلائى و ما كان منى!! فصاح به المنصور يا ابن الخبيثة، و اللّه لو كانت أمة مكانك لاجزأت إنما عملت فى دولتنا، و بريحنا، فلو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلا، و ابو مسلم يعتذر منه، و لم يجد معه الاعتذار، و صفق عاليا بيده فدخل القوم عليه و بأيديهم السيوف، و شعر أبو مسلم بالموت يدنو منه فقال متوسلا بالمنصور:

- استبقنى لعدوك- و أى عدو اعدى لى منك فأخذته السيوف، و هو يصيح العفو:

و أجهز عليه القوم فقتلوه، و أخذ المنصور يرتجل:

زعمت أن الدين لا يقتضىفاستوف بالكيل أبا مسلم

سقيت كأسا كنت تسقى بهاأمر فى الحلق من العلقم «۱» و أمر أن ترمى جثته فى نهر دجلة فالقيت فيه «۲» و طويت بذلك حياة أبى مسلم غدرا على يد المنصور، و قد خسر أبو مسلم بذلك أمر آخرته و دنياه و ذلك هو الخسران المبين.

---

(۱) ابن الاثير: ۴/ ۳۵۵

(۲) اليعقوبى: ۲/ ۳۹۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷۳

۲- عبد اللّه بن على:

و اعطى المنصور عمه عبد اللّه بن على أمانا بأن لا يفتك به بعد ما ثار عليه، و لكنه خاس بعهده، فقد دعا ولى عهده عيسى بن موسى، و قال له: خذ إليك عبد اللّه بن على ريثما أعود من مكة، و لا تثقل عليه، فانه عمى و أخو الحاضرين من شيوخ آل بيتك، ثم دعاه سرا و قال له:

يا عيسى إن هذا أراد أن يزيل الخلافة عنى و عنك، و أنت ولى عهدى، و الخلافة صائرة إليك، فخذه و اضرب عنقه و اياك ان تخور و تضعف، فتنقض على أمرى الذى دبرت ثم مضى الى الحج «۱».

و شاور عيسى بن موسى كاتبه يونس بن أبى فروة و أخبره بالأمر، فقال له يونس:

«إن هذا الرجل قد دفع إليك عمه علنا أمام ذويه، و أوصاك سرا بقتله، فهو يريد ان يقتله على يدك، ثم يقيدك به فيقتلك، و الرأى أن تستره فى منزلك فلا تطلع على أمره أحدا، و ترسل الى المنصور انك قد قتلته، فان طالبك به علانية دفعته علانية، و اياك أن تأتى به سرا» «۲» و فعل عيسى ذلك، و شاع بين العباسيين أنه قد قتله، و لما عاد المنصور من مكة، توافد عليه بنو العباس، و كلموه فى شأن عمه، فقال لهم: انى اعطيته أمامكم الى ولى عهدى، و أوصيته به و قد سألته فقال قد مات:

و دعا بعيسى فلما مثل عنده صاح به:

- لم قتلت عمى؟

---

(۱) الطبرى: ۶/ ۲۶۶

(۲) الطبرى:

- أنت أمرتنى بقتله- لم آمرك بذلك- هذا كتابك إلى فيه- لم اكتبه و لما رأى الجد من المنصور خاف على نفسه، فقال له: هو عندى فقال: ادفعه الى أبى الأزهر المهلب بن أبى عيسى، فلم يزل عنده محبوسا ثم أمره بقتله، فدخل عليه، و معه جارية فبدأ بعبد اللّه فخنقه حتى مات ثم مده على الفراش، و انعطف على الجارية ليقتلها، فقالت له:

«يا عبد اللّه قتلة غير هذه القتلة؟» فأشاح بوجهه عنها، ثم أمر بها فخنقت، و وضعها معه على الفراش و أدخلت يدها تحت جنبه، و يده تحت جنبها كالمعتنقين، ثم أمر بالبيت فهدم عليهما و أحضر القاضى ابن علام مع جماعة للاطلاع على الأمر، و أخرجت الجثتان فدفنتا فى مقرهما الاخير «۱».

۳- محمد بن أبى العباس:

و اتخذ المنصور طبيبا نصرانيا استعان به على قتل من لا يحب أن يتجاهر بقتله، و كان الطبيب فظا غليظ القلب، قد اغتال جملة من الابرياء فى و صفاته الطبية حسب أمر المنصور له، و ممن اغتالهم محمد بن أبى العباس فقد أوعز إليه المنصور بذلك فصنع له سما قاتلا و انتظر علة تحدث فيه فعرضت له حرارة فى بدنه، فراجعه، فأعطاه ذلك السم فلما تناوله تقطعت أمعاؤه، و هلك من فوره، فرفعت أمه شكواها الى المنصور، فأمر بضربه

---

(۱) مروج الذهب: ۳/ ۲۳۰

ثلاثين سوطا، و سجنه أياما، ثم اطلق سراحه، و وهبه ثلاثمائة دينار.

هذه بعض اغتيالات المنصور و هى تدل على نفس شريرة لا عهد لها بالعفو و الرحمة، فقد كان بامكانه ان يقابلهم بالاحسان، و

يجعلهم تحت الرقابة إن خاف منهم الخروج على سلطانه، و لكن ذلك بعيد عن نزعاته المترعة بالحقد و القسوة.

موبقاته:

اشارة

و حفل تأريخ هذا الطاغية السفاك بسجل من الجرائم و الموبقات، فقد تفجرت سياسته بكل ما خالف كتاب اللّه و سنة نبيه، فروع المسلمين، و اشاع الرعب و الفزع و الخوف فى جميع انحاء البلاد، و قضى على الحياة الفكرية و الاجتماعية فى الاسلام، و نعرض فيما يلى الى بعض موبقاته:

۱- ترويع المدنيين:

و قابل المنصور أهالى يثرب بمزيد من الاضطهاد و العنف و الجور، و سلبهم جميع مقوماتهم الاقتصادية فقطع عنهم الميرة فى البر و البحر «۱» و أراد بهذه الحرب الاقتصادية أن يشغلهم بالبؤس و المجاعة عن مناهضته و الانكار على سياسته، و قد ولى عليهم رباح بن عثمان المرى و كان فظا غليظ القلب تنفر منه النفوس لشراسة طبعه، و حينما ولاه المنصور جمع الناس، و نزا على المنبر فأعلن لهم سياسته الارهابية الحاملة لشارات الموت و العذاب قائلا:

---

(۱) ابن الأثير: ۵/ ۲۶۱

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷۶

يا أهل المدينة أنا الافعى ابن الافعى، ابن عثمان بن حيان، ابن عم مسلم بن عقبة، المبيد خضراءكم، و المفنى رجالكم، و اللّه لأدعها بلقعا لا ينبح فيها كلب ..».

انه الطغيان الفاجر، و الاستهتار بحياة الناس، و كراماتهم، فالابادة الشاملة و اخلاء الوطن من أهله هو الشعار الذى يسوس به البلاد، و ساعد اللّه المسلمين على هذه المحن و الخطوب التى تذيب لفائف القلوب، و تذوب النفوس لهولها أسى و حسرات.

و لم ينه هذا الوحش الكاسر هذه الكلمات القاسية حتى اندفع جمع من الأحرار الذين غامروا بحياتهم فردوا عليه بأعنف القول قائلين بلسان واحد:

«و اللّه يا ابن المجلود حدين لتكفن أو لنكفنك عن أنفسنا» و رفع هذا الوغد الأثيم بالفور رسالة الى العاهل العباسى يعرفه فيها بخروج أهل المدينة عن الطاعة و اصرارهم على التمرد و العصيان، و لما انتهى إليه الكتاب كتب لأهل المدينة رسالة ملأها بالانذار و الوعيد، و أمر عامله أن يتلوها عليهم، فلما وصلت إليه، جمعهم و قرأها عليهم و قد جاء فيها:

«يا أهل المدينة، إن واليكم كتب إلى يذكر غشكم، و خلافكم و سوء رأيكم، و استمالتكم على بيعة أمير المؤمنين، و أمير المؤمنين يقسم باللّه لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفا، و ليقطعن البر و البحر عنكم، و ليبعثن عليكم رجالا غلاظ الأكباد، و بعاد الأرحام بنو «۱» قعر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون و السلام».

و اندفع جمع من الغيارى و الأحرار الى معارضته قائلين:

«كذبت يا ابن المجلود حدين»

---

(۱) كذا فى الأصل، و فى الهامش «ينوون» و لعل الصحيح «يثورون» فى قعر بيوتكم.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۷۷

ثم انهم رموه بالحصا من كل جانب فولى خائفا الى مقصورته فأغلقها عليه، و اعتصم بها فدخل عليه أيوب بن سلمة المخزومي أحد أذناب السلطة و هو يدعوه الى التنكيل بالثائرين قائلا:

«أصلح اللّه الأمير، انما يصنع هذا رعاع الناس، فاقطع أيديهم، و اجلد ظهورهم ..».

و أشار عليه بعض من حضر من الهاشميين بعدم الاعتناء بمقالة هذا العبد الذى تنكر لوطنه و أبناء بلاده، و أشاروا عليه أن يرسل خلف الوجوه و الأشراف فيقرأ عليهم رسالة المنصور ليرى رأيهم فيها، فاستجاب لذلك فأرسل خلفهم و قرأ عليهم كتاب المنصور، فانبرى إليه حفص بن عمر بن عبد اللّه ابن عوف الزهرى، و أبو عبيدة بن عبد الرحمن الأزهر فقالا له:

«كذبت و اللّه ما أمرتنا فعصيناك، و لا دعوتنا فخالفناك ..»

ثم التفتا الى ممثل المنصور و رسوله:

«أتبلغ أمير المؤمنين عنا؟»- ما جئت إلا لذاك.

- قل له: أما قولك: إنك تبدل المدينة و أهلها بالأمن خوفا، فان اللّه عز و جل وعدنا غير هذا، قال اللّه عز و جل: «و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا» فنحن نعبده لا نشرك به شيئا ..» «۱».

و هكذا عامل المنصور أهالى المدينة بهذه القسوة و الجفاء فلم يحترم جوارهم لرسول اللّه (ص) و لم يراع ما لآبائهم من الفضل فى إقامة هذا الدين و تدعيم أسسه.

---

(۱) اليعقوبى: (ج ۳ ص ۱۱۰- ۱۱۱).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۷۸

۲- الاستهانة بالكعبة:

و كفر المنصور بالاسلام، و تنكر لجميع مبادئه و أهدافه، فقد حاول نقل الكعبة المقدسة من محلها الى دار السلام، كما بنى بناية ضخمة فى عاصمته بغداد سماها بالقبة الخضراء استهانة بالكعبة الشريفة «۱» و بذلك فقد كشف عن كفره و مروقه من الدين.

۳- اختلاس الأموال:

و جهد المنصور فى انهاك الرعية و اضطهادها فقد عمد الى نهب الأموال و اختلاسها، فقد روى المؤرخون انه أخذ أموال الناس حتى ما ترك عند احد فضلا، و كان مبلغ ما أخذه منهم ثمانمائة الف الف درهم «۲» و هو يعادل فى يومنا هذا اربعة آلاف مليون دينار حسب قيمة العملة «۳» و جاء فى وصيته الأخيرة الى ولده المهدى «و قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى» «۴».

لقد كانت سياسته المالية مبنية على النهب و السلب، و اصطفاء الأموال و أخذها بغير حق، و قد ترك البؤس و الفقر مخيمين على جميع المناطق الاسلامية

---

(۱) الطبرى: (ج ۳ ص ۱۹۷).

(۲) اليعقوبى: ۲/ ۱۲۱

(۳) أبو جعفر المنصور (ص ۴۱۶)

(۴) تأريخ اليعقوبى: ۲/ ۳۴۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۷۹

۴- التنكيل بالعلويين:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج۱ ۳۷۹ ۴ - التنكيل بالعلويين: ..... ص : ۳۷۹

محنة العلويين فى عهد الطاغية المنصور من أقسى المحن و افجعها فقد صب عليهم جميع أنواع العذاب، و قابلهم بمزيد من العنف و الجور فأباد شيوخهم و شبابهم، و لم يرحم أحدا منهم، و كان ماحل بهم من التنكيل اضعاف ما واجهوه أيام الحكم الأموى، حتى قيل فى ذلك:

تالله ما فعلت أمية فيهممعشار ما فعلت بنو العباس و صور مدى ما حل بهم من الرزايا و الخطوب شاعر العقيدة دعبل الخزاعى بقوله:

و ليس حى من الاحياء نعلمهمن ذى يمان و من بكر و من مضر

الا و هم شركاء فى دمائهم كما تشارك إيسار على جزر

قتل و أسر و تحريق و منهبةفعل الغزاة بأرض الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلواو لا أرى لبنى العباس من عذر لقد واجهوا أعنف المشاكل، و أقسى الرزايا و الخطوب فى سبيل تحرير المجتمع الاسلامى، و انقاذه من الجور و الاستبداد.

و اندفعوا بكل اعتزاز و فخر الى ساحات الجهاد و النضال فماتوا كراما أحرارا فأضاءوا الطريق للاحرار و المناضلين، و فتحوا لهم ابواب الكفاح و الجهاد، و رسموا لهم طريق الخلاص من حكم الذل و العبودية.

و قبل أن نتحدث عما جرى عليهم فى عهد المنصور نستعرض اسباب ثوراتهم و نضالهم.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۰

بواعث الثورة:

اشارة

أما الاسباب التى حفزتهم الى الثورات العارمة سواء فى حكم بنى أمية او فى حكم بنى العباس فهى:

[الاسباب التى حفزتهم الى الثورات]

۱- الشعور بالمسؤولية:

و العلويون بحكم نسبهم الوضاح يرون أنهم مسئولون عن صيانة المجتمع و دفع الويلات و الخطوب عنه، و قد كشف الامام امير المؤمنين (ع) فى بعض كلماته عن السر فى احجامه عن مبايعة أبى بكر بقوله:

«اللهم: انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنرد المعالم من دينك، و نظهر الاصلاح فى بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك» «۱».

لقد امتنع الامام من بيعة أبى بكر من أجل هذه الاهداف النبيلة، فكان يرى نفسه مسئولا عن رعاية الأمة و اقامة الاصلاح الشامل فى رحابها فلذا انطلق يعلن سخطه على من سبقة من الخلفاء.

و قد رأى العلويون ان الشعوب الاسلامية فى تلك العهود المظلمة ترزح تحت كابوس ثقيل من الظلم و الجور و الفقر فانطلقوا الى ساحات الجهاد و الكفاح فى سبيل تحريرها، و قد وافى محمد بن ابراهيم العلوى الكوفة يسأل عن أخبار الناس، و يتحسسها، و يتأهب

لأمره، و بينما هو يسير فى بعض

---

(۱) نهج البلاغة محمد عبده: ۲/ ۱۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۱

شوارع الكوفة إذ وقع بصره على عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما يسقط منها، و تجمعه فى كساء رث كان عليها، فلم يستطع أن يسير، و بادر يسألها عن صنعها فقالت له:

«إنى امرأة لا رجل لى يقوم بمؤنتى، ولى بنات لا يعدن على أنفسهن بشىء، فأنا أتبع هذا الطريق، و أتقوته أنا و ولدى».

فجمد دمه، و انفجر بالبكاء، و قال لها: «أنت و اللّه و أشباهك تخرجونى غدا حتى يسفك دمى» «۱».

لقد دفعهم هذا الشعور الفياض بالرحمة و العطف على الفقير و المحروم الى مناجزة الظالمين، و مناهضة الطغاة الحاكمين الذين استأثروا بأموال الامة و قوتها فانبروا الى ميادين الجهاد لمكافحة ذلك الطغيان و الاستبداد.

۲- الشمم و الإباء:

و فطرت نفوس العلويين على العزة و الكرامة، و جبلت على النبل و الشهامة و قد جهدت السلطات الجائرة فى عصورهم على اذلالهم فلم يطيقوا صبرا، و تسابقوا الى الشهادة لينعموا بالكرامة، و لما حاول يزيد بن معاوية ارغام سبط النبى (ص) و ريحانته الامام الحسين (ع) على البيعة له، و الدخول فى طاعته. فانبرى (ع) الى ساحات الجهاد، و اعلن يوم الطف كلمته الخالدة التى رسم فيها الآباء بما له من معنى مشرق قال (ع):

«الا و إن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة و الذلة، و هيهات منا الذلة، يأبى اللّه لنا ذلك، و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت، و بطون

---

(۱) مقاتل الطالبيين: (ص ۵۲۱)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۲

طهرت، و أنوف حمية، و نفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» «۱».

و دارت هذه الكلمات النيرة مع الفلك و ارتسمت فيه فكانت درسا رائعا للمجاهدين من أبنائه، يقول زيد بن على لما جهد الطاغية هشام فى اذلاله:

«ما كره قوم حر السيوف الا ذلوا» و لما عذله جماعة عن الثورة و خوفوه القتل أجابهم:

بكرت تخوفنى المنون كأننىاصبحت عن عرض الحياة بمعزل

فأجبتها ان المنية منهللا بد ان أسقى بكأس المنهل «۲» و لما أمعن الأمويون على ارغام يحيى بن زيد على الهوان و الذل، اندفع الى الثورة، و اخذ يخاطب نفسه الكبيرة قائلا:

يا ابن زيد أ ليس قد قال زيدمن أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيد فأنت مهجة زيدو اتخذ فى الجنان ظلا ظليلا «۳» أنت- و اللّه- يا يحيى مهجة زيد، و أنت قطعة من كبد جدك الرسول (ص) قد حملت فى أعماق نفسك الكبيرة الشمم و الإباء، فأبيت ان تعيش ذليلا- مضاما فترجلت الى ساحة الحرب برغبة و شوق لتموت حرا كريما.

لقد ملأ العلويون بثوراتهم المقدسة تأريخ الاسلام بالفخر و الشرف و المجد، و رسموا للشعوب الاسلامية فى جميع مراحل حياتها

طريق الكفاح و النضال فى سبيل الحرية و الكرامة.

---

(۱) قريب من ذلك جاء فى تأريخ ابن عساكر: ۴/ ۳۳۳

(۲) الروض النضير: ۱/ ۷۵

(۳) عقائد الزيدية

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۳

۳- حرمانهم من حقوقهم:

و أمعنت السلطات الحاكمة فى ظلم العلويين، و حرمانهم من جميع حقوقهم الطبيعية فأشاعت فيهم الحاجة و الفقر، و قد قوبلوا بالاضطهاد و الحرمان منذ وفاة النبى (ص) فقد حرموا من الخمس الذى فرضه اللّه لهم و صودرت منهم فدكا لئلا تقوى شوكتهم، و استبد القوم بشئون الخلافة و الحكم، و أعرضوا عن عترة النبى (ص) و بالغوا فى الحط من شأنهم، و قد ابدى الامام امير المؤمنين حزنه العميق فى خطبته «الشقشقية» على ضياع حقه، و فى «نهج البلاغة» قطع كثيرة من كلامه تهز اعماق النفوس قد اعلن فيها سخطه على نهب تراثه و سلطانه.

و قد تشبعت بهذه الفكرة نفوس ابنائه، فجاهدوا طويلا فى ارجاع هذا الحق لهم، و لما تلا دعبل الخزاعى قصيدته على الامام الرضا (ع) و بلغ الى هذا البيت.

أرى فيئهم فى غيرهم متقسماو أيديهم من فيئهم صفرات أثار ذلك احزان الامام، و جعل يقلب يده الشريفة و يقول بنبرات تقطر أسى و حزنا:

«نعم و اللّه انها لصفرات» و هكذا نجد هذا الشعور المرهف بالأسى عند أئمة اهل البيت (ع) و عند شيعتهم، فراحوا يناضلون فى سبيله، و قد قدم العلويون مع شيعتهم المزيد من التضحيات حتى ملئت بهم السجون و القبور، و واجهوا اعنف المشاكل و أقساها.

هذه بعض العوامل التى حفزت العلويين على الانتفاضة و الثورة على

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۴

الحكام الظالمين من بنى أمية أو بنى العباس.

كلمة الامام ابن الساعى:

و تحدث الامام الفقيه ابن الساعى عن اسباب ثورات العلويين، و قد حفل حديثه بالاستدلال الوثيق على ما ذهب إليه و هذا نصه:

«إن من يمعن النظر كل الامعان بتأريخ الاسلام يعلم علما يقينا أن كل من خرج من آل بيت النبى (ص) ما كان ذلك منه إلا عن مصيبة نابته، و ضنك مسه، و فاقة لحقته، و ذل أهانه، فان الأمويين كانوا يمنون على الموالى و صعاليك العرب بمئات ألوف من الدنانير، و يعطونهم الاقطاع و الضيعات، و يستعملونهم على الممالك، و يستوزرونهم، و يقترون على الفاطميين حتى يصير الفاطمى فى ضيق و محنة شديدة بحيث لا يجد ثمن جارية زنجية يصون بها عفته، و لا ثمن كسوة يستر بها بدنه، و يرى أن المخازى الذين يفرطون لبنى أمية، و يتمسخرون لهم فى مجالسهم، و يشاركونهم فى شرابهم و فسقهم و فجورهم فى النعم و العز، يتقلبون فى انواع الرفاهة، فهنالك يهز الجماعة الفاطمية شرفهم و نخوتهم فيخرجون لا خروجا عن الطاعة، و لا نقضا للبيعة، و لكن يقولون ان أرض اللّه واسعة فيهاجر احدهم الى ناحية من الارض فيها قوم من أمة جده (ص) فاذا وصلهم حركتهم نخوة الدين فاحترموه و أكرموه و آلفته قلوبهم و اجتمعوا عليه فمتى بلغ خبره، الأمويين قالوا خرج و رب الكعبة، و ساقوا عليه القواد و الجنود، و لا يزالون حتى يتركوه

شهيدا، و كذلك بنو العباس، و ما ذاك إلا لأن اللّه تعالى اختار لآل نبيه المحنة فى هذه الدار الفانية، و النعيم فى الآخرة الباقية، و قد جعلهم اللّه فى كل زمان مرآة حال أهل ذلك الزمان مع اللّه تعالى، فالزمان الذى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۵

يكرم به أهل البيت (ع) و يحمى به لائذهم، و يؤمن خائفهم و يعطى سائلهم و يقضى به حوائجهم فحال أهله مع اللّه تعالى حسن و العكس بالعكس، و لهم رضى اللّه عنهم عند اللّه تعالى المكانة الرفيعة، و المنزلة العظيمة و بهم هدى اللّه الامة، و أزال عنها الظلمة و جدهم (ص) للناس كافة هو الرحمة.

محبتهم دين و ودهم هدىو بغضهم كفر و نصرهم تقوى «۱» و رأى الامام ابن الساعى رأى وثيق للغاية، فان حرمان العلويين من حقوقهم الطبيعية، و المبالغة فى التضييق عليهم ماديا بحيث لا يجد الفرد منهم سد رمقه، و ستر بدنه كان مما حفزهم الى الثورة، و الموت تحت ظلال الأسنة أحرارا كراما.

و نعود بعد هذا العرض الموجز لاسباب ثورة العلويين الى ما عانوه من جور المنصور و ارهاقه.

التجسس على العلويين:

كان المنصور يعلم باجماع المسلمين على حب العلويين و ذلك لما اتصفوا به من سجاحة الخلق، و طيب الأعراق، و بسط الكف، و الغزارة فى العلم الى غير ذلك من مكارم الاخلاق التى تؤهلهم الى مركز الخلافة الاسلامية و قيادة الأمة ... كما كان يعلم ببغض الناس له و كراهيتهم لملكه نظرا لما اتصف به من الشح و البخل و القسوة و الجفاء و المكر و غيرها من رذائله و مساوئه مضافا الى مساوئ أسرته التى عرفت بالخيانة للامة.

لقد انفق المنصور لياليه ساهرا يفكر فى البغى على العلويين و الكيد

---

(۱) مختصر اخبار الخلفاء: (ص ۲۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۸۶

لهم، فأجمع رأيه على أن يبعث عينا له ليقف على أمورهم و شئونهم و يتعرف على محمد و أخيه ابراهيم، فاختار رجلا، و كتب معه كتابا على السنة الشيعة الى محمد يذكرون طاعتهم، و مسارعتهم و بعث بمال و الطاف، و قدم الرجل الى المدينة، فدخل على عبد اللّه بن الحسن، فسأله عن ابنه محمد فكتم خبره و أخذ الرجل يتردد، و يلح عليه فى المسألة، فانخدع عبد اللّه به، و قال له: انه فى جبل جهينة، و أمره بأن يمر بعلى الذى يدعى بالأغر فهو يرشده الى مكانه، و كان للمنصور كاتب يتشيع فكتب الى عبد اللّه بن الحسن يخبره بذلك العين، و لما قدم كتابه ارتاعوا منه فبعثوا أبا هبار الى محمد و على بن الحسن يحذرهما الرجل، فخرج أبو هبار حتى وافى محمدا فى موضعه فاذا هو جالس فى كهف و معه جماعة من اصحابه و ذلك العين معهم و هو أعلاهم صوتا، و أشدهم انبساطا، فلما رأى أبا هبار خافه، و عرف أن أمره قد انكشف للقوم، و قال أبو هبار لمحمد: لى إليك حاجة فقام معه فأخبره بأمر الرجل، و أشار عليه بقتله الا ان محمدا لم يستجب لذلك، و أشار عليه ثانيا بأن يوثقه و يودعه عند بعض أرحامه فاستجاب لذلك، و لما شعر الرجل بما دبر له انهزم، و توارى عنهم ففتشوا عنه فلم يظفروا به، و انطلق متواريا حتى وافى المنصور و أخبره بالامر.

و استدعى المنصور عقبة بن سلم الأزدى، و قال له: إنى اريدك لأمر أنا معنى به لم ازل أرتاد له رجلا عسى أن تكونه، و ان كفيتنيه رفعتك ... فقال عقبة: أرجو أن أصدق ظن امير المؤمنين فى، فأمره المنصور بأن يخفى شخصه، و يستر أمره، و يلتقى به فى وقت عينه له، و لما حان ذلك الوقت خف إليه، فقال له المنصور ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا، و اغتيالا له، و لهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم، و يرسلون إليهم بصدقات أموالهم، و الطاف من الطاف بلادهم، فاخرج

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۸۷

بكسى و ألطاف و عين حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب و اللّه بهم و أقرب، و إن كانوا على رأيهم علمت ذلك و كنت على حذر فأشخص حتى تلقى عبد اللّه بن الحسن متخشعا و متقشفا فان جبهك- و هو فاعل- فاصبر و عاوده حتى يأنس بك، و يلين لك ناحيته فاذا أظهر لك ما قبله فاعجل على.

و شخص عقبة الى يثرب فقدم على عبد اللّه فناوله الكتاب فأنكره و نهره، و لم يزل يتردد عليه حتى قبل كتابه و ألطافه و أنس به فسأله عقبة الجواب، فقال: اما الكتاب فانى لا اكتب الى أحد و لكن أنت كتابى إليهم فاقرأهم السلام، و اعلمهم اننى خارج «۱» و عين له وقت الخروج، و رجع عقبة الى المنصور فأخبره بالأمر «۲» فاضطرب اشد الاضطراب، و أخذ يمعن فى التفكير فلم ير وسيلة انجع من سفره الى يثرب ليتولى بذاته قمع الحركة و القضاء على خصومه العلويين «۳».

القبض على العلويين:

و انتظر المنصور موسم الحج فلما حل سافر هو و حاشيته الى بيت اللّه الحرام، و بعد انتهائه من مراسيمه قفل راجعا الى يثرب، و قد صحب معه عقبة بن سلم الذى كان عينا له على العلويين، و قد اوصاه قبل سفره بقوله:

---

(۱) فى الطبرى «و اخبرهم ان ابنى خارجان»

(۲) الكامل ۴/ ۳۷۰- ۳۷۱

(۳) الطبرى ۹/ ۱۸۱

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۸۸

اذا لقينى بنو الحسن و فيهم عبد اللّه فأنا مكرمه و رافع محلته «۱» و داع بالغداء فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائما فانه سيصرف عنك بصره فاستدر حتى ترمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك، ثم حسبك و إياك أن يراك ما دام يأكل و لما انتهى المنصور الى يثرب استقبله الحسنيون و فيهم عبد اللّه بن الحسن فقابله بالعناية و التكريم، و اجلسه الى جانبه، و دعا بالغداء فأصابوا منه ثم رفع بصره فقام عقبة، و قام بما عهد إليه المنصور، ثم وثب و جلس أمام المنصور ففزع عبد اللّه و ارتاع منه، و قال للمنصور:

«أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك اللّه» فصاح به الخبيث الدنس «لا اقالنى اللّه ان أقلتك» «۲» و أمر بأن يكبل بالحديد، و يزج فى السجن، فكبل مع جماعة من العلويين و حبس فى بيت مروان، و القيت تحته ثلاث من حقائب الأبل محشوة بالتبن، و دخل عليه جماعة بعثهم والى المدينة إليه فأخذوا يحذرونه من بطش المنصور، و نقمته، و طلبوا منه أن يخبرهم بمكان ولديه لينجو من السجن فالتفت عبد اللّه إلى الحسن بن زيد «۳» قائلا له:

---

(۱) فى الطبرى «و رافع مجلسه»

(۲) الكامل ۴/ ۳۷۱

(۳) الحسن بن زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين (ع) روى عن أبيه و ابن عمه عبد اللّه بن الحسن و روى عنه جماعة، و ذكره ابن حبان فى الثقات ولاه المنصور المدينة خمس سنين ثم غضب عليه و حبسه الى أن أخرجه المهدى و لم يزل معه، و قال الزبير: كان الحسن فاضلا شريفا و قد مدحه على بن هرمة بعدة قصائد، و هو والد السيدة الجليلة نفيسة توفى سنة ۱۶۸ ه

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۸۹

يا ابن أخى، و اللّه لبليتى أعظم من بلية إبراهيم (ع) إن اللّه عز و جل أمر إبراهيم أن يذبح ابنه و هو للّه طاعة، فقال ابراهيم: إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ «۱» و إنكم جئتمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلهما، و هو للّه جل و عز معصية، فو اللّه يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم و إنى على ما ترى أطيب نوما ..» «۲».

لقد كانت محنة عبد اللّه فى ولديه من اشق المحن و أقساها فقد وقع بين مصيبتين لا منجاة له من احدهما اما ان يبقى فى ظلمات السجون يعانى الآلام، و اما أن يخبر بولديه فيعرضهما للموت، و لكنه اختار أن يضحى بنفسه ليقوما باداء رسالتهما فينقذا الأمة من حكم المنصور و طغيانه.

حملهم الى العراق:

و أقام العلويون فى سجن الطاغية السفاك- فى يثرب- ثلاث سنين، و هم يعانون أهوال الخطوب، و أشدها محنة و قسوة، و قد أثار سجنهم سخط الاخيار و المتحرجين فى دينهم، و اخذت الاندية تتحدث عن محنتهم و ما سيجرى عليهم فى عهد هذا الطاغية الجبار، و قد نقلت إليه الاستخبارات تذمر العامة و نيلهم منه، فقرر أن يمضى الى الحج، و يبحث عن أمر العلويين ليتخذ معهم التدابير اللازمة.

و فى سنة (۱۴۲ ه-) سافر الى الحج، و بعد ما قضى مناسكه رجع

بطريق مكة بالحاجز- كما ذكره الخطيب- و هو ابن خمس و ثمانين سنة و صلى عليه على بن المهدى جاء ذلك فى تهذيب التهذيب (ج ۲ ص ۲۷۹)

(۱) سورة الصافات: آية ۱۰۶

(۲) مقاتل الطالبيين: (ص ۲۱۶)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۹۰

و جعل طريقه على الربذة فأقام فيها، و استقبله رباح واليه على يثرب فرده إليها و أمره باشخاص العلويين إليه فقفل رياح راجعا الى يثرب، و مضى الى السجن فأخرج العلويين، و قد وضع فى أيديهم الحديد، و جىء بهم الى مسجد النبى (ص) و قد ازدحم عليهم الناس، و هم ما بين باك و واجم قد اذهلهم الخطب، و جعل رياح يوسعهم شتما و قذفا، و طلب من الناس شتمهم الا انهم أخذوا يسبونه، و يشتمون المنصور.

لوعة الامام الصادق:

و فجع الامام الصادق بما حل بأهل بيته من الرزء القاصم فقد بلغ به الحزن الى واد ما له من قرار ... لقد أطل عليهم حينما حملوا فأرسل ما فى عينيه من دموع، و التفت الى الحسن بن زيد قائلا له:

«يا أبا عبد اللّه و اللّه لا تحفظ للّه حرمة بعد هذا «۱» و اللّه ما وفت الانصار و لا ابناء الانصار لرسول اللّه (ص) بما اعطوه من البيعة على العقبة» و أخذ (ع) يذكر له قصة العقبة قائلا: «إن النبى (ص) قال لعلى:

خذ عليهم البيعة بالعقبة، فقال: كيف آخذ عليهم؟ فقال (ص): على ان يمنعوا رسول اللّه و ذريته مما يمنعون منه أنفسهم و ذراريهم».

و سكت هنيئة و نفسه الشريفة قد ذابت حزنا، ثم قال بنبرات ملؤها الأسى:

«اللهم فاشدد وطأتك على الانصار ..» «۲»

و روى عبد اللّه بن ابراهيم الجعفرى عن خديجة بنت عمر بن على

---

(۱) فى الطبرى «بعد هؤلاء»

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۲۱۹- ۲۲۰)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۹۱

أنهم لما أوقفوا عند باب المسجد- الباب الذى يقال له باب جبرئيل- اطلع عليهم الامام ابو عبد اللّه، و عامة ردائه مطروح بالأرض، ثم اطلع من باب المسجد، فقال: لعنكم اللّه يا معشر الانصار- ثلاثا- ما على هذا عاهدتم رسول اللّه، و لا بايعتموه، أما و اللّه إن كنت حريصا، و لكنى غلبت و ليس للقضاء مدفع، ثم قام و أخذ إحدى نعليه فأدخلها، رجله، و الأخرى فى يده، و عامة ردائه يجره فى الأرض ثم دخل بيته فحم عشرين ليلة لم يزل يبكى فيها الليل و النهار «۱».

لقد ذاب قلب الامام من الحزن، و هامت نفسه فى تيار من الهواجس و الآلام، فخلد الى البكاء يخفف به لوعة المصاب و الحزن.

رسالته الى عبد اللّه:

و أرسل الامام الصادق (ع) رسالة الى عبد اللّه بن الحسن يعزيه فيها على ما حل به من المصاب الأليم و هذا نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الى الخلف الصالح و الذرية الطيبة من ولد أخيه و ابن عمه أما بعد: فلئن كنت قد تفردت أنت و أهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم، ما انفردت بالحزن و الغيظ و الكآبة و أليم وجع القلب دونى، و لقد نالنى من ذلك من الجزع و القلق و حر المصيبة مثل ما نالك، و لكن رجعت الى ما أمر اللّه جل و عز به المتقين من الصبر و حسن العزاء حين قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله الطيبين: وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا «۲» و حين يقول

---

(۱) بحار الأنوار: ۴۷/ ۲۸۳

(۲) سورة الطور: آية ۴۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۳۹۲

لنبيه: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ «۱» و حين يقول لنبيه (ص) حين مثل بحمزة وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ «۲» فصبر رسول اللّه و لم يعاقب.

و حين يقول: «و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للتقوى» «۳». و حين يقول: الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ «۴». و حين يقول: إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ «۵». و حين يقول لقمان لابنه: وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ «۶» و حين يقول عن موسى و قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ «۷». و حين يقول: الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ «۸». و حين يقول: ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ «۹» و حين يقول: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ

---

(۱) سورة القلم: آية ۴۸

(۲) سورة النحل: آية ۱۲۶

(۳) سورة طه: آية ۱۳۲

(۴) سورة البقرة: آية ۱۵۶- ۱۵۷

(۵) سورة الزمر: آية ۱۰

(۶) سورة لقمان: آية ۱۷

(۷) سورة الأعراف: آية ۱۲۸

(۸) سورة العصر: آية ۳

(۹) سورة البلد: آية ۱۷

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۹۳

مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ «۱» و حين يقول: وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ «۲» و حين يقول:

وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ «۳» و حين يقول: وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ «۴» و أمثال ذلك من القرآن كثير.

و اعلم أى عم و ابن عم أن اللّه جل و عز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط و لا شيء أحب إليه من الضر و الجهد و البلاء مع الصبر، و انه تبارك و تعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط، و لو لا ذلك ما كان اعداؤه يقتلون اولياءه و يخوفونهم، و يمنعونهم، و اعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون و لو لا ذلك لما قتل زكريا و يحيى بن زكريا ظلما و عدوانا فى بغى من البغايا و لو لا ذلك ما قتل جدك على بن أبى طالب (ع) لما قام بأمر اللّه جل و عز ظلما، و عمك الحسين بن فاطمة صلى اللّه عليهم اضطهادا و عدوانا.

و لو لا ذلك ما قال اللّه جل و عز فى كتابه: وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ «۵» و لو لا ذلك لما قال فى كتابه: أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ «۶».

و لو لا ذلك لما جاء فى الحديث: «لو لا أن يحزن المؤمن لجعلت

---

(۱) سورة البقرة: آية ۱۵۵

(۲) سورة آل عمران: آية ۱۴۶

(۳) سورة الأحزاب: آية ۳۵

(۴) سورة يونس: آية ۱۰۹

(۵) سورة الزخرف: آية ۳۳

(۶) سورة المؤمنون: آية ۵۵- ۵۶

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۳۹۴

للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبدا» و لو لا ذلك لما جاء فى الحديث: «إن الدنيا لا تساوى عند اللّه جل و عز جناح بعوضة» و لو لا ذلك ما سقى كافرا منها شربة من ماء، و لو لا ذلك لما جاء فى الحديث:

«لو أن مؤمنا على قلة جبل لابتعث اللّه له كافرا أو منافقا يؤذيه» و لو لا ذلك لما جاء فى الحديث: «انه اذا أحب اللّه قوما او أحب عبدا صب عليه البلاء صبا فلا يخرج من غم إلا وقع فى غم».

و لو لا ذلك لما جاء فى الحديث: «ما من جرعتين أحب الى اللّه عز و جل أن يجرعهما عبده المؤمن فى الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها، و جرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء و احتساب» و لو لا ذلك لما كان أصحاب رسول اللّه (ص) يدعون على من ظلمهم بطول العمر و صحة البدن، و كثرة المال و الولد، و لو لا ذلك ما بلغنا أن رسول اللّه (ص) كان اذا خص رجلا بالترحم عليه و الاستغفار استشهد، فعليكم يا عم و ابن عم و بنى عمومتى و اخوتى بالصبر و الرضا و التسليم و التفويض الى اللّه عز و جل و الرضا بالصبر على قضائه، و التمسك بطاعته، و النزول عند أمره، أفرغ اللّه علينا و عليكم الصبر، و ختم لنا و لكم بالأجر و السعادة، و انقذنا و

إياكم من كل هلكة بحوله و قوته انه سميع قريب، و صلى اللّه على صفوته من خلقه محمد النبى و أهل بيته ..» «۱».

و كانت هذه الرسالة سلوى لهم فيما عانوه من شدة المحن و الخطوب، كما انها احتوت على مدحهم و الثناء عليهم، و لو كانوا فى خروجهم على المنصور بغير وجه مشروع لما توجع عليهم الامام، و أثنى عليهم فان شأن الامامة كشأن النبوة بعيد عن المحاباة و الاندفاع بأى عاطفة من عواطف الحب

---

(۱) بحار الانوار: (۴۷/ ۲۹۹- ۳۰۱)، الاقبال (ص ۴۹- ۵۱).

و مما يدل على انهم كانوا على حق أنه (ع) كان يتطلع بلهفة الى التعرف على اخبارهم فقد روى خلاد بن عمير الكندى مولى آل حجر بن عدى قال دخلت على أبى عبد اللّه (ع) فقال:

«هل لكم علم بآل الحسن؟» يقول خلاد: و كان قد اتصل بنا عنهم خبر، فلم نحب أن نبدأه به فقلنا له: نرجوا أن يعافيهم اللّه، فقال (ع): «و اين هم من العافية؟» ثم بكى حتى علا صوته، و بكينا معه «۱» و يضاف الى ذلك ما ورد فى حقهم من المدح فقد روى خلاد عن أبيه عن فاطمة بنت الحسين (ع) قالت: سمعت أبى (ع) يقول: يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون، و لا يدركهم الآخرون، و انه لم يبق من ولدها غيرهم «۲».

و على أى حال فانهم لم يخرجوا على حكومة المنصور إلا بوعى من روح الاسلام و هديه الذى ألزم بمناهضة الظلم، و مقاومة الجور و الطغيان.

فى الربذة:

و سارت قافلة العلويين من يثرب، فلما بعدت عنها بثلاثة أميال أنزلوا عن رواحلهم، و جىء لهم بحدادين فألقوا كل رجل منهم فى كبل و غل و قد ضاقت حلقتا القيد الذى كبل به عبد اللّه بن الحسن فتأوه من الألم فأقسم عليه أخوه البار على بن الحسن ان يحولها إليه فحولت له، و بذلك

---

(۱) بحار الأنوار ۴۷/ ۳۰۲

(۲) بحار الأنوار ۴۷/ ۳۰۲

ضرب المثل الأعلى للاخاء الصادق.

و لما انتهت القافلة الى الربذة أنزل العلويون عن رواحلهم و هم مكبلون بالحديد تصهرهم الشمس، و أمر المنصور بادخال محمد بن عبد اللّه عليه «۱» فلما مثل عنده قابله المنصور بالسب و الشتم و القذف، و اتهمه بامور أمسكنا عن ذكرها لفحشها، فان هذا الخبيث الدنس الذى حفل تأريخه بالعار و الخزى لم يتحرج من الاتهام و الكذب و قول الإفك.

و أمر الباغى الأثيم بتجريد محمد من ثيابه فجرد منها حتى بدت عورته و أمر جلاوزته بضربه، فعلته الجلاوزة بالسياط فضرب خمسين و مائة سوط و قد بلغ به الالم كل مبلغ، و المنصور جذل مسرور، و أصاب احدى السياط وجهه، فقال للجلاد: «اكفف عن وجهى فان له حرمة من رسول اللّه (ص)»:

فانبرى المنصور الى الجلاد قائلا:

«الرأس .. الرأس» فضربه ثلاثين سوطا على رأسه، ثم دعا بساجور «۲» من خشب شبيه به فى طوله فشد فى عنقه، و شدت به يداه، و

أخرج ملببا فدخل على اصحابه كأنه زنجى قد غيرت السياط لونه، و أسالت دمه، و أصاب سوط منها احدى عينيه فسالت، و وثب إليه مولى لابى جعفر فقال له:

الا الوثك بردائى؟ فقال له بلى جزيت خيرا، فو اللّه لشفوف إزارى أشد على من الضرب الذى نالنى، فألقى عليه المولى الثوب «۳».

و استدعى محمد و هو بتلك الحالة ماء فلم يسقه أحد سوى رجل من

---

(۱) البداية و النهاية ۱۰/ ۸۱

(۲) الساجور: خشبة تعلق بعنق الكلب

(۳) الطبرى ۶/ ۱۷۹

أهالى خراسان فانبرى إليه و سقاه الماء، و لم يلبثوا قليلا حتى اجتاز عليهم المنصور و هو فى محله، فانطلق إليه عبد اللّه بن الحسن يذكره بما أسداه جده الرسول (ص) من الفضل و الاحسان على العباس جد المنصور حينما جىء به أسيرا قائلا له:

«ما هكذا فعلنا بأسراكم يوم بدر؟» فأشاح المنصور بوجهه عنه، و قد لذعه قوله، و أمر بحمل العلويين الى العراق.

فى الهاشمية:

و أخذت قافلة العلويين تطوى البيداء، و تسرع بهم الى القبور و السجون حتى انتهت الى «الهاشمية» فأمر المنصور بزجهم فى سجن لا يعرف فيه الليل من النهار فأودعوا فيه، و كانوا لا يعرفون فيه وقت الصلاة لظلمته، فجزءوا القرآن الكريم خمسة أجزاء فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم لحزبه «۱».

و أمر المنصور باحضار محمد بن ابراهيم، و كان آية فى جماله و بهاء وجهه، و كان الناس يذهبون الى النظر لحسنه، و لما حضر عند المنصور التفت إليه بسخرية قائلا:

- أنت المسمى بالديباج الأصفر؟

- نعم- أما و اللّه لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك.

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۲۲۵

ثم أمر باسطوانة مبنية ففرغت، و أدخل فيها، فبنيت عليه و هو حى «۱» لقد تفجرت سياسة هذا الباغى الأثيم تجاه العلويين بجميع ألوان المنكرات و الموبقات، فلم يرع حرمة رسول اللّه (ص) فى ابنائه، و عمد لى ابادتهم بصورة لم يعهد لها نظير فى تأريخ المجازر البشرية.

و بلغ من قساوة جلاوزته ان عبد اللّه بن الحسن شيخ العلويين استدعى بماء فطلب بعضهم الاذن من المنصور فى ذلك فسمح له فجاء إليه بماء بارد فبينما هو يشرب اذ وثب إليه أبو الأزهر فضرب الاناء برجله بشدة فألقى عبد اللّه ثناياه فى الاناء «۲».

و بقى العلويون فى سجن المنصور و هم يعانون أهوال الخطوب و أقسى المصائب، فكانوا يتوضّئون فى مواضعهم حتى اشتدت عليهم الرائحة و احتال بعض مواليهم فادخل لهم شيئا من الغالية فكانوا يدفعون بشمها الروائح الكريهة، و لكنها لم تكن تجدى شيئا، فقد ورمت أقدامهم، و سرى الورم الى قلوبهم فمات اكثرهم، و أمر الطاغية بهدم السجن على من بقى فهدم عليهم، فمات اكثرهم و فيهم عبد اللّه بن الحسن «۳».

و حفلت هذه المأساة الخالدة فى دنيا الاحزان بأنواع الرزايا و الخطوب فقد انتهكت فيها حرمة الرسول الاعظم (ص) فى ذريته و ابنائه، فلم يرع لهم المنصور أى حرمة، و لم يراقب اللّه فيهم.

ففى سبيل اللّه تلك النفوس الزكية التى وهبت أرواحها للّه لتنقذ عباده من شر تلك الطغمة الحاكمة التى كفرت بجميع القيم الانسانية.

و قد أثارت هذه المأساة الكبرى موجات من السخط على بنى العباس

---

(۱) الطبرى ۹/ ۳۹۸

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۲۴۳)

(۳) مروج الذهب ۳/ ۲۲۵

و قد اندفع. بو فراس الحمدانى بعد احقاب من السنين يهجو العباسيين على هذه الجريمة النكراء التى اقترفها جدهم المنصور، قال:

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن أباهم العلم الهادى و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم و لا يمين و لا قربى و لا ذمم

هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب للصافحين ببدر عن أسيركم

هلا كففتم عن الديباج سوطكم و عن بنات رسول اللّه شتمكم

ما نزهت لرسول اللّه مهجته عن السياط فهلا نزه الحرم

ما نال منهم بنو حرب و ان عظمت تلك الجرائم الا دون نيلكم

كم غدرة لكم فى الدين واضحة و كم دم لرسول اللّه عندكم

أنتم له شيعة فيما ترون و فى اظفاركم من بنيه الطاهرين دم

هيهات لا قربت قربى و لا رحم يوما إذا أقصت الاخلاق و الشمم

كانت مودة سلمان له رحما و لم يكن بين نوح و ابنه رحم «۱» و فى هذا الشعر أعمق الحزن على ما أصاب العلويين من الرزايا و النكبات فى عهد المنصور و سائر ملوك بنى العباس الذين قطعوا أواصر الرحم و القربى و تنكروا للاحسان الذى أسداه الرسول الاعظم على جدهم العباس فقد قابلوا ذلك بانزال أمر العقاب و أقساه بذرية النبى و عترته.

مصادرة أموال العلويين:

و لما اعتقل المنصور العلويين، و أودعهم فى ظلمات السجون عهد الى عامله بمصادرة جميع اموالهم، و بيع رقيقهم «۲» و صادر أموال الامام الصادق (ع)

---

(۱) الغدير ۳/ ۲۳۸

(۲) البداية و النهاية ۱۰/ ۸۱

و لما هلك المنصور ارجعها المهدى الى الامام موسى (ع).

ثورة الزكى محمد:

و كان محمد بن عبد اللّه بن الحسن من أعلام العلويين فى علمه و فقهه و شجاعته و جوده، و قد جمع فى برديه كل فضل موروث و مكسوب، و قد سمى بذى النفس الزكية و صريح قريش لأنه لم يجىء من أم ولد فى جميع آبائه و امهاته بل جاء خالصا نقيا من قريش، و سماه الناس بالمهدى الذى بشر به النبى (ص) «۱» و فى ذلك يقول الشاعر:

إنا لنرجو أن يكون محمدإماما به يحيا الكتاب المنزل

به يصلح الاسلام بعد فسادهو يحيا يتيم بائس و معول

و يملأ عدلا أرضنا بعد ملئهاضلالا و يأتينا الذى كنت آمل «۲» و كان يشبه جده الرسول (ص) فى خلقه و أخلاقه، و أعتقد أهل المدينة أنه لو جاز أن يبعث اللّه نبيا بعد محمد (ص) لكان هو «۳».

و قد رشح للخلافة باجماع الهاشميين، و كان المنصور الدوانيقى يسير بخدمته، و يسوى عليه ثيابه، و يمسك له دابته تقربا إليه كما بايعه مع أخيه السفاح مرتين، و بعد اختلاس العباسيين للحكم تألم محمد أشد الألم و اقساه و أخذ يدعو الناس لنفسه فاستجابوا له، و ظل مختفيا مع أخيه ابراهيم و دعاتهم تجوب فى الاقطار للدعوة إليهم، و كان أبوهما عبد اللّه يمجد فيهما روح الثورة و يحفزهما على النضال فقد قال لهما:

---

(۱) غاية الاختصار (ص ۱۲)

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۲۴۳)

(۳) شذرات الذهب ۱/ ۲۱۳

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۰۱

«إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين» «۱».

و لما بلغ محمد وفاة أبيه عبد اللّه مع ابناء عمومته من العلويين فى سجن المنصور، و ما حل فيهم من صنوف التنكيل و التعذيب، تواعد هو و أخوه ابراهيم على اعلان الثورة فى يوم مخصوص، فأعلن محمد الأمر فى يثرب فى الوقت المقرر له- على ما قيل- و انبرى الناس الى مبايعته، و استبشروا ببيعتهم له، و قام جيشه باحتلال الدوائر الرسمية، و بالاستيلاء على بيت المال و هرعت أهالى اليمن و مكة الى بيعته و قد اجتمعت الجموع الحاشدة فى يثرب تظهر له الطاعة و الانقياد، و قد قام فيهم خطيبا فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أما بعد: أيها الناس فانه كان من أمر هذا الطاغية عدو اللّه أبى جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندا للّه فى ملكه تصغيرا للكعبة الحرام، و إنما أخذ فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى، و ان أحق الناس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين و الانصار المواسين.

اللهم: انهم قد احلوا حرماتك، و حرموا حلالك، فآمنوا من أخفت، و أخافوا من آمنت اللهم فاحصهم عددا، و اقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا.

أيها الناس: انى و اللّه ما خرجت من بين أظهركم، و انتم عندى لا أهل قوة، و لا شدة، و لكن اخترتكم لنفسى، و اللّه ما جئت هذه و فى الارض مصر يعبد فيه اللّه إلا و قد أخذ لى البيعة فيه» «۲».

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۲۴۳)

(۲) الطبرى ۹/ ۲۱۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۲

و دل هذا الخطاب على أخذ البيعة له من جميع الاقاليم الاسلامية إلا ان بعض المعلقين على خطابه ذهب الى أن ذلك كان مكيدة من المنصور فهو الذى أوعز الى ولاته بمراسلة محمد و الاستجابة الى دعوته حتى يبادر الى اعلان الثورة قبل أن تستكمل مخططاتها ليمكن القضاء عليها فى بدايتها.

و على أى حال فان الانباء حينما وافت المنصور وجه جيشا لقتاله يقدر عدده بأربعة آلاف فارس، و جعل قيادته العامة الى ولى عهده عيسى بن موسى، و سارت الجيوش، تطوى البيداء حتى انتهت الى يثرب، و حينما علم محمد بقدوم جيوش المنصور بث جيوشه فى الشوارع و الأزقة، و قبل أن تندلع نيران الحرب خطب فى جيشه فقال:

«أيها الناس، إنا قد جمعناكم للقتال و أخذنا عليكم المناقب، و ان هذا العدو منكم قريب، و هو فى عدد كثير، و النصر من اللّه، و الأمر بيده، و انه قد بدا لى أن آذن لكم، و أفرج عنكم المناقب، فمن أحب أن يقيم أقام، و من أحب أن يضعن ضعن ..»

و كان هذا الخطاب خطاب مخذول لا وثوق له بالنصر، و لا أمل له فى التغلب على الأحداث نظرا لضخامة جيش العدو، و قلة من معه، و لم يرغم اصحابه على الخوض فى الحرب، كما لم يعتمد على وسائل الخداع و التضليل و هو موقف تمثلت فيه الشهامة و النبل.

و لما سمع خطابه الانتهازيون و ذوو الاطماع تفرقوا عنه، و بقى فى خلص اصحابه «۱» و لم تكن لهم قدرة على الدفاع عنه، و قد خف إليه عبد اللّه بن جعفر «۲» فقال له:

---

(۱) الطبرى

(۲) عبد اللّه بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن الامام

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۳

«بأبى أنت و أمى، إنه و اللّه مالك بما رأيت طاقة، و ما معك أحد يصدق القتال، فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة فان معه جلة اصحابك ..».

فانطلق محمد يجيبه بما انطوت عليه نفسه الكبيرة من الشرف و النبل قائلا:

«يا أبا جعفر، و اللّه لو خرجت لقتل اهل المدينة، و اللّه لا أرجع حتى أقتل أو اقتل، و أنت منى فى سعة فاذهب حيث شئت» «۱».

ان محمدا إذا ترك يثرب فان جيش المنصور سيحتلها، و يقابل المدنيين بمنتهى القسوة و الانتقام، و ينتهك جميع الحرمات، فرأى محمد أن يقيم فيها و يضحى بنفسه فى سبيل أمن الناس و سلامتهم.

و اندلعت نار الحرب بين الفريقين، و بعد صراع رهيب بين قوى الحق و قوى البغى أصيب القائد العظيم محمد ذو النفس الزكية بجراح خطير فسقط على الارض، و برك على ركبتيه، فبادر إليه الاثيم حميد بن قحطبة و هو يصيح بالجند لا تقتلوه فكفوا عنه فقام الوغد بنفسه ليبوء بالإثم و الجحيم فاحتز رأسه الشريف «۲».

امير المؤمنين المعروف بالافطح، قال الشيخ المفيد: كان اكبر اخوته بعد اسماعيل، و لم تكن له منزلة عند أبيه، و كان متهما فى الخلاف على أبيه فقد قيل: انه كان يخالط الحشوية، و يميل الى مذهب المرجئة، و ادعى بعد وفاة أبيه الامامة محتجا بأنه اكبر اخوته فتبعه جماعة من البسطاء، ثم رجع اكثرهم الى القول بامامة الامام موسى (ع)- كما سنوضحه- جاء ذلك فى تنقيح المقال ۲/ ۱۷۴

(۱) الطبرى ۹/ ۲۲۴

(۲) مقاتل الطالبيين

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۴

و انتهت بذلك صفحة من أروع صفحات الجهاد المقدس، و انطوت أعظم حركة اصلاحية فى العالم الاسلامى كانت تهدف الى نشر العدل، و سيادة الامن و الدعة بين الناس.

و انهارت القوى الخيرة، و تحطمت آمال الاحرار فقد فقدوا قائدهم الاعلى الذى كان منارا لهم فى طريق النضال و الجهاد.

ثورة الزكى ابراهيم:

كان ابراهيم بن عبد اللّه من قادة الفكر، و من أعلام عصره فى علمه و أدبه و أخلاقه و حسن تدبيره، و قد اترعت نفسه الزكية بالايمان بحق الأمة فانطلق فى ميادين الجهاد لينقذها من حكم العبودية و الذل، و يحقق فى رحابها عدل الاسلام و احكام القرآن.

و الشىء الذى عرف به ابراهيم انه كان حديدى الارادة، و كان يقظا حساسا، فقد طلبه المنصور أشد الطلب، و بث عليه العيون، و قد استطاع أن يجلس على موائد المنصور من دون أن يشعر به، و قد حدث عن ذلك بقوله:

«اضطرنى الطلب بالموصل حتى جلست على موائد المنصور، و قد قدم إليها يطلبنى فلفظتنى الأرض فجعلت لا أجد مساغا. و وضع الطلب و المراصد و دعا الناس الى غدائه فدخلت فيمن دخل، و اكلت فيمن أكل ثم خرجت، و قد كف الطلب».

و فى هذا الاقدام دليل على ما يحمله من القابليات الفذة التى تجعله فى مصاف العظماء الذين لا يفكرون بالهزيمة، و لا تغير من عزيمتهم الاحداث الجسام، و قد اتته الأنباء المريعة بمقتل أخيه، و هو يخطب على المنبر فجعل

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۰۵

يتمثل بهذه الأبيات:

أبا المنازل يا خير الفوارس من‌يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

اللّه يعلم أنى لو خشيتهمو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه و لم أسلم أخى لهم «۱»حتى نموت جميعا أو نعيش معا ثم تبلورت دموعه على وجهه الشريف، و أخذ يؤبن أخاه و يصوغ من حزنه كلمات قائلا:

اللهم: إنك تعلم أن محمدا انما خرج غضبا لك و نفيا لهذه المسودة و ايثارا لحقك، فارحمه، و اغفر له، و اجعل الآخرة خير مرد له و منقلب فى الدنيا ..» «۲»

و رثى أخاه بهذه الابيات:

سأبكيك بالبيض الرقاق و بالقنافان بها ما يدرك الطالب الوترا

و إنا أناس لا تفيض دموعناعلى هالك منا و لو قصم الظهرا

و لست كمن يبكى أخاه بعبرةيعصرها من ماء مقلته عصرا

و لكنى أشفى فؤادى بغارةألهب فى قطرى كتائبها جمرا لقد تمثلت البطولة بما لها من معنى مشرق بهذا الموقف الرائع الذى وقفه ابراهيم، فلم يوهن عزيمته مقتل أخيه العظيم، و انما زاده ايمانا و تصميما على المضى فى طريق الكفاح و النضال.

و أعلن ابراهيم فى البصرة ثورته الكبرى على حكومة المنصور فاستجاب له المسلمون، و انضموا الى دعوته، و كان سفيان بن معاوية والى البصرة من المؤيدين له، و كان على اتصال دائم معه، يطلعه على كل ما جدّ للمنصور من رأى فى أمر البصرة و ساعده فى كثير من شئون الثورة.

---

(۱) فى رواية «و لم يسلم أخى»

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۳۴۲)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۶

و احتل ابراهيم البصرة، و وجه دعاته الى الاهواز و فارس و واسط و المدائن فاستجابت هذه الاقطار و بايعته، و خفق علم الدولة العلوية عليها، و توالت أنباء الثورة العارمة على المنصور فهاله ذلك و جزع جزعا شديدا، و خيم عليه الذعر، و قد دخل عليه الحجاج بن قتيبة فرآه ينكث الارض بمخصرته و ينشد:

و نصبت نفسي للرماح دريئةإن الرئيس لمثل ذاك فعول فقال له الحجاج: ادام اللّه عزك، و نصرك اللّه على عدوك أنت كما قال الأعشى:

و إن حربهم أوقدت بينهمفحرت لهم بعد ابرادها

وجدت صبورا على حرهاو كر الحروب و ترددها فقال المنصور: يا حجاج إن ابراهيم قد عرف و عورة جانبي و صعوبة ناحيتي و خشونة قرني، و إنما جرأه على المسير إلي من البصرة هذه الكور المطلة على عسكر امير المؤمنين، و أهل السواد معه على الخلاف و المعصية، و قد رميت كل كورة بحجرها، و كل ناحية بسهمها، و وجهت إليه الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى في كثير من العدد و العدة، و استعنت باللّه عليه، و استكفيته إياه فانه لا حول و لا قوة لامير المؤمنين الا به.

و لما توفرت لإبراهيم الجيوش المزودة بالعدة و العدد عزم على المسير الى حرب المنصور فأشار عليه اصحابه البصريون أن يقيم في البصرة، و يرسل الجنود فاذا انهزموا امدهم بغيرهم، و قال قوم من أهل الكوفة: إن بالكوفة أقواما لو رأوك ماتوا دونك، و إن لم يروك قعدت بهم أسباب شتى، و استجاب ابراهيم لرأى الكوفيين، فتوجه بنفسه الى حرب المنصور، و لو انه أقام بالبصرة لتغلب على الاحداث و تم له النصر.

و وجه المنصور الى حرب ابراهيم جيشا بلغ عدده خمسة عشر الفا،

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۷

و جعل قيادته العامة الى ولي عهده عيسى بن موسى، و جعل على مقدمته حميد بن قحطبة، و قال له لما ودعه: ان هؤلاء الخبثاء- يعني المنجمين- يزعمون انك إذا لقيت ابراهيم تجول اصحابك جولة حتى تلقاه، ثم يرجعون إليك و تكون العاقبة لك.

و سار ابراهيم بجيشه يطوى البيداء، و سمع و هو ينشد في طريقه أبيات القطامي:

أمور لو يدبرها حكيمإذن أنهى وهيب ما استطاعا

و معصية الشفيق عليك ممايزيدك مرة منه استماعا

و خير الأمر ما استقبلت منهو ليس بأن تتبعه التباعا

و لكن الأديم اذا تفرىبلى و تعيبا غلب الصناعا «۱» و دل ذلك على ندمه على مسيره، فقد استبان له انه لو بقي بالبصرة لكان خيرا له، و توجه بجيشه الى «باخمرى» و لم يتجه الى الكوفة مخافة ان تستباح الأعرض، و تقتل الاطفال، و أشار عليه قوم بالمسير الى الكوفة فانه اضمن الى نجاحه إلا انه لم يستجب لهم مخافة ما ذكرناه.

و اندلعت نار الحرب بين الفريقين فانهزم جيش المنصور شر هزيمة حتى انتهت طلائعها الى الكوفة فوجل المنصور و رام الهزيمة، و جعل يقول للربيع متعرضا بما أخبر به الامام الصادق (ع) من فوز العباسيين بالحكم:

«أين قول صادقهم، و كيف لم ينلها ابناؤنا فاين امارة الصبيان؟!!» و بعد ما حوصر و ضيق عليه أمر بجعل الابل و الدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها.

و كرت جيوش المنصور راجعة بعد هزيمتها بسبب نهر لقيها فلم تقدر على اجتيازه، فعادوا بأجمعهم، و كان أصحاب ابراهيم قد مخروا الماء ليكون

(۱) الكامل ۵/ ۱۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۸

قتالهم من وجه واحد، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار، و ثبت ابراهيم في نفر من أصحابه فقاتلهم حميد بن قحطبة، و جعل يرسل بالرؤوس الى عيسى، و جاء سهم غادر فوقع في حلق ابراهيم فنحره فتنحى عن موقفه، و قال لاصحابه: انزلوني فانزلوه عن مركبه و هو يقول: «و كان أمر اللّه قدرا مقدورا» أردنا أمرا و أراد اللّه غيره.

و اجتمع عليه اصحابه و خاصته يحمونه، و يقاتلون دونه فقال حميد بن قحطبة شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، و تعلموا ما اجتمعوا عليه، فشدوا عليهم يقاتلونهم حتى أفرجوهم عن ابراهيم فاحتزوا رأسه الشريف فأتوا به عيسى فسجد و بعث برأسه الى المنصور «۱».

و بذلك انتهت اروع صفحة من صفحات الجهاد المقدس، و طويت أعظم شخصية في العالم الاسلامي كانت تروم القضاء على الظلم و الجور و اعادة الحياة الكريمة في الاسلام.

و لما انتهى مقتل الشهيد العظيم الى المنصور الخبيث اللئيم كاد ان يطير فرحا فقد تحققت جميع آماله و أمانيه، و كان بين يديه طعام قد استطابه فقال لمن حوله:

«أراد ابراهيم أن يحرمني هذا و أشباهه» «۲».

ان ثورة الزكي ابراهيم رائد الحق و العدالة لم تكن من أجل متع الحياة و لذائذها، و انما كانت لتحطيم المنكر و ابادة الظلم، و انقاذ الناس من الحكم الارهابي الذي ساد عليهم أيام المنصور.

ان تلك الثورة الخالدة كانت من أجل تحقيق المثل العليا و تطبيق احكام القرآن على واقع الحياة العامة بين الناس:

---

(۱) الكامل ۵/ ۱۹

(۲) مروج الذهب ۳/ ۲۲۴

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۰۹

و التفت المنصور و هو جذلان مسرور الى حضار مجلسه قائلا لهم:

«تالله ما رأيت أنصح من الحجاج لبني مروان؟!!».

فانبرى إليه المسيب بن زهرة الضبي يظهر له أنهم أطاعوه اكثر من اطاعة الحجاج لاسياده الأمويين قائلا:

«يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج لأمر فتخلفنا عنه، و اللّه ما خلق اللّه على جديد الارض خلقا أعز علينا من نبينا (ص) و قد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك و فعلنا فهل نصحناك؟».

فلذع قوله المنصور فصاح به:

«اجلس لا جلست» «۱».

و صفا الملك للمنصور بعد ثورة العلويين، و راح الطاغية الجبار بعد ذلك يمعن في ظلم الرعية و ارهاقها، فقد تفللت القوى الخيرة التي كان يحذرها و يخشى بأسها، و أخذ يجد في التنكيل ببقية العلويين، و استئصال شأفتهم، و نعرض فيما يلي الى بعض ما لاقوه من صنوف الارهاق الذي لا يوصف لفضاعته و قسوته.

وضعهم في الاسطوانات:

و لما خمدت ثورة العلويين جعل يطلب من بقي منهم طلبا حثيثا فمن ظفر به جعله في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص و الآجر،

و ظفر بغلام من ولد الحسن و كان حسن الوجه فسلمه الى البناء و أمره أن يجعله فى جوف اسطوانة و يبنى عليه، و وكل به من ثقاته من يراعى ذلك فجعله البناء فى جوف اسطوانة و قد دخلته رقة عليه فترك له فى الاسطوانة منفذا يدخل

---

(۱) مروج الذهب ۳/ ۲۲۴

منها الروح، و قال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فانى سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة اذا جن الليل.

و لما جن الليل جاء البناء فأخرج العلوى، و قال له: اتق اللّه فى دمى و دم العملة الذين معى، و غيب شخصك، فانى انما اخرجتك فى ظلمة هذه الليلة لأنى خفت أن يكون جدك رسول اللّه (ص) يوم القيامة خصمى بين يدى اللّه، و اكد عليه بأن يوارى نفسه فطلب منه الغلام أن يعرف أمه بذلك لتطيب نفسها، و يقل جزعها، و هرب الغلام و لا يعلم فى أى ارض اقام فيها، و انتهى البناء الى الدار الذى عينه العلوى فسمع دويا كدوى النحل من البكاء فعرف أنها أمه فأسرها بخبر ولدها، و انصرف عنها «۱».

خزانة رءوس العلويين:

و حديث الخزانة ملئ بالأسى و الشجون فقد ملأها برءوس العلويين شيوخا و شبابا و أطفالا، و أوصى ريطة زوج المهدى أن لا يفتحها المهدى و لا يطلع عليها الا بعد هلاكه، و قد دونها الطبرى فى تأريخه و هذا نصها:

«لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبى العباس امرأة المهدى و كان المهدى بالرى قبل شخوص أبى جعفر فأوصاها بما أراد، و عهد إليها و دفع إليها مفاتيح الخزائن، و تقدم إليها و أحلفها و وكد الايمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، و لا تطلع عليها أحدا إلا المهدى، و لا هى الا ان يصح عندها موته، فاذا صح ذلك اجتمعت هى و المهدى و ليس معهما احد حتى يفتحا الخزانة، فلما قدم المهدى من الرى الى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح و أخبرته أنه تقدم إليها ألا يفتحه، و لا يطلع عليه أحد حتى يصح

---

(۱) بحار الانوار ۴۷/ ۳۰۶- ۳۰۷، عيون اخبار الرضا ۱/ ۱۱۱

عندها موته، فلما انتهى الى المهدى موت المنصور، و ولى الخلافة فتح الباب و معه ريطة، فاذا ازج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين، و فى آذانهم رقاع فيها انسابهم، و اذا فيهم أطفال، و رجال شباب، و مشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدى اإرتاع لما رأى و أمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، و عمل فوقها دكانا «۱».

لقد احتفظ المنصور بتلك الخزانة، و ادخرها (ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون) ادخرها «ليوم الفصل» يوم يعض الظالم على يديه.

استرحام العلويين:

و أخذ العلويون يسترحمون هذا الطاغية، و يطلبون منه العفو إلا انه لم تحركه العواطف الانسانية، و لا الرحم الماسة للصفح عنهم فقد توجه الى بيت اللّه الحرام و بينما هو يسير فى موكبه اذ انطلقت إليه ابنة عبد اللّه ابن الحسن فتلت عليه هذه الأبيات الرقيقة:

ارحم صغار بنى يزيد انهم‌يتموا لفقدك لا لفقد يزيد

و ارحم كبيرا سنه متهدمافى السجن بين سلاسل و قيود

و لئن أخذت بجرمنا و جزيتنالنقتلن به بكل صعيد

ان جدت بالرحم القريبة بيننا‌ما جدكم من جدنا ببعيد فلم يحرك ضميره القاسى هذا الاستعطاف الرقيق فكان جوابه لها:

«أ ذكرتنيه يا بنت عبد اللّه» ثم أمر به فأهدر فى المطبق، و لفظ فيه انفاسه الأخيرة «۲»

---

(۱) الطبرى ۶/ ۳۲۰ الطبعة الأولى

(۲) جاء فى تذكرة الخواص (ص ۲۳۰) ان قول فاطمة بنت

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۲

لقد انتهى المنصور الى حضيض من اللؤم و القسوة ما له من قرار:

الإمام الصادق فى ذمة الخلود:

و قاسى الامام الصادق فى عهد المنصور جميع أنواع الخطوب و الآلام فرأى ما قاساه المسلمون من الجهد و البلاء، و ما عاناه العلويون من صنوف التنكيل و التعذيب، و قد كانت سلامته من المنصور اعجوبة بالرغم من تحرزه و توقيه من الاشتراك فى أى ميدان من الميادين السياسية، و يدل على ذلك حديثه المشهور:

«عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فان تكن فى شىء فيوشك ان تكون فى الخمول، فان طلبت فى الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون فى الصمت، و السعيد من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها».

لقد حاول المنصور ان يفتك به مرارا، و لكن اللّه رد عنه كيده، و قد احضره غير مرة و هو يتميز غيظا، و يحاول قتله، و قد دفع اللّه عنه شره، و قد ارسل إليه مرة الربيع فأنفذ إليه ولده محمد و أمره أن يأتى به على الحالة التى هو عليها، و قال له: امض الى جعفر بن محمد فتسلق على حائطه و لا تفتح عليه بابا فيغير بعض ما هو عليه، و لكن انزل عليه نزولا، فقام محمد بما أمر به، فوجد الامام قائما يصلى فلما فرغ من صلاته قال له:

- اجب امير المؤمنين

عبد اللّه «و ارحم صغار بنى يزيد» انما وقع من فلتات لسانها اذ لم يكن لعبد اللّه بن الحسين ابن اسمه يزيد و لا يعرف فى آل أبى طالب من اسمه يزيد الا يزيد بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر، و قد انكر عليه بنو هاشم هذا و هجروه لاجل ما سمى به.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۳

- دعنى ألبس ثيابى- ليس الى ذلك من سبيل فجاء بالامام على حالته، و ادخله عليه، فقال له المنصور بنبرات تقطر غضبا:

«يا جعفر ما تدع حسدك و بغيك و افسادك على أهل هذا البيت من بنى العباس، و ما يزيدك اللّه بذلك إلا شدة حسد، و نكد ما تبلغ به ما تقدره».

فقال له الامام:

«و اللّه يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئا من هذا و لقد كنت فى ولاية بنى أمية و أنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا و لكم، و انهم لاحق لهم فى هذا الأمر، فو اللّه ما بغيت عليهم، و لا بلغهم عنى سوء، مع جفاهم الذى كان بى، و كيف يا أمير المؤمنين اصنع الآن هذا؟ و أنت ابن عمى و أمس الخلق بى رحما، و اكثرهم عطاء و برا، فكيف افعل هذا؟» فأطرق المنصور برأسه ساعة الى الارض و رفع رأسه و قال له:

«أبطلت و أثمت» و أخرج إضبارة كتب، فرمى بها إليه، و قال له: هذه كتبك الى اهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتى و ان يبايعوك دونى.

فقال له الامام:

«و اللّه يا امير المؤمنين ما فعلت، و لا أستحل ذلك، و لا هو من مذهبى، و انى لمن يعتقد طاعتك على كل حال، و قد بلغت من السن ما قد اضعفنى عن ذلك، لو اردته فصيرنى الى بعض حبوسك حتى يأتينى الموت فهو منى قريب».

فصاح به الخبيث اللئيم: لا و لا كرامة، ثم اطرق برأسه، و ضرب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۴

يده الى السيف، فسل منه مقدار شبر، و أخذ بمقبضه ثم رده و قال للامام بكلمات قاسية:

«يا جعفر أ ما تستحى مع هذه الشيبة، و مع هذا النسب أن تنطق بالباطل و تشق عصا المسلمين؟ تريد أن تريق الدماء، و تطرح الفتنة بين الرعية و الأولياء».

فقال له الامام: «لا- و اللّه يا أمير المؤمنين ما فعلت، و لا- هذه كتبى و لا- خطى، و لا- خاتمى» ثم انتضى من السيف ذراعا، و عمد فأرجعه.

و أقبل يعاتبه و الامام يعتذر منه، ثم انتضى السيف الا شيئا يسيرا منه ثم اغمده، و اطرق برأسه الى الارض ثم رفع رأسه، و قال: أظنك صادقا و أمر الربيع أن يأتيه بالغالية فأخذ منها و وضعه على كريمة الامام و كانت بيضاء فاسودت، و بالغ فى اكرام الامام و تبجيله، و كان سبب ذلك انه رأى برهانا من ربه فعفا عنه «۱».

لقد كان المنصور يحقد على الامام أشد الحقد بسبب اجماع المسلمين على تعظيمه، و قد خبا أمام جذوة اسمه الوهاج اسم المنصور فالعالم الإسلامى كان يتحدث بذكره، و يتناقل فضائله و علومه، و قد حاول الطاغية الجبار أن يستدرجه فى موكبه فكتب إليه:

«لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟» و قد ظن ان الامام (ع) سيبادر الى اجابته شأن الكثيرين ممن أغرتهم الدنيا، و لم يعلم أن الامام (ع) يتحرج من الاتصال به، فقد وضع نصب عينيه قوله تعالى: وَ لا- تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، و بعد ما قرأ (ع) رسالة المنصور أجابه:

«ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، و لا عندك من الآخرة ما نرجوك

---

(۱) بحار الأنوار ۴۷/ ۱۹۵- ۱۹۹، مهج الدعوات (ص ۱۹۲)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۵

له، و لا أنت فى نعمة فنهنيك عليها، و لا تعدها نقمة فنعزيك عليها فلم نغشاك؟».

و لكن المنصور لم يع كلام الامام فقد اغرته الدنيا، و اعمى قلبه حب الملك و السلطان، فلما قرأ كتاب الامام أجابه:

«إنك تصحبنا لتنصحنا» فرد عليه الامام (ع): «من أراد الدنيا فلا ينصحك، و من أراد الآخرة فلا يصحبك».

و باء المنصور بالفشل فلم تتحقق منيته، و قد اجتمع (ع) به فوقع على وجه المنصور بعض الذباب فدفعه بيده فعاد إليه حتى ضجر منه فالتفت الى الامام قائلا:

«يا ابا عبد اللّه، لم خلق اللّه الذباب؟» فلم يعن (ع) به و اجابه غير مكترث به قائلا: «ليذل به الجبابرة» و قد ساء المنصور ذلك، و ثقل عليه عدم اعتناء الامام به فراح يطيل التفكير فى اغتياله.

و صمم الطاغية على ان يقدم على أخطر موبقة و أعظم جريمة فى الاسلام غير حافل بالعار و النار، فدس الى الامام سما فاتكا على يد عامله على يثرب و لما تناوله الامام تقطعت أمعاؤه و أخذ يعانى الآلام القاسية. و الأوجاع المؤلمة، و لما شعر بدنو الأجل المحتوم منه أمر باحضار آله، و من يمت إليه و بعد اجتماعهم عنده زودهم بهذه الوصية القيمة قائلا:

«إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة» ثم انه عهد بأمره سرا الى ولده الامام موسى (ع) و أوصاه بوصاياه الخاصة، و عهد بأمره امام الناس الى خمسة أشخاص، و هم أبو جعفر المنصور، و محمد بن سليمان، و عبد اللّه، و موسى، و حميدة، و انما فعل

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۱۶

ذلك خوفا على ولده من السلطة الكافرة كما تبين ذلك بوضوح بعد وفاته فقد كتب المنصور الى عامله يأمره بقتل وصي الامام ان كان معينا، فرد عليه عامله أنهم خمسة و هو أحدهم، فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء من سبيل.

و اشتد الألم بالامام فأخذ يعانى الأوجاع القاسية، و لما دنا منه الأجل المحتوم اخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم و يناجى ربه و يبتهل إليه حتى فاضت نفسه الزكية الى جنة المأوى، و سمت الى الرفيق الاعلى تلك النفس العظيمة التى لم يخلق لها نظير فيما مضى من سالف الزمن- عدا آبائه- و ما هو آت حلما و علما و برا و عطفا على جميع الناس.

لقد مات عميد الاسلام و الموجه الأول للقافلة الاسلامية الذى بذل بدوره جميع جهوده فى اشعاع الفكر الانسانى و بث روح العلم و الفضيلة بين الناس و كان موته من الأحداث الخطيرة التى منى بها العالم الاسلامى فلقد اهتزت جميع ارجائه لهوله.

و ارتفعت الصيحة من بيوت الهاشميين و علا الصراخ و العويل من بيوت يثرب، و هرعت الناس كعرف الضبع و هم ما بين و آجم و صائح و مشدوه و نائح على فقد الراحل العظيم الذى كان ملاذا لهم و مفزعا فى جميع الامور و قام الامام موسى (ع) و هو مكلوم القلب قد ذابت نفسه أسى و حسرات فأخذ فى تجهيز أبيه، و هو يذرف من الدموع مهما ساعدته الجفون فغسل الجسد الطاهر و كفنه بثوبين شطويين «۱» كان يحرم فيهما، و فى قميص و عمامة كانت للامام زين العابدين (ع) و لفه ببرد اشتراه الامام موسى (ع) باربعين دينارا، و بعد الفراغ من تجهيزه صلى عليه الامام موسى (ع)، ثم حمل الجثمان المقدس على أطراف الأنامل و قد احتفت به الجماهير الحاشدة،

---

(۱) شطويين: مفرده شطا احدى قرى مصر.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۱۷

و جيء به الى البقيع المقدس فدفن فى مقره الأخير بجوار أبيه الباقر و جده زين العابدين (ع)، و وقف على حافة القبر الشاعر الشهير أبو هريرة فأخذ يؤبن الامام بهذه الأبيات:

أقول و قد راحوا به يحملونهعلى كاهل من حامليه و عاتق

أ تدرون ما ذا تحملون الى الثرىثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق

غداة حثا الحاثون فوق ضريحهترابا و قبلا كان فوق المفارق «۱» و بعد الفراغ من دفن الامام (ع) و تأبينه أقبل المسلمون يرفعون الى الامام موسى التعازى و يبدون له المواساة بمصابه الأليم و هو واقف يشكرهم على مواساتهم و تعازيهم، ثم قفل راجعا الى ثويه، و قد احتف به أهل بيته و خلص أصحابه، و أمر (ع) بالوقت ان يوضع ضياء فى المحل الذى قبض فيه أبوه جريا على السنة، و بقى ذلك الضياء يوقد فى كل يوم حتى اعتقل (ع) فى العراق «۲».

و تقلد الامام منصب الزعامة الكبرى بعد وفاة أبيه، و كان عمره الشريف آنذاك عشرين سنة «۳» و المنصور فى السنة العاشرة من سلطانه،

رجوع الشيعة للامام موسى:

و لما فجع العالم الشيعى بوفاة زعيمه الروحى العظيم الامام الصادق (ع) رجع من بعده الى ولده الامام موسى، فقد بعثت جميع الاقطار التى تدين بالامامة وفودها لتعيين الامام بعد ابى عبد اللّه (ع) و جاءت تلك الوفود

---

(۱) اصول الكافى

(۲) الجواهر: كتاب الطهارة

(۳) صفة الصفوة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۸

الى يثرب فالتقت بالامام موسى و آمنت بامامته و عقدت له الولاء و الطاعة فقد وجدت فيه كل ما هو ماثل فى أبيه من العلم و الايمان و التقوى و الصلاح و ما ماثل ذلك من الصفات الرفيعة التى لا توجد إلا عند من عصمه اللّه من الزلل، و طهره من الرجس، و اختاره لارشاد عباده الى سواء السبيل.

و حدث هشام بن سالم أحد عيون الشيعة و وجوهها عن كيفية رجوعه و رجوع اخوانه الى الامام بعد وفاة أبيه يقول: كنت بالمدينة مع محمد بن النعمان صاحب الطاق حين وفاة الامام أبى عبد اللّه، و قد اجتمع الناس على عبد اللّه بن جعفر ظانين أنه صاحب الأمر و القائم بعد أبيه فدخلت عليه مع أصحابى و لما استقر بنا المجلس وجهنا له السؤال الآتى:

- كم تجب الزكاة فى المائتين من الدراهم؟

- خمسة دراهم.

- ففى المائة؟

- درهمان و نصف.

و تعجبوا من هذه الفتوى التى لا تمت الى الشريعة الاسلامية بصلة، فان النصاب الأول فى نصاب الدراهم مائتان و ما نقص عنها فليس عليه شىء و طفق هشام يقول مستهزءا بهذه الفتوى التى لا مدرك لها:

- و اللّه ما تقول المرجئة هذا!!- و اللّه ما ادرى ما تقول المرجئة؟

و خرج هشام و محمد من عنده و هما لا يبصران الطريق من الألم و الحزن لعدم ظفرهما بالامام القائم بعد أبى عبد اللّه و جعل هشام يقول:

«الى المرجئة، الى القدرية، الى المعتزلة، الى الزيدية، الى الخوارج؟!!».

و بينما كان هشام و محمد هائمين فى تيار من الهواجس و الأفكار لا يعلمان

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۱۹

أى مبدأ يعتنقانه اذ اطل عليهما شيخ فأومأ الى هشام يشير إليه باتباعه، فتوهم هشام أنه من عيون المنصور و جواسيسه قد فهم حديثهما فالتفت الى صاحبه و قد استولى عليه الذعر و الارتباك و أمره بالبعد عنه ليكون وحده الذى ينال العقوبة و الجزاء، فتبع الشيخ حتى أورده على الامام موسى بن جعفر عليه السلام، فلما دخل سكن روعه و حينما استقر به المجلس التفت إليه الامام قائلا بنبرات تفيض لطفا و حنانا:

«إلى لا الى المرجئة، و لا الى القدرية، و لا الى المعتزلة، و لا الى الزيدية ..»

ففرح هشام لأنه ظفر ببغيته حيث أخبره الامام بما انطوت عليه نفسه و تلك من امارة الامامة و علائمها، و وجه له هشام السؤال الآتى:

- جعلت فداك مضى أبوك؟

- نعم.

- مضى موتا؟

- نعم.

- من لنا بعده؟

- إن شاء اللّه أن يهديك هداك- جعلت فداك إن عبد اللّه أخاك يزعم أنه الامام بعد أبيه.

- عبد اللّه يريد أن لا يعبد اللّه- من لنا بعده؟

فأجابه مثل جوابه الأول، و طفق هشام يقول:

- أ فأنت هو:

لا اقول ذلك و أخطأ هشام فى حديثه و التفت الى خطله فقال:

- عليك إمام؟

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۰

- لا فداخله من الاكبار و الاجلال ما لا يعلم به إلا اللّه، ثم قال له:

- جعلت فداك، أسألك عما كنت اسأل به أباك؟

- سل و لا تذع، فان أذعت فهو الذبح ثم وجه إليه أسئلة كثيرة فاذا به بحر لا ينزف لكثرة علمه، و فضله و انبرى بعد معرفته و وثوقه بامامته قائلا:

- جعلت فداك، شيعة ابيك فى ضلال فالقى إليهم هذا الأمر، و ادعوهم إليك، فقد اخذت على الكتمان؟

- من أنست به رشدا فالق إليه، و خذ عليه الكتمان، فان اذاع فهو الذبح- و اشار بيده الى حلقه- ثم خرج و هو ناعم الفكر مسرور القلب بما ظفر به، فبادر إليه صاحبه قائلا:

- ما وراءك؟

- الهدى ثم حدثه بالأمر، و قصدا زرارة و أبا بصير و بعد الاجتماع بهما نقل لهما الحديث، فبادر زرارة و أبو بصير الى الامام و سألاه عن بعض المسائل فأجاب عنها فقطعا بامامته، و أقبلت جماهير الشيعة تترى أفواجا نحو الامام و هى تعقد له الولاء و الطاعة، و تعترف بامامته، و قد دانت الأغلبية الساحقة من الشيعة بامامته سوى أصحاب عمار الساباطى فانهم بقوا على فكرتهم مصرين «۱».

و تولى الامام (ع) بعد وفاة ابيه القيام بشئون الشيعة و بنشر المبادئ الاسلامية العليا و تزويد العلماء و الطلبة بشتى انواع العلوم و المعارف، و قد

---

(۱) المجالس: (ج ۵ ص ۳۲۸)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۱

وضعت عليه الحكومة بعد ذلك الرقابة الشديدة فلم يتمكن على الاتصال بالشيعة علنا كما لم تتمكن الشيعة على التصريح بعقيدتها و مبدأها.

الانكار على سياسة المنصور:

اشارة

و أخذت سياسة المنصور تتفجر بكل ما خالف كتاب اللّه و سنة نبيه فقد عمد الى قتل الابرياء، و هتك الأعراض، و سلب الأموال، و زج الأحرار فى السجون، و مطاردة رجال الفكر، و استئصال ذرية النبى (ص) و قد أثار ذلك موجات من السخط عليه، فقد اندفع بعض اعلام الاسلام الى الانكار عليه، و فيما يلى عرض لبعضهم:

۱- عبد اللّه بن طاوس:

و دخل عبد اللّه بن طاوس اليمانى «۱» على المنصور و معه مالك بن أنس، فالتفت إليه المنصور قائلا:

- حدثنى عن أبيك- حدثنى أبى، ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه اللّه فى سلطانه فادخل عليه الجور فى حكمه» فالتاع المنصور و بدا عليه الغضب الهائل، و تيقن مالك بهلاك صاحبه فضم إليه ثيابه لئلا يصيبها دم عبد اللّه، و التفت المنصور الى عبد اللّه قائلا له:

---

(۱) عبد اللّه بن طاوس بن كيسان اليمانى، كان فقيها عالما بالعلوم العربية و كان شديد البغض لآل البيت (ع) توفى فى زمان المنصور، جاء ذلك فى تهذيب التهذيب (ج ۵ ص ۲۶۷- ۲۶۸)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۲

«ناولنى الدواة» فلم يناولها له، فصاح به المنصور:

- لم لا تناولنى الدواة؟

- أخاف أن تكتب بها معصية و لم يجد المنصور جوابا له فأمر باخراجه، فانصرف عبد اللّه، و ترك المنصور يتميز غيظا و غضبا «۱».

۲- سفيان الثورى:

و دخل سفيان الثورى «۲» على المنصور، فلما استقر به المجلس التفت الى المنصور بكل جرأة قائلا له:

«اتّق اللّه، فانك انما نزلت هذه المنزلة، و صرت الى هذا الموضع بسيوف المهاجرين و الأنصار، و أبناؤهم يموتون جوعا، حج عمر بن الخطاب فما انفق إلا خمسة عشر دينارا، و كان ينزل تحت الشجر».

فقال له المنصور مستهزءا به:

- إنما تريد أن أكون مثلك

---

(۱) شذرات الذهب (ج ۲ ص ۱۸۸)

(۲) هو شيخ الاسلام و سيد الحفاظ، قال ابو أسامة من أخبرك أنه رأى مثل سفيان فلا تصدقه، و قال ابن ذئب: ما رأيت بالعراق أحدا يشبه ثوريكم، ولد سنة ۹۷ ه- و طلب العلم و هو حدث، و كان ابوه من علماء الكوفة، توفى فى البصرة متخفيا من المهدى لأنه كان قوالا بالحق شديد الانكار، كانت وفاته فى شهر شعبان سنة ۱۶۱ ه-، جاء ذلك فى تذكرة الحفاظ (ج ۱ ص ۱۹۰- ۱۹۲)، و قد اقتبس الكثير من علومه من الامام الصادق (ع) لأنه كان من تلامذته.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۳

- لا- تكن مثلى، و لكن كن دون ما أنت فيه، و فوق ما أنا فيه فصاح به المنصور «اخرج» فانبرى إليه الثورى و هو يسدد له سهما من منطقه الفياض قائلا:

- إنى لأعلم مكان رجل واحد، لو صلح صلحت الأمة كلها.

- من هو؟

- أنت يا أمير المؤمنين ثم تركه و انصرف عنه، و قد كوى قلبه بكلامه «۱».

۳- ابن أبى ذئب:

و دخل جماعة من كبار الفقهاء فى الاسلام على المنصور عند ما ولى الخلافة، و كان مجلسه مهيبا مفزعا، فقد جلس على فراش قد

نظم بالدر و الأحجار الكريمة، و أحاط به جمع من حراسه قد شهروا السيوف يترقبون صدور الأمر منه باعدام أى شخص كان، و لما استقر المجلس بالفقهاء رمقهم المنصور بطرفه و هو يقطر غضبا و حنقا عليهم، قائلا لهم:

«أما بعد يا معشر الفقهاء، فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره، و ضاق به ذرعه، و كنتم أحق الناس بلزوم الطاعة و النصيحة فى السر و العلانية لمن استخلفه اللّه عليكم».

فانطلق إليه الزعيم الدينى مالك بن أنس يظهر له الطاعة و كذب الوشاة عليهم قائلا:

«يا أمير المؤمنين، قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ فهدأت ثورة المنصور و سكن غضبه و التفت إليهم قائلا:

---

(۱) المسامرات (ج ۱ ص ۹۸)

«أى الرجال أنا عندكم؟ أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور؟» و توسل إليه مالك باللّه، و تشفع إليه بالنبى (ص) أن يعفيه عن الجواب فعفاه عنه و انبرى إليه ابن سمعان الذى كان من «وعاظ السلاطين» مبينا له أنه ظل اللّه فى ارضه و انه رمز العدالة و محقق السلام بين الناس قائلا له:

«أنت و اللّه خير الرجال، يا أمير المؤمنين، تحج بيت اللّه الحرام، و تجاهد العدو، و تؤمن السبل، و يأمن الضعيف بك أن يأكله القوى، و بك قوام الدين، فأنت خير الرجال و أعدل الأئمة».

و قد تزلف الى المنصور بهذا المنطق الرخيص الذى هو منطق العملاء و العبيد فانه ينم عن نفس طبع عليها الخنوع و النفاق، و التفت المنصور الى ابن أبى ذئب «۱» قائلا له:

«ناشدتك اللّه، أى الرجال أنا عندك؟» فانطلق مجيبا له كالاسد الهادر لم يخفه ذلك المنظر الرهيب و لم يخش بأس تلك السلطة الجائرة، فقد كان يملك ضميرا حيا، و رصيدا قويا من الايمان و العقيدة قائلا له:

«أنت و اللّه عندى شر الرجال، استأثرت بمال اللّه و رسوله، و سهم

---

(۱) ابن ابى ذئب هو محمد بن عبد الرحمن القرشى العامرى المدنى الفقيه قال احمد بن حنبل: كان ابن أبى ذئب افضل من مالك إلا أن مالكا أشد تنقية للرجال منه، و قال الواقدى: إنه من أورع الناس و أفضلهم، ولد سنة ثمانين، و كان قوالا بالحق لا يهاب السلطة، فقد دخل المهدى مسجد النبى (ص) فلم يبق أحد من الناس إلا قام له إجلالا و تكريما سوى ابن أبى ذئب، فقيل له: قم فهذا امير المؤمنين، قال إنما يقوم الناس لرب العالمين، توفى سنة ۱۵۹ ه- جاء ذلك فى تذكرة الحفاظ (ج ۱ ص ۱۷۹- ۱۸۱)

ذوى القربى و اليتامى و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت القوى، و أمسكت أموالهم، فما حجتك غدا بين يدى اللّه:

و ما وسع المنصور أمام لسع الحق إلا أن يغضب و يصيح:

«ويحك!! ما تقول؟: أتعقل؟ أنظر ما أمامك؟- و أشار الى الجلادين».

فانبرى إليه مبينا له عدم اعتنائه بهم قائلا:

«نعم، قد رأيت أسيافا، و إنما هو الموت، و لا بد منه عاجله خير من آجله ..».

و قام عنه، و قد حطم كيانه بهذه الصراحة التى انبعثت عن ضمير حى «۱».

۴- عبد الرحمن بن زياد:

و وفد عبد الرحمن بن زياد الافريقى على المنصور فأقام بباب بلاطه شهرا لا يمكنه من الدخول عليه، ثم أذن له فلما استقر به المجلس قال له:

- ما أقدمك؟

- ظهر الجور ببلادنا فجئت لأعلمك، فاذا الجور يخرج من دارك، و رأيت أعمالا سيئة، و ظلما فاشيا ظننته لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان الأمر أعظم ..»

فالتاع المنصور من كلامه و أمر باخراجه «۲» و وفد عليه مرة اخرى فقال له:

- كيف سلطانى من سلطان بنى أمية؟

---

(۱) الامامة و السياسة (ج ۲ ص ۱۸۵- ۱۸۷)

(۲) تأريخ بغداد (ج ۱۰ ص ۲۱۵)

- ما رأيت فى سلطانهم من الجور شيئا الا رأيته فى سلطانك- إنا لا نجد الأعوان- إن عمر بن عبد العزيز قال: إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فان كان برا أتوه ببرهم و ان كان فاجرا أتوه بفجورهم، فأطرق المنصور و لم يفه بشىء «۱».

۵- مصلح كبير:

و أعظم ناقد للمنصور قام بدوره بنقد سياسته، التى لا تتفق مع الحق و العدالة، هو مصلح كبير ضن التأريخ بالتصريح باسمه، فقد أوقف المنصور على جرائمه، و حاسبه على اعماله، و هذا نص حديثه، بينما كان المنصور يطوف بالبيت إذ انطلق إليه ذلك الرجل و هو يقول:

«اللهم: إنى أشكو إليك ظهور البغى و الفساد فى الأرض و ما يحول بين الحق و أهله من الطمع ..»

فوقعت هذه الكلمات كصاعقة على رأس المنصور الطاغية الجبار فلما فرغ من طوافه أمر باحضاره، فلما مثل بين يديه سأله عن قوله فطلب منه الأمن و عدم التعرض له إن كشف الحقيقة و أدلى بالحق فآمنه المنصور؟

فقال له:

«إن من دخله الطمع حتى حال بين الحق و أهله هو أنت يا أمير المؤمنين- ويحك!! و كيف يدخلنى الطمع و الصفراء و البيضاء عندى و الحلو و الحامض فى قبضتى؟!!- إن اللّه استرعاك للمسلمين و أموالهم فجعلت بينك و بينهم حجابا من الجص و الآجر، و أبوابا من الحديد، و حجابا معهم الأسلحة، و أمرتهم

---

(۱) تأريخ الخلفاء: (ص ۲۶۸)

أن لا يدخل عليك الا فلان و فلان، و لم تأمر بايصال المظلوم و لا الملهوف و لا الضعيف و لا الفقير و لا الجائع و لا العارى و ما منهم إلا و له فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك و آثرتهم على رعيتك يجىء لك الأموال فلا تعطيها، و تجمعها فلا تقسمها قالوا: هذا قد خان اللّه تعالى، فما لنا لا نخونه، و قد سخر لنا نفسه، فاتفقوا على أن لا يصل إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا، و لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه و نفوه حتى تسقط منزلته، و يتضع قدره، فلما اشتهر هذا

عنك و عنهم عظمهم الناس و هابوهم، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليقووا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة و الثروة من رعيتك لينالوا بهم ظلم من دونهم فامتلأت بلاد اللّه بالطمع ظلما و فسادا، و صار هؤلاء شركاؤك فى سلطانك و أنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه و بين الدخول إليك، فان أراد رفع قصته إليك وجدك قد منعت من ذلك، و جعلت رجلا ينظر فى المظالم فلا يزال المظلوم يختلف إليه و هو يدافعه خوفا من بطانتك و اذا صرخ بين يديك ضرب ليكون نكالا لغيره، و أنت تنظر و لا تفكر فما بقاء الاسلام على هذا، فان كنت يا أمير المؤمنين إنما تجمع الاموال لولدك فقد اراك اللّه فى الطفل يسقط من بطن أمه و ما له فى الارض مال و ما من مال إلا و دونه يد شحيحة تحتويه فلا يزال اللّه يلطف بذلك الطفل حتى يكثر ماله، و تعظم رغبة الناس إليه، و لست الذى تعطى و انما اللّه الذى يعطى من يشاء بغير حساب، و إن كنت إنما تجمع المال لتشييد الملك و تقويته فقد أراك اللّه فى بنى أميّة ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب و الفضة، و لا ما أعدوه من الرجال و السلاح و الكراع حين أراد اللّه تعالى بهم ما اراد، و ان كنت انما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها، فو اللّه ما فوق ما أنت فيه منزلة إلا منزلة لا تنال بخلاف

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۸

ما أنت عليه ..» «۱».

و قد كشف هذا الناقد العظيم بهذا التصريح عن جميع ما يعانيه المسلمون من الظلم و الجور الذى صبه عليهم المنصور و عملاؤه الخونة الذين نهبوا ثروات الأمة، و حجبوا عن المنصور أخبار الرعية و ما تعانيه من الضغط و الجور، فاذا فزع إليه مظلوم حالوا بينه و بين الدخول عليه، و إذا رفع عقيرته بالشكاية و الاستغاثة نكلوا به ليكون عبرة للغير، و المنصور قد حجب نفسه عن الرعية لا- يهتم بصالحها و لا يفكر فى رفع مستواها قد عكف على كنز الاموال و ادخارها فلم ينفق منها شيئا على المسلمين.

۶- عمرو بن عبيد

و اجتمع بالمنصور عمرو بن عبيد «۲» فقال له: بكل جرأة و إقدام- إنه ما عمل وراء بابك بشىء من كتاب اللّه و لا سنة نبيه- فما أصنع؟ قد قلت لك: خاتمى بيدك، فتعال أنت و اصحابك فاكفنى.

---

(۱) مختصر أخبار الخلفاء: (ص ۱۷- ۱۸)

(۲) عمرو بن عبيد البصرى شيخ المعتزلة فى عصره، و أحد الزهاد المشهورين، كان جده من سبى فارس، و أبوه نساجا، ثم شرطيا للحجاج فى البصرة، و اشتهر عمرو بعلمه، و زهده، و فيه قال المنصور:

كلكم يطلب صيدغير عمرو بن عبيد له رسائل و خطب و كتب منها (التفسير) و الرد على القدرية، توفى بالقرب من مكة، و رثاه المنصور، و لم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه، جاء ذلك فى الاعلام: (ج ۲ ص ۷۳۶).

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۲۹

- ادعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك، إن ببابك الف مظلمة اردد منها شيئا نعلم أنك صادق ..» «۱»

و لم يجد الوعظ و الارشاد مع المنصور. فقد ظل متماديا فى جوره و طغيانه لم يحذر من عقاب اللّه، و لم يخف من اليوم الآخر.

الامام موسى مع المنصور:

و شاهد الامام موسى (ع) جميع الرزايا و النكبات التى حلت باهل بيته و أسرته فانطوت نفسه على الحزن العميق، و الأسى المرير، و قد صبر محتسبا كاظما للغيظ.

و لم يشترك الامام فى الميادين السياسية، و لم ينضم الى الثوار من العلويين لعلمه بفشل حركتهم، و عدم نجاحها، فلذا كف عنه المنصور الاذى و المكروه، و قد طلب منه أن يمثله فى يوم النوروز و ينوب عنه فى قبض الهدايا و التحف التى اعتاد الوجوه و الاشراف و زعماء الجيش تقديمها الى الخليفة فقد سن ذلك معاوية بن أبى سفيان فى الاسلام و سار على منواله و خطته الملوك من بعده، و قد امتنع (ع) من اجابته قائلا:

«انى قد فتشت الاخبار عن جدى رسول اللّه (ص) فلم أجد لهذا العيد خبرا، و انه سنة للفرس قد محاها الاسلام، و معاذ اللّه ان نحى ما محاه الاسلام ..».

فلم يعتن المنصور بعدم مشروعيته، و أصر على الامام أن ينوب عنه لان فى ذلك مجاراة لجنوده الفرس الذين اعتادوا على الاحتفال بهذا اليوم، و لم يجد الامام بدا من اجابته فجلس فى مكانه و دخل عليه الوجوه، الزعماء

---

(۱) عيون الأخبار ۲/ ۳۳۷

يهنئونه و يحملون له الهدايا و التحف، و على رأسه شخص من قبل المنصور يسجل ما يصل إليه، و فى الوقت دخل على الامام شيخ طاعن فى السن رث الهيئة و هو يحمل له هدية أثمن من الجوهر و أغلى من جميع ما قدم له فوقف قبال الامام و هو يقول.

«يا سيدى انى رجل صعلوك لا مال لى لأتحفك به، و لكنى اتحفك بأبيات ثلاث قالها جدى فى جدك الحسين ..».

- مرحبا بك و بهديتك، اتل ما قال.

فانطلق يقول:

عجبت لمصقول علاك فرنده‌يوم الهياج و قد علاك غبار

و لأسهم نفذتك دون حرائريدعون جدك و الدموع غزار

أ لا تضعضعت السهام و عاقهاعن جسمك الاجلال و الاكبار فانقلبت مسرات ذلك اليوم الى مأتم حافل بالاسى و الحزن على سيد الشهداء (ع) و التفت إليه الامام و قد استولى عليه الشجى و الحزن قائلا له:

«قبلت هديتك، اجلس بارك اللّه فيك ..»

ثم انه رفع رأسه الى الخادم فقال له: امض الى المنصور و عرفه بهذا المال و ما يصنع به، فمضى الى المنصور و أخبره بمقالة الامام، فقال له جميع ما وصل فهو هدية له، فقفل راجعا الى الامام و اخبره بالامر، فوهب (ع) جميع تلك الاموال الضخمة الى الشيخ كرامة لجده الذى رثى سيد الشهداء بهذه الابيات الرقيقة «۱».

و لم تصرح هذه الرواية انه (ع) فى أى بلد أقام ممثلا عن المنصور، هل فى يثرب أم فى بغداد؟ فقد أهملت هذه الجهة مضافا الى ما عرف به المنصور من البخل و الشح، و هذا مما يوجب الريبة فى الرواية.

---

(۱) المناقب: (ج ۲ ص ۳۸۰)، البحار (ج ۱۱ ص ۲۶۴)

هلاك المنصور:

و قرر المنصور السفر الى مكة، و اعتقد أنه سيهلك فى سفره، و قد هام فى تيار من الهواجس و الافكار فكان يقول: «إنى ولدت فى شهر ذى الحجة و توليت الخلافة فى ذى الحجة، و أهجس فى نفسى انى أموت فى ذى الحجة هذه السنة» «۱» و قد عهد بأمره الى

ولده المهدى، و نصبه ملكا من بعده و قد اوصاه بهذه الوصية التى كشفت جانبا كبيرا من سياسته الارهابية التى اشاعت الفقر و الخوف و السجون بين المسلمين فقد جاء فيها:

«انى تركت بعض المسيئين من الناس ثلاثة أصناف فقيرا لا يرجو الا غناك، و خائفا لا يرجو الا أمنك، و مسجونا لا يرجو الفرج الا منك فاذا وليت فأذقهم طعم الرفاهية، لا تمدد لهم كل المد .. و قد جمعت لك من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبلى و جمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى و بنيت لك مدينة لم يكن فى الاسلام مثلها ..». «۲»

انه لم يترك بعض المسيئين من الناس على ثلاثة اصناف، و انما ترك الناس جميعا كذلك فقد روعهم بخوفه، و سلبهم الامن و الدعة، و نشر الفقر و المجاعة بينهم، و ملئ السجون بالاحرار و المصلحين.

و سار موكبه من بغداد يطوى البيداء فلما بعد عن الكوفة عرض له وجعه على اشد ما يكون، و أخذت الهواجس تنتابه فى الطريق فجعل يقول للربيع: «بادر بى الى حرم ربى و أمنه هاربا من ذنوبى».

---

(۱) ابن الاثير ۵/ ۴۳

(۲) تأريخ اليعقوبى ۳/ ۳۴۹

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳۲

و بلغ المرحلة الاخيرة من طريقه فقال له الربيع: قد وصلنا (بئر ميمون) و قد دخلنا الحرم فقال له المنصور: (الحمد للّه فهل لك أن توصلنى الى الكعبة؟» و ثقل حاله فلم يتمكن الربيع على أن يواصل السير فاقام هناك، و منع الناس من الدخول عليه، و فى فجر يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة (۱۵۸) هلك الطاغية الجبار الذى اذاق الناس جميع صنوف الظلم و الخوف.

لقد انطوت تلك الصفحة الحافلة بالجور و الاثم و الموبقات، فلم يعهد المسلمون فى جميع مراحل تأريخهم حاكما أظلم و لا اعنف و لا اقسى من المنصور و كان عمر الامام موسى (ع) آنذاك ثلاثين سنة، و قد قضى زهرة حياته فى عهد هذا الطاغية و هو مكلوم القلب حزين النفس قد طافت به الآلام حزنا على المسلمين و جزعا على ما لاقاه العلويون من التنكيل و العذاب الاليم، و هنا نودعه لنلتقى به فى عهد المهدى.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳۳

فى عهد المهدى

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳۵

استقبل العالم الاسلامى حكومة المهدى بمزيد من الأفراح و المسرات و ذلك لما لاقاه فى عهد المنصور من الشدة و الصرامة و الجور فى الحكم فقد انتهت بموته فالمهدى ألين جانبا من أبيه فقد عرف بالسخاء و بسط الكف و عدم القسوة و الغلظة.

و حينما استقل المهدى على دست الحكم أصدر مرسوما ملكيا بالعفو عن جميع المعتقلين و المساجين السياسيين سوى من كان فى عنقه دم أو كان ذا فساد فى الأرض، كما رد جميع الأموال المنقولة و غير المنقولة التى صادرها أبوه ظلما و عدوانا الى أهلها، فرد على الإمام موسى ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق (ع)، و يعود السبب فى جميع ذلك الى انه قد تلقى الملك على جانب عظيم من الاستقرار و الطمأنينة بالاضافة الى ذلك فانه ظفر بثراء عريض جهد فى جمعه أبوه المنصور فقتر على نفسه و على الأمة فلم ينعم هو و لا المجتمع بخيرات ذلك المال الكثير، و من المؤسف أن المهدى قد انفق جميع الثروات الضخمة على اللهو و المجون و

الهبات للعملاء و الماجنين، و لم تستفد الطبقة الضعيفة منها شيئا فانه لم يرفه عليها بشيء فلم يكن له هم إلا اشباع شهواته و الاسراف فى البذخ و الترف و المجون.

و على اى حال فان المهدى لا يقاس بأبيه فقد خالفه بأغلب صفاته و اعماله إلا انه ورث منه العداء العارم للعلويين و شيعتهم، فقد كان يبغضهم بغضا شديدا، لقد ورث ذلك من أبيه المنصور الذى كان يعتقد ان لا بقاء له فى الحكم و السلطان إلا بالقضاء على العلويين و شيعتهم ... و نعرض فيما يلى الى بعض نزعاته و اعماله، و ما لاقاه الامام موسى (ع) فى عهده.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳۶

[بعض نزعاته و اعماله]

خلاعته و مجونه

: و الخلافة الاسلامية ظل اللّه فى الارض فلا بد ان تمثل اهداف الاسلام و واقعه و هديه، و لا بد أن تصان من العبث و المغريات، و تنزه عن اللهو و المجون، و لكن حكام الأمويين و العباسيين لم يوثر عن الكثيرين منهم انهم قد ابتعدوا عما حرمه اللّه من المنكر و اللهو فقد حولوا الخلافة الاسلامية الى مسارح للرقص و اللذة و الفساد، و لو انهم خلعوا عن نفوسهم ثوب الخلافة لصانوا الاسلام، و حافظوا على مثاليته.

و شاع اللهو فى عهد المهدى، و انتشر المجون، و سادت الميوعة و التحلل بين الناس، فقد ذاع شعر بشار، و حفظ الناس تغزله بالنساء، و قد ضج الاشراف و الغيارى من ذلك، و دخل على المهدى يزيد بن منصور فطلب منه أن يوقف بشارا عند حده و يمنعه من الغزل المكشوف فاستدعاه المهدى و نهاه عن ذلك، و إليه يشير بشار بقوله:

قد عشت بين الريحان و الراح و الزهر فى ظل مجلس حسن

و قد ملأت البلاد ما بين فغفور الى القيروان فاليمن «۱»

بشعر تصلى له العوائق و الثبب صلاة الغواة للوثن

ثم نهانى المهدى فانصرفت‌نفسى صنيع الموفق اللقن

فالحمد للّه لا شريك له‌ليس بباق شيء على الزمن و مع ذلك فقد ظل بشار يتغزل و يمجن من طريق خفى، و فى ذلك يقول:

يا منظرا حسنا رأيته‌من وجه جارية فديته

---

(۱) فغفور: من ملوك الصين

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۳۷ بعثت إلى تسومنى‌ثوب الشباب و قد طويته

و اللّه رب محمدما إن غدرت و لا نويته

أمسكت عنه و ربماعرض البلاء و ما ابتغيته

إن الخليفة قد أبى‌و إذا أبى شيئا أبيته

و نهانى الملك الهمام عن النساء فما عصيته

بل قد وفيت و لم أضع‌عهدا و لا وأيا وأيته «۱»

و أنا المطل على العدى‌و إذا غلا الحمد اشتريته

و أميل فى أنس النديم من الحياء و ما اشتهيته

و يشوقنى بيت الحبى-ب اذا غدوت و أين بيته

حال الخليفة دونهفصبرت عنه و ما قليته و يقول أيضا:

دفنت الهوى فلست بزائرسليمى و لا صفراء ما قرقر القمرى

تركت لمهدى الأنام و صالهاو راعيت عهدا بيننا ليس بالختر «۲»

و لو لا أمير المؤمنين محمدلقلبت فاها او لكان بها فطرى

لعمرى لقد أوقرت نفسى خطيئةفما أنا بالمزداد وقرا على وقر «۳» لقد ضيق عليه فى بادئ الامر ثم أطلق سراحه، و لكنه انجرف هو بتيار من المجون و الدعارة، و يعتبر المؤسس الاول للهو فى دولة بنى العباس يقول الجاحظ:

«إنه احتجب بادئ ذى بدء عن المغنين ثم قال: انما اللذة فى

---

(۱) الوأى: الوعد

(۲) الختر: الغدر و الخديعة

(۳) ضحى الاسلام: (ج ۱ ص ۱۱۲- ۱۱۴)

مشاهدة السرور فى الدنو ممن سرنى فأما من وراء وراء فما خيرها و لذتها؟» «۱» و بلغه حسن صوت ابراهيم الموصلى و جودة غنائه فقربه إليه و اعلى من شأنه «۲» و لما أقبل على المجون و اللهو ظن الناس به الظنون و اتهموه بشتى التهم و الى ذلك يشير بشار بن برد العقيلى فى هجائه له:

خليفة يزنى بعماتهيلعب بالدف و بالصولجان

أبدلنا اللّه به غيرهو دس موسى فى حر الخيزران «۳» و ذكر الجاحظ أنه كان يحب القيان و سماع الغناء، و كان معجبا بجارية يقال لها: «جوهر» كان قد اشتراها و له فيها شعر «۴» و كان مولعا بشرب الخمر حتى نهاه عن ذلك وزيره يعقوب بن داود قائلا له:

«أبعد الصلاة فى المسجد تفعل هذا؟».

فلم يلتفت لنصحه و قد سمع بذلك بعض الشعراء الماجنين فحبذ له الاستمرار فى شربها و عدم الاعتناء بقول وزيره قائلا:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباو اقبل على صهباء طيبة النشر «۵» لقد اطلق المهدى العنان لشهواته و ملذاته و مجونه حتى نشأ ولده ابراهيم و بنته علية على ذلك، فكان ابراهيم شيخ المغنين و علية فى طليعة المغنيات و العازفات فى بغداد.

---

(۱) التاج: (ص ۳۵)

(۲) الاغانى (ج ۵ ص ۵)

(۳) شذرات الذهب (ج ۱ ص ۲۶۵)

(۴) اخلاق الملوك: (ص ۳۴)

(۵) الفخرى: (ص ۱۶۷)

بذخه و اسرافه:

و أسرف المهدى على شهواته جميع ما تركه المنصور من الاموال الطائلة التى نهبها من المسلمين فقد صرفها المهدى على الملذات و

المجون و ترک المجتمع يئن من آلام الفقر و البؤس، و قد بذخ المهدی بذخا كثيرا بهر الناس به و أهم صورة لبذخه و اسرافه كانت فی تزويجه لولده هارون بالسيدة زبيدة فقد احتفل احتفالا كبيرا، و انفق عليه من أموال المسلمين خمسين الف الف درهم، و قد أقام الدعوة فی قصر الخلد علی ضفاف دجلة، و وجه الدعوة الی الناس قبل شهور فدعا جميع الآفاق فأقبلوا مبادرين و قد منوا انفسهم بالاموال الطائلة، فنزلوا ضيوفا عند المهدی و قد أتی بالآلات المختلفة فكان منها أوان صنعت بالذهب و الفضة و كانت الفرش و البسط ارمنية فاخرة قد ظفر بها العباسيون حينما استولوا علی مقدرات الدولة الاموية، و كانت تلك البسط من تراث الوليد بن يزيد و كان مغرما بها فكان يزين بها ارض مجلسه و حيطان قصوره. و كانت أفخر ما اهدی للخلفاء و قد قال عنها (ماركوبولو) الرحالة: لم تر عين أجمل و لا- أجود منها، و أتی أيضا بالثياب المطرزات بالذهب، و بالطيب المختلف الالوان و الضروب، و بالجوهر الذی ملأ به الصناديق الكبار، و بالحلی المرتفعات الاثمان، و ملأ القصر بأجمل الوصائف و الخدم و الغلمان.

فلما كانت ليلة الزفاف، ألبست زبيدة قميصا كله من الدر الكبار، ما لم ير مثله، و لم يقف أحد من المقومين له علی قيمة لنفاسته، و البسها بدنة امرأة هشام بن عبد الملك، و البدنة ثوب كله من الذهب. لا يدخل فيه من الغزل سوی اوقيتين، و ينسج سائره بالذهب، و زينها بالحلی حتی

حياة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۴۴۰

لم تقدر علی المشی لكثرة ما عليها من الجوهر. و يقول متز: «إن هذا شیء لم يسبق إليه أكاسرة الفرس، و لا قياصرة الروم و لا ملوك الغرب».

و جاءت نساء بنی هاشم فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب و شیء، و كيس فيه دنانير و آنية ملآی بالفضة و كان الخدم يملئون أوانی الذهب بالدراهم و أوانی الفضة بالدنانير ثم يدفعون ذلك الی وجوه الناس، و يردفونه بنوافح المسك و قطع العنبر «۱» و ذكر الشابشتی فی كتابه «الديارات» ان المهدی لما زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة أخيه استعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة و صناديق الجوهر و الحلی و التيجان و الاكاليل و قباب الفضة و الذهب و الطيب و أعطاها بدنة عبدة امرأة هشام قال: و لم ير فی الاسلام مثلها، و مثل الحب الذی كان فيها، و كان فی ظهرها و صدرها خطان من ياقوت أحمر و باقيها من الدر الكبار الذی لا يوجد مثله «۲» و يقال أن المقومين لم يقفوا علی قيمة هذا الدر لنفاسته «۳».

هذه صورة من صور البذخ و الاستهتار بأموال المسلمين التی احتاط بها الاسلام أشد الاحتياط و الزم بانفاقها علی المصالح العامة، و حرم علی ولاة الامور أن يصطفوا لانفسهم منها أی شیء.

و من بذخه و استهانته بأموال الدولة أنه اشتری فصا من ياقوت أحمر كان فی غاية النفاسة بثلاثمائة الف دينار، و كانت الاموال أكياسا فلما نضد بعضها علی بعض صارت كالجبل، و لما استلمه وهبه لولده الهادی «۴»

---

(۱) بين الخلفاء و الخلعاء (ص ۲۵- ۲۶) نقلا عن الديارات «دير السوسی».

(۲) الديارات (ص ۱۰۰)

(۳) تحفة العروس: (ص ۳۶)

(۴) الجماهر: (ص ۶۱)

حياة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۴۴۱

و بهذا نقف علی مدی اسرافه و تبذيره، و من يستطيع يا تری فی ذلك العصر أن يجابه الخليفة بالنقد و يقول له ان تلك الأموال ملك للامة و ليس له فيها أی نصيب، و لا حق له فی التصرف بها،

نفوذ المرأة:

و المرأة بطبيعتها تدفعها تيارات العواطف الى تحقيق رغباتها، فكيف يصح لها ان تتصرف فى امور المجتمع، و قد شعر بذلك المنصور و السفاح فانهما لم يدعا أى مجال للمرأة بالدخول فى الشؤون السياسية، و لكن لما ولى الخلافة المهدى بدا سلطان المرأة ينفذ فان زوجه الخيزران كان لها سلطان و نفوذ قوى على القصر، و الندماء، و الحجاب و الأطباء و غيرهم فكانت تقرب من تشاء، و تبعد من تشاء، و قد اخذت فى مناكدة بختشيوع بن جورجيس الطبيب الشهير فأرغمت المهدى على اعادته الى جنديسابور «۱» و منذ ذلك اليوم أخذ نفوذ المرأة يزداد و يقوى حتى بلغ أوجه فى أواسط الدولة العباسية و آخرها الأمر الذى ادى الى شيوع الاضطراب و عدم الاستقرار بين الناس.

الرشوة و الظلم:

و انشغل المهدى بلهوه و ملذاته عن رعيته فأهمل شئونها فأخذ ذئاب عماله ينهبون الاموال و يسلبون الثروات، و انتشرت الرشوة انتشارا هائلا عند جميع الموظفين خصوصا فى اقليم مصر فقد كان الوالى عليه موسى بن

---

(۱) اخبار الحكماء للقفطى: (ص ۱۰۱)

مصعب، فشدد فى أخذ الخراج، و زاد على كل فدان ضعف ما تقبل به و جعل الخراج على اهل الاسواق و الدواب، و عمد الى الرشوة فى الأحكام و الى ذلك يشير الشاعر بقوله:

لو يعلم المهدى ما ذا الذى‌يفعله موسى و أيوب

بأرض مصر حين حلابهالم يتهم فى النصح يعقوب «۱» و قد عمد المهدى نفسه الى ظلم الناس و الاجحاف بحقوقهم، فقد أمر بجباية اسواق بغداد، و جعل الاجرة عليها «۲» و قد اشتد الضغط على المواطنين، و نال اهل الخراج من الشدة و العذاب الى حد لا سبيل الى تصويره «۳» و ان رفع أحد عقيرته شاكيا أو مستغيثا فمصيره الى القبور او الى السجون.

العناية بالوضاعين:

و قرب المهدى طائفة من علماء السوء الذين لم تتهذب ضمائرهم بتعاليم الدين، فراحوا يؤيدون الظالمين و يسبغون عليهم الالقاب الحسنة، و النعوت الشريفة تقربا إليهم و طمعا فى دنياهم، و قد نسوا المثل العليا التى جاء بها الاسلام فانساقوا وراء الطمع و الجشع، و تهالكوا على المادة، و صعروا جباههم أمام الملوك و السلاطين، فأحاطوهم بهالة من التقديس و التعظيم، و أبرزوهم الى المجتمع انهم يمثلون ارادة اللّه و ان الخطأ لا يتطرق إليهم، هؤلاء هم الذين فتكوا بالاسلام و شوهوا معالمه، و قد قرب المهدى جماعة

---

(۱) الولاة و القضاة: (ص ۱۲۵)

(۲) تأريخ اليعقوبى: (ج ۳ ص ۱۳۴)

(۳) الجهشيارى: (ص ۱۰۳)

من هؤلاء العبيد فأخذوا ينمقون الأباطيل و يلفقون الأكاذيب فى مدح المهدى و الثناء عليه، و هم أمثال أبى معشر السندى الذى هو اكذب انسان تحت السماء «۱» و كغياث بن ابراهيم الذى عرف هوى المهدى فى الحمام و عشقه لها فحدثه عن أبى هريرة أنه قال:

«لا سبق إلا فى حافر او نصل، و زاد فيه أو جناح ..»

فأمر له المهدى عوض افتعاله للحديث بعشرة آلاف درهم، و لما ولى عنه قال لجلسائه:

«أشهد أنه كذب على رسول اللّه (ص) ما قال رسول اللّه ذلك، و لكنه أراد ان يتقرب إلى ..» «۲»

و مع علمه بكذبه على رسول اللّه (ص) فقد أوصله و أعطاه، و بذلك فقد شجع حركة وضع الحديث، و عمل على تنميتها، و هى من أعظم الكوارث التى منى بها الاسلام فقد اوجبت الحط من شأنه، و ادخال كثير من الخرافات فيه، و سنذكر ذلك بمزيد من البيان عند عرض «مشكلات عصر الامام»

عداؤه للعلويين:

و ورث المهدى من أبيه المنصور العداء الشديد للعلويين و شيعتهم فقد أترعت نفسه بالبغضاء و الكراهية لهم، و يعود السبب فى ذلك الى أن العباسيين لم يكن لهم أى حق فى الحكم، فان الثورة على الحكم الاموى انما قامت من اجل العلويين حماة العدل و الحق فى الاسلام.

لقد كانت الثورة تحمل طابع التشيع و واقعه فقد اتخذه الثوار شعارا

---

(۱) تأريخ بغداد: (ج ۶ ص ۳۴۶)

(۲) تأريخ بغداد ۲/ ۱۹۳

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۴

لهم فناضلوا من أجله، و قد انضم العباسيون الى الدعوة على هذا الاساس و آية ذلك ان المهدى دخل على أبى عون و هو من اعز اصحابه و آثرهم عنده عائدا له، و طلب منه المهدى ان يعرض عليه حوائجه ليقوم بقضائها فقال له ابو عون:

- حاجتى ان ترضى عن ولدى عبد اللّه فقد طالت موجدتك عليه- يا أبا عبد اللّه انه على غير الطريق و على خلاف رأينا و رأيك، انه يقع فى الشيخين و يسىء القول فيهما- هو و اللّه يا أمير المؤمنين على الأمر الذى خرجنا عليه، و دعونا إليه فان كان قد بدا لكم فمرونا بما احببتم حتى نطيعكم ..» «۱».

و هذه البادرة تدل بوضوح على أن الثورة على الحكم الاموى انما كانت شيعية بجميع أبعاد هذه الكلمة، و هناك بادرة أخرى تدل على ذلك فقد بعث القاسم بن مجاشع بوصيته الى المهدى ليشهد فيها، و قد جاء فيها:

«شهد اللّه أن لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم، ان الدين عند اللّه الاسلام يشهد بذلك، و يشهد أن محمدا عبده و رسوله، و ان على بن أبى طالب وصى رسول اللّه (ص) و وارث الامامة من بعده».

فلما قرأ المهدى الفقرات الأخيرة من الوصية رماها من يده و لم ينظر فى باقيها «۲».

لقد آمن بذلك خواص بنى العباس، و اعتقدوا جازمين ان الثورة انما قامت من أجل التشيع الا ان العباسيين الذين اختلسوا الحكم قد انحرفوا عنها من اجل اطماعهم، و بقائهم على دست الحكم.

---

(۱) تأريخ الطبرى احداث سنة ۱۶۹

(۲) الطبرى ۶/ ۳۹۷

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۵

و على أى حال فان المهدى كان يكن فى اعماق نفسه البغض الشديد للعلويين، اما مظاهر ذلك العداء فهى:

اغداق الاموال على انتقاص العلويين:

و سرف المهدى الاموال الضخمة على انتقاص أهل البيت و الحط من شأنهم، و قد عرف فريق من الشعراء المرتزقين ان الوسيلة فى ثرائهم انتقاصهم لأهل البيت و المبالغة فى ذمهم فراحوا يلفقون الأكاذيب فى هجائهم، و من جملة هؤلاء العبيد بشار بن برد المعروف بالزندقة و الالحاد فقد دخل على المهدى و أنشده قصيدته التى يقول فيها:

يا ابن الذى ورث النبى محمدادون الاقارب من ذوى الأرحام

الوحى بين بنى البنات و بينكمقطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرجال فريضةنزلت بذلك سورة الانعام «۱»

أنى يكون و ليس ذاك بكائنلبنى البنات وراثة الأعمام فأجازه المهدى على ذلك بسبعين الف درهم تشجيعا له و لغيره من باعة الضمير على انتقاص اهل البيت، و لما سمع الامام موسى (ع) بقصيدة بشار تأثر أشد التأثر و نام ليلته قلقا متألما، و قد سمع هاتفا يتلو عليه أبياتا تعارض ابيات بشار و هى:

أنى يكون و لا يكون و لم يكنللمشركين دعائم الاسلام

لبنى البنات نصيبهم من جدهمو العم متروك بغير سهام

ما للطليق و للتراث و إنماسجد الطليق مخافة الصمصام

---

(۱) ليس فى سورة الانعام ما يشير الى هذا المعنى بل ليس فيها اى حكم من أحكام الميراث.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۶ و بقى ابن شلة واقفا متلددافيه و يمنعه ذوو الأرحام

ان ابن فاطمة المنوه باسمهحاز التراث سوى بنى الأعمام «۱» و لما شاع ذلك عن المهدى أخذ الشعراء يتقربون إليه فى هجاء أهل البيت فمنهم مروان بن أبى حفص فقد انشد بين يديه هذه القصيدة التى يقول فيها:

هل تطمسون من السماء نجومهابأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة عن ربكمجبريل بلغها النبى فقالها

شهدت من الأنفال آخر آيةبتراثهم فأردتم ابطالها فلما سمع ذلك المهدى زحف عن مصلاه حتى صار على البساط و هو لا يملك نفسه قائلا له:

- كم بيت هى؟

- مائة بيت فأمر له بمائة الف درهم، و قال له: «إنها لأول مرة أعطيها شاعر فى خلافة بنى العباس» «۲» لقد وهب هذه الاموال الخطيرة للحط من شأن اهل البيت و التقليل من اهميتهم، و هو لم ينل مع باقى أسرته مركز الخلافة الاسلامية الا باسم العلويين و جهادهم و تضحياتهم.

---

(۱) احتجاج الطبرسى: (ص ۲۱۴)، و قيل ان الابيات لمحمد بن يحيى التغلبى جاء ذلك فى (الشعر فى بغداد ص ۱۱۰)

(۲) تأريخ بغداد: (ج ۳ ص ۱۴۴)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۷

نكبته لوزيره يعقوب:

كان يعقوب بن داود قد احرز عند المهدى نفوذا كثيرا حتى أخلص له فى الحب و شاركه فى جميع اموره، و قد اعلن ذلك فى ديوانه الرسمى و فى ذلك يقول مسلم الخاسر:

قل للامام الذى جاءت خلافته تهدى إليه بحق غير مردود

نعم القرين على التقوى أعنت به أخوك فى اللّه يعقوب بن داود و غلب يعقوب على امر المهدى فكانت جميع أموره بيده يتصرف فيها حيثما شاء، و قد حقد عليه جماعة من أعدائه و حسدوه على هذا النفوذ العظيم فأهابوا بالمهدى على إبعاده عن منصبه فلم يقبل ذلك منهم و امتنع من إجابتهم، و جعل حساده يعملون شتى الوسائل لابعاده عن منصبه، فقد اجتاز المهدى على جدار فرأى قد كتب عليه هذا البيت:

للّه درك يا مهدى من رجل لو لا اتخاذك يعقوب بن داود فلم يعتن به و أمر أن يكتب تحته هذه العبارة «على رغم الكاتب و أنفه، و تعسا لجده»، و لما يئس منه أعداؤه جعلوا يستنجدون بنى أمية و يطلبون يقظتهم و فى ذلك يقول بشار بن برد:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة اللّه بين الناى و العود «۱» و لما سدت على مناوئيه جميع الطرق سلكوا طريقا آخر تمكنوا به من زوال نعمته و انزال الكارثة به، فقد قالوا للمهدى انه يميل للعلويين و انه من أنصارهم و دعاتهم، و انه كان معهم عند قيامهم على أبيه، و كان كاتبا

---

(۱) ابو الفداء: (ج ۲ ص ۱۰)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۸

عند ابراهيم بن عبد اللّه، و قد خرج مع محمد فى ثورته على المنصور فى يثرب و لما سمع المهدى بهذه النقاط تغير حاله و انقلب رأسا على عقب و هام فى تيار من الهواجس و الهموم فأراد اختباره و الوقوف على حقيقة حاله فدعاه الى بلاطه و قد فرشه بفرش موردة كما لبس ثيابا موردة، و على رأسه جارية جميلة، و أظهر المهدى السرور و الارتياح، و أهدى له جميع ما فى ذلك المجلس من الأفرشة الثمينة مع الجارية، و طلب منه مهمة أن يقوم بها و هى أن يعدم علويا أراد التخلص منه، فأجابه يعقوب الى ذلك بعد ان اقسم له بالايمان المؤكدة ان يقوم بذلك، و انصرف يعقوب و معه العلوى فلما استقر فى ثويه تكلم مع العلوى فرآه أديبا كاملا ناضجا، و توسل إليه العلوى بشتى الوسائل ان يعفو عنه و يخلى سبيله فأجابه الى ذلك و أعطاه أموالا يستعين بها على دهره و محنته، و كانت الجارية التى أهداها له المهدى عينا عليه فمضت الى المهدى فنقلت له الحديث بكامله، فأرسل المهدى الشرطة و العيون خلف العلوى حتى قبضوا عليه و لما جاءوا به أخفاه ثم امر باحضار يعقوب فلما مثل عنده سأله عن العلوى فأخبره بانه قد نفذ فيه حكم الاعدام، فقال له المهدى: انه قد مات، فقال يعقوب: نعم، و طلب منه المهدى ان يضع يده على رأسه، و يقسم على ذلك، ففعل، فقال المهدى لغلام له: اخرج إلينا من فى هذا البيت، فاخرج العلوى، فلما رآه يعقوب تحير، و امتنع عليه الكلام فقال له المهدى: قد حل لى دمك و لو آثرت اراقته لأرقته ثم امر بسجنه مؤبدا فى المطبق «۱» و صادر جميع أمواله، و بقى فى سجنه

---

(۱) المطبق حبس مظلم كبير بناه المنصور بين طريق البصرة و طريق باب الكوفة، و باسمه سمى الشارع الذى يقع فيه هذا السجن، و كان متين البناء قوى الاساس و كان من اهم سجون بغداد و استمر الى عهد المتوكل، جاء ذلك فى (بغداد فى عهد الخلافة العباسية ص ۳۴) و جاء فى الفخرى حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ج ۱ ۴۴۹ نكبته لوزيره يعقوب: ..... ص : ۴۴۷

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۴۹

حتى آل الامر الى الرشيد فتوسط فى اطلاق سراحه يحيى بن خالد البرمكى فعفا عنه، فخرج هزيل الجسم مكفوف البصر قد لبس ثوبا

من الذل و الهوان «۱» و دلت هذه البادرة على مدى بغض المهدى للعلويين و شيعتهم.

مع الامام موسى:

اشارة

و لم يتعرض المهدى فى بداية حكمه الى الامام بمكروه و لم ينله بسوء و قد اكتفى عن التنكيل به بوضع الرقابة الشديدة عليه، و لما شاع ذكره فى الاوساط و ذاع صيته لم يملك المهدى غضبه فعمد الى اعتقاله و لكنه سرعان ما اطلق سراحه لانه قد رأى برهانا من ربه كما سنذكره، و نعرض بعض البوادر التى جرت للامام معه مع بيان اعتقاله.

استدلاله على حرمة الخمر:

حج المهدى بيت اللّه الحرام، و بعد أدائه للمناسك قفل الى زيارة قبر النبى (ص) و قد بذل أموالا طائلة الى المدنيين، و اجتمع به الامام فلما استقر به المجلس وجه له المهدى السؤال الآتى:

- هل الخمر محرمة فى كتاب اللّه؟ فان الناس انما يعرفونها، و لا يعرفون التحريم.

(ص ۲۲۱) ان المطبق كانت فيه غرف واسعة و ضيقة و آبار يسجن فيها و ان يعقوب بن داود قد دلى بحبل فى بئر مظلمة لا يرى فيها ضوء.

(۱) الوزراء و الكتاب (ص ۱۱۹- ۱۲۱)، الفخرى (ص ۱۶۱- ۱۶۳)، و جاء فى الفرج بعد الشدة: (ج ۱ ص ۱۴۱) ان يعقوب ابن داود قال: قد بنيت على قبة فى المطبق فمكثت فيها خمسة عشر سنة.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵۰

- بل هى محرمة فى كتاب اللّه- فى أى موضع هى محرمة؟

- قول اللّه عز و جل: «انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغى بغير الحق» و أخذ (ع) يدلى عليه المراد من الآية الكريمة قائلا:

أما قوله: «ما ظهر منها» يعنى الزنا المعلن، و نصب الرايات التى كانت ترفعها الفواجر للفواحش فى الجاهلية، و أما قوله: «و ما بطن» يعنى ما نكح الآباء، لان الناس قبل ان يبعث النبى (ص) إذا كان للرجل زوجة و مات عنها زوجها تزوجها من بعده ابنه اذا لم تكن أمه، فحرم اللّه ذلك، و اما «الاثم» فانها الخمرة بعينها و قد قال اللّه تبارك و تعالى:

فى موضع آخر يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ فاما الاثم فى كتاب اللّه، فهو الخمر و الميسر و اثمهما كبير» و لم يملك المهدى اعجابه بالامام فالتفت الى على بن يقطين قائلا له:

- هذه و اللّه فتوى هاشمية- صدقت، و اللّه يا أمير المؤمنين، الحمد للّه الذى لم يخرج هذا العلم منكم اهل البيت» فلذعه هذا الكلام، فلم يملك صوابه فاندفع قائلا: «صدقت يا رافضى» «۱».

تحديد فدك:

و لما اعلن المهدى رد المظالم الى اهلها دخل عليه الامام موسى (ع) فرآه مشغولا بذلك فالتفت إليه قائلا:

---

(۱) البحار: (ج ۴ ص ۴۸)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۵۱

– ما بال مظلمتنا لا ترد:

– و ما ذاك يا أبا الحسن؟

– فدك– حدها لي– حد منها جبل أحد، و حد منها عريش مصر، و حد منها سيف البحر، و حد منها دومة الجندل.

– كل هذه حدود فدك؟

– نعم فتغير المهدى و بدا الغضب على سحنات وجهه فقد اعلن له الامام ان جميع اقاليم المملكة الاسلامية قد اخذت منهم.

فانطلق المهدى قائلا:

«هذا كثير انظر فيه» «۱»

توسعة المسجد الحرام:

و أمر المهدى بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوى و ذلك فى سنة (۱۶۱ ه–) «۲» و قد امتنع ارباب الدور المجاورة للجامعين من بيعها على الحكومة، فسأل المهدى فقهاء العصر عن جواز اجبارهم على ذلك فقالوا له: لا ينبغى أن تدخل شيئا فى المسجد غصبا، و كان بمجلسه على بن يقطين فاشار عليه ان يرفع استفتاء فى المسألة الى الامام موسى (ع) فاستصوب رأيه و كتب الى عامله على يثرب يأمره بأن يسأل الامام عن ذلك، فلما انتهى الكتاب إليه مضى الى الامام، و عرض عليه السؤال فكتب (ع)

---

(۱) عمدة الاخبار فى مدينة المختار: (ص ۳۱۶)

(۲) تأريخ اليعقوبى: (ج ۳ ص ۳۹۳)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۵۲

الجواب و هذا نصه بعد البسملة:

(إن كانت الكعبة هى النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائها، و ان كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها».

و لما انتهى الجواب الى المهدى امر بهدم الدور و اضافتها الى ساحة المسجدين و فزع اربابها الى الامام و التمسوا منه ان يكتب لهم رسالة الى المهدى ليعوضهم عن ثمن دورهم، فأجابهم و كتب الى المهدى رسالة فى ذلك فلما وصلت إليه أوصلهم و ارضاهم «۱» و ليس هذا نوعا من الاستملاك الذى يعبر عنه فى الوقت الحاضر بالاستملاك للمصلحة العامة كما فهمه بعض المعاصرين بل ان هذا حكم شرعى يتبع أدلته الخاصة التى نصت على ان للجامع فناء و ان من نزل به لا حرمه لما يقيمه فيه من بناء، و نسب المحدث الحافظ أبو الخطاب، القصة للامام الصادق (ع) مع المنصور «۲» و هو بعيد فان التأريخ لم يحدث عن قيام المنصور بحركة عمرانية للجامعين.

اعتقال الامام:

و لما شاع ذكر الامام و انتشر اسمه فى جميع الآفاق لم يملك المهدى غيظه و حقده فخاف على كرسيه، و اعتقد ان ملكه لا يستقر الا باعتقال الامام، فكتب الى عامله على المدينة يأمره بارسال الامام إليه فورا، و لما وصلت الرسالة إليه توجه الى الامام و أخبره بذلك فتجهز (ع) للسفر من وقته فسار (ع) حتى انتهى الى زبالة فاستقبله أبو خالد بكآبة و حزن فنظر إليه الامام نظرة رأفة و رحمة و قال له:

– ما لى أراك منقبضا؟!!– كيف لا انقبض!! و أنت سائر الى هذا الطاغية و لا آمن عليك

---

(۱) البحار: (ج ۴ ص ۲۴۸)

(۲) النبراس: (ص ۲۴)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۵۳

فهدأ (ع) روعه و أخبره انه لا ضير عليه فى سفره هذا، و ضرب له موعدا يجتاز فيه عليه، ثم انصرف الامام متوجها الى بغداد، فلما وصل إليها أمر المهدى باعتقاله و ايداعه فى السجن، و نام المهدى تلك الليلة فرأى فى منامه الامام امير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) و هو متأثر حزين فخاطبه:

«يا محمد، فهل عسيتم أن توليتم ان تفسدوا فى الارض و تقطعوا أرحامكم».

فقام المهدى من نومه فزعا مرعوبا فاستدعى حاجبه الربيع فلما مثل بين يديه كان المهدى يردد الآية الكريمة، و أمره باحضار الامام موسى، فلما أقبل إليه قام فعانقه و أجلسه الى جانبه ثم قال له بعطف و لين:

«يا أبا الحسن، إنى رأيت امير المؤمنين على بن أبى طالب يقرأ على كذا- و اشار الى الآية- أ فتؤمننى ان لا تخرج على او على احد من ولدى؟

- و اللّه ما فعلت ذلك، و لا هو من شأنى- صدقت، يا ربيع، اعطه ثلاثة آلاف دينار و رده الى اهله الى المدينة، فقام الربيع فشايعه و أحكم امره و سرحه فى الليل فما اصبح عليه الصبح إلا و هو فى الطريق «۱» و سارت قافلة الامام تطوى البيداء حتى

---

(۱) تأريخ بغداد (ج ۱۳ ص ۳۰- ۳۱)، وفيات الاعيان (ج ۴ ص ۴۹۳) و ذكر ابن شهرآشوب فى المناقب: (ج ۲ ص ۲۶۴) ان المهدى استدعى حميد بن قحطبة فى منتصف الليل و قال له: ان اخلاص ابيك و اخيك فينا أظهر من الشمس و حالك عندى موقوف، فقال له حميد: افديك بالمال و النفس و الأهل و الولد و الدين فقال له للّه درك، و عاهده على ذلك و أمره بقتل الامام الكاظم فى السحر بغتة، فنام المهدى فرأى فى منامه عليا يشير إليه و يقرأ «فهل عسيتم» الآية، فانتبه مذعورا و نهى حميدا عما أمره، و اكرم الامام الكاظم و اعطاه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۵۴

انتهت الى «زبالة» فى اليوم الذى عينه لأبى خالد و كان يترقب قدوم الامام فى ذلك الوقت بفارغ الصبر فلما قدم (ع) عليه بادر إليه و هو يلثم يديه و اطرافه و الفرح باد عليه فادرك الامام سروره البالغ فقال له:

«إن لهم إلى عودة لا اتخلص منها» «۱» و اشار (ع) بذلك الى ما يصنعه به هارون من اعتقاله فى سجونه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة بها، و لم يجلب المهدى الامام الى بغداد سوى هذه المرة و قد قطع (ع) من سنى حياته فى دوره عشر سنين و قد قام خلال هذه المدة بنشر العلم و تغذية الناشئة العلمية بأنواع العلوم و الآداب و هذه المدة من أهم ادوار حياته التى شيد بها صروح العلم و الفضيلة و الاخلاق.

وفاة المهدى:

و اختلف المؤرخون فى سبب وفاة المهدى، فقيل انه خرج الى الصيد و اخذ فى مطاردة ضبى حتى دخل الى خربة فتبعه و كان باب تلك الخربة ضيقا فاصاب ظهره حتى تقطع عموده الفقرى فمات فى يومه، و قيل ان بعض جواريه كانت تغار من جارية كان يهواها و يخلص لها فدست لها سما فى بعض المآكل فأكل المهدى منه و هو لا يعلم به، و على اى حال فانه لما توفى جزع عليه اهله و ساد عليهم الحزن، و قد خرجت بعد موته بعض جواريه و قد لبسن المسوح حزنا و حدادا عليه، و إليهن يشير ابو العتاهية بقوله:

رحن فى الوشى و اقبلن عليهن المسوح كل نطاح من الدهر له يوم نطوح لست بالباقى و لو عمرت ما عمر نوح فعلى نفسك نح ان كنت لا بد تنوح «۲» الى هنا ينتهى بنا الحديث عن عصر المهدى و ما لاقاه الامام (ع) فى دوره

(۱) نور الابصار: (ص ۱۳۶)، البحار: (ج ۱۱ ص ۲۵۲)

(۲) الفخرى: (ص ۱۵۷)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵۵

فى عهد الهادى

اشارة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵۷

استقبل موسى الهادى الدولة الاسلامية فى ايام شبابها الغض، و نضارة غصنها الرطب، و فى إبان قوتها الكاملة، و ثروتها الموفورة، و قد بويع له، و هو فى غضارة العمر فقد كان عمره- حسب ما يقول الرواة- خمسا و عشرين سنة «۱» و كان سادرا فى الطيش و الغرور، و متماديا فى الاثم و الفجور، و قد اراح اللّه منه العباد فى بداية ملكه فلم تطل أيامه، و لو امتد به العمر لواجه المسلمون فى عهده أعنف المشاكل و أقساها، فقد كان طاغية جبارا لا يتحرج من سفك الدماء و اراقتها بغير حق، و قد أسرف فى سفك دماء العلويين، فأنزل بهم العقاب الصارم، و قد اجمع رأيه على التنكيل بالامام موسى (ع) الا ان اللّه قصم ظهره قبل ان يقوم بذلك، و لا بد لنا من وقفة قصيرة للتحدث عنه.

نزعاته:

اشارة

و اتصف موسى الهادى بنزعات شريرة ظهرت فى سلوكه و أعماله حتى نقم عليه القريب و البعيد، و بغضه الناس جميعا و قد حقدت عليه أمه الخيزران فقد بلغ بها الغيظ و الكراهية له انها هى التى قتلته ... أما نزعاته فهى كما يلى

أ- غروره و طيشه:

لقد تولى الهادى الخلافة و هو فى ريعان الشباب فدفعه ذلك الى التمادى فى الغرور و الطيش، و من مظاهر ذلك انه كان اذا مشى مشت الشرطة بين يديه بالسيوف المشهورة و الاعمدة و القسى الموتورة «۲» ليظهر بذلك أبهة الملك و السلطان، و العلو على الناس.

(۱) خلاصة الذهب المسبوك (ص ۷۵)

(۲) حضارة الاسلام فى دار السلام (ص ۸۴)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵۸

ب- لهوه و مجونه:

و كان موسى الهادى خليعا ماجنا، قد اقبل على الدعارة و اللهو، فبذل الاموال الضخمة بسخاء على شهواته و طربه، فقد اعطى ابراهيم الموصلى خمسين الف دينار لأنه غناه بثلاثة أبيات اطربته «۱» و غناه بصوت فاطربه فوهب إليه ثلاثين الف دينار «۲» و قد كلف بالغناء كلفا شديدا فصرف الكثير من خزينة الدولة على المغنين، و قال اسحاق الموصلى: لو عاش لنا الهادى لبنينا حيطان دورنا بالذهب «۳».

و تهالك على شرب الخمر فكان اول خليفة عباسى أغرى بالخمر «۴» و تبعه على ذلك الرشيد «۵» و سائر ملوك بنى العباس من بعده.

ج- شراسته:

كان سيئ الخلق شرسا، يقول الجاحظ عنه: كان الهادى شكس الاخلاق صعب المرام، قليل الاغضاء، سيئ الظن، قلّ من توقاه، و عرف أخلاقه- إلا أغناه، و ما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال «۶».

---

(۱) العصر العباسى (ص ۱۲۸)

(۲) الاغانى ۵/ ۲۴۱

(۳) الاغانى ۵/ ۶

(۴) الجهشيارى (ص ۱۴۴)

(۵) الطبرى ۶/ ۴۸۹، الاغانى ۵/ ۲۱۶

(۶) التاج فى اخلاق الملوك (ص ۳۵)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۵۹

د- عداؤه للعلويين:

و بالغ هذا الطاغية المغرور فى تنكيل العلويين و ارهاقهم فاذاع فيهم الخوف و الرعب، و قطع ما أجراه لهم المهدى من الارزاق و الاعطية، و كتب الى جميع الآفاق فى طلبهم، و حملهم الى بغداد «۱».

لقد قاسى العلويون فى الفترة القصيرة من هذا الحكم الارهابى جميع الوان الاضطهاد و الجور، فقد امعنت السلطة فى ظلمهم، و اذلالهم، و ارغامهم على ما يكرهون، و هذا مما ادى الى انطلاقهم فى ميادين الجهاد، و اعلانهم للثورة الكبرى الهادفة الى انقاذ الامة من الجور و الطغيان، و هذا ما سنتحدث عنه.

كارثة فخ:

و افظع كارثة واجهها العالم الاسلامى هى مأساة (فخ) ففد ضارعت حادثة كربلاء فى آلامها و شجونها، و قد تحدث الإمام الجواد عليه السلام عن مدى أثرها البالغ على اهل البيت (ع) بقوله:

«لم يكن لنا بعد الطف مصرع اعظم من فخ» لقد انتهكت فى هذه الكارثة الكبرى حرمة النبى (ص) فى عترته و ذريته، فقد اقترف العباسيون فيها عين ما اقترفه الاموبون من الجرائم و الموبقات فى مأساة كربلاء، فرفعوا رءوس العلويين على اطراف الرماح و معها الاسرى يطاف بها فى الاقطار و الامصار، و تركوا الجثث الزواكى ملقاة على أديم الارض من دون ان يخفوا الى مواراتها مبالغة منهم فى التشفى

---

(۱) اليعقوبى ۳/ ۱۳۶

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۰

و الانتقام من آل البيت، و بذلك فقد حاكت رزية كربلاء بجميع فصولها المؤلمة.

و فيما يلى عرض موجز لبعض فصول تلك الكارثة، و بيان موقف الإمام موسى (ع) منها، و ما جرى عليه:

الحسين الثائر العظيم:

اشارة

و الذى فجر الثورة على الحكم العباسى هو الحسين بن على، و قبل البحث عن ثورته نتحدث عن نسبه و نزعاته و صفاته:

أ- نسبه الوضاء:

أما نسبه الكريم فهو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، و أمه زينب بنت عبد اللّه بن الحسن بن على بن أبى طالب (ع) و كان يقال لزينب و زوجها على بن الحسن «الزوج الصالح» لعبادتهما.

و لما قتل ابو جعفر المنصور اباها و اخاها، و عمومتها و بنيهم، و زوجها كانت تلبس المسوح، و لا تجعل بين جسدها، و بينها شعارا حتى لحقت باللّه عز و جل، و كانت تندب اهلها أفجع ندبة حتى يخشى عليها، و لا تذكر المنصور بسوء تحرجا من ذلك، و كراهة ان تشفى نفسها بما يؤثمها، و لا تزيد على القول: «يا فاطر السماوات و الارض، يا عالم الغيب و الشهادة الحاكم بين عباده احكم بيننا و بين قومنا بالحق، و أنت خير الحاكمين».

و كانت ترقص ولدها الحسين فى صغره و هى تتنبأ فيه ان يرفع علم الثورة على العباسيين فكانت تقول له:

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۱ تعلم يا بن زيد و هند «۱»كم لك بالبطحاء من معد

من خال صدق ماجد و جد «۲»

ب- نشأته:

نشأ الحسين فى بيت قد غمرته الآلام و الأحزان، و عمه الثكل و الحداد على شهداء أسرته الذين أبادهم المنصور، فهو لم يشاهد فى بيته سوى البكاء و الجزع، فانطوت نفسه على حزن عميق و أسى مرير، فتحفز منذ نعومة اظفاره الى الأخذ بثأرهم، و مناجزة خصومهم.

---

(۱) هند: أم زينب، و هى بنت ابى عبيدة بن عبد اللّه بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصير، و كانت قبل عبد اللّه بن الحسن زوجا الى عبد الملك بن مروان، فلما مات رجعت بميراثها منه، فقال عبد اللّه لامه فاطمة: اخطبى لى على هند فعذلته، و قالت له:

أ تطمع فيها، و أنت ترب لا- مال لك، فتركها و مضى الى ابيها فخطبها منه فرحب به، و أجابه الى ذلك، و قال له: زوجتك، و لا تبرح، و دخل على بنته فقال لها: يا بنية هذا عبد اللّه بن الحسن أتاك خاطبا فقالت له: ما قلت له؟ فقال: قد زوجته، فأقرته على ذلك، و دخل بها، و أمه لا تشعر بذلك، فأقام سبعا، و جاء الى أمه، و عليه درع الطيب و هو فى غير ثيابه فقالت له أمه: يا بنى من أين لك هذا؟ فقال: من التى زعمت انها لا تريدنى. الأغانى ۱۸/ ۲۰۹

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۴۳۱- ۴۳۲)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۲

ج- نزعاته الفذة:

و التقت بشخصية الحسين جميع الصفات الكريمة من العلم و التقوى و الورع و الصلاح، و الزهد فى الدنيا، و كان من اسخياء عصره، و قد روى المؤرخون بوادر كثيرة من كرمه، و قد روى أبو الفرج عن الحسن بن هذيل، قال:

كنت اصحب الحسين بن على صاحب فخ فقدم الى بغداد فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينار فخرجنا فنزلنا (سوق اسد) فبسط لنا على باب الخان، فأتى رجل معه سلة فقال له: مر الغلام يأخذ منى هذه السلة، فقال له: و ما أنت؟ قال: أنا اصنع الطعام الطيب، فاذا نزل هذه القرية رجل من اهل المروءة اهديته إليه، قال: يا غلام خذ السلة منه، و عد إلينا لتأخذ سلتك، قال: ثم اقبل علينا رجل عليه ثياب رثة، فقال:

اعطونى مما رزقكم اللّه، فقال لى الحسين: ادفع إليه السلة، و قال له:

خذ ما فيها ورد الاناء، ثم اقبل، و قال: إذا رد السلة فادفع إليه خمسين دينارا، و إذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائة دينار، فقلت له: إبقاء منى عليه- جعلت فداك، بعت عينا لك، لتقضى دينا عليك فسألك سائل فاعطيته طعاما هو مقنع له، فلم ترض حتى أمرت له بخمسين دينارا، و جاءك رجل بطعام لعله يقدر فيه دينارا او دينارين، فأمرت له بمائة دينار، فقال:

يا حسن ان لنا ربا يعرف الحسنات، اذا جاء السائل فادفع إليه مائة دينار، و اذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائتى دينار، و الذى نفسى بيده إنى لأخاف أن لا يقبل منى، لأن الذهب و الفضة و التراب عندى بمنزلة

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۳

واحدة «۱».

انها نفوس كريمة تحمل نفحات من روح جدهم الرسول (ص) الذى جاء لاسعاد الناس، و رفع الشقاء عنهم.

و روى الحسن بن هذيل قال: بعت للحسين بن على حائطا باربعين الف دينار فنثرها على بابه، فما دخل الى اهله منها حبة، كان يعطينى كفا كفا فاذهب به الى فقراء اهل المدينة «۲».

انه معدن من معادن المعروف و الاحسان، فلم ير للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع او يكسو به عاريا، شأنه شأن آبائه الذين أفاضوا البر و الخير على جميع الناس.

ما أثر عن النبى فيه:

و أثر عن النبى (ص) انه اجتاز بفخ فصلى باصحابه صلاة الجنازة ثم قال: يقتل هاهنا رجل من اهل بيتى فى عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان و حنوط من الجنة، تسبق ارواحهم أجسادهم الى الجنة «۳».

و روى محمد بن اسحاق عن ابى جعفر محمد بن على عليه السلام قال:

مر النبى (ص) بفخ فنزل فصلى ركعة، فلما صلى الثانية بكى، و هو فى الصلاة فلما رأى الناس النبى (ص) يبكى بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكى بكينا يا رسول اللّه، قال: نزل على جبرئيل لما صليت الركعة الأولى، فقال: يا محمد ان رجلا من ولدك يقتل فى هذا المكان، و أجر الشهيد معه اجر شهيدين «۴».

ما أثر عن الامام الصادق فيه:

و روى النضر قال: اكريت جعفر بن محمد من المدينة الى مكة، فلما ارتحلنا من بطن مر، قال لى: يا نضر اذا انتهيت الى فخ فاعلمنى

(۱- ۲- ۳- ۴) مقاتل الطالبيين (ص ۴۳۶- ۴۴۱)

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۴

قلت له:

- أ لست تعرفه؟

- بلى و لكن اخشى ان تغلبنى عينى قال نضر: فلما انتهينا الى فخ دنوت من المحمل فاذا هو نائم فتنحنحت فلم يتنبه، فحركت المحمل فجلس، فقلت له: قد بلغت، فقال: حل محملى فحللته، ثم قال: صل القطار فوصلته، ثم تنحيت به عن الجادة فانخت بعيره فقال: ناولنى الإداوة، و الركوة، فتوضأ و صلى ثم ركب فقلت: جعلت فداك، رأيتك قد صنعت شيئا أ هو من مناسك الحج؟

قال: لا و لكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتى فى عصابة تسبق ارواحهم اجسادهم الى الجنة «۱»

السبب فى ثورته:

و اجمع المؤرخون على أن السبب فى ثورة الحسين العظيم يعود الى ما عاناه من الضغط الهائل و الجور الشديد، فقد استعمل موسى الهادى واليا على يثرب عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب «۲»، و كان فظا غليظ القلب شرس الاخلاق قد عرف بالنصب و العداء للامام امير المؤمنين (ع) و قد بالغ الاثيم فى اذلال العلويين و ظلمهم، فألزمهم بالمثول عنده فى كل يوم، و فرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كل واحد منهم يكفل

---

(۱) مقاتل الطالبيين (ص ۴۳۷)

(۲) الكامل ۵/ ۷۴، و فى مقاتل الطالبيين (ص ۲۴۳) ان موسى الهادى ولى المدينة اسحاق بن عيسى بن على فاستخلف عليها رجلا من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد اللّه.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۵

صاحبه بالحضور عنده، و قبضت شرطته على كل من الحسن بن محمد بن عبد اللّه بن الحسن، و مسلم بن جندب، و عمر بن سلام، و ادعت الشرطة انها وجدتهم على شراب فامر بضربهم فضرب الحسن ثمانين سوطا، و ابن جندب خمسة عشر سوطا، و ابن سلام سبعة اسواط، و جعل فى اعناقهم حبالا، و أمر ان يطاف بهم فى شوارع يثرب ليفضحهم، فبعثت إليه الهاشمية صاحبة الراية السوداء فى ايام محمد بن عبد اللّه فقالت له: لا و لا كرامة لا تشهر احدا من بنى هاشم، و تشنع عليهم و أنت ظالم، فكف عن ذلك، و خلى سبيلهم.

و ولى العمرى على الطالبيين رجلا يعرف بأبى بكر بن عيسى الحائك مولى الانصار فعرضهم يوم الجمعة، و لم يأذن لهم بالانصراف الى منازلهم حتى حضر وقت الصلاة فالحوا عليه فى اداء الفريضة فاذن لهم بعد جهد، و بعد ادائها حبسهم فى المقصورة الى العصر لا لشيء سوى أن يتقرب الى العمرى بذلك.

ثم انه عرضهم و دعا بالحسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى و الحسين ابن على:

«لتأتيانى به أو لأحبسنكما، فقد تغيب عن العرض ثلاثة أيام؟ ..»

فرداه ردا حفيا الا انه لم يجد مع هذا الوغد حتى اضطر يحيى الى مقابلته بالمثل، فخرج مغضبا الى العمرى فاخبره بالامر فأمر باحضارهما فلما مثلا عنده اخذ يتهدد و يتوعد، فضحك الحسين من منطقه الهزيل و قال له باستهزاء و سخرية:

«أنت مغضب يا ابا حفص؟!!» فثار العمرى و استاء منه لأنه كناه و لم يلقبه بالولاية و الامرة قائلا:

«أ تهزأ بى و تخاطبنى بكنيتى؟»

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۶

فانبرى إليه الحسين فسدد له سهما من بليغ منطقه قائلا:

«قد كان أبو بكر و عمر و هما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك، و أنت تكره الكنية و تريد المخاطبة بالولاية!!» فثار العمرى و لم يملك صوابه قائلا:

«آخر قولك شر من أوله»- معاذ اللّه، يأبى اللّه لى ذلك و ما أنا منه!!- أ فانما ادخلتك على لتفاخرنى و تؤذينى؟

و غضب يحيى من اعتدائه الصارخ على الحسين فقال له:

- ما تريد منا؟

- اريد ان تأتيانى بالحسن بن محمد- لا- نقدر عليه هو فى بعض ما يكون فيه الناس فابعث الى آل عمر ابن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا، ثم اعرضهم رجلا رجلا فاذا لم تجد فيهم من قد غاب اكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا ..

ففقد العمرى صوابه و راح يحلف بطلاق زوجته و حرية مماليكه أن لا يخلى عن الحسين حتى يأتيه بالحسن فى باقى يومه و ليلته فان فعل فذاك و إلا فيركب الى «سويقة» «۱» فيخربها و يحرقها، و يضربه الف سوط، و ان ظفر بالحسن ليهريق دمه، فوثب إليه يحيى و هو لا يبصر طريقه من الاستياء و قد عزم على الثورة و مناجزة تلك الحكومة قائلا:

«أنا اعطى اللّه عهدا، و كل مملوك لى حر إن ذقت الليلة نوما حتى آتيك بالحسن بن محمد، أو لا اجده فأضرب عليك بابك حتى تعلم انى قد جئتك».

---

(۱) سويقة: منزل لبنى الحسن يقع بالقرب من المدينة، و هو من جملة صدقات الامام امير المؤمنين (ع) معجم البلدان ۵/ ۱۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۷

و خرجا منه و هما مغيظان قد لذعهما جفاؤه و التفت الحسين الى يحيى منددا بما اعطاه من العهد للعمرى باحضار الحسن قائلا:

«بئس لعمر اللّه ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، و أين تجد حسنا» فاخبره انه قد وارى فى كلامه و انه يقصد القيام بوجهه قائلا:

«لم أرد ان آتيه بالحسن و اللّه، و إلا فانا نفى من رسول اللّه (ص) و من على (ع)، بل اردت ان دخل عينى نوم حتى اضرب عليه بابه و معى السيف إن قدرت عليه قتلته ..»

و التقى الحسين بالحسن فقال له:

«يا بن عمى، قد بلغك ما كان بينى و بين هذا الفاسق، فامض حيث احببت».

- لا- و اللّه، يا ابن عمى، بل أجيء معك الساعة حتى اضع يدى فى يده ما كان اللّه ليطلع على و أنا جاء الى محمد (ص) و هو خصمى و حجيجى فى دمك، و لكن أقيك بنفسى لعل اللّه يقينى من النار ..»

و تمثل الشرف و النبل بهذه الكلمات التى تنم عن نفس لم تعرف الخيانة و الغدر، و لم يدنسها حب الحياة.

و اجتمع العلويون و من يمت إليهم من المؤمنين و الصالحين فتذاكروا ما قابلهم العمرى من الصلافة فصمموا على أن يهجموا عليه داره، فاقتحموا عليه الدار فولى الجبان هاربا بصورة مخزية ثم قال يحيى:

«هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمرى، و إلا و اللّه خرجت من يمينى».

و هذه البادرة هى السبب فى ثورة الحسين و انتفاضته فقد ألجأته السلطة الحمقاء الى القيام بوجهها فانه رأى أما أن يرضخ الى الذل و الخنوع الأمر الذى يأباه العلويون الذين رسموا الاباء و العز فى دنيا العرب و الاسلام، و أما

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۶۸

الموت فى سبيل الكرامة، التى هى شعار العلويين حتى قالوا: «ما كره قوم حر الجلاد إلا ذلوا».

و اختار الحسين طريق الكفاح و النضال فصمم مع الصفوة من اهل بيته على الموت تحت ظلال الأسنة أحرارا كراما.

شهادته:

و رفع الحسين راية الثورة و اعلن الجهاد المقدس فالتحق به الطالبيون و لم يتخلف عنه إلا نفر يسير، و أقبل بموكبه الجهير الى الامام موسى يستشيره فى ثورته فلما استقر به المجلس عرض فكرته على الامام فالتفت (ع) إليه قائلا:

«انك مقتول فأحدّ الضراب، فان القوم فساق يظهرون إيمانا، و يضمرون نفاقا و شركا، فانا للّه و إنا إليه راجعون، و عند اللّه احتسبكم من عصبة».

لقد رأى الامام (ع) ان الحركة لا بد ان تفشل و يذهب العلويون ضحية العدوان الغادر، و لكن الحسين لم يجد بدا من الثورة لما ناله من الضيم و الهوان، فقام من عند الامام و جمع الناس فصلى بهم و بعد الفراغ من الصلاة قام خطيبا بين الناس فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«أنا ابن رسول اللّه، و فى حرم رسول اللّه أدعوكم الى سنة رسول اللّه (ص) «۱» أيها الناس أ تطلبون آثار رسول اللّه (ص) فى الحجر

---

(۱) ذكر الطبرى فى تأريخه ان الحسين قال فى آخر خطابه «أدعوكم الى كتاب اللّه، و سنة نبيه. فان لم أف لكم بذلك فلا بيعة لى فى اعناقكم»

و العود، و تضيعون بضعة منه» «۱».

و لما انتهى خطابه الرائع اقبلت إليه الجماهير تبايعه على كتاب اللّه و سنة نبيه، و الدعوة للرضا من آل محمد (ص) «۲» و قيل أنه قال لمن بايعه:

«أبايعكم على كتاب اللّه، و سنة رسول اللّه و على ان يطاع اللّه و لا يعصى، و أدعوكم الى الرضا من آل محمد، و على ان نعمل فيكم بكتاب اللّه و سنة نبيه (ص) و العدل فى الرعية، و القسم بالسوية، و على أن تقيموا معنا و تجاهدوا عدونا، فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا، و إن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم» «۳».

و دل هذا الخطاب على ما ينشده فى ثورته الاصلاحية من تحقيق العدالة الاجتماعية و رفع مستوى الحياة، و تطبيق احكام القرآن، و إقامة عدل الاسلام.

و بعد ما بايعه الناس خرج قاصدا الى مكة قد احتف به أهل بيته و اصحابه البالغ عددهم زهاء ثلاثمائة رجل، و استخلف على يثرب واليا من قبله دينار الخزاعى، و اخذ يجد فى مسيره حتى انتهى الى «فخ» فعسكر فيه، و لحقته الجيوش العباسية بقيادة العباس بن محمد، و موسى بن عيسى فالتقى الجيشان يوم التروية وقت صلاة الصبح فحملت جيوش البغى و الضلال على تلك القلة المؤمنة التى لا هدف لها إلا انقاذ المجتمع من ايدى الطغمة الحاكمة التى عاثت فى الارض فسادا.

و بعد صراع رهيب بين قوى الحق و البغى قتل الحسين بسهم غادر رماه

---

(۱) المقاتل: (ص ۴۸۴)

(۲) الطبرى (ج ۱۰ ص ۲۵)

(۳) المقاتل: (ص ۴۹۰)

به حماد التركى الوغد الأثيم، و استشهد اكثر اصحاب الحسين، و حزت رءوسهم «۱» و حملت الى الخليفة العباسى و عمدت الجيوش العباسية التى لم تعرف الشرف و الانسانية، الى دفن اصحابهم الفجرة و تركوا الحسين و اصحابه الأحرار مجزرين كالاضاحى لا مغسلين و لا مكفنين، و أبردت برءوسهم الى موسى ابن عيسى و كان فى مجلسه جماعة من العلويين فى طليعتهم الامام موسى (ع) فلما رآها الامام هاله منظرها المؤلم الحزين فاندفع (ع) يؤبن الحسين و يصوغ من حزنه و لوعته كلمات قائلا:

«إنا للّه، و انا إليه راجعون، مضى و اللّه مسلما صالحا، صواما، قواما، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ما كان فى اهل بيته مثله ..» «۲»

لقد كان قتل الحسين من الأحداث الكبار فى ذلك العصر فقد احدث صدعا فى الاسلام أى صدع فانتهكت فى قتله حرمة النبى (ص) التى هى احق الحرمات بالرعاية، و قد اندفع شعراء الشيعة يبكون على مصرعه أمر البكاء، و يندبونه باشجى ندبة فممن رثاه عيسى بن عبد اللّه بقوله:

فلأبكين على الحسين‌بعولة و على الحسن «۳»

و على ابن عاتكة الذى‌أثووه ليس له كفن «۴»

تركوا بفخ غدوةفى غير منزلة الوطن

---

(۱) ذكر الطبرى فى تأريخه (ج ۱۰ ص ۲۸) ان عدد الرءوس التى احتزت كانت مائة و نيفا.

(۲) المقاتل: (ص ۴۵۳)

(۳) هو الحسن بن محمد بن الحسن السبط (ع) و قد أسر فى الواقعة و ضربت عنقه صبرا.

(۴) ابن عاتكة: هو عبد اللّه بن اسحاق بن الحسن المثنى كما فى الاستقصاء (ج ۱ ص ۶۷)

كانوا كراما قتلوالا طائشين و لا جبن

غسلوا المذلة عنهم‌غسل الثياب من الدرن

هدى العباد بجدهم‌فلهم على الناس المنن «۱» و رثاه شاعر آخر بقصيدة جاء فيها:

يا عين ابكى بدمع منك منهتن «۲»فقد رأيت الذى لاقى بنو حسن

صرعى بفخ تجر الريح فوقهم‌أذيالها و غوادى الدلج المزن

حتى عفت أعظم لو كان شاهدهامحمد ذب عنها ثم لم تهن «۳»

ما ذا يقولون و الماضون قبلهم‌على العداوة و البغضاء و الاحن

ما ذا يقولون: ان قال النبى لهم‌ما ذا صنعتم بنا فى سالف الزمن

لا الناس من مضر حاموا و لا غضبواو لا ربيعة و الاحياء من يمن

يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حرماو قد رعى الفيل حق البيت ذى الركن «۴» لقد كان مصرع الحسين الشهيد من الاحداث الجسام فى الاسلام، فقد ترك ألما ممضا فى نفوس المسلمين يذكرونه بكثير من الأسى و الشجون.

وصول الأسرى الى الهادى:

و أرسلت رءوس الأبرار الطاهرين الى الطاغية الهادى، و معها الأسرى و قد قيدوا بالحبال و السلاسل، و وضعوا فى أيديهم و أرجلهم الحديد قد خيم عليهم الذل و الهوان، و أمر الطاغية الأثيم بقتلهم، فقتلوا صبرا، و صلبوا على

---

(۱) مروج الذهب: (ج ۳ ص ۲۴۸- ۲۴۹)

(۲) فى معجم البلدان (منك منهمر).

(۳) فى المعجم (ثم لم يهن)

(۴) مقاتل الطالبيين (ص ۴۶۰)

باب الحبس «۱» و كان من الأسرى رجل انهكته العلة، فقال للهادى يستعطفه:

«أنا مولاك يا أمير المؤمنين» فصاح به الهادى، و قال: مولاى يخرج على؟ و كان مع موسى سكين فقال: و اللّه لأقطعنك بهذه السكين مفصلا مفصلا و مكث الرجل ساعة فغلبت عليه العلة فمات حتف أنفه «۲».

و وضعت رءوس العلويين بين يدى الطاغية فجعل يترنم بهذه الابيات:

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعد مادفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون نيلهفيقبل ضيما أو يحكم قاضيا

و لكن حكم السيف فيكم مسلطفنرضى اذا ما اصبح السيف راضيا

فان قلتم إنا ظلمنا فلم نكنظلمنا و لكنا أسأنا التقاضيا «۳» و دل هذا الشعر على غروره و طيشه، و روحه الانتقامية التى لم تألف الرحمة و الرأفة.

تهديده للامام موسى:

و لما استأصل موسى الهادى شأفة العلويين، أخذ يتوعد الاحياء منهم بالقتل و الدمار، و قد ذكر عميدهم و سيدهم الامام موسى (ع) فقال:

«و اللّه ما خرج حسين الا عن امره، و لا اتبع الا محبته لأنه صاحب الوصية فى أهل هذا البيت قتلنى اللّه ان أبقيت عليه»

---

(۱) تأريخ الطبرى ۱۰/ ۲۹

(۲) مقاتل الطالبيين (ص ۴۵۳)

(۳) معجم البلدان ۶/ ۳۰۸

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۷۳

و أضاف يقول فى تهديده: «و لو لا ما سمعت من المهدى فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر- يعنى الامام الصادق (ع)- من الفضل المبرز عن أهله فى دينه، و عمله و فضله، و ما بلغنى من السفاح فيه من تعريضه و تفضيله، لنبشت قبره و أحرقته بالنار احراقا».

و كان فى مجلسه القاضى أبو يوسف، فانبرى إليه قائلا:

«نساؤه طوالق، و عتق جميع ما يملك من الرقيق، و تصدق جميع ما يملك من المال، و حبس دوابه، و عليه المشى الى بيت اللّه إن كان مذهب موسى ابن جعفر الخروج، و لا يذهب إليه، و لا مذهب أحد من ولده و لا ينبغى أن يكون هذا منهم».

و لم يزل يلطف به، حتى سكن غضبه «۱» و دل هذا الموقف الكريم على نبل أبى يوسف و شرفه.

استهزاء الامام به:

و انتهى تهديد الهادى الى الامام (ع) فخف إليه أهل بيته و أصحابه مسرعين فزعين قد استولى عليهم الرعب، فأشاروا مجمعين على الامام ان يختفى ليسلم من شر هذا الطاغية، فتبسم (ع) لأنه قد استشف من وراء الغيب هلاك هذا الباغى و تمثل (ع) بقول كعب بن مالك «۲»:

---

(۱) بحار الأنوار ۱۱/ ۲۷۸

(۲) كعب بن مالك بن أبى كعب الخزرجى شاعر رسول اللّه (ص) و أحد السبعين الذين بايعوه بالعقبة، و شهد المشاهد كلها سوى واقعة بدر و هو القائل:

و ببئر بدر إذ يرد وجوههمجبريل تحت لوائنا و محمد

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۷۴ زعمت سخينة «۱» أن ستغلب ربهاو ليغلبن مغالب الغلاب و أنشد بيتا آخر:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاابشر بطول سلامة يا مربع و دل ذلك على سخريته البالغة بتهديد الهادى له، فقد علم (ع) ان اللّه سيقصم ظهره قبل أن يناله بسوء و مكروه.

دعاؤه عليه:

و أقبل الامام موسى (ع) نحو القبلة، و أخذ يتضرع الى اللّه، و يتوسل إليه لينجيه من شر هذا الطاغية، و قد دعا بهذا الدعاء الجليل:

«إلهى: كم من عدو انتضى على سيف عداوته، و شحذ لى ظبة مديته و أرهف لى شباحده، و داف لى قواتل سمومه، و سدد نحوى صوائب سهامه، و لم تنم عنى عين حراسته، و أضمر أن يسومنى المكروه، و يجرعنى ذعاف مرارته، فنظرت الى ضعفى عن احتمال الفوادح، و عجزى عن الانتصار ممن قصدنى بمحاربته، و وحدتى فى كثير من ناوانى، و ارصادهم

و قال فى مدح بنى هاشم:

يا هاشما ان الإله حباكمما ليس يبلغه اللسان المفصل

قوم لأصلهم السيادة كلهاقدما و فرعهم النبى المرسل

بيض الوجوه ترى بطون اكفهمتندى اذا غبر الزمان الممحل توفى فى خلافة الامام امير المؤمنين (ع) بعد أن كف بصره، معجم الشعراء (ص ۳۴۲)

(۱) سخينة: طعام يتخذ من الدقيق كانت قريش تعير به حتى صار لقبا لها.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۷۵

لى فيما لم أعمل فيه فكرى فى الارصاد لهم بمثله، فأيدتنى بقوتك، و شددت أزرى بنصرك، و فللت لى شباحده، و خذلته بعد جمع عديده و حشده، و أعليت كعبى عليه، و وجهت ما سدد إلى من مكائده إليه، و رددته، و لم يشف غليله، و لم تبرد حرارات غيظه، و قد عض على أنامله، و أدبر موليا قد أخفقت سراياه فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، و ذى أناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد، و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين، و لآلائك من الذاكرين.

إلهى: و كم من باغ بغانى بمكائده، و نصب لى أشراك مصائده، و وكل بى تفقد رعايته، و أضبأ إلى اضباء السبع لطريدته انتظارا لانتهاز فرصته، و هو يظهر لى بشاشة الملق، و يبسط لى وجها غير طلق فلما رأيت دغل سريرته، و قبح ما انطوى عليه بشريكه فى صلبه، و اصبح مجلبا إلى فى بغيه اركسته لأم رأسه و أثنيت بنيانه من أساسه فصرعته فى زبيته و أرديته فى مهوى حفرته، و رميته بحجره و خنقته بوتره و ذكيته بمشاقصته و كبيته بخنجره و رددت كيده فى نحره، و ربقته بندامته، و فتنته بحسرته فاستخدم و استخذأ و تضاءل بعد نخوته، و انقمع بعد استطالته ذليلا مأسورا فى ربق حبائله التى كان يؤمل أن يرانى فيها يوم سطوته و قد كدت لو لا رحمتك تحل بى ما حل بساحته فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى أناة لا يعجل صل محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى: و كم من حاسد شرق بحسده و شجا بغيظه، و سلقنى بحد لسانه و وخزنى بمؤق عينه، و جعل عرضى غرضا لمراميه، و قلدنى خلالا- لم يزل فيه، فناديتك يا رب مستجيرا بك، واثقا بسرعة اجابتك متوكلا على ما لم ازل اعرفه من حسن دفاعك عالما أنه لم يضطهد من آوى الى ظل كنفك و أن لا تفزع الفوادح من لجأ الى معقل الانتصار بك، و حصنتنى من باسه

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشي ،ج۱،ص:۴۷۶

بقدرتك فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، و ذى أناة لا يعجل، صل على محمد و آل محمد، و اجعلنى لانعمك من الشاكرين، و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من سحائب مكروه قد جليتها، و سماء نعمة أمطرتها و جداول كرامة أجريتها، و أعين أحداث طمستها، و ناشئة رحمة نشرتها و جنة عافية ألبستها، و غوامر كربات كشفتها، و أمور جارية قدرتها إذ لم يعجزك إذ طلبتها، و لم تمتنع عليك اذ أردتها فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، و ذى أناة لا يعجل، صل على محمد و آل محمد، و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من ظن حسن حققت و من عدم املاق جبرت، و من مسكنة فادحة حولت، و من صرعة مهلكة انعشت، و من مشقة ازحت لا تسأل يا سيدى عما تفعل، و هم يسألون، و لا ينقصك ما انفقت و لقد سألت فأعطيت و لم تسأل فابتدأت و استميح باب فضلك فما أكديت، أبيت إلا انعاما و امتنانا و الا تطولا يا رب و احسانا و أبيت يا رب إلا انتهاكا لحرماتك و اجتراء على معاصيك و تعديا لحدودك و غفلة عن وعيدك و طاعة لعدوى و عدوك لم يمنعك يا إلهى و ناصرى اخلالى بالشكر عن اتمام احسانك، و لا حجزنى ذلك عن ارتكاب مساخطك، اللهم: فهذا مقام عبد ذليل اعترف لك بالتوحيد و أقر على نفسه بالتقصير فى اداء حقك و شهد لك بسبوغ نعمتك عليه، و جميل عاداتك عنده و احسانك إليه، فهب لى يا إلهى و سيدى من فضلك ما أريده سببا الى رحمتك و اتخذه سلما اعرج فيه الى مرضاتك و آمن به من سخطك بعزتك و طولك و بحق محمد نبيك و الأئمة صلوات اللّه عليه و عليهم أجمعين، فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، و ذى أناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد، و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۷۷

من الذاكرين.

إلهى و كم من عبد أمسى و أصبح فى كرب الموت و حشرجة الصدر و النظر الى ما تقشعر منه الجلود و تفزع إليه القلوب و انا فى عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لانعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من عبد أمسى سقيما موجعا مدنفا من انين و عويل يتقلب فى غمه و لا يجد محيصا و لا يسيغ طعاما و لا يستعذب شرابا و لا يستطيع ضرا و لا نفعا و هو فى حسرة و ندامة و أنا فى صحة من البدن و سلامة من العيش كل ذلك منك، صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين، و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من عبد امسى و اصبح خائفا مرعوبا مسهدا مشققا وحيدا و جاهلا هاربا طريدا او منحجزا فى مضيق او مخبأة من المخابئ قد ضاقت عليه الأرض برحبها فلا يجد حيلة و لا منجا و لا مأوى و لا مهربا و أنا فى أمن و امان و طمأنينة و عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و سيدى كم من عبد امسى و أصبح مغلولا مكبلا بالحديد بأيدى العداة لا يرحمونه فقيدا من بلده و ولده و اهله منقطعا عن اخوانه يتوقع كل ساعة بأية قتلة يقتل او بأى مثلة يمثل و أنا فى عافية من ذلك كله فلك الحمد من مقتدر لا يغلب و ذى أناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و سيدى و كم من عبد امسى و اصبح يقاسى الحرب و مباشرة القتال بنفسه قد غشيته الاعداء من كل جانب و السيوف و الرماح و آلة الحرب

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۷۸

يتقعقع فى الحديد مبلغ مجهوده و لا- يعرف حيلة و لا يهتدى سبيلا و لا يجد مهربا و قد ادنف بالجراحات او متشحطا بدمه تحت السنابك و الأرجل يتمنى شربة من ماء او نظرة الى أهله و ولده لا يقدر عليها و أنا فى عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لانعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من عبد امسى و اصبح فى ظلمات البحر و عواصف الرياح و الأهوال و الأمواج يتوقع الغرق و الهلاك لا يقدر على حيلة او مبتلى بصاعقة أو هدم او حرق او شرق او خسف او مسخ او قذف و انا فى عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى أناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين إلهى و كم من عبد امسى و اصبح مسافرا شاحطا عن اهله و وطنه و ولده متحيرا فى المفاوز تائها مع الوحوش و البهائم و الهوام وحيدا فريدا لا يعرف حيلة و لا يهتدى سبيلا أو متأذيا ببرد أو حر او جوع او عرى أو غيره من الشدائد مما أنا منه خلو و انا فى عافية من ذلك كله فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

إلهى و كم من عبد امسى و اصبح فقيرا عائلا عاريا مملقا مخفقا مهجورا جائعا خائفا ضمآنا ينتظر من يعود عليه بفضل، او عبد وجيه هو أوجه منى عندك او اشد عبادة لك مغلولا مقهورا قد حمل ثقلا من تعب العناء و شدة العبودية و كلفة الرق و ثقل الضريبة او مبتلى ببلاء شديد لا قبل له به إلا بمنك عليه و انا المخدوم المنعم المعافى المكرم فى عافية مما هو فيه فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۷۹

إلهى و سيدى و مولاى و كم من عبد امسى و اصبح شريدا طريدا متحيرا جائعا خائفا حاسرا فى الصحارى و البرارى احرقه الحر و البرد و هو فى ضر من العيش و ظنك من الحياة و ذل من المقام ينظر الى نفسه حسرة لا يقدر على ضر و لا نفع و انا خلو من ذلك كله بجودك و كرمك فلا- إله الا- أنت سبحانك من مقتدر لا- يغلب و ذى اناة لا- يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لأنعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين و ارحمنى برحمتك يا ارحم الراحمين يا مالك الراحمين مولاى و سيدى و كم من عبد امسى و اصبح عليلا مريضا سقيما مدنفا على فرش العلة و فى لباسها يتقلب يمينا و شمالا لا يعرف شيئا من لذة الطعام و لا من لذة الشراب ينظر الى نفسه حسرة لا- يستطيع لها ضرا و لا نفعا و انا خلو من ذلك كله بجودك و كرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لك من العابدين و لانعمك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين و ارحمنى برحمتك يا مالك الراحمين.

مولاى و سيدى و كم من عبد امسى و اصبح قد دنا من حتفه و قد احدق به ملك الموت فى اعوانه يعالج سكرات الموت و حياضه، تدور عيناه يمينا و شمالا لا ينظر الى احبائه و اودائه و اخلائه قد منع عن الكلام و حجب عن الخطاب ينظر الى نفسه حسرة فلا يستطيع لها نفعا و لا ضرا و انا خلو من ذلك كله بجودك و كرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لك من العابدين و لنعمائك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين و ارحمنى برحمتك يا مالك الراحمين.

مولاى و سيدى و كم من عبد امسى و اصبح فى مضايق الحبوس و السجون و كربها و ذلها و حديدها يتداوله اعوانها و زبانيتها فلا يدرى اى حال يفعل به و اى مثلة يمثل به فهو فى ضر من العيش و ضنك من الحياة ينظر الى

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۱،ص:۴۸۰

نفسه حسرة لا يستطيع لها ضرا و لا نفعا و أنا خلو من ذلك كله بجودك و كرمك فلا إله إلا أنت سبحانك من مقتدر لا يغلب و ذى اناة لا يعجل صل على محمد و آل محمد و اجعلنى لك من العابدين و لنعمائك من الشاكرين و لآلائك من الذاكرين و ارحمنى برحمتك يا ارحم الراحمين.

مولای و سیدی و کم من عبد امسی و اصبح قد استمر علیه القضاء و احدق به البلاء و فارق أوداءه و احباءه و اخلاءه و امسی حقیرا اسیرا ذلیلا فی ایدی الکفار و الأعداء یتداولونه یمینا و شمالا قد حصر فی المطامیر و ثقل بالحدید لا یری شیئا من ضیاء الدنیا و لا من روحها ینظر الی نفسه حسرة لا یستطیع لها ضرا و لا نفعا و انا خلو من ذلک کله بجودک و کرمک فلا إله إلا أنت سبحانک من مقتدر لا یغلب و ذی اناة لا یعجل صل علی محمد و آل محمد و اجعلنی لک من العابدین و لنعمائک من الشاکرین و لآلائک من الذاکرین و ارحمنی برحمتک یا مالک الراحمین.

مولای و سیدی و کم من عبد امسی و اصبح قد اشتاق الی الدنیا للرغبة فیها الی ان خاطر بنفسه و ماله حرصا منه علیها قد رکب الفلک و کسرت به و هو فی آفاق البحار و ظلمها ینظر الی نفسه حسرة لا یقدر لها علی ضر و لا نفع و أنا خلو من ذلک کله بجودک و کرمک فلا إله إلا أنت سبحانک من مقتدر لا یغلب و ذی اناة لا یعجل صل علی محمد و آل محمد و اجعلنی لک من العابدین و لنعمائک من الشاکرین و لآلائک من الذاکرین و ارحمنی برحمتک یا مالک الراحمین.

مولای و سیدی و کم من عبد امسی و اصبح قد استمر علیه القضاء و احدق به البلاء و الکفار و الأعداء و اخذته الرماح و السیوف و السهام و جندل صریعا قد شربت الأرض من دمه و اکلت السباع و الطیور من لحمه و انا خلو من ذلک کله بجودک و کرمک لا باستحقاق منی یا لا إله إلا أنت

حیاة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۴۸۱

سبحانک من مقتدر لا یغلب و ذی اناة لا یعجل صل علی محمد و آل محمد و اجعلنی لنعمائک من الشاکرین و لآلائک من الذاکرین و ارحمنی برحمتک یا مالک الراحمین.

و عزتک یا کریم لاطلبن مما لدیک و لألحن علیک و لألجأن إلیک و لأمدن یدی نحوک مع جرمها إلیک فبمن اعوذ یا رب و بمن ألوذ، لا احد لی إلا أنت أ فتردنی و أنت معولی و علیک معتمدی و أسألک باسمک الذی وضعته علی السماء فاستقلت و علی الجبال فرست و علی الأرض فاستقرت و علی اللیل فاظلم و علی النهار فاستنار ان تصلی علی محمد و آل محمد و ان تقضی لی جمیع حوائجی و تغفر لی ذنوبی کلها صغیرها و کبیرها و توسع علی من الرزق ما تبلغنی به شرف الدنیا و الآخرة یا ارحم الراحمین.

مولای بک استغثت فصل علی محمد و آل محمد و اغثنی و بک استجرت و اغننی بطاعتک عن طاعة عبادک و بمسألتک عن مسألة خلقک و انقلنی من ذل الفقر الی عز الغنی و من ذل المعاصی الی عز الطاعة فقد فضلتنی علی کثیر من خلقک جودا و کرما لا باستحقاق منی.

إلهی فلک الحمد علی ذلک کله صل علی محمد و آل محمد و اجعلنی لنعمائک من الشاکرین و لآلائک من الذاکرین و ارحمنی برحمتک یا ارحم الراحمین» «۱».

و بعد فراغ الامام (ع) من دعائه الشریف التفت الی اصحابه یهدأ

---

(۱) یعرف هذا الدعاء بدعاء الجوشن الصغیر، و قد ذکره السید ابن طاوس فی مهج الدعوات (ص ۲۲۰- ۴۲۷) و الشیخ عباس القمی فی مفاتیح الجنان نقلا عن الکفعمی فی هامش کتاب البلد الأمین، و ذکره ابن شهر اشوب فی المناقب، و قد اختلفت نسخ الدعاء فی هذه المصادر

حیاة الإمام موسی بن جعفر(ع)، القرشی ،ج۱،ص:۴۸۲

روعهم، و یفیض علیهم قبسا من علمه المستمد من علم جده الرسول (ص) قائلا:

«لیفرج روعکم فانه لا یأتی أول کتاب من العراق إلا بموت موسی الهادی».

فانبروا یطلبون منه ان یکشف لهم الحجاب قائلین:

«و ما ذاک اصلحک اللّه؟» «و حرمة صاحب هذا القبر- و أشار الى قبر النبى (ص)- قد مات موسى الهادى من يومه هذا، و اللّه إنه لحق مثل ما انكم تنطقون ..»

فتفرق القوم و هم ينتظرون بفارغ الصبر ورود البريد من العراق فما كان باسرع من أن وافاهم و هو يحمل لهم البشرى بهلاک الطاغية، و قد نظم بعض اهل البيت هذه الكرامة التى جرت على يد الامام بقوله:

و سارية لم تسر فى الأرض تبتغىمحلا و لم يقطع بها البعد قاطع «۱»

سرت حيث لم تحد الركاب و لم تنخمحلا و لم يقصر لها البعد مانع

تمر وراء الليل و الليل ضارببجثمانه فيه سمير و هاجع

تفتح أبواب السماء و دونهااذا قرع الأبواب منهن قارع

اذا وردت لم يردد اللّه وفدهاعلى أهلها و اللّه راء و سامع

و إنى لأرجو اللّه حتى كأنماأرى بجميل الظن ما هو صانع «۲»

---

(۱) و سارية: اى رب سارية اخذت من السرى و هو السير بالليل و المراد رب دعوة لم تجر فى الأرض بل صعدت الى السماء فلم يقطعها قاطع لبعد المسافة فصعدت الى اللّه فاستجاب الدعاء و انتقم من الظالمين.

(۲) المناقب: (ج ۲ ص ۳۷۸)

هلاک موسى الهادى:

و استجاب اللّه دعاء وليه العبد الصالح فأهلک عدوه الطاغية الجبار فاراح العباد و البلاد من شره، و جوره، أما سبب وفاته فتعزوه بعض المصادر الى؟ كانت فى جوفه فهلک منها «۱» و صرحت اكثر المصادر أن أمه الخيزران غضبت عليه لأنه قطع نفوذها لقصة مشهورة و انها خافت منه على ولدها هارون الذى كان أحب إليها من الدنيا و من فيها «۲» فأوعزت الى جواريها بخنقه، فعمدت الجوارى الى قتله و هو نائم «۳» و مهما يكن من أمر فقد انطوت صفحة هذا الطاغية، و لم تطل أيامه فقد كانت خلافته سنة و بضعة اشهر، و لكنها كانت مجهدة و ثقيلة على المسلمين فقد واجهوا فيها اعنف المشاكل و اكثرها محنة و صعوبة، فقد رءوا رءوس ابناء النبى على الرماح يطاف بها فى الأقطار و الأمصار، و اسراهم يقتلون و يصلبون، لم ترع فيهم حرمة الرسول الأعظم (ص) و لا حرمة الاسلام الذى فرض ودهم على جميع المسلمين.

و مما زاد فى محنة المسلمين و عنائهم ان موسى الهادى اقبل على اللهو و العبث و المجون و اخذ يصرف الخزينة المركزية على شهواته، و يهب أضخم الأموال للمغنين غير حافل بما الزم به الاسلام من الاحتياط الشديد فى اموال المسلمين، و حرمة صرفها فى غير صالحهم و تطورهم الاقتصادى.

لقد رأى الامام موسى (ع) تلك الأحداث الجسام، و رافق كثيرا

---

(۱) الطبرى: (ج ۱۰ ص ۳۳)

(۲) الطبرى: ۱۰/ ۳۶

(۳) الجهشيارى (ص ۱۷۵)، اليعقوبى ۳/ ۱۳۸

من مآسيها فزادته عناء و جهدا، فقد رأى الحق مضاعا، و العدل مجافى و لم يكن هناك أى ظل للحياة الاسلامية، فقد خالفت السلطات الحاكمة آنذاك جميع ما أثر عن الاسلام فى عالم السياسة و الاقتصاد و الادارة الى هنا ينتهى بنا الحديث فى هذه «الحلقة الأولى» من هذا الكتاب و نلتقى مع القراء فى «الحلقة الثانية» فنقدم لهم عرضا شاملا لبعض شئون الامام و احواله.

حياة الإمام موسى بن جعفر(ع)، القرشى ،ج۲،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد

جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹